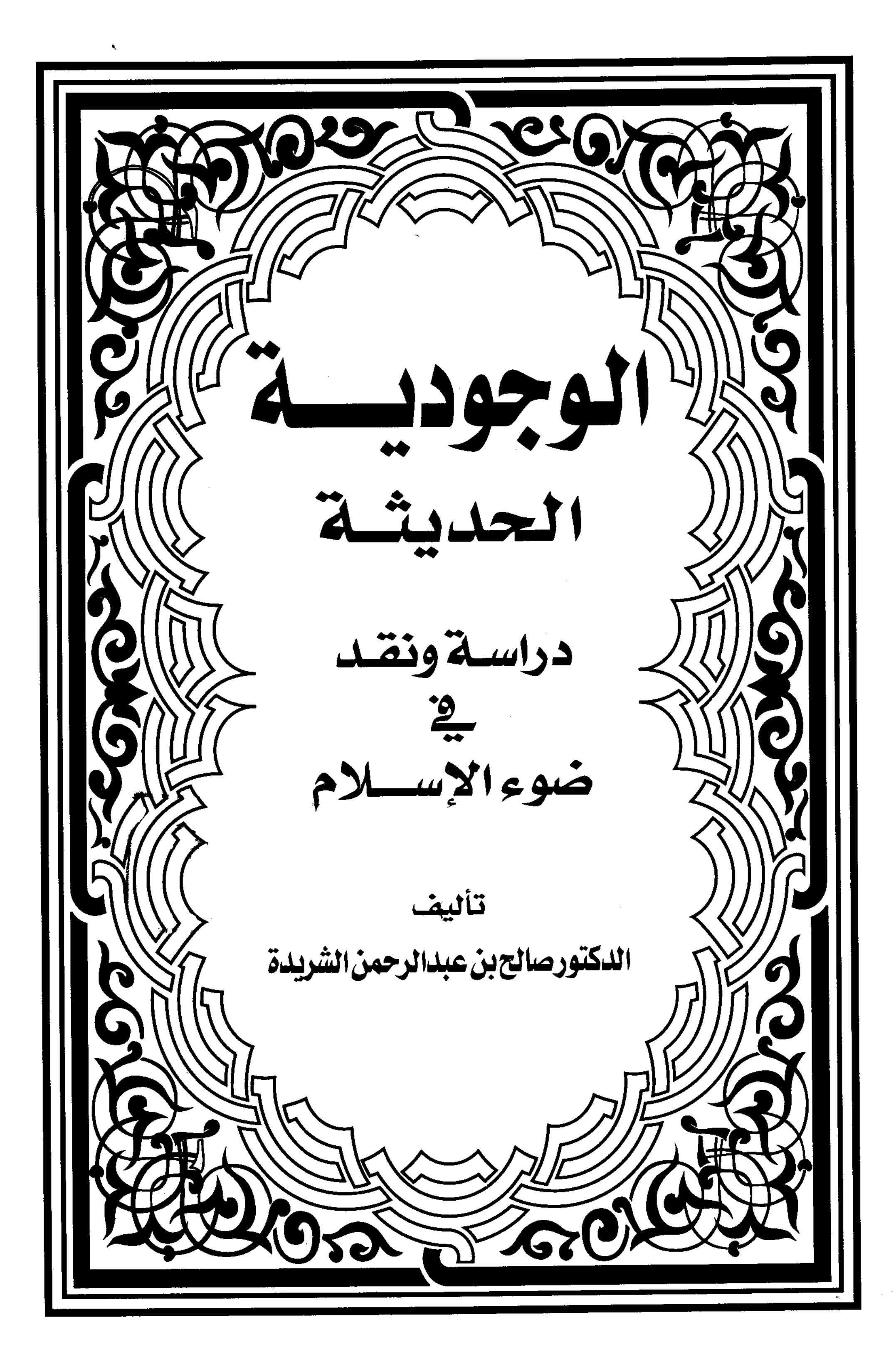


الوجودية الحديثة

دراسة ونقد في ضوء الإسلام

تأليف

الدكتور صالح بن عبد الرحمن الشريدة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريدة ، صالح بن عبدالرحمن بن صالح

الوجودية الحديثة : دراسة ونقد في ضوء الإسلام .- الرياض.

٤٦٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : x - ٦٣٣ - ٤١ - ٩٩٦٠

١- الوجودية ٢- الفلسفة الإسلامية أ-العنوان

ديوي ٢١٤,١٤٢٧ ٢٣/٢٢٠٨

رقم الإيداع : ٢٣/٢٢٠٨

ردمك : x - ٦٣٣ - ٤١ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، وعمل بسنته إلى يوم الدين، وبعد.

فهذه الدراسة عن (الوجودية)، الوجودية كفلسفة وليست كموضوع؛ إذ قضية الوجود شغلت الإنسان منذ وجوده على الأرض، أما الوجودية كفلسفة - وهى التى نعنيها - فهى التى قامت على يد كيرك جورد كما هو معروف، فمن خلال مفاهيم فرويد فى الجنس والنفس، ودور كايم وليفى بريل فى الاجتماع والأخلاق - نشأت هذه الفلسفة التطبيقية: فلسفة الوجودية التى تحولت إلى حركة، واتخذت من الكهوف وأندية العرى وغيرها مجالاً لإخراج أجيال من الذين اتخذوا هذه المفاهيم منطلقًا لحياتهم وعقائدهم وسلوكهم.

هذا، وقد مرت الفلسفة الوجودية بمرحلتين: مرحلة الرفض للمجتمعات، ثم مرحلة الغثيان والتمرد والعبث واللامعقول.

وتركز الفلسفة الوجودية على الإنسان، والدعوة إلى تحريره من كل القيود: قيود المجتمع، وقيود الأديان والأخلاق؛ فى محاولة للانفصال التام عن كل قيم الدين والمجتمعات ومسئولياتها؛ لكى يصبح الإنسان حرًا طليقًا سيد نفسه، ويستمد سارتر - مثلاً - فلسفته من داخل نفسه، ومن تحدياته الشخصية التى تعرضت لها حياته.

وقد بدأت الفكرة الوجودية من خلال كتابات كيرك جورد، ثم تحولت من خلال كتابات هيدجر نحو الإلحاد، ثم جاء سارتر فوسع النظرية وعمقها وصبها فى قالب روائى مسرحى، ومضى على الطريق كثيرون حتى اليوم.

ولقد أسهمت عوامل عدة فى نشأة الفكر الوجودى، منها: فلسفة هيجل التى كانت لا تأبه بالفرد أو بالذات الفردية فى مقابل الكلى، ثم إن الوجودية جاءت كرد فعل للفكر الماركسى، وإن كان سارتر قد تعاطف مع الماركسيين مما يكشف عبثه وتهافته وعدم جديته، وقد تأثر الوجوديون بهوسلر فيلسوف الظواهر أيضًا، أى: أن الوجودية فى حقيقتها تطوير لما يعتمل فى العقل الغربى من أفكار فلسفية سابقة.

ولقد نبعت فكرة هذا البحث من أنه حينما كتبت رسالة الماجستير التى حصلت عليها من جامعة الإمام سنة ١٤٠٧هـ فى «نظرية المعرفة فى الفلسفة الأوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين»، اطلعت على عدد كبير من الكتب التى تبحث فى الفكر الغربى. ومن خلال اطلاعى رأيت أن هناك الكثير من التيارات والحركات الهدامة التى تحتاج إلى الدراسة والنقد والتمحيص، ووجدت من أهم هذه التيارات التى كان لها فعلها السحرى فى نفوس الضعفاء من أبناء هذه الأمة: (الوجودية).

وقد انتشرت الوجودية فى بعض البلاد الإسلامية، وتبنى بعض الكتاب العمل على نشرها فى جميع وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة؛ فدفعنى حرصى على دينى وأمتى أن أتناولها بالبحث والدراسة؛ لأبين مخططها الآثم، وخطرها على الفرد والمجتمع، وكيفية مواجهتها واتقاء خطرها.

وقد شعرت أثناء قراءتى كتب الوجوديين أن مهمتى ليست يسيرة، وأن الموضوع ليس سهلاً؛ حيث إن ذلك يتطلب قراءة كتب هذا الفكر المنحط الذى لا يشتمل على فساد العقيدة فحسب، بل ويشتمل على فساد الأخلاق

والسلوك، واضطراب فى الرأى والعرض. ولكننى كنت على قناعة بضرورة بحث هذا الفكر وبيان فساده وخطره على الفرد والمجتمع.

وخلاصة القول: إن هناك أسبابًا عدة، وثمرات مرجوة دفعتنى إلى دراسة هذا الموضوع الذى توكلت على الله، ثم جعلته موضوعًا لأطروحتى (للدكتوراة).

ومن هذه الأسباب ما يلى:

١- بيان مخططات أعداء الإسلام المجرمة، وفضح طواياها الآثمة؛ ليتضح للمسلمين من يمكر بهم للنيل من دينهم والقضاء على سبب عزتهم وفخرهم.

٢- بيان مدى تهاوى هذه الترهات التى نشرتها الوجودية، وأشاعتها بين الناس بدعوى زائفة، فحواها أنها تدعو إلى تحرير الإنسان من أى قيد حتى ولو كان القيد (العبودية لله).

٣- بيان حكمة الإسلام البالغة فيما جاء به من عقيدة وشريعة وخلق وسلوك، انتظمت بها حياة عامرة بالخير والبر والإحسان، مزدهرة بأنبل الأحاسيس؛ لإسعاد الإنسان فى دنياه وأخراه.

٤- الانبهار الشديد بالفكر الوجودى الذى ابتلى به كثير من شباب أمتنا، والحرب الفكرية التى تشنها الوجودية وأتباعها على الإسلام وأهله.

٥- أن هذا الموضوع لم يكتب فيه - على حد علمى - من وجهة النظر الإسلامية، وبشكل مفصل وشامل؛ حيث إن الكتب التى كتبت فى نقض الوجودية كانت تتناول بعض القضايا فى الفكر الوجودى، وتناقشها مناقشة عامة، دون أن تدخل فى كثير من التفصيلات. فالمكتبة الإسلامية فى أمس الحاجة إلى كتاب يضع زيف الوجودية فى ضوء الوحى الإلهى؛ ليتضح الحق من الباطل، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى

ٱلْأَرْضِ﴾[1]. وأحسب أن هذه الرسالة قد اشتملت على معالجة جديدة للوجودية، منهجًا وموضوعًا، ولا أدعى الكمال؛ فإن الكمال لله وحده.

٦- حاجة الأمة الملحة إلى توجيه حكيم يتخذ من القرآن، والسنة الصحيحة، والمأثور عن السلف الصالح - أساسًا قويمًا لإعلاء منارة الحق، ودمغ الباطل الذى افتراه الآثمون، وأعانهم عليه قوم آخرون.

٧- تحصين أمتى المسلمة من بريق هذه المبادئ الهدامة التى ما تمكنت من أمة إلا ضاع فيها الحق، وشاع الباطل، وفقد العفاف والشرف، وانتشر الفساد والفجور، ووئدت القيم الإنسانية كلها، وهذه عوامل ما تمكنت من أمة إلا قتلت فيها روح العزة والمنعة والحياة الآمنة المستقرة؛ فعجلت بفنائها، وأمامنا الكثير من العبر والمثلات.

منهج البحث:

اتبعت فى هذه الدراسة منهجًا يقوم على الوصف والتحليل والتقويم والنقد، فقد قمت بتوصيف القضايا التى ناقشتها من خلال كلام الفلاسفة الوجوديين أنفسهم، وتحليلاتهم للقضايا، ورؤيتهم للإنسان والإله والأخلاق والكون. ثم قمت بنقد القضايا المطروحة، وعرضها على الإسلام، وتقويمها فى ضوء الكتاب والسنة، ثم الخروج بنتائج كاشفة عن أن الوجودية - فى مجملها - مذهب هدام وتيار مدمر.

وفى سبيل تحقيق هذا المنهج قمت بقراءة كتب الوجوديين التى تيسر لى جمعها من المكتبات فى عدد من الدول العربية والأجنبية، ثم بدأت بقراءة مؤلفات تشرح أفكار الوجوديين، وتنقدها من منطلق إسلامى، والبعض الآخر من منطلق عقلى؛ فتكونت لدى حصيلة - لا بأس بها - عن هذا التيار، فتوكلت على الله وشرعت فى الكتابة، فتيسر لى جمع مادة علمية

---

(١) سورة الرعد: ١٧ .

استطعت من خلالها وضع خطة البحث، والشروع فى كتابته، وقد اعتمدت أقوال الوجوديين؛ لأنطلق منها لإيضاح معتقداتهم وأفكارهم، ونقدها على ضوء ما تيسر لى فهمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أئمة الإسلام، رحمهم الله.

هذا، وقد قسمت البحث أربعة أبواب، مع تمهيد وخاتمة:

أما التمهيد فهو عرض موجز للتيارات المعاصرة وأنواعها.

وأما الباب الأول فقد تضمن التعريف بالوجودية وحقيقتها وأشهر رجالها، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول - بمباحثه الأربعة - رَصْدٌ واقعى لمفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها، والأسس التى اتفقوا عليها، وأقسام الوجوديين، وبيان حقيقة الوجودية.

والفصل الثانى يشتمل على مبحثين، أحدهما: يبحث فى تاريخ الوجودية، والآخر: فى أسباب ظهور الفكر الوجودى.

أما الفصل الثالث فقد كان دراسة موجزة لأقطاب الفكر الوجودى الحديث، وهو يشتمل على تسعة مباحث، كل مبحث يشتمل على دراسة عن حياة وفكر ومنهج أحد هؤلاء الأقطاب.

وأما الباب الثانى فقد خصصته للحديث عن اعتقادات الوجوديين، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: يشتمل على نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية، وتحته أربعة مباحث تضمنت عرض مفهوم الألوهية عند الوجوديين، وأقوالهم وشبهاتهم فى الإله ومناقشتها، ثم ختمت هذا الفصل بلمحة موجزة عن عقيدة الألوهية فى الإسلام.

وأما الفصل الثانى: فهو عن تصور الوجوديين للحرية، وفيه مباحث

تشتمل على مفهوم الحرية، وأقوال الوجوديين فيها، مع مناقشة هذه الأقوال، ثم الحديث عن الحرية فى الإسلام.

والفصل الثالث: خصصته للكتابة عن نظرة الوجوديين إلى الأخلاق، وفيه مباحث تشتمل على مفهوم الأخلاق عند الوجوديين، وأقوالهم فيها مع مناقشة مفهومهم وأقوالهم، ثم ذكرت لمحة موجزة عن الأخلاق فى الإسلام.

أما الفصل الرابع: فكان عن نظرة الوجوديين إلى القلق، وفيه مباحث تشتمل على مفهوم القلق الوجودى وأقوالهم ومناقشتها، ثم ذكرت نبذة موجزة عن موقف الإسلام من القلق.

أما الفصل الخامس: فكان بعنوان: (الإنسان بين الوجودية والإسلام) وفيه مباحث تشتمل على مفهوم الإنسان عند الوجوديين وأقوالهم مع مناقشتها. ثم ختمت هذا الفصل عن مكانة الإنسان فى الإسلام.

وآخر فصل فى هذا الباب هو الفصل السادس، والذى كان عن مدى استغلال الوجوديين الأدب والتربية لنشر أفكارهم.

وأما الباب الثالث فكان بعنوان: (آثار الوجودية على الفرد والمجتمع، وموقف الإسلام منها)، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: كان الحديث فيه عن الآثار العقدية والفكرية.

والفصل الثانى خصصته للحديث عن الآثار النفسية والجسدية.

كما خصصت الفصل الثالث للكتابة عن الآثار الأخلاقية والاجتماعية.

وكل فصل من هذه الفصول مقسم إلى مباحث.

وأما الباب الرابع والأخير فكان بعنوان: (الإسلام هو الحل لإنقاذ المجتمعات البشرية)، قدمت له بمدخل موجز عن انغماس المجتمعات البشرية فى المتع الحسية، وذكرت إحصائيات وأرقامًا عن حوادث السقوط

والانهيار الفردى والجماعى فى هذه المجتمعات، ثم أوضحت أن الحل الوحيد لإنقاذ هذه المجتمعات البشرية هو الإسلام. وقد ذكرت فى هذا الباب ثلاثة فصول:

خصصت الفصل الأول للحديث عن أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها.

والفصل الثانى عن أثر العقيدة فى نهوض الفرد والأمة.

والفصل الثالث عن أثر الشريعة فى رقى الفرد والأمة.

وكل فصل من هذه الفصول الثلاثة مقسم إلى مباحث.

وأما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وفى الختام أقدم شكرى وتقديرى واعتزازى لفضيلة الدكتور (أحمد سعد حمدان الغامدى) المشرف على هذه الرسالة، الذى لم يأل جهدًا فى نصحى وإرشادى وتوجيهى؛ فجزاه الله عنى خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء، إنه سميع مجيب.

كما أؤكد شكرى لفضيلة الدكتور (أحمد عطية الغامدى) الذى أشرف على هذه الرسالة لمدة ثلاث سنوات؛ فجزاه الله خير الجزاء، وأثابه بحسن الثواب.

كما لا يفوتنى أن أشكر الجامعة الإسلامية التى أفسحت لى المجال لإعداد هذه الرسالة، والتى تمت تحت إشرافها وتوجيهها.

هذا، وأرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفيت هذا الموضوع حقه من العناية والبحث والتمحيص، ومن الله أستلهم العون والسداد؛ فهو ولى ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

عندما رجع الصليبيون إلى ديارهم يجرون وراءهم آثار هزيمة نكراء، جلسوا يتساءلون: ما الذى حول المسلمين إلى هذه القوة الظافرة؟ ولم يجدوا كبير عناء فى إدراك الحقيقة الواضحة؛ إذ إنهم أدركوا لتوّهم أن الإسلام هو الذى دفعهم دفعًا إلى هذا الجهاد الذى كان ثمرة غيرتهم على دينهم وأوطانهم وأرواحهم؛ فراحوا يحيكون المؤامرات السافرة للقضاء على هذا الدين، ولقد كانت لهم أساليبهم الماكرة فى حرب هذه الدعوة التى سَمَتْ بأبنائها إلى الذرا، وكان من أشد أساليبهم: هو نشرهم هذه التيارات الهدامة الجامحة عن الحق، البعيدة عن الصواب، التى استهوت بعض المغفلين المصفقين لما يسمونه بالحضارة الغربية.

لقد شهد القرن الميلادى التاسع عشر الكثير من التيارات والاتجاهات الفكرية المتعارضة، وسأكتفى بذكر لمحة موجزة عن بعض هذه التيارات، وبعض الأسماء التى اقترنت شهرتها بها، وهى كما يلى:

أولاً : التيار الروحى:

ويرى هذا التيار أن الوجود ينقسم إلى جوهرين متميزين: أحدهما : روحى، ويتصف بالذاتية والفكر والحرية، والآخر: مادى، ويتصف بالذاتية والامتداد والحركة. والعنصر الإلهى الروحى هو العنصر الأول، والعنصر المادى ثانوى ومشتق. ومن نتائج هذا التيار: القول ببقاء النفس بعد الموت، ومن أشهر ممثلى هذا الاتجاه: (برجسون)[١].

ثانيا : التيار المادى:

يرى هذا التيار أن المادة هى الجوهر الحقيقى الذى به تفسر جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس، وأن غاية الإنسان هى الاستمتاع بالنواحى

---

(١) راجع: د. زكريا إبرهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ص ١١ .

المادية فقط. وهذا التيار مقابل للتيار الروحى الذى يثبت وجود جوهر مستقل عن المادة وهو الروح. ويمثل هذا التيار عدة مدارس، منها: الواقعية الجديدة التى يمثلها (راسل)[١]، و(مور)[٢].

وهناك المادية الجدلية، وهى مذهب (كارل ماركس) القائل بأن الظواهر التاريخية والظواهر الاجتماعية إنما تنشأ عن أسباب اقتصادية خاصة، وقد تمسك ماركس بهذه الأفكار واتخذ موقفًا متطرفًا انتهى به إلى الإلحاد[٣].

ثالثًا: التيار العملى:

ويعرف هذا التيار (بالبرجماتية)، ويطلق عليها أيضًا: (الفلسفة العملية)؛ لأنها تهتم بالعمل على حساب النظر. مؤسس هذا التيار هو (بيرس)[٤]؛ فهو صاحب فكرة وضع العمل مبدأ مطلقًا فى مثل قوله: «إن تصورنا لموضوع ما، إنما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر»، وهذا يعنى أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا الحكم العقلى.

ومن أشهر فلاسفتها أيضًا: (وليم جيمس)[٥]الذى عرف الحقيقة بأنها: «مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء» وبعبارة موجزة: فإن هذا التيار يرمى إلى:

١- ازدراء الفكر.

---

(١) برتراند راسل ١٨٧٢ - ١٩٧٠م، فيلسوف إنجليزى ساهم فى تطور المنطق الرياضى الحديث. راجع الموسوعة الفلسفية، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) جورج إدوارد مور ١٨٧٣ - ١٩٥٨م فيلسوف إنجليزى من أهم مؤلفاته دفاع عن الحس المشترك. راجع الموسوعة الفلسفية، ص٥٠٨ - ٥٠٩ .

(٣) راجع: د. عبد الفتاح الديدى، الاتجاهات المعاصرة فى الفلسفة، الدار القومية، ١٩٦٦م، ص ٨٨ .

(٤) تشارلز ساندرز بيرس ١٨٣٩ - ١٩١٤م، فيلسوف أمريكى، راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٢٥ .

(٥) وليم جيمس ١٨٤٢ - ١٩١٠م، فيلسوف أمريكى، راجع: الموسوعة الفلسفية، ص١٧٣ .

٢- إنكار الحقائق والقيم.

والعمل عند (جيمس) مقياس الحقيقة؛ فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة، ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها[١].

رابعًا: التيار الفينومينولوجي:

وقد أسس هذا التيار (ماينونج)[٢]، ثم تطور كفلسفة باسم (فلسفة الظواهر) على يد الفيلسوف الألماني (هوسرل).

والفينومينولوجيا: هي منهج ينحصر في وصف الظاهرة، أو وصف ما هو معطى على نحو مباشر. يقول الدكتور زكريا إبراهيم: «إن كلمة «فينومينولوجيا» تشير إلى منهج جديد في الوصف الفلسفي، ألا وهو ذلك المنهج الذي يهدف إلى إقامة نظام سيكولوجي أَوَّلِيّ يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبي من جهة، ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة معيار لفحص منهجي لسائر العلوم من جهة أخرى[٣].

خامسًا - التيار الوجودي:

وهو موضوع رسالتي، ومن أبرز ممثليه: (سورين كيرك جورد)، و(مارتن هيدجر)، و(كارل ياسبرز)، و(جابرييل مارسيل)، و(ميرلوبونتي)، و(ألبير كامي)، و(جان بول سارتر)، و(عبد الرحمن بدوي).

والله أسأل التوفيق والسداد.

---

(١) راجع: هنري توماس ودانالي توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر)، ترجمة عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) ماينونج (١٨٥٣ - ١٩٢٠م) فيلسوف نمسوي، راجع الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، ص ٤١٨ .

(٣) د. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٣٣٩ .

الباب الأول
الوجودية
حقيقتها وأشهر رجالها

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالوجودية.

الفصل الثاني: الجذور الفكرية للوجودية.

الفصل الثالث: أقطاب الفكر الوجودى.

الباب الأول
الوجودية
حقيقتها وأشهر رجالها

وفيه مدخل وثلاثة فصول:

المدخل: الوجود والفكر البشرى.

الفصل الأول: التعريف بالوجودية، ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الوجودية.

المبحث الثانى: موقف الوجوديين من التسمية بها.

المبحث الثالث: أقسام الوجوديين.

المبحث الرابع: حقيقة الوجودية.

الفصل الثانى: الجذور الفكرية للوجودية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تاريخ الوجودية.

المبحث الثانى: أسباب ظهور الفكر الوجودى.

الفصل الثالث: أقطاب الفكر الوجودى الحديث، وفيه مباحث:

المبحث الأول: كيرك جورد حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث الثانى: بيرد يائيف حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث الثالث: كارل ياسبرز حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث الرابع: مارتن هيدجر حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث الخامس: جابرييل مارسيل حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث السادس: مير لو بونتى حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث السابع: ألبير كامى حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث الثامن: جان بول سارتر حياته، وفكره، ومنهجه

المبحث التاسع: عبد الرحمن بدوى حياته، وفكره، ومنهجه

* * *

مدخل
الوجود والفكر البشرى

يشكل الوجود المبحث الرئيسى فى الفكر البشرى، فمنذ أن بدأ الإنسان يسجل أفكاره وفلسفته فى الحضارات الشرقية القديمة فى مصر وبابل والهند والفرس والصين أولاً، ثم فى اليونان بعد ذلك بآلاف السنين، حتى عصر المفكر الألمانى هيجل - شغل البحث فى الوجود عقل الإنسان بشكل ملح وحاد؛ فسأل عن مصدر الوجود وحقيقته وماهيته، وعن مصيره، فكان بحث الإنسان الوجودى أو الأنطولوجى بحثًا فى الوجود المطلق غير المشخص أو اللامتعين أو غير المحدود، هكذا كان بحث المفكرين المصريين القدماء، ومفكرى الإغريق، إلى أن جاء هيجل فأغرق الفرد فى المطلق ومجد الكلى[١]، «فهو يعتقد بوجود عقل شامل، وهو يرى أن كل فكرة من أفكارنا وكل عاطفة من عواطفنا لا معنى لها إلا إذا ارتبطت بشخصيتنا التى لا معنى لها أيضًا؛ لأنها تأخذ مكانها فى تاريخ معين ودولة معينة، ولأنها فى عصر محدد من عصور الفكرة الكلية. . ولكى نفهم ما يدور فى أنفسنا من خلجات أيًا كانت فلا بد من الرجوع إلى هذه الوحدة التى هى أنفسنا، ثم لا بد من الانتقال من هذه الوحدة إلى وحدة أخرى هى النوع الإنسانى، وأخيرًا لا بد من الرجوع إلى مجموع الأشياء كلها، وهو ما يسميه هيجل بالفكرة المطلقة[٢].

وهكذا أغرق هيجل الفرد فى المطلق؛ فذاب الوجود الإنسانى الفردى فى الوجود العام.

---

(١) انظر: د. محمد عبد الله الشرقاوى: مدخل نقدى لدراسة الفلسفة (مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٨م) ص (٢١٧).

(٢) جان فال: من تاريخ الوجودية، ترجمة فؤاد كامل (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م) (ص٦).

وكرد فعل لهذه الفلسفة التقليدية التى تهتم بالبحث فى الوجود المطلق، وتعرف علله البعيدة ومبادئه الأولى أو ماهيته - ظهرت الفلسفة الوجودية المعاصرة - ورائدها سورين كيرك جورد ١٨٥٥م الدانمركى - التى ينحصر اهتمامها فى الوجود الإنسانى الواقعى المفرد.

ولتعرف ماهية هذه الوجودية المعاصرة واستجلاء حقيقتها، ومفهومها، وجذورها التاريخية وتطورها، وأقطابها ومفكريها - تأتى الفصول التالية.

* * *

الفصل الأول
التعريف بالوجودية

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها.

ثانيًا: الأسس التى تقوم عليها الوجودية.

ثالثًا: أقسام الوجوديين.

رابعًا: حقيقة الوجودية.

المبحث الأول: مفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها:

١- مفهوم الوجودية:

الوجودية عبارة عن أفكار يدين ويؤمن بها أناس متحللون إباحيون هدامون، لا يعترفون مطلقًا بالقيم والأخلاق والتقاليد والأديان. وقد بينت الموسوعات والمعاجم مفهومها، نختار منها ما يلى:

أ- فى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، والتى نشرتها الندوة العالمية للشباب - تعريف لمفهوم الوجودية بما يلى: (تيار فلسفى يعلى من قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهو جملة من الأفكار والاتجاهات المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم؛ ونظرًا لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار)[١].

ب- وفى المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية تعريف لمفهوم الوجودية

---

(١) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص ٥٤٣ .

بأنها: (مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقًا على الماهية، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التى تمكن الفرد من أن يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذى يلائمه، وصرف بهذا النظر عن البحث فى الوجود الميتافيزيقى[١] الذى قال به أرسطو[٢] قديمًا، وركز بحثه فى الإنسان (الواقعى المشخص)[٣].

ج- وفى الموسوعة الفلسفية للدكتور/ عبد المنعم الحفنى، ما يلى: (الفلسفة التى تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وأن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياراته ومواقفه، وهى مذهب مختلف بشأنه حتى بين أتباعه، وهو وإن بدا عصريًا إلا أنهم يردونه إلى سقراط[٤].

د- وفى المعجم الفلسفى للدكتور/ مراد وهبة، ما يلى:

(اتجاه فلسفى ينظر فى الإنسان على ما يوجد لا تحليل ماهيته المجردة، فينكر أن يكون الوجود عين الماهية، وينفر من المذهب والمذهبية، ويقتصر على وصف الظواهر النفسية)[٥].

هـ- وفى المعجم الفلسفى للدكتور: جميل صليبا يقول:

(والوجودية بالمعنى الخاص هى المذهب الذى عرضه سارتر فى كتاب الوجود والعدم، ونشره فى الجمهور بواسطة مسرحياته ورواياته ومقالاته،

---

(١) ميتافيزيقيا: ما بعد الطبيعة، وهو عند أرسطو علم المبادئ العامة، وعند ديكارت معرفة الله أو النفس، وعند كانط هى ما يتجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده. راجع المعجم الفلسفى، مراد وهبة. ص ٤٢١ .

(٢) أرسطو: (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) فيلسوف وعالم يونانى مؤسس علم المنطق وعدد من الفروع العامة والخاصة للمعرفة، راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٣٢ .

(٣) المعجم الفلسفى لمجمع اللغة العربية بمصر، ص ٢١١ .

(٤) الموسوعة الفلسفية د. عبد المنعم الحفنى ص ٥٢٥ .

(٥) المعجم الفلسفى مراد وهبة، ط٣ ص ٤٦٨ .

وخلاصة هذا المذهب قول سارتر: إن الوجود متقدم على الماهية، وإن الإنسان مطلق الحرية فى الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذى يلائمه. . . إلخ)[١].

و - ولقد حاول (سارتر) فى مستهل حديثه عن الوجودية بعد سرده للاعتراضات الموجهة إليها أن يوضح ما يجب أن يفهم من لفظ (وجودية)، فقال: «إننا نفهم بكلمة (الوجودية) نظرية تجعل الحياة الإنسانية حياة ممكنة، وتعتبر أن كل حقيقة لا تكون إلا بفعل عاملين: عامل البيئة، وعامل الذاتية الإنسانية[٢]».

لكن هذا التعريف - كما هو واضح - لا يلقى ضوءًا كافيًا على المذهب أو النزعة، وهو أقرب إلى التقريظ منه إلى الحقيقة الموضوعية، وسارتر نفسه يعترف بأنه بالرغم من أنه يمكن تلمس تعريف بسيط للوجود، فإن ما يعقّده هو وجود مدرستين وجوديتين: الوجودية الدينية، والوجودية الملحدة[٣].

ز - وفى الترجمة العربية للموسوعة الفلسفية الصادرة فى موسكو سنة ١٩٦٧م: «الوجودية رد فعل لا عقلانى ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى فى ألمانيا وبعدها فى فرنسا، وبعد الحرب العالمية الثانية فى بلاد أخرى - منها: الولايات المتحدة - وقد أثرت تأثيرًا كبيرًا على الفن والأدب الحديثين فى المجتمع الرأسمالى وفى الإطار العقلى لقطاع كبير من المفكرين»[٤].

---

(١) المعجم الفلسفى د. جميل صليبا ج٢ ص ٥٦٥ .
(٢) د. محمد كمال إبراهيم جعفر: دروس فى الفلسفة (مكتبة دار العلوم، ١٩٧٥م) (ص١٩١، ١٩٢).
(٣) انظر السابق (ص١٩٢).
(٤) راجع محمد جواد مغنية مذاهب فلسفية دار مكتبة الهلال ص ١٤٥ .

ح - ويعرفها الدكتور/ مصطفى غلوش، بقوله: «الوجودية: تيار فلسفى اتخذ فكرة الوجود منطلقًا لتأصيل وجوده. ونحن نسميه (تيارًا)؛ لأنه لم ينجح أن يكون (فلسفة) أو (مذهبًا)، وإنما هو اتجاه يعبر عن وجهة نظر أصحابه.

وقد وصلنا بطريق الإعلام فى صورة (تيار) شديد دهمنا بلا ركائز عقلية أو فلسفية؛ فليس فيه من الفائدة التى تجعلنا نقتبس منه الشىء النافع حيث ترتقب النفس البشرية كل ما هو جديد وإنسانى مؤصل على مناهج الفكر والعقل»[١].

ويقول الأستاذ/ محمد مهران: «لقد شاع استخدام لفظ الوجودية شيوعًا كبيرًا فى الأوساط الأدبية والفلسفية والفنية والاجتماعية، واتسع معناه اتساعًا غريبًا حتى كاد يفقد معناه، فلم يقتصر استخدامه على نمط فلسفى معين له خصائص معينة؛ بل تعداه إلى حد القول عن موسيقى أو رسام أو صحفى: إنه (وجودى) بل وصل الأمر إلى حد إطلاق هذا الوصف على كثير من السلوك الصاخب والفاضح الذى يحدث فى النوادى ذات الطابع الأخلاقى المنحل»[٢].

ومجرد التسمية بالوجودية لا يحمل معنى المدح ولا معنى الذم، والوجودية نسبة إلى الوجود الواقع، وهو ينقسم إلى قسمين: وجود الخالق ووجود المخلوق، فالخالق - سبحانه - محمود على الإطلاق والمخلوق ينقسم إلى محمود ومذموم بحسب قسمة خالقه - سبحانه - ومعلوم أن مراتب الوجود أربع هى: وجود فى الأذهان، ووجود فى اللسان، ووجود فى البنان، ووجود فى الأعيان.

---

(١) د. مصطفى غلوش/ الوجودية فى الميزان مطبعة نهضة مصر ص ١٥ .

(٢) د. محمد مهران رشوان مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة دار الثقافة للنشر والتوزيع ص ٩٧ .

ونلاحظ من خلال التعريفات مجموعة من الأمور:

الأول: أن المفكرين المعرّفين للوجودية لم يجتمعوا على كلمة سواء فى تعريفها، ومع هذا يمكن القول: إن هناك نقاط اشتراك بينهم؛ فالوجودية عندهم تتعلق بوجود الإنسان، وأنه متقدم على الماهية.

والقول بأن الوجود الإنسانى الواقعى المفرد يسبق الماهية من أخطر مقولات الوجودية المعاصرة؛ لأن الفلسفة تقف بذلك على رأسها؛ لأن الماهية فى الفلسفة بعامة تسبق الوجود(١)، والماهية هى ما يكون به الشىء شيئًا معينًا، وليس شيئًا آخر، أى: هى من الخصائص الجوهرية العامة للشىء، مثلما أثبت ديكارت الوجود نتيجة لإثبات الماهية التى هى الفكر: «أنا أفكر إذن أنا موجود» فالفكر هنا سابق للوجود(٢).

ومن نقاط الاشتراك النص على ذاتية الإنسان وحريته.

الثانى: أن هناك بعض التعريفات لا ترى الوجودية مذهبًا فلسفيًّا له أسسه وقواعده، فالبعض يراها جملة من الأفكار والاتجاهات المتباينة، وبعضهم يراها تيارًا ليست له ركائز عقلية أو فلسفية.

الثالث: بعض التعريفات لا يمكن أن تدخل تحت ما نسميه التعريف الاصطلاحى؛ وذلك أنها تتجه إلى الحديث عن أمور تدور حول الظروف التى نشأت فيها الوجودية، أو الآثار الناتجة عنها.

ومع كل ذلك يمكننا - من خلال ما سبق - أن نعرف بالوجودية تعريفًا يجمع بين معظم مفكريها، فنقول بأنها: «جملة المذاهب التى ترى أن موضوع الفلسفة هو تحليل الوجود العينى ووصفه، من ناحية أن هذا الوجود فعل حرية تتكون بأن تؤكد نفسها، وليس لها منشأ أو أساس سوى

---

(١) انظر: د. محمد عبد الله الشرقاوى: مدخل نقدى لدراسة الفلسفة (ص٢١٨، ٢١٩).
(٢) السابق (ص ٢١٩)، وسنعود إلى هذه النقطة بتفصيل أكثر فيما يأتى.

لهذا التوكيد للذات»[١].

ولا شك أنه يمكن الاعتراض على هذا التعريف بأن يقال: إنه لا ينطبق جيدًا على مذهب جابرييل مارسيل الذى يجد فى الوجود - على العكس مما ذكرناه - ضرورة ملحة إلى التجاوز، واندفاعًا نحو المطلق، كما يجعل من هذه الضرورة وهذا الاندفاع أوثق تعريف للوجود الإنسانى.

غير أن المسألة هى - من ناحيةٍ - معرفة إلى أى حد يمكن أن تصدق هذه النتائج فى السياق الوجودى، أعنى فى سياق يكون فيه الوجود وصفًا مطلقًا، ويبقى - من ناحية أخرى - أن نبحث ما إذا كان تردد (جابرييل مارسيل) فى الموافقة على المبدأ القائل بأن الوجود يسبق الماهية، لا يخرجه من نطاق الوجودية، وفى هذه الحالة لن تكون الوجودية التى يقصدها (جابرييل)نوعًا يندرج تحت جنس من التفكير الوجودى، بل تكون جنسًا من الوجودية قائمًا بذاته ينافى كل فكرة موحدة مشتركة مع المذاهب الأخرى[٢].

وعلى أية حال يمكن القول: إن الوجودية تتلخص فيما يلى:

أ- أن كل فرد من أفراد الإنسان هو قلعة فى نفسه، وله أن يتصرف وكأنه هو الموجود الوحيد، والشىء الماثل أمامه بلا أى شىء قبله، لا خالق ولا شريعة، فالصدفة وحدها هى التى ألقت به فى هذا الوجود، وتركته وحيدًا فريدًا لا شىء معه إلا حريته وإرادته، فهى الحد التام لحقيقته، والمعيار الوحيد لقيمته، وليس ثمة قوة وسلطة تحرم عليه، أو تحلل له تصرفًا أو اعتقادًا أو اتجاهًا.

ب- عدم الالتزام بشىء من التقاليد والعقائد؛ لأنه مطلق الحرية فى

(١) د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد مؤسس الوجودية المسيحية (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية) (ص٩٩).
(٢) انظر السابق (ص ١٠٠).

اختيار ما يشاء حتى الانتحار، على حد زعمهم.

ج- أنه ليس هناك هدف محدد فى هذه الحياة؛ فهى بلا معنى، والموت نهاية الإنسان، وما دمنا سنموت فليس لأى شىء معنى.

د- أن مصير الإنسان فى هذه الحياة إلى القلق المستمر والضياع والسأم والتوتر، والشعور بالاغتراب.

هـ- أن العالم كله خداع فى خداع؛ فقد وجد بلا داع، ويمضى إلى غير غاية.

و- أن العدم هو نهاية هذا العالم، وهذا العالم الذى نعيش فيه هش قابل للانكسار السريع والتحطم المروع[(١)].

بعد أن عرفنا تعريف الوجودية ومفهومها، آن لنا أن نتساءل: هل الوجودية دعوة إصلاحية، أم نظرية إنسانية، أو نظرية علمية ينتفع بها الناس جيلًا بعد جيل، أو مسرحية للترفيه والتسلية، أو مجرد مسايرة أو معايشة اللامفهوم واللامعقول[(٢)]؟

إنها فى الواقع كما وصفها الدكتور/ روجيه جارودى[(٣)] فى قوله: «الوجودية فلسفة الاستعمار، فلسفة هدم لا بناء، فلسفة تدمير للشخصية الإنسانية، فلسفة إسقاط النفس الإنسانية فى مجال اللذة والشهوة، بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها، أو تركيز وجودها. فلسفة مادية تستهدف الاستمتاع السريع وخشية الموت»[(٤)].

---

(١) راجع محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية، دار الهلال، بيروت، ص ١٤٧ .

(٢) راجع المرجع السابق، ص ١٤٩ .

(٣) ولد روجيه جارودى أو رجاء جارودى - كما سمى نفسه بعد إسلامه ١٩٨٢م - فى مارسيليا بفرنسا ١٩١٣م، درس الفلسفات اللاهوتية والسياسية، وظل فترة يخدم النظرية الاشتراكية فى الماركسية، تدرج فى المناصب حتى وصل عضو مجلس الشيوخ حتى أعلن إسلامه ١٩٨٢م.

(٤) نقلاً من كتاب (الإسلام والدعوات الهدامة) أنور الجندى، دار الكتاب اللبنانى، ص ١٩٣ .

٢- موقف الوجوديين من التسمية بالوجودية:

انقسم الوجوديون حيال إطلاق اسم (وجودى) عليهم، إلى قسمين:

أ- قسم يرفض التسمية بهذا الاسم، وعلى رأسهم مؤسس الوجودية: (كيرك جورد) و(هيدجر) و(ياسبرز) و(كامى)[١].

فكيرك جورد يفضل أن يقال عنه: إنه مجرد باحث فى الأمور الدينية والإلهيات، وهيدجر يرى أن الوجودىّ من يحصر انتباهه فى الوجود الخاص- أى: فى الوجود الإنسانى الخاص - ولا يتعداه إلى البحث فى الوجود العام. أما (ياسبرز) فيقول: «أنا فيلسوف للوجود، لكنى أرفض لفظة وجودى»[٢].

ب- قسم[٣] حصر نفسه بهذه التسمية ولا يرضى إلا بها، وهؤلاء هم مدرسة باريس الوجودية التى تضم (جان بول سارتر) و(سيمون دى بوفوار)[٤] و(مير لوبونتى).

المبحث الثانى - الأسس التى تقوم عليها الوجودية:

للوجودية أسس وقواعد قامت عليها، وهى:

١- الوجود والماهية:

رغم الاختلاف بين المدرستين: مدرسة الوجودية الدينية، ومدرسة الوجودية الإلحادية - فإنهما تلتقيان على قاعدة عامة تشكل أساسًا للفلسفة

---

(١) راجع، د. يحيى هويدى، دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٢٣٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

(٤) سيمون دى بوفوار ١٩٠٨ - ١٩٨٦م، كاتبة فرنسية صديقة وعشيقة لسارتر. من مؤلفاتها (الجنس الآخر). راجع جريدة الأهرام ١٥ أبريل ١٩٨٦م ص١ .

الوجودية، وهذه القاعدة هى أن: «الوجود يسبق الماهية»، وهذا خلط كبير واضطراب شديد.

ولإيضاح هذا الأمر يلفت سارتر نظرنا فى كتابه (الوجودية نزعة إنسانية) إلى أمثلة فى حياتنا العادية يحسبها تفسر القاعدة السابقة، فمثلاً: عندما نعتبر شكلاً خاصًا تم صنعه، أو أية أداة أخرى نجد أن هذه الأشياء لم يقم العامل أو الفنان بصنعها إلا معتمدًا على فكرة تخيلها أولاً، فخرجت هذه الأشياء على الصورة المخصوصة التى سبق تخيلها فى ذهنه، وقد استعان بالطرق العلمية التى تضمن الإنتاج الجيد. وإذن فالكتاب أو الأداة يعتبر شكلاً يصنع بطريقة خاصة ومحددة المعالم... فيصح القول إذن بأن الجوهر أو الماهية يسبق الوجود[١].

يقول سارتر: «إن السكين -مثلاً- حين يصنعه الصانع، فإن هناك لديه ماهية محددة للسكين، سابقة لوجودها، بمعنى أن هناك اشتراطات ومواصفات محددة يجب أن تكون عليها السكين قبل صنعها، هذه حال السكين».

وسارتر يرى الإنسان غير ذلك تمامًا؛ فليس هناك ماهية له سابقة لوجوده، وإنما هو الذى يحدد ماهيته، فالوجود سابق للماهية[٢].

وفكرة سبق الجوهر أو الماهية اعتنقها فلاسفة كثيرون، لكن اعتقاد سبق الجوهر على الوجود مبنى على التسليم بوجود الإله؛ فتصبح - على هذا - فكرة الرجل المجردة والموجودة فى علم الخلّاق فكرة مطابقة تمام المطابقة لفكرة الكتاب أو الأداة قبل بروزها الفعلى للوجود، وهكذا يحقق الإنسان جزءًا من فكرة يعيها الخلاق الذى هو الله.

(١) انظر: د. محمد كمال إبراهيم جعفر: دروس فى الفلسفة (ص ١٩٢، ١٩٣).
(٢) انظر: سارتر: التخيل، ترجمة د. نظمى لوقا (المؤسسة المصرية العامة، ١٩٨٢م) (ص ٥ - ١٩).

وعلى هذا النحو يكون للإنسان طبيعة إنسانية ثابتة موجودة عند جميع البشر؛ مما يجعل من كل فرد مثلاً خاصًا لفكرة عامة، وهذه الفكرة هى فكرة الإنسان. وبذلك يتضح سبق الجوهر أو الماهية على الوجود.

ولهذا يقول (كانط): «إن الإنسان المتوحش، والإنسان الطبيعى، والإنسان المتمدن - يخضعون لتعريف واحد؛ لأنهم لا يفترقون فى صفاتهم الجوهرية»[١].

أما الوجودية فإنها تضع الوجود الإنسانى فى مكان الوجود المطلق[٢]، وخاصة الوجودية الإلحادية. أما الوجوديون الدينيون فقد يرجعون أصول ما يسمونه بالوجود الكامل إلى الله، جل شأنه.

وعلى هذا النحو يفهم الوجود لدى كيرك جورد مثلاً على أنه: الكينونة الكامنة للموجود - أو لوجود الإنسان - باعتبارها متميزة تمامًا عن وجوده الفعلى التجريبى الذى لا يعتبر وجودًا حقيقيًا.

إن الوجود نفسه لا يمكن أن يعرف أو يدرك، إنه من الممكن فقط أن يتضح أو يفسر أو يضارع فى اللحظات الحاسمة: كالعمل البطولى أو الموت، وهذا ما يسمى بموقف خط الحدود لدى كارل ياسبرز.

أما الوجودية الإلحادية التى يمثلها سارتر أبلغ تمثيل، فلما كانت تنكر وجود الله فإنها تسلم بضرورة «وجود كائن سبق الوجود عنده الجوهر» أى: أنه وجد كفكرة أو مشروع ذهنى قبل وجوده الفعلى، ولكن هذا لا يكون بالنسبة للإنسان؛ فالإنسان يوجد قبل كل شىء، يصادف ويظهر فى الطبيعة والكون، ومن ثم يحدد ويعرف.

الإنسان - كما تتصوره الوجودية - ليس له فى البدء أى وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده... وهكذا يصح الاعتقاد أنه لا توجد طبيعة

(١) الوجودية مذهب إنسانى (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت) (ص ٤٤).
(٢) د. عبد الرحمن بدوى: الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى.

إنسانية؛ لأنه لا يوجد إله خالق ليتصورها فى ذهنه[١].

ويعتقد سارتر أن الإنسان ليس موجودًا فقط كما يتصور وجود نفسه، بل كما يريد وجود نفسه. . والإنسان هو خالق لنفسه؛ لأنه وحده متصور لها.

إن فكرة خلق الإنسان لنفسه من خلال قراراته المستمرة التى يصدرها وينفذها، تشكل مبدأ أساسيًا من مبادئ الوجودية، وهو ما يسمونه أيضًا: الذاتية.

ويذكر سارتر أن ما يريده من وراء هذا الاعتقاد: هو إعلان أن للإنسان كرامة أكثر مما للحجر أو الطاولة، فنحن نريد أن نقول: إن الإنسان موجود قبل كل شيء، وهذا يعنى أنه قوة تتطلع للمستقبل، وهى تعنى تمامًا أنها تندفع نحو المستقبل[٢].

وبهذا التصور فإن سارتر يرى أن وجوديته أكثر انسجامًا من سواها؛ ذلك أن عدم وجود إله، أو عدم الاعتقاد فى وجوده - يجعل سبق وجود الإنسان على ماهيته أمرًا ممكنًا، ويؤكد أن الإنسان مشروع، وهذا المشروع يسبق فى وجوده كل ما عداه[٣].

وأقول: إن القول بأن الله غير موجود (تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا) يؤدى إلى السقوط، بل ويناقض «نوعًا خاصًا من الأخلاق العلمانية

---

(١) يعتبر إلحاد سارتر وأتباعه نتيجة انفجارات عاطفية مدفوعة بعوامل اليأس والغصة وخيبة الأمل، وليس الإلحاد مبنيًا على أى مبدأ عقلى، أو مناقشة هادئة تليق بفيلسوف.

(٢) انظر: د. محمد كمال جعفر: دروس فى الفلسفة (ص ١٩٢ - ١٩٥)، ود. محمد عبد الله الشرقاوى: مدخل نقدى لدراسة الفلسفة (ص٢١٨) وما بعدها، واقرأ لسارتر: التخيل، ترجمة د. نظمى لوقا (ص٥ - ١٩)، ود. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد مؤسس الوجودية المسيحية (ص٧٩) وما بعدها، ود. فؤاد كامل الغير فى فلسفة سارتر (دار المعارف بمصر، القاهرة) (ص ٥٨).

(٣) انظر د. رمضان الصباغ فلسفة الفن عند سارتر وتأثير الماركسية عليها الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٢٨.

(SECULAR ETHICS) MORAL LAIQUE التى تود أن تلغى (ABOLISH) فكرة الله بسهولة مبالغ فيها[١]. فإذا كان الإنسان يتحرر حين يتخلص من الله ومن فكرة الله، فمن هو الإنسان الذى تطالبنا الوجودية بتحريره وتصعيده ورفعه، هل تريد رفعه لمستوى الإله، أم توكيد أنه هو الإله؟ وكيف لهذا الإنسان الحر القوى أن يكون إلهًا أو خالقًا، وهو كالنملة أمام اللانهاية؟!»[٢].

ولقد فرق الوجوديون بين الوجود والماهية، وهذه فرية انفردوا بها؛ حيث لم يسبقهم أحد قال بذلك: فالوجود عندهم هو ذات إنسانية واعية حرة ذات إرادة قوية لا تعرف القوة التى قذفت بها إلى هذا العالم - على حد زعمهم - أما الماهية فهى - كما يقول: جان بول سارتر -: «مجمل الأشياء والكيفيات التى يعرف الإنسان بواسطتها صنع شىء ما»[٣]، ويقول أيضًا: «فهذا العمل الفكرى أو الماهية كان قد سبقه وجود واقع لذات إنسانية، وعليه: فكل عمل ينتجه الإنسان مهما كان لابد وأن يكون قد سبق من قبله وجود الذات الإنسانية الخلاقة»[٤].

والتفرقة بين الوجود والماهية خطأ، فالمفرق يظن أن للماهية وجودًا مستقلًا خارج الأذهان، أى: لم يفرق فى ذلك بين الإمكان الذهنى، والإمكان الخارجى، وهذا خطأ؛ فليس كل ما يمكن أن يقدره الذهن يمكن وجوده خارج الذهن بمجرد ذلك الإمكان الذهنى؛ فالتفرقة بين الماهية

---

(١) فلسفة الفن عند سارتر وتأثير الماركسية عليها ص ٢٩ .

(٢) د. عبد القادر محمود الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ٢٢١ .

(٣) جان بول سارتر، نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى) تأليف غازى الأحمدى، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣٦ .

(٤) جان بول سارتر، نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى) تأليف غازى الأحمدى، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣٦ .

والوجود خطأ، حيث لا تتحقق الماهية للشيء إلا بوجود عينه، وما لم توجد عينه فإن ماهيته لا توجد إلا فى الأذهان، وفرق كبير بين الوجود الذهنى والوجود العينى. يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «فإن الذى عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة، وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وأنه ليس وجود الشيء قدرًا زائدًا على ماهيته، بل ليس وجوده وثبوته فى الخارج زائدًا على ذلك».

وأولئك يقولون: الوجود قدر زائد على الماهية، ويقولون: الماهيات غير مجعولة، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن، فيقول: الوجود الواجب عين الماهية. وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ما تقدم من أن الإنسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به.

ومن تدبر تبينت له حقيقة الأمر؛ فإنا قد بينا الفرق بين الوجود العلمى والعينى، وهذا الفرق ثابت فى الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك، وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التى هى هى، فالإنسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهنى، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقيقى الخارجى. فقول القائل: قد تصورت حقيقة الشيء وعينه، ونفسه وماهيته، وما علمت وجوده، أو حصل وجوده العلمى، وما حصل وجوده العينى الحقيقى، ولم يعلم ماهيته الحقيقية، ولا عينه الحقيقية، ولا نفسه الحقيقية الخارجية - فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته، إلا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهنى، والآخر عن الخارجى؛ فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود.

وأما قولهم: إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها - فالقول فيه كذلك؛ فإن الوجود المعين الموجود فى الخارج لا اشتراك فيه، كما أن

الحقيقة المعينة الموجودة فى الخارج لا اشتراك فيها، وإنما العلم يدرك الموجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة، فالمشترك ثبوته فى الذهن لا فى الخارج، وما فى الخارج ليس فيه اشتراك ألبتة، والذهن إن أدرك الماهية المعينة الموجودة فى الخارج لم يكن فيها اشتراك، وإنما الاشتراك فيما يدركه من الأمور المطلقة العامة، وليس فى الخارج شىء مطلق عام بوصف الإطلاق والعموم، وإنما فيه المطلق لا بشرط الإطلاق، وذلك لا يوجد فى الخارج إلا معينًا.

فينبغى للعاقل أن يفرق بين ثبوت الشىء ووجوده فى نفسه، وبين ثبوته ووجوده فى العلم؛ فإن ذاك هو الوجود العينى الخارجى الحقيقى، وأما هذا فيقال له: الوجود الذهنى والعلمى، وما من شىء إلا له هذان الثبوتان: فالعلم يعبر عنه باللفظ، ويكتب اللفظ بالخط؛ فيصير لكل شىء أربع مراتب: وجود فى الأعيان، ووجود فى الأذهان، ووجود فى اللسان، ووجود فى البنان: وجود عينى، وعلمى، ولفظى، ورسمى.

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، ذكر فيها النوعين فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1] فذكر جميع المخلوقات بوجودها العينى عمومًا ثم خصوصًا، فخص الإنسان بالخلق بعد ما عم غيره، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2] فخص التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم؛ لأن التعليم بالقلم هو الخط، وهو مستلزم لتعليم اللفظ؛ فإن الخط يطابقه، وتعليم اللفظ هو البيان، وهو مستلزم لتعليم العلم؛ لأن العبارة تطابق المعنى؛ فصار تعليمه بالقلم مستلزمًا للمراتب الثلاث: اللفظى، والعلمى، والرسمى، بخلاف ما لو أطلق التعليم أو ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعبًا للمراتب.

---

(١) سورة العلق: آية ١، ٢.
(٢) سورة العلق: آية ٣، ٥.

فذكر فى هذه السورة الوجود العينى والعلمى، وأن الله - سبحانه - هو معطيهما؛ فهو خالق الخلق وخالق الإنسان، وهو المعلم بالقلم ومعلم الإنسان.

فأما إثبات وجود الشىء فى الخارج قبل وجوده، فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع، وهو مخالف للكتاب والسنة والإجماع[١].

٢- عدم الاعتراف بغير المحسوس:

اهتم الوجوديون بالأمور المحسوسة، وصرفوا النظر عن الاهتمام بالماهيات. يقول زعيمهم (كيرك جورد): «بينما يُجْهد الفكرُ ليفهم المحسوس فهمًا تجريديًا، نجد المفكر الذاتى أو الوجودى يجهد على العكس ليفهم المجرد فهمًا محسوسًا»[٢].

ومعظم الوجوديين يؤمنون بالفينومينولوجيا (Phenomenology) مذهب الظاهريات، وهى ليست منهجًا للبرهان؛ فهى تصف ما يُرى، وفضلاً عن ذلك فقد يحدث أن يرى الناس المختلفون الأشياء بطرق مختلفة[٣].

٣- تفسير الوجود بالأنا أولاً وآخرًا:

تهتم الوجودية بتوكيد الإنسان الفرد فى مقابل الموضوعات الخارجية، وهم لا ينظرون إلى الإنسان كموجود بشرى، أى: ذلك الحيوان الناطق الذى يمثل كل البشر؛ بل إنهم يعنون ذلك الإنسان الفرد الذى يتفاعل مع

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، المجلد الثانى، مكتبة المعارف، زنقة باب شالة أمام المسجد الأعظم - الرباط - المغرب ص ١٥٦ - ١٥٩ .

(٢) كيرك جورد، يوميات، ص ٧١ .

(٣) انظر جون ماكورى: الوجودية، ترجمة د. إمام عبد الفتاح (سلسلة عالم المعرفة، ع ٥٨، الكويت) (ص ٢٩) .

الوجود والحياة من خلال تجربته الذاتية الحية، والذى لا يستطيع أحد غيره أن يحل محله فى هذه التجربة. فالوجود هو أولاً وآخرًا وجودى أنا، وليس هذا الوجود حالة أو جزئية تنسب إلى وجود عام أو كلى هو الوجود المطلق؛ بل الوجود فى جوهره وأصله هو وجودى أنا، أنا الذات المفردة[١].

لكن قد يقال: إن المذهب المثالى يتخذ - هو الآخر - نقطة بدايته من الذات؛ ولهذا فإن المرء لا بد له من تحديد الموقف الوجودى تحديدًا أبعد، بأن يقول: إن الذات عند الفيلسوف الوجودى هى الموجودة فى نطاق وجوده الكامل، فهذا الموجود ليس ذاتًا مفكرة فحسب؛ وإنما هو الذات التى تأخذ المبادرة فى الفعل، وتكون مركزًا للشعور والوجدان. فما تحاول الوجودية التعبير عنه هو هذا المدى الكامل من الوجود الذى يعرف مباشرة وعلى نحو عينى فى فعل التواجد نفسه[٢].

إن هذا اللون من التفلسف يبدو فى بعض الأحيان مضادًا العقل، فالفيلسوف الوجودى يفكر بانفعال عاطفى كمن اندمج كله فى الوقائع الفعلية للوجود.

٤- الحرية المطلقة (إنكار الحرية الشرعية):

يتمرد الوجوديون على الوضع القائم فى مجالات كثيرة: فى اللاهوت والسياسة والأخلاق والأدب، ويناضلون ضد السلطات التى يقبلها الناس وضد الشرائع التقليدية، حتى الوجوديون المسيحيون نادرًا ما يكونون معتدلين؛ فقد توج كيرك جورد حياته بهجوم مرير على الوضع الكنسى القائم فى الدانمرك، ويعتقد معظم الباحثين أن هذه المرحلة الأخيرة من عمله لم تكن انحرافًا فى تفكيره، وإنما هى نتيجة منطقية لتفكيره المبكر.

---

(١) انظر: جون ماكورى: الوجودية، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام (سلسلة عالم المعرفة ٥٨) (ص ١٢).

(٢) راجع د. يحيى هويدى، دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٣٤.

أما الوجوديون غير المتدينين فإنهم يسيرون بالتمرد إلى آفاق أبعد من ذلك بكثير[١]، فيرون أن الإنسان هو صانع وجوده، ورب أفعاله، ولا وجود لقوة خارجية تفرض نفسها عليه، وتجبره على السير فى طريق غير الطريق الذى اختاره هو. فالحرية عندهم هى الوجود الإنسانى نفسه، وليست مجرد صفة مضافة إلى هذا الوجود. يقول سارتر: «إن الحرية ليست صفة مضافة أو خاصية من خصائص طبيعتى، بل هو نسيج وجودى؛ لأن الحرية هى عين الوجود، بل إن القول بأن الإنسان موجود يعنى ببساطة أنه حر»[٢]. فعلى هذا يزعم الوجوديون أنه قدر على الإنسان أن يكون حرًا، وليس له أن يتخلى عن حريته، والإنسان يمر بكل لحظة من لحظات حياته بمواقف متعددة، ولا يملك إلا أن يختار بينها، ولا يمكن أن يتوقف عن الاختيار، ومن خلال هذا الاختيار يختار نفسه، ويكون رب أفعاله، وخالق ماهيته، فى حرية كاملة[٣].

٥ - إنكار المسئولية أمام الله - تعالى - :

لقد اندفعت الوجودية إلى رسالتها الخطرة حتى أكدت فى معظم مذاهبها أن فكرة الله من خلق الإنسان، وأن من المتناقضات الكبرى أن يكون الله موجودًا وأن يكون الإنسان حرًا، فإما هذا وإما ذلك.

وإذا كانت الوجودية المؤمنة - كما هى عند كيرك جورد، ومارسيل، وياسبرز - تجعل الإنسان موضوعًا لله، فإن الوجودية الملحدة (وهى التى سادت فى عصر سارتر) تقول بجعل الله موضوعًا للإنسان[٤].

---

(١) انظر: جون ماكورى: الوجودية (ص ٣٨).

(٢) سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٦ .

(٣) راجع: د. يحيى هويدى، دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤) انظر: د. عبد القادر محمود: الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م) (ص ٢١٥) .

معنى هذا فى الواقع: أن الإنسان هو وحدة الوجود، والإله موضوع له، أى: أن الإنسان هو الذى يخلقه.

ولذلك يضع الوجوديون الإنسان أمام مصيره فى العالم، وعلى هذا الأساس فإن الإنسان مسئول عن تقرير هذا المصير فى حياته. ومسئوليته ليست أمام ذاته فقط، بل أمام الآخرين الذين يلتزم معهم فى وجوده؛ لأن الإنسان - كما يزعم الوجوديون - حينما يختار ذاته ويلتزم بها، فإنه كذلك يختار لأناس آخرين، ويلتزم بذواتهم الإنسانية فى الحياة[١].

وخلاصة القول: إن الوجودية وصلت إلى قمتها عند سارتر الذى أعلن للعالم كله أنه لا شىء هو الإله: لا الإله المسيحى، ولا آلهة الوثنيين، ولا إله دين من الأديان، أيًا كان هذا الدين، فما دام الإله قد مات - كما قال لهم نيتشه - فيجب أن يعيش الإنسان مستغنيًا عن القيم التقليدية التى اخترعها الضعفاء والموسوسون للتسلط على الأقوياء، كما يجب خلق قيم جديدة[٢].

٦- إنكار القيم والأخلاق:

انبنى على فكرة الحرية المطلقة للإنسان التى يقول بها الوجوديون، وإنكارهم وجود الله - انبنى على ذلك إنكارهم للأخلاق والقيم؛ إذ يقول الوجوديون: إن الاعتماد على الله يجعل الأخلاق نسبية، ويقولون: إن الحرية فقط مصدر كل قيمة أخلاقية؛ ولهذا يقول سارتر:

«أنت حر لتختار ولتبتكر، فلا أخلاق عامة تستطيع أن تدلك على الواجب؛ لأنه لا وجود فى هذا العالم لإشارات قابلة للتأويل»[٣].

---

(١) راجع: جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنسانى، منشورات مكتبة الحياة، ترجمة كمال الحاج، ص ٤٦ .

(٢) انظر: د. عبد القادر محمود: الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة (ص ٢١٦) .

(٣) جان بول سارتر: الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة حنا دميان (دار بيروت للطباعة =

إذن فمن السمات المتفق عليها بين الوجوديين: أن الإنسان هو وحده الذى يستطيع اختيار القيم والأخلاق والمبادئ داخل إطار حريته. كما أنهم اتفقوا على عدم الالتزام بالقيم والأخلاق التى لا حرية للإنسان فى اختيارها[١].

٧- مثل السؤم « العدم »:

لقد سار الوجوديون الملحدون بالتمرد إلى آفاق بعيدة، حتى لقد أُطلق على هيدجر وسارتر وكامى فى بعض الأحيان اسم العدميين، فهل الوجودية نوع من العدمية (Nihilism) ؟ أم هل تؤدى الوجودية إلى العدمية عندما يسير المرء بنتائجها حتى النهاية؟

وفكرة العدمية التامة فكرة مناقضة لذاتها، ويبدو أن الوجوديين الذين اقتربوا من العدمية اعترفوا بطابعها المؤقت، وحاولوا أن يتجاوزوه[٢].

والعدم ضد الوجود، وهو عند الوجوديين عنصر جوهرى أصيل يدخل فى مقومات الوجود، وما هذا الفشل، وهذه العقبات والحواجز، وهذه الحركة الذاتية - إلا لتؤلف فكرة العدم. والوجود الإنسانى عندهم مهدد فى كل لحظة من لحظاته بالسقوط فى العدم، بل إن وجوده للعدم، فتجربة الموت - مثلاً - تشعر الذات بأنها مفردة؛ لأن الإنسان يموت وحده، ولا يمكن لإنسان من الناس أن يحمل عن غيره عبء الموت، أو ينوب عنه فيه، ومن هنا تدرك الذات أنها وحيدة مع مسئوليتها، وأنها للفناء، وأن الفناء يحاصرها من كل جانب؛ ولهذا كان العدم عنصرًا أصيلاً فى تركيب الوجود - على حد زعمهم - فكل وجود هو وجود لفناء ووجود لعدم[٣].

= والنشر، ١٩٥٤م) (ص ٣١).

(١) راجع جان بول سارتر «الوجودية مذهب إنسانى» منشورات مكتبة الحياة ترجمة كمال الحاج ص٧٩.

(٢) انظر: جون ماكورى: الوجودية (ص ٣٩، ٤٠).

(٣) راجع: د. يحيى هويدى، دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٣٩.

٨- عدم الطمأنينة:

عدم الطمأنينة منشؤه - كما يقول سارتر -: «أن الشخص الذى يلتزم بذاته، ويدرك أنه ليس فقط مختارًا لذاته، بل مشرعًا - يختار الإنسانية بآن واحد، هذا لن يستطيع الفرار من شعوره بالمسئولية الكلية العميقة - هناك كثير من الناس ليسوا بالواقع قلقين، ولكننا نتهمهم بإخفاء القلق، وبالهرب منه . . . القلق لا بد من ظهوره حتى ولو خفى»[١].

القلق صفة كل وجودى؛ فلذلك أولى الوجوديون اهتمامًا زائدًا بالقلق، وهو نوع من الشعور النفسى الذى ينبثق من الذات الإنسانية فى حالة قيام هذه الذات باختيار أى نوع من العمل تمضى فيه الحياة. فالإنسان الوجودى قلق فى كل شىء يصادفه، أو يجابهه أثناء حياته، فهو قلق فى حالة الحرب، وقلق فى اختيار الزوجة، أو الطريقة التى يرغب سلوكها فى معيشته، أو فى اختيار صديق . . . إلخ. من المواقف والحالات التى يكون الإنسان فيها قلقًا نتيجة هذا الاختيار المتواصل فى الحياة البشرية[٢].

وبعد، هذه هى الأسس الرئيسية التى اتفق عليها أقطاب الوجودية، وهى فى الواقع مبادئ هدامة أجمع عليها قادة الضلال، وأنكرها الإسلام ورفضها تمامًا؛ فهى معاول هدم للعقيدة والخلق والمبادئ الإنسانية، وتدمير شامل للحياة بمعناها المستقيم الحر الشريف، وسأفرد -إن شاء الله - مساحة كبيرة من هذا البحث لتحطيم هذه المعاول؛ لتستقر العقيدة فى الصدور، والخلق فى الضمير، والسلوك؛ لتبقى الحياة حياة يزينها الإيمان والخلق والصفاء.

---

(١) جان بول سارتر: الوجودية فلسفة إنسانية (ص ٢٠، ٢١) .

(٢) راجع: غازى الأحمدى، الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى، ص ٤٣ - ٤٤ .

المبحث الثالث - أقسام الوجوديين:

حصر الباحثون الوجوديين فى فئتين هما[١]:

١- الوجودية المؤمنة «غير الملحدة» - على حد زعمهم - :

أطلق بعض الباحثين على هذه الفئة مؤمنة، وأطلق بعضهم عليها: مسيحية، وإنى أحترس من كلا الإطلاقين؛ فالإيمان لا يصح إطلاقه إلا على حسب المفهوم الإسلامى، كما أن إطلاق لفظ المسيحية لا يصح على هذه الفئة؛ لأن المسيح عليه السلام برىء من مفاهيم النصارى المحرفة وقد سارت فى طريقها مستلهمة أفكارها من المسيحية، وأطلق عليها هذا الاسم؛ لأنها تربط نفسها بالإيمان بالله. ولن أسهب فى الحديث عن كيفية هذا الإيمان؛ فيكفى أن نعرف أنها فى النهاية ترجع إلى النصرانية، وموقف الإسلام منها معروف وواضح، ولا داعى لتكراره هنا، ومن أعلام هذه الفئة: (كيرك جورد) و(كارل ياسبرز) و(بيرد يائيف) و(جابرييل مارسيل).

٢- الوجودية الملحدة:

وقد أطلق عليها هذا الاسم؛ لأنها تبرأت من كل المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد، ويمثلها: (هيدجر) و(سارتر). وهذه الوجودية هى التى شاعت بين الشباب، واشتهرت منذ كتابات سارتر وتلاميذه، حتى اقترنت باسمه، وكأنه هو وحده صاحب هذه الفلسفة. وهذا النوع من الوجودية هو ما سوف أركز عليه - إن شاء الله - لنرى مدى الانحراف الذى وصلت إليه، وكيف أصبحت الوجودية التى يمثلها علمًا على الإلحاد والعبث، مع العلم أن من تتبع وقرأ أقوال هؤلاء وأولئك يرى أن الجميع بمنزلة سواء من حيث مجانبة المنطق المعقول؛ لأن الوجوديين جميعًا يتخذون من إرادتهم وعاطفتهم مقياسًا لكل حق وحقيقة، ولا يعترفون بحكم الشريعة، أو حكم

---

(١) راجع: سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة كمال الحاج، ص ٤١ .

العقل. يقول الوجودى المؤمن - على حد زعمهم - (كيرك جورد): «إن النتائج التى تتوصل إليها العاطفة هى وحدها الجديرة بالثقة، وهى وحدها الكافية فى البرهنة»[1].

وإذا كان من الصواب أن نقول: إن أنواع الوجوديين تشمل فعلاً مسيحيين مقتنعين بمسيحيتهم وملحدين مقتنعين كذلك بإلحادهم - فإن هذه القسمة لا تساعد كثيرًا على فهمهم؛ لأنها تكشف عن تبسيط مفرط، فهناك بعض الفلاسفة الوجوديين - أو الفلاسفة من ذوى الميول الوجودية - لا يمكن وضعهم فى هذا التصنيف. فمارتن بوبر (M Buber) مثلاً يهودى، ويزعم هيدجر أنه لا هو مؤمن ولا هو غير مؤمن.

بل وأكثر من ذلك فتقسيم الوجوديين إلى مسيحيين وملحدين يفشل فى مراعاة حقيقة هامة هى أن العلاقة بين الفيلسوف الوجودى ومسيحيته أو إلحاده هى - عادة - علاقة ذات طابع ينطوى على مفارقة (Paradoxical) إلى أقصى حد؛ فهى نوع من العلاقة التى تجمع بين الحب والكراهية، والتى تتشابك فيها عناصر الإيمان وعدم الإيمان.

فلنتأمل لحظة موقف كل من كيرك جورد ونيتشه، فكيرك جورد يُنْظر إليه عادة على أنه الفيلسوف الوجودى المسيحى الكبير، ولا يمكن أن يكون هناك شك فى ارتباطه المشبوب بالإيمان المسيحى، ومع ذلك فإن هذا الارتباط يصاحبه عداء مشبوب - أيضًا - لصور المسيحية المتعارف عليها التى سادت الدانمرك فى القرن التاسع عشر، والتى كانت فى رأيه صورًا منحطة، ولقد وصل هذا العداء إلى ذروته فى هذا الهجوم الكاسح الذى شنه على الكنيسة كما عرفها، وأما نيتشه فيمكن أن نتعقب عنده شيئًا من العلاقة الجامعة بين (الحب والكراهية)، فعدم إيمانه ورفضه للإيمان

---

(١) كيرك جورد، يوميات، ص ٨٧ .

المسيحى كانا صادقين وعاطفيين تمامًا مثل كفاح كيرك جورد من أجل الإيمان . . ورغم ذلك فقد واصلت المسيحية تأثيرها عليه[1].

وعلى هذا يمكن القول: إنه عند كثير من الفلاسفة الوجوديين تندمج عناصر من تراثهم الدينى والثقافى فى فكرهم الوجودى، أو حتى تدفعهم إلى هذا اللون من التفلسف.

المبحث الرابع - حقيقة الوجودية:

اختلف الوجوديون حيال حقيقة الوجودية اختلافًا ظاهرًا، وقد رفض أكثر الفلاسفة الوجوديين وضع تعريف لها يميزها عن غيرها، إلا أن (سارتر) قد ذكر لها تعريفًا فقال: «إنها ليست إلا أيديولوجية»[2]تتلخص فى إعطاء الإنسان تعريفًا لا يكون مغلقًا على نفسه، بل مفتوحًا دائمًا؛ لأن الإنسان فى جوهره حرية مطلقة[3]، على حد زعمهم.

أما الشراح والنقاد فقد تناولوا الوجودية بالنقد والتحليل، إلا أنهم فى الواقع قد اختلفوا فى أمرها فيما بينهم، يقول الأستاذ/ محمد الفيومى: «ذهب الناس فى شأن الوجودية مذاهب شتى، واختلفوا فى تقديرها: فقال قائلون: إنها مبدأ يهدف إلى ممارسة الحرية الفردية فى أوسع نطاق، وقال آخرون: إنها كفر بيِّن وإباحية وعبث وسخافة، وهناك من قال: إنها حركة دينية على غاية من التعقيد»[4]. ويقول - أيضًا -: «فما القول الصواب

---

(1) انظر جون ماكورى: الوجودية (ص ١٩، ٢٠) .

(2) ايديولوجية: كلمة غير عربية، وليس لها الآن مرادف دقيق باللغة العربية يؤدى معناها، ولكن يقال: إنها من أصل يونانى، مكونة من مقطعين (ايديو) أى: ما هو متعلق بالفكر، (لوجيه) أى: العلم، أى: أنها فرع من الدراسات الإنسانية. راجع المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، ص ٢٩، والقاموس السياسى لأحمد عطية، ص ١٦١ .

(3) سارتر، نقد العقل الجدلى، ص ١٨ .

(4) راجع: محمد إبراهيم الفيومى، الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٣، ص٩٤ - ٩٥ .

والأولى بالقبول؟ مع العلم أن هناك أقوالاً أخرى لكثير من الباحثين يضيق المقام عن ذكرها، وفى الواقع أن هذه الأقوال جميعها على صواب، فقد ذكرت سابقًا أن هناك قسمين للوجودية يعتنقهما صنفان من الوجوديين، فمن قال: إنها مبدأ يهدف إلى الحرية الفردية، وإنها كفر وإباحية - وجه هذا القول إلى الوجودية الملحدة، ومن قال: إنها حركة دينية على غاية من التعقيد، وجه هذا القول إلى الوجودية المؤمنة»[١].

وأقول: إن الوجودية تيار منحرف فى غاية التعقيد، يهدف إلى إطلاق حرية الإنسان دون قيد أو ضابط، ويدعو إلى نبذ الأخلاق والقيم، ويدعو إلى مباينة الدين واعتناق الكفر، ويروج للإباحية خاصة ما يسمى بالوجودية الدينية.

* * *

(١) المرجع السابق، ص ٩٦ .

الفصل الثانى
الجذور الفكرية للوجودية

ويشتمل على مبحثين:

أولاً: تاريخ الوجودية.

ثانيًا: أسباب ظهور الفكر الوجودى.

المبحث الأول: تاريخ الوجودية:

١- فى العصور الأولى:

يقول سارتر - وهو محق -: «ليست الوجودية نزعة فلسفية جديدة، كما قد يبدو للكثيرين؛ بل إنها نمط من التفكير متأصل فى أعماق الضمير الفلسفى منذ أن بدأ الإنسان يشعر بحريته ويدرك أنه كائن فريد لا مثيل له على الأرض»[١]. ويمكن أن نتعقب جذور الوجودية إلى فترات بعيدة فى تاريخ الفلسفة، بل يمكن أن نتعقبها حتى فى تلك المحاولات التى قام بها الإنسان قبل ظهور الفلسفة؛ لكى يصل إلى لون من ألوان الفهم لذاته، وبالتالى فلقد أظهرت الفلسفة الوجودية إلى العلن اتجاهًا للذهن وطريقة فى التفكير قديمتين قدم الوجود البشرى نفسه، تبدتا بدرجات متفاوتة طوال تاريخ الفكر البشرى.

إن جذور هذه القصة ترجع إلى المرحلة الأسطورية فى التفكير، فالتفسيرات الوجودية رأت فى الأساطير المحاولات الأولى التى تلمس فيها

---

(١) جان بول سارتر: الوجودية فلسفة إنسانية .

الإنسان الطريق نحو العثور على هوية (Identity)[١].

وبالرغم من أن أية طريقة من طرق تفسير الأساطير غير كافية بذاتها تمامًا؛ إذ الأسطورة ظاهرة معقدة - فإن التفسير الوجودى للأسطورة هام؛ ذلك لأن حصول الإنسان على هوية لنفسه وذاته مشكلة كامنة فى صميم وجود الإنسان نفسه، وهى أساسية أكثر من التساؤل عن أصل الأشياء أو كيف بدأت؛ إذ يتسم الأسلوب الوجودى فى التفلسف بالتساؤل حول الذات البشرية، ثم إن الإنسان فى الأساطير الأولى كان يصارع بالفعل فى سبيل توضيح الغموض الذى يكتنف وجوده، محاولاً أن يجد الإجابات على المتناقضات الظاهرة فى هذا الوجود.

وهذه كلها محاولات حقبة ما قبل الفلسفة وما قبل الفينومينولوجيا، للتعبير فى صور ميثولوجية أسطورية عن وعى الإنسان بالوجود الذى لازمه منذ بداية وجوده[٢].

ولما ظهرت بعد ذلك البحوث الفلسفية التى عنيت بدراسة وجود الإنسان العينى، صاحبها تفكير الأساطير الخيالى الذى دعمته جهود الشعراء وكتاب الدراما والروائيين، حتى إننا نستطيع فى يومنا الراهن أن نكتشف رؤى وجودية أساسية فى قصص دستوفسكى وكافكا وكامى بقدر ما نجد من تحليلات فلسفية عند هيدجر وسارتر[٣].

وبعد تخطى فترة الفكر الأسطورى إلى التفكير التأملى وجدت أمور عظيمة حدثت، فوجدت جذور العقلانية وجذور الوجودية معًا، وجذور عدم التدين جنبًا إلى جنب مع الصور العليا من الدين.

---

(١) انظر: جون ماكورى: الوجودية (ص ٤٤) وما بعدها. ود. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد - مؤسس الوجودية المسيحية (ص ١٢١) وما بعدها .

(٢) انظر: الوجودية (ص ٤٧) .

(٣) انظر الوجودية، الصفحة نفسها .

والجديد فى هذا التفكير هو: «أن الإنسان أصبح على وعى بالوجود ككل، وعلى وعى بذاته وحدوده»[١]؛ فلقد بدأت التساؤلات الوجودية وبشائر فلسفة الوجود تتشكل فى تلك الحقبة المبكرة، وذلك فى مناطق ثلاث: الفكر الدينى العبرانى فى عصر أنبياء بنى إسرائيل، والثقافة اليونانية الكلاسيكية، وفلسفة الشرق الدينية.

فالطابع الوجودى لتعاليم أنبياء اليهود، الذى تعرض له مارتن بوبر فى كتابه (الإيمان النبوى)، واضح فى فكرة الإنابة بوصفها تحولاً للشخصية بأكملها، لا بمعنى التوبة فحسب؛ فهى تتضمن ثورة فى الوجود البشرى من حيث إنها بحث عن وجود إنسانى أصيل، ولقد كانت عظات الأنبياء تدعو بصفة خاصة إلى التحول من الوثنية، ومن العبادات التى تجرى بطريقة آلية، وتهبط بقيمة الإنسان - إلى العلاقة المسئولة تجاه الله والمجتمع. ومعنى هذا: أن تعترف بالإثم وتقبل المسئولية، وتبحث عن التكامل الفردى والعدالة الاجتماعية[٢].

وعندما ننتقل إلى الثقافة اليونانية نجد ظاهرة مختلفة كل الاختلاف، ظاهرة تفتقر إليها الاتجاهات الوجودية القوية فى الفكر الدينى العبرانى، لا سيما أن الرؤية اليونانية تربط بين الوجود والمعرفة، أو بين الوجود والتفكير[٣].

ويعتبر (سقراط)[٤] ذا أهمية خاصة فى تكوين فلسفة الوجود، وقد جاء

---

(١) الوجودية (ص ٥٠).

(٢) انظر الوجودية (ص ٥١، ٥٢) ود. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ١٢٥ وما بعدها).

(٣) انظر: د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ١٢٦، ١٢٧).

(٤) سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق. م) فيلسوف من أثينا، وهو من أهم فلاسفة اليونان. عرف بمبادئه الفلسفية، ولم يشأ التخلى عنها حتى أثناء محاكمته؛ فحكم عليه بالإعدام. =

مذهبه رد فعل ضد الأفكار اليونانية القديمة، فعارض الفلاسفة اليونانيين الذين حصروا اهتمامهم فى البحث عن أصل المادة، أو فى طبيعة الكون، وقعّد لهم قاعدته المشهورة: «اعرف نفسك بنفسك»، والتى تدل على مدى الاهتمام الذى كان يوجهه نحو النفس الإنسانية لمعرفة حقيقتها الذاتية[١].

أما أفلاطون[٢] فهو أحد الفلاسفة اليونانيين المثاليين، وقد وضع فلسفته على أساس أسبقية الجوهر والصور وعالم المثل على أى شىء فى الحياة الإنسانية. وقد أحدثت أفكاره المثالية ضجة كبيرة فى تفكير الآخرين من الفلاسفة والكتاب على اختلاف عصورهم وأمكنتهم فى الحضارة الإنسانية. والأمر الذى أفاد المفكرين فى الوجودية هو معارضة الفلاسفة لها، والعمل على عدم عالم الماهية والجوهر الذى تزخر به الفلسفة الأفلاطونية.

وتعتبر الوجودية نقيضًا للأفلاطونية فى استنادها على أسبقية الوجود على الجوهر، ومتفقة مع أفكار الفيلسوف اليونانى (أرسطو) فى هذا المبدأ.

وأما فلسفة الشرق الدينية ودورها فى الفكر الوجودى، فيمكن تلمسه عند البوذيين، وعلى وجه الخصوص فى مجموعة من الأفكار ذات الدلالة الخاصة، مثل: الوجود والعدم، وظاهرة القلق التى تنشأ من مواجهة العدم[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أوجهًا أخرى للفلسفة والديانة الشرقية غير التى سادت فى البوذية.

= راجع: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوى، ج١، ص ٥٧٦ .

(١) راجع: الإسلام وتيارات الفكر المعاصر، د. طلعت غنام، عالم الكتب، القاهرة، ص ٤٤ .

(٢) أفلاطون، حوالى (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م) فيلسوف يونانى ولد فى أثينا وعاش فيها معظم حياته التى كرسها للدرس والنظر. راجع: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوى، ج١، ص ١٥٤ .

(٣) الوجودية (ص ٥٦) .

٢- من ظهور المسيحية إلى العصور الوسطى:

تعاليم السيد المسيح كانت استمرارًا وتكثيفًا للدوافع التى ظهرت لأول مرة بين أنبياء اليهود، فقد تجنبت التأملات المسرفة فى الخيال؛ فأصبح الطابع الوجودى فيها واضح التركيز على لحظة النهاية بوصفها لحظة القرار؛ فهى لحظة التوبة والندم والانتقال من الشكلية إلى الطاعة الجذرية.

وفى العهد الجديد أمور كثيرة تعتبر طريقة فى فهم الوجود البشرى، لكن جانبًا كبيرًا من مفردات هذا العهد قد استُمِدَّ من النحل المتعددة التى انتشرت انتشارًا واسعًا فى العالم الهلنستى، والمعروفة باسم (الغنوصية) التى ترتبط بالوجودية الحديثة برباط أوثق من ارتباطها بمسيحية العهد الجديد، لاسيما أن الغنوصية تدعو إلى ثنائية مطلقة لا يمكن التوفيق بينها وبين فكرة الخلق فى الكتاب المقدس، فالعالم عند الرجل الغنوصى غريب وشيطانى تمامًا، والتقابل بين وجود الإنسان ووجود العالم يصور بدرجة من الحدة تسبق التقابل المماثل الذى سيظهر عند بعض الكتاب الوجوديين المحدثين[١].

٣- فى العصور الوسطى[٢]:

أما فى العصور الوسطى فقد كانت النظرية الدينية والفلسفة اللاهوتية قد

---

(١) انظر الوجودية (ص ٥٧) وما بعدها.

(٢) يقسم المؤرخون التاريخ الفكرى إلى عدة أقسام أو عصور:
- العصور القديمة (٥٠٠ ق. م) هى عصور الفكر الإغريقى.
- العصور الهلينية: بعد فتوحات الإسكندر للشرق، وتمتد من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى تقريبًا أو الهلينية المتأخرة ٦٠٠م.
- عصر الظلام: ويمتد من القرن الرابع إلى القرن التاسع الميلادى.
- العصور الوسطى: وهى تمتد من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادى.
- العصور المدرسية: وهى داخلة فى العصور الوسطى، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:
أ - من القرن العاشر إلى الثامن عشر الميلادى (وتسمى العصور المدرسية الأولى).
ب - القرن الثالث عشر الميلادى (ويسمى عصور ازدهار المدرسيين).

=

استحوذت على تفكير الناس، وسيطرت على عقولهم فى شتى مجالات الفكر الإنسانى، فى العلوم والفلسفة والأدب والفنون.

وكان يتزعم عالم التفكير فى تلك الحقبة من الزمن رجال الكنيسة من القديسين والفقهاء وأئمة المذاهب، وقد عالجوا الوجود الإنسانى ومشاكله على نمط شبيه بالمعالجات الوجودية المتأخرة، ويدل على هذا الآراء المنشورة فى مؤلفات القديس (أوغسطين)(١) والقديس (توما الأكوينى)(٢)، و(الحلاج)(٣) و(محى الدين بن عربى) الذى دعا إلى فكرة الاتحاد والحلول فى ذات الخالق - نعوذ بالله - وقد تأثر غالب الفلاسفة الوجوديين بمثل هذه النظريات الدينية المتطرفة الإلحادية فى الوجود والذات الإنسانية ووجود الخالق(٤).

٤- فى عصر النهضة والفلسفة الحديثة والمعاصرة:

مع ظهور حركة الإصلاح الدينى فى أوربا على يد مارتن لوثر ظهرت الموضوعات المميزة للوجودية بشكل أوضح مما ظهرت عليه فى الأطوار

= ج - القرن الرابع عشر الميلادى (ويسمى عصور المدرسيين المتأخرة).
- عصر النهضة وهو من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر الميلادى.
- العصر الحديث القرن الثامن عشر والتاسع عشر.
- الفكر المعاصر. القرن العشرين.

(١) أوغسطين (٣٥٤ - ٤٤٠م) يعرف باسم (أوليوس أوغسطينوس)، ولد فى طاجسطا من أعمال نوميديا على الحدود التونسية. أمه وثنية وأبوه مسيحى. عين ٣٩٥م أسقفًا لمدينة عنابة. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٧٤.

(٢) فيلسوف ولاهوتى من أصل إيطالى، ولد نهاية ١٢٢٤م بإيطاليا، ومات ١٢٧٤م، لقب بالمعلم الجامع للكنيسة، وكذلك بالمعلم الملائكى. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٢١٧.

(٣) أبو عبد الله الحسين بن منصور، متصوف وشاعر عربى من أصل فارسى، ولد ٢٤٤هـ ومات ٣٠٩هـ. زنديق قتل على الزندقة.. المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٤) راجع: الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى، دار مكتبة الحياة، غازى الأحمدى، ص ١٧ - ١٨.

المتقدمة، فقد كان محور فهمه الجديد للمسيحية يتمثل فى فكرته عن الإيمان، وظلت هذه الفكرة هى العنصر الوجودى الشديد الوضوح فى تعاليمه، فالإيمان - فى رأيه - أصبح يولى عناية فائقة بقبول المعتقدات الدينية، ولا يهتم كثيرًا بالعلاقة الوجودية الشخصية بين الله والإنسان.

ولقد ظهرت عند لوثر أشد العناصر تشاؤمًا فى الفكر الوجودى، وهو: الإحساس بعجز الإنسان وإثمه مع الرغبة فى الخلاص، صاحب ذلك كله انعدام للثقة فى العقل، الأمر الذى ولد فى بعض الأحيان شجبًا عنيفًا للعقل.

وهذا الجانب القاتم فى فكر لوثر تعارض مع المذهب الإنسانى الصاعد فى عصر النهضة، مما نجده عند كارل ياسبرز الذى يؤكد أهمية حرية الإنسان وكرامته وملكته العقلية[١].

ثم إن العلم فى عصر النهضة أدخل عاملاً جديدًا كان له أثره فى فهم الإنسان لنفسه، فنجد فى عصر الفلسفة الحديثة والمعاصرة: الفيلسوف الفرنسى (باسكال)[٢] الذى يعد جذع الشجرة الوجودية وراسم طريقها، والمخطط الأول لمعالمها ، وأول من عبر فى خواطره عن الشعور الجديد بوضع الإنسان العابر فى الكون، وهو القائل: «إن الثقة التى كان يشعر بها الإنسان عندما كان يظن أنه يحتل مركز الكون قد حل محلها الرعب إزاء الامتداد اللانهائى للفضاء، وبدت الأدلة على وجود الله وعلى مصير الإنسان الأبدى غير مقنعة، وحتى لو اقتنع الناس بها فهل يمكن لإله يوجد بمثل هذه الأدلة أن يكون هو الإله الذى يحتاج إليه الإنسان حقًا؟![٣]».

---

(١) انظر: الوجودية (ص ٦٥ - ٦٦) .

(٢) بليز باسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) رياضى وعالم طبيعة فرنسى، أحد مؤسسى نظرية الاحتمال .

(٣) الوجودية (ص ٦٨، ٦٩) .

ومنذ ديكارت ظهر المنهج العقلانى فى الفلسفة، إلى أن جاء الفيلسوف الدانمركى (كيرك جورد)، والذى يعد ساق الشجرة الوجودية والأب الرسمى لها، وأول فيلسوف أوربى يحمل لقب المفكر الوجودى، فانشغل بالمشكلة الدينية، وبالكيفية التى يمكن للمرء بها أن يصبح مسيحيًا، ورأى أن تقدم الذات البشرية إنما يتم عن طريق الانتقال من المرحلة الحسية الجمالية إلى المرحلة الأخلاقية حتى تصل إلى المرحلة الدينية، غير أن هذه المراحل لا يمكن أن توضع فى قوالب عقلية أو أن تفرض بطريقة منطقية، فالمسيحية نفسها مفارقة، وهى تتطلب قفزة نحو الإيمان(١).

لقد رفض كيرك جورد أن يكون العقل أساسًا للإيمان، كما نبذ كل محاولة تبغى تشييد نسق عقلى صارم لأمور العقيدة، وهو يقول فى هذا الصدد: «ليس لدى استعداد للحقائق والمبادئ والأنساق، ولكننى أجدنى على أتم الاستعداد للنتف والخيالات والإلهامات الفجائية»، ويقول أيضًا: «إذا كان من الغباء أن يقول إنسان: (ليس ثمة إله)، فإن من يحاول البرهنة على وجود الله يعتبر أكثر غباء، وإذا كان العقل وكانت الفلسفة مبعث هذه المحاولة، فليس من الخطأ أن تكفر بها(٢)».

وتبعه الفيلسوف (نيتشه)(٣) الذى كان يسخر بقوة وعنف من جميع المفاهيم التى كانت شائعة فى عصره، ويدعو إلى الحرية المطلقة، ويرى أن الإنسان هو الخالق والمصمم الوحيد لحياته وأعماله، كما دعت إلى ذلك الوجودية(٤).

ونيتشه يختلف عن كيرك جورد فى أن الأغراض الوجودية عند كليهما

---

(١) الوجودية ص٧٣ .

(٢) د. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد (ص ١٣٤) .

(٣) نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) فيلسوف ألمانى، راجع: الموسوعة الفلسفية، ص ٥٥٤ .

(٤) راجع: د. يسرى إبراهيم، نتيشه عدو المسيح، سينا للنشر بالقاهرة، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

ظهرت فى شكل مختلف: فعلى حين أن اهتمام كيرك جورد انصب على الكيفية التى يصبح بها المرء مسيحيًا، فقد انشغل نيتشه بالكيفية التى يستطيع المرء بواسطتها أن يخرج من المسيحية. وفى الوقت الذى يقبل فيه كيرك جورد التضحية بالعقل يرفض نيتشه مثل هذه التضحية[١].

وهذا المنظور عند نيتشه يجعل من الإنسان حرًا حرية مطلقة، ويؤدى بنا إلى عنصر العدمية، ومن ثم تأكيد الإنسان لنفسه وإثباته لذاته، وهذا يقوم على خلفية هى عبارة عن عالم عبثى لا معقول ليس فيه إله، والقانون الذى يحكمه هو قانون العود الأبدى.

ونيتشه بذلك ضد الاتجاه الموضوعى ومع الاتجاه الذاتى؛ فهو لا يدعى الموضوعية أبدًا، وهو يقبل المتناقضات التى تمزق على نحو ما تاريخه.

والأنساق المذهبية - فى نظره - وهم وعبث... لا لأن الحياة تغير متصل، وانتقال من الشىء إلى ضده؛ بل لأن الشعور بتعقيدات الوجود يستبعد الادعاء لمنطق المذاهب الصارم، فالواقع نسيج من الأضداد وأنواع الصراع، وهو لا يستوعب أبدًا فى مظهر واحد، وكل إيجاب يستدعى سلبًا، وكل نفى يشمل تأكيدًا. وهذا التعدد لوجهات النظر المتعارضة هو وحده الذى يضفى بعض العمق على الحياة والتاريخ، ويجعلنا ندرك تجربة الوجود الباطنة فى حقيقتها الديالكتيكية[٢]».

كما يلتقى رواد الوجودية الذين يتسمون بالفئة المؤمنة مع الفيلسوف الفرنسى (برجسون)[٣] حيث اهتم هذا الفيلسوف بدراسة بعض مشاكل الفكر

---

(١) انظر الوجودية (ص ٧٤، ٧٥).

(٢) د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ١٤٠، ١٤١).

(٣) برجسون (١٨٥٩ - ١٩٤١م) فيلسوف فرنسى دافع عن الروحانية ضد المذاهب الوضعية والمادية، راجع: المنجد فى اللغة والأعلام، ص ١٢٦.

الإنسانى: كالحرية، والديمومة، والزمان، والأخلاق، والوجود، حيث ورد عنه ما يلى: «أنا أدوم إذن أنا موجود»[١]فقد ربط الوجود الإنسانى بالخلود والديمومة، وفى مسألة وجود الله فهو لا ينكر وجود الإله، إلا أنه يزعم أن الإله لا يدرك إلا بواسطة التجربة التى هى منبع الإدراك والإحساس عند الإنسان، وهذه التجربة تجربة ذاتية صوفية. وبهذا نرى مدى التقاء فلسفة برجسون مع الفلسفة الوجودية من ناحية الإدراك الذاتى، والتأمل فى النفس الإنسانية، وحقيقة الوجود الإنسانى، وأسبقيته[٢]، كما يزعم الوجوديون.

أما كارل ياسبرز فهو يرى أن كل ما نعرفه يتخذ صورة الذات - الموضوع، وهو هنا يختلف عن كيرك جورد ونيتشه فى تمسكهما بذاتية داخلية صرفة، فلقد نادى - فيما يتعلق بالإيمان المسيحى - بأن ذلك الإيمان لا يمكن البرهنة عليه عقليًا، فهو ليس معرفة موضوعية، كما أنه ليس اتجاهًا ذاتيًا وحسب.

ويجىء مارتن هيدجر ساعيًا إلى تجنب المأزق العدمى الذى اتجه إليه أحيانًا فى بعض المواقف، فيؤلف كتابًا عنوانه: (الوجود والزمان)، يحلل فيه الوجود البشرى فى الفلسفة الوجودية على امتداد هذه الحركة كلها، وقد ركز فيه على موضوعات مثل: الهم، والقلق، والإثم، والتناهى، والموت، وكلها موضوعات تقود إلى لون من العدمية، لكنه لا ينتهى إلى العدمية؛ إذ يعود فيقرر إن العدم الذى يكتب عنه رغم أنه ليس شيئًا، فإنه على وجه الدقة وجود، حيث يقول: «هذا الآخر الذى يختلف تمامًا عن جميع الكيانات هو ما لا كيان له أو عدم، لكن هذا العدم هو وجود على نحو أساسى[٣]».

---

(١) برجسون، الديمومة والتقارن، ترجمة فؤاد كامل، دار الفكر، ص ١٨ .

(٢) راجع: غازى الأحمدى، الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣) الوجودية (ص ٧٧، ٧٨) وانظر د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ١٤٣، ١٤٤) .

وهكذا ينفتح الباب مؤديًا إلى فلسفة هيدجر الأخيرة، وهى تأمل شبه صوفى وشبه شاعرى، ولكنه مع ذلك فلسفى فى الوجود والفكر واللغة.

وهيدجر يمثل الوجودية الألمانية بحق، وإلى جانبها يمكن أن نذكر حركة قريبة منها، يصعب تسميتها بالوجودية، وإن كانت بينهما وشائج قربى، وهذه الحركة يمكن إرجاع أصولها إلى فلاسفة مثل: هرمان لوتزه، ورودلف إيكن.

وترتبط هذه الحركة بالوجودية من حيث اهتمامها المتزايد بمشكلة العلاقات بين الأشخاص، وبتوجهها نحو الفردية[١].

وقد تكون الوجودية الفرنسية هى أكثر ألوان الوجودية ذيوعًا وشهرة، والفرع اللامسيحى منها تمتد جذوره الفلسفية إلى الوجودية الألمانية، لا سيما وجودية هيدجر، لكنه يضرب بجذور قوية فى التجربة الفرنسية فى القرن العشرين، والوجودية الفرنسية كما نراها عند جان بول سارتر تظل فى بعض جوانبها وثيقة الصلة بفلسفة نيتشه، فالإنسان فيها يحل محل الرب، وإذا ما خلا العالم من رب فالإنسان يحمل على كتفيه عبء العالم كله، فهو مسئول عن العالم، ومسئول عن نفسه باعتباره لونًا من الوجود[٢].

ولكنّ هناك جانبًا مظلمًا فى موقف الحرية هذا، وهو أن رغبة الإنسان فى أن يصبح ربًا تتضمن بالضرورة تناقضًا ذاتيًا وإحباطًا ذاتيًا أيضًا.

ويمكن القول: إنه بالرغم من أن الوجودية قد بلغت فى ألمانيا وفرنسا أعظم تطور لها، فإن أسلوب التفكير الوجودى قد ظهر فى بلاد أخرى غير هذين البلدين: فالمفكر الأسبانى ميجل دى أونامنو، والمفكر الروسى نقولاى ألكسندر وفتش بيرد يائيف يستحقان أن يوضعا بين أكبر ممثلى

(١) انظر: السابقين (ص ٧٨، ١٤٤).
(٢) انظر: الوجودية (ص ٧٩).

الفلسفة الوجودية.

ثم تتابع أسلاف الوجودية وروادها الذين انتشرت أفكارهم وروجوا لها بمؤلفاتهم التى ملأت المكتبات، وبمقالاتهم التى تملأ أعمدة الصحف والمجلات، وشاعت الأفكار الوجودية شيوعًا كبيرًا فى الأوساط الأدبية والفلسفية والاجتماعية، وأخذ الناس يقرءون كتابات الوجوديين فى شغف بالغ، وإعجاب كبير، وتأييد أكبر.

ويتبين من خلال عرضنا لتاريخ الوجودية، أنها فى أطوارها الأولى يصعب تمييزها من التفكير البشرى، ولكنها أخذت تتشكل وتتبلور وتتطور، حتى أصبحت فى القرن العشرين فلسفة من أبرز الفلسفات. فلماذا ازدهرت فى عصرنا الراهن؟ ولماذا وجدت التربة الصالحة لها فى القارة الأوربية؟

ومن المؤكد أن الإجابة عن هذين السؤالين قد اتضحت إبان العرض التاريخى الذى قدمناه؛ إذ يبدو أن الأسلوب الوجودى فى التفكير ينبثق كلما وجد الإنسان أن أمنه قد أصبح مهددًا، وعندما يدرك ألوان الإبهام واللبس فى العالم، وعندما يعرف وضعه العابث فى هذه الدنيا، وذلك يساعدنا كثيرًا فى تفسير السبب الذى من أجله ازدهرت الوجودية فى تلك البلاد التى تقوضت فيها البنية الاجتماعية، وانقلبت رأسًا على عقب، وأعيد فيها تقويم القيم كلها من جديد. أما البلاد المستقرة نسبيًا فلم تمر بتلك التجارب، ومن ثم لم يتطور فيها ذلك اللون من التفلسف الذى ينبع أساسًا من تلك التجارب.

المبحث الثانى - أسباب ظهور الفكر الوجودى:

تتشعب آراء الباحثين فى دراستهم لعوامل وأسباب ظهور الفكر الوجودى، ولعل أبرزها وأهمها ما يلى:

١- اعتبر بعض الباحثين أن الوجودية مقاومة للفلسفة التقليدية القديمة، فإذا كانت تلك الفلسفة قد اهتمت بالبحث فى الوجود المطلق، والتعرف على علله البعيدة، فإن الفلسفة الوجودية قد حصرت اهتمامها فى الوجود الإنسانى المفرد[١].

٢- كما اعتبرها بعض الباحثين رد فعل لتفشى بعض المذاهب العلمية والفلسفية فى القرن التاسع عشر، تلك التى حاولت إثبات فكرة المطلق، فعندما وضع (نيوتن)[٢]أساس المطلق فى العلم، جاء (هيجل)[٣]ليؤكد فكرة المطلق فى الفلسفة، مقيمًا كل نظرياته على أساس تلك الفكرة، وهذه الفكرة تقوم على أساس أن هذا العالم وهم من الأوهام؛ إذ إن الحقيقة الوحيدة الكائنة فى العالم هى (المطلق)، فليس الإنسان الحقيقى هو هذا الفرد أو ذاك، بل هو الإنسان الكلى الذى هو حقيقة تعلو على جميع الأفراد الذين هم ليسوا سوى صور متغيرة لتلك الحقيقة، وما دام هذا العالم متكثرًا متغيرًا، فليس هو عالمًا حقيقيًا، ويبقى المطلق هو الحقيقة الوحيدة.

وعندما رأى الوجوديون أن من آثار هذه الأفكار محو شخصية الإنسان الفرد، وحقيقته الوجودية الفعلية، والقضاء على تجارب الإنسان الحية بوصفه كائنًا له فرديته المتميزة، واعتبار هذه التجارب وهمًا من الأوهام - ثار عدد كبير منهم ضد هذه الأفكار[٤].

---

(١) انظر: محمد عبد الله الشرقاوى، مدخل نقدى لدراسة الفلسفة، ١٩٨٨م ص ٢١٨ .

(٢) إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) عالم شهير خريج جامعة كمبردج، ومن أهم كتبه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية)، راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٤٩٣ .

(٣) جورج ولهلم فريدريك هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) ألمانى درس بجامعة برلين ١٨١٨م. له مؤلفات عديدة منها (فينومينولوجيا الذهن) وكتاب المنطق. راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم ص ٢٧٤ .

(٤) راجع د. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، ص ٩٥ - ٩٦ .

٣- كما يرى بعض الباحثين أن ظهور الوجودية كان بسبب سيطرة (الكنيسة الكاثوليكية)[١]، وهى السيطرة التى عانى منها العقل الأوربى طوال العصور الوسطى، وعصر النهضة: ففى سيطرة الكنيسة ساد ظلام فكرى دامس توطدت فيه العديد من الممارسات الخاطئة مثل: صكوك الغفران، ووساطة رجل الدين بين العبد والرب، ومحاكم التفتيش، كما تصدت الكنيسة لجهود العلماء، وأسكتت أصوات المعارضين باسم الدين، ونظرت إلى الكتاب المقدس على أنه يشتمل على كل ما يحتاجه الإنسان فى دنياه وآخرته. وقد جاء التمرد على الكنيسة تدريجيًا، كلما استهدفت تحقيق استقلال الفرد، وتأكيد ذاتيته، والدعوة إلى الحرية المطلقة.

٤- وتعتبر الوجودية - أيضًا - رد فعل ضد الماركسية[٢]أو الشيوعية، فإذا كانت الماركسية قد جعلت سلطان الجماعة يطغى على سلطان الفرد واستقلاله، فإن الوجودية عملت على فردية الإنسان من طغيان الجماعة. ويرى الوجوديون أن الماركسية قد انتزعت من الفكر الإنسانى حريته فى الابتكار والسيطرة على الطبيعة، والتحكم فى قوانينها وفق اختياره وطبقًا لمفاهيمه، وجعلت منه آلة بيد المادة العمياء ينتج أفكارًا مقيدًا بأقدارها؛ فغدا أشبه بإحدى النباتات الحية التى للبيئة دور كبير فى نموها، وأنكرت تأثير الإنسان فى التغيير والتحكم بمسار الإنسانية، وحكمت على التطور وحصرته فى النظام الشيوعى أو حكم البروليتاريا[٣][٤].

---

(١) راجع: د. على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للنشر، المنصورة ١٤٠٩هـ ص ١٤٧ .

(٢) هى مذهب فكرى يقوم على الإلحاد وأن المادة أساس كل شىء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادى. ظهرت فى ألمانيا على يد ماركس ولينين بتخطيط من اليهود. راجع: الموسوعة الميسرة فى الأديان، الندوة العالمية للشباب، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص ٣٠٧ .

(٣) طبقة العمال .

(٤) انظر: د. عبد المقصود عبد الغنى، الاتجاهات المعاصرة فى الفكر الإسلامى الحديث، =

٥- ويرى أكثر الباحثين أن الوجودية ظهرت بسبب ظروف المجتمع الأوربى فى هذا القرن العشرين، ووجود بيئة ملائمة لأفكار الوجوديين؛ ذلك أن أوربا عاشت خلال هذا القرن حربين عالميتين[1] مدمرتين، ذهب ضحيتها الملايين من البشر، وما ترتب على ذلك من التفتت الاجتماعى، والتفكك الأسرى، والضيق النفسى الذى سيطر على الناس، وغير ذلك من الآثار التى نشأ عنها جو مشحون بالتوتر والقلق؛ فدفع هذا الجو بعض المفكرين إلى البحث عن مشكلة الإنسان، ووجوده، وحياته، وموته، وعلاقته بغيره من الناس، والمجتمع، وبحريته ومسئوليته، وغير ذلك من مشكلات يعيشها الإنسان، وقد ركزوا بوجه خاص على حرية الإنسان ومسئوليته، والدور الذى يمكن أن يقوم به الفرد فى أحداث عالمه المعاصر.

إن هذا الجو الاجتماعى الذى وصل ذروته أثناء الحرب العالمية الثانية، وفى أعقابها، قد مهد الطريق أمام هذه الحركة؛ إذ بدأ لدى الناس اتجاه جديد فى الحياة يتميز بالاستعداد لمواجهة مواقف الحياة: فلم يكن لدى الشباب ارتباط بمهنة معينة أو طبقة اجتماعية محددة، كما لم يكن لهم ارتباط أسرى قوى، ولم يكن لهم -أيضًا- غاية معينة فى هذه الحياة إلا لمجرد أنهم يعيشون؛ فكان هذا الجو هو الملائم لأفكار الوجوديين وآرائهم فى الإنسان والوجود، والحرية، والمسئولية . . . إلى آخر المقولات التى دارت حولها اهتماماتهم، وبالأخص مقولة الحرية وآراؤهم فيها التى هى محور أفكارهم، فقد انطلقت من صيحة التحرر التى كانت فى أرجاء أوربا خلال الحرب، ولكنها بقيت تتردد بعد الحرب بوصفها نظرية اجتماعية حتى قيل: إن مؤلفات (سارتر) قد ولدت فى ظل الاحتلال. ومع ذلك فقد

= دار الثقافة، القاهرة ١٤٠٨ هـ، ص ٤٠٤ .

(١) الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) والحرب الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ١٤٠١هـ، ص ٧٠٠ .

ظل صداها المدوى يتردد مع انتصار المقاومة، يقول الأستاذ عبد القادر محمود: «إذا قارنا هدية الحرب العالمية الثانية بهدية الحرب العالمية الأولى، وجدنا أن هدية الحرب العالمية الثانية كانت أفدح وأعظم: فإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد تمخضت عن نزعات التحليل والانحلال، تبعًا لانهيار الأخلاق الفردية وآداب السلوك، وخضوعًا أو استجابة أو تبريرًا علميًا أو فلسفيًا لمذهب (فرويد)[1] فى الحياة والفنون والآداب - إذا كانت هذه هى هدية الحرب العالمية الأولى، فقد أهدتنا الحرب العالمية الثانية نتاجًا أخبث، تسربت فيه موجات السريالية[2]، والوجودية بكل طاقاتها التشاؤمية، والعدمية، والانحلالية العبثية، حتى أصبحت هذه الحركات كأنها أديان جديدة تسعى لتحطيم جميع الأديان السماوية لإقامة أديان إنسانية جديدة فى قيمها وموضوعاتها ومناهجها»[3].

هذه هى الأسباب التى ذكرها الباحثون لظهور الفكر الوجودى، أو ساعدته على الذيوع والانتشار. وبعد أن عرفناها، ننتقل إلى معرفة أقطاب هذا الفكر.

* * *

---

(١) سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) يهودى نمساوى، صاحب نظرية التطور راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٣٠٧ .

(٢) اتجاه معاصر فى الفن والأدب، يذهب إلى ما فوق الواقع، ويبرز الأصول اللاشعورية. راجع: المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، ص ٩٧ .

(٣) د. عبد القادر محمود، الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٦م، ص ٢٢٦ .

الفصل الثالث
أقطاب الفكر الوجودى

ويشتمل على تسعة مباحث:

أولاً: كيرك جورد ... حياته .. فكره .. منهجه.

ثانيًا: بيرد يائيف ... حياته .. فكره .. منهجه.

ثالثًا: كارل ياسبرز ... حياته .. فكره .. منهجه.

رابعًا: مارتن هيدجر ... حياته .. فكره .. منهجه.

خامسًا: جابرييل مارسيل ... حياته .. فكره .. منهجه.

سادسًا: مير لو بونتى ... حياته .. فكره .. منهجه.

سابعًا: ألبير كامى ... حياته .. فكره .. منهجه.

ثامنًا: جان بول سارتر ... حياته .. فكره .. منهجه.

تاسعًا: عبد الرحمن بدوى ... حياته .. فكره .. منهجه.

الفصل الثالث
أقطاب الفكر الوجودى

والواقع أن عدد الفلسفات الوجودية يساوى عدد الفلاسفة الوجوديين؛ ولذلك سأقصر الكتابة على أعلامها وأشهر رجالها الذين كان لهم الدور الكبير فى توجيه ونشر المفاهيم الوجودية. يقول الفيلسوف الوجودى عبد الرحمن بدوى: «والواقع أن ثمة فلسفات وجودية بمقدار ما يوجد من فلاسفة وجوديين، فهى كما قال أحدهم: (جابرييل مارسيل) مثل: «المروحة تتشعب شعبًا بعيدة التباين»[(١)]. ويقول الأستاذ طلعت غنام: «من يقول: إنه يوجد فلسفة وجودية كمذهب متكامل، فهو مخطئ؛ لأنه لا وجود لمذهب واحد أو فلسفة واحدة فى الوجودية، وإنما هناك (وجوديات) شتى تقوم على أسس متشابهة، لكنها جميعًا تختلف الواحدة منها عن الأخرى، وتتميز بعضها عن البعض بتميز أصحابها والداعين إليها، فمثلاً: هناك وجودية (هيدجر)، ووجودية (سارتر)، ووجودية (كيرك جورد)، ووجودية (ميرلوبونتى)، ولكنهم جميعًا اشتركوا فى صفة واحدة: أنهم اتخذوا الوجود محورًا لتفكيرهم»[(٢)].

ومن خلال الدراسة الموجزة لحياة وأفكار أقطاب الفكر الوجودى ستتضح لنا الخلفية وراء هذه المفاهيم والمقولات. يقول الأستاذ أنور الجندى: «ولا ريب أن قادة الدعوة الوجودية كانوا جميعًا من الشواذ، وكانت حياتهم الخاصة مليئة بالاضطرابات (كيرك جورد - جابرييل مارسيل - هيدجر - سارتر). ولقد ظلت الصفحات التى كتبها كيرك جورد نحو مائة سنة مغمورة حتى أخرجتها اليهودية التلمودية فى أوائل هذا القرن، وأذاعتها

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، دراسات فى الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت، ص ١١ .

(٢) طلعت غنام، الإسلام وتيارات الفكر المعاصر، ص ١٣ .

وترجمتها»[١]. وسأبدأ بالحديث عن رائد الوجوديين فى العصر الحديث: (كيرك جورد)؛ فهو الأب الحقيقى الأول للوجودية، وقد أجمع النقاد على أنه المرجع الأول فى نشأة الوجودية الحديثة[٢].

* * *

(١) أنور الجندى، الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبنانى، ص ١٩٠ .

(٢) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام، كيرك جورد رائد الوجودية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ٢٧. وراجع أيضًا: بول فوكيه، هذه هى الوجودية، ترجمة محمد عنانى، دار بيروت ص ٤٥ .

المبحث الأول
سورين كيرك جورد
(١٨١٣-١٨٥٥م)

أولاً : حياته:

هو (سورين ميخائيل بدرسن كيرك جورد)، ولد فى كوبنهاجن فى ٥ أيار ١٨١٣م، وقد تأثر بوالده تأثرًا عميقًا؛ فقد كان الأب دائم الكآبة، متعصبًا، ومتعلقًا بالمسيحية المحرفة، وكان كثير المجادلات اللاهوتية[١]، فنشأ الابن (سورين) فى عزلة وتأمل، ثم يمم شطر المقاهى، وأقبل على الملذات، وانغمس فى المحرمات، وكان كثير السخرية والتهكم. وفى ١٨٢٠م دخل مدرسة (بورجر ديد سكول)، فكان فى المدرسة يعتزل زملاءه، ولا يصادق أحدًا، ولا يدعو أحدًا إلى منزله، فظل بينهم غريبًا، وموضعًا للشفقة والرثاء؛ بسبب شكله وملبسه الذى لا يتغير، وقد كان قليل الاجتهاد غشاشًا فى بعض الأحيان[٢]. وفى سنة ١٨٣٤م فقد أمه وإحدى أخواته؛ فحصلت له فترة من الهبوط النفسى والقلق والجزع، وتسلط عليه الخوف، وشغله هاجس الانتحار؛ فلجأ إلى الشراب فكان يسكر سكرًا شديدًا، ويطارد المومسات[٣]- نسأل الله العافية - وقد وقع بينه وبين والده نزاع بسبب حياته المنحلة؛ مما اضطره إلى الهرب من بيت أبيه، لكنه ما لبث أن عاد مرهقًا بالديون، وصالح والده، لكن والده لم يدم طويلاً بعد المصالحة، فقد مات سنة ١٨٣٨م. وكان لموت والده وقع الصاعقة عليه؛

---

(١) اللاهوت: تعبير اصطلاحى فى الفلسفة المسيحية عند القائلين بالاتحاد، ويراد به الجزء الإلهى الذى حل فى المسيح الإنسان الذى يعبر عنه بالناسوت، على حد زعم المسيحيين.

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٣٢ - ٣٧، وراجع أيضًا كتابه: موسوعة الفلسفة، ج٢، ص ٣٢٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢٩ .

فثاب إلى رشده، وقرر أن يستأنف الدراسة بجد ومثابرة، فاستطاع سنة ١٨٤٠م أن يحصل على إجازة اللاهوت بتقدير (مقبول)[١].

هذا، وقد سبق له فى أثناء دراسته اللاهوتية أن خطب فتاة جميلة اسمها (روجينا أولزن)[٢]، وكان لهذه الخطبة أثرها البعيد فى حياته؛ ذلك أنه أحبها، لكنه أشفق عليها أن تضم جمالها وشبابها إلى دمامته وعبوسه وشيخوخته المبكرة، وحاول قبل فسخ خطبتها أن يسيرها فى طريق التدين التى التزمها، غير أن (روجينا) لم تكن بالفتاة القابلة لهذه الأفكار؛ فحكمت عليه بالجنون. وفى ذات مساء ذهب إليها فى بيتها، فتشاجر معها دون مبرر؛ فكانت النهاية، وقد ألهب هذا الانفصال عبقرية سورين، فسال قلمه وألف كتبًا، منها: (يوميات)، (مجرم وغير مجرم)، (خوف ورعدة)[٣].

كان (كيرك جورد) يعد لأحد إصداراته فسقط مغشيًا عليه فى أرض الغرفة، ومرت هذه الحادثة، وعاد إلى مواصلة كتاباته، وبعد أشهر تكررت الحادثة فسقط مغشيًا عليه، ونقل إلى المستشفى حيث رقد حوالى شهر، ثم مات فى (نوفمبر ١٨٥٥م)[٤].

وبعد، فهذه هى حياة مؤسس الوجودية، وإن دلت على شىء فتدل على أنها حياة مليئة بالتوتر والقلق، والتمزق، والضغط حياة مليئة بالتناقض وبعدم الاتزان والروية، والتمرد الخارج على المألوف وقوانين المجتمع والعادات والأخلاق. حياة مليئة بالانحراف عن المنهج الطبيعى للنفس الإنسانية السوية.

---

(١) راجع: كيرك جورد، ت بيار سنار، ترجمة عادل العوا، منشوات عديدات، باريس وبيروت، ص ١٠ .

(٢) بنت مستشار فى البلاط الملكى، ماتت سنة ١٩٠٢م .

(٣) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام، كيرك جورد رائد الوجودية، ج١، ص ١٢٨ .

(٤) المرجع السابق، ج١، ص ١٨٧ - ١٨٩ .

ومع هذا يقول عنها الدكتور عبد الرحمن بدوى: «لكن حياته - رغم قصرها - ظلت الينبوع الثرى الدافق الحى للفكر الفلسفى من أخريات القرن الماضى حتى اليوم، وله يدين ياسبرز وهيدجر وأونامونو ومارسيل بالكثير من تأملاتهم وموضوعات تفكيرهم[١]».

والتأثير الأكبر لكيرك جورد كان فى الفلسفة الوجودية، حتى عُدَّ - بحق - أبا الفلسفة الوجودية، فقد تأثر به كارل ياسبرز، وقال عنه: «إنه هو ونيتشه قد عاشا مشكلة الوجود على نحو عميق، وحللا إمكانيات الوجود أدق تحليل»[٢].

ثانيًا - مؤلفاته:

صدرت له المؤلفات التالية حسب تاريخ صدورها:

١- ١٨٤٣م ظهر كتابه (إما . . . أو) تحت اسم مستعار، وفى نفس السنة أصدر كتابين هما (الخوف والقشعريرة) و(التكرار).

٢- ١٨٤٤م صدر له أيضًا كتابان هما (فكرة القلق) و(شذرات الفلسفة).

٣- ١٨٤٥م صدر له كتاب رئيسى سماه (مراحل على طريق الحياة).

والمطلع على المؤلفات السابقة يدرك الأثر العميق الذى خلفته خطيبته فى أسلوبه وأفكاره.

٤- ١٨٤٦م أصدر كتابًا اسمه: (حاشية غير علمية على الشذرات الفلسفية).

٥- ١٨٤٧م صدر له كتاب (طهارة القلب)، وفيه يعرض فكرة الفرد

---

(١) دراسات فى الفلسفة الوجودية (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م - ١٤٠٠ هـ) (ص ٢٧) .

(٢) راجع السابق (ص ٣٥) .

والتى تعد من الركائز الأساسية فى مذهبه. وفى نفس السنة صدر له كتاب بعنوان (حياة الحب وسلطانه).

٦- ١٨٤٩م نشر كتابًا بعنوان (المرض حتى الموت)، وفى نفس السنة صدر له كتاب (التدرب على المسيحية).

٧- ١٨٥١م نشر آخر كتبه بعنوان (من أجل امتحان للضمير موجه إلى المعاصرين)(١).

والملاحظ أن كيرك جورد كان غزير الإنتاج للغاية؛ فقد جمعت مؤلفاته فى أربعة عشر مجلدًا، فضلاً عما يقرب من ثمانية عشر مجلدًا لليوميات والأوراق، ولا نغالى إذا قلنا: إن هذا الفيض الزاخر من الإنتاج كان حصيلة سنوات قليلة لا تزيد عن الثمانية سنوات، بل إن هيس يذهب إلى أنه «فى فترة قصيرة جدًا لا تزيد إلا قليلاً عن سنتين ظهر الجزء الأكبر من مؤلفاته».

وهذا شىء بالغ الغرابة لا سيما إذا عرفنا أنه من الناحية الجسمية كان ضعيفًا هشًا لا يقوى على بذل الجهد العنيف، ومن الصعب أن نجد له نظيرًا فى تاريخ الفلسفة من حيث الغزارة والحمية والخيال الملتهب باستثناء فردريك نيتشه (٢).

ويمكن أن تقسم مؤلفات كيرك جورد على حسب طبيعتها إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أطلق عليها كيرك جورد نفسه اسم «المؤلفات الجمالية»، وهى تحتوى على كتب مثل: «إما - أو»، «الخوف والقشعريرة»، «التكرار»، «مراحل على طريق الحياة»، «مفهوم القلق»،

(١) راجع: د. على عبد المعطى محمد، تيارات فلسفية حديثة، دار المعارف الجامعية بالإسكندرية، ص ٤٧٥ - ٤٧٩. وراجع أيضًا: د. عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٣.

(٢) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد رائد الوجودية (١/ ٢٤٢).

وكان آخرها: «الأزمة وأزمة فى حياة ممثلة المسرح» ١٨٤٨م.

وهذه المؤلفات الجمالية تتسم بسمتين:

أما السمة الأولى: فهى أننا نجد كيرك جورد فيها يتحدث بلسان الشاعر؛ فيصب أحزانه وآلامه وعذابه فيها؛ ولذلك جاءت لغته لغة رومانتيكية شاعرية.

والسمة الثانية: أنه كتبها بأسماء مستعارة؛ حيث لم يكتب عليها اسمه هو.

والقسم الثانى: يمكن تسمية المؤلفات فيه بالمؤلفات الفلسفية؛ حيث يتحدث فيها كيرك جورد بلغة فلسفية لا اللغة الشاعرة، وهذه المؤلفات تقع وسطًا بين مؤلفات القسم الأول: الجمالية، ومؤلفات القسم الثالث الآتى: الدينية، وهى تجمع بين الاسم المستعار واسمه هو؛ فكتاب «الشذرات الفلسفية» ١٨٤٤م، يحمل على غلافه اسم المؤلف: يوحنا كليماكوس، وبجواره اسم المسئول عن النشر «س. كيرك جورد»، وكذلك كتاب «حاشية ختامية»١٨٤٦م على كتاب الشذرات السابق يحمل اسم المؤلف المستعار: يوحنا كليماكوس، وبجواره اسم كيرك جورد كمسئول عن النشر.

والقسم الثالث: يشمل مؤلفات كيرك جورد الدينية، وهى ذات خاصيتين:

الأولى: أنها تحمل اسم كيرك جورد كمؤلف لها.

والثانية: أنه يتحدث فيها بلغة الواعظ؛ ولذلك أطلق عليها اسم «أحاديث إرشادية أو تهذيبية[1]».

---

(١) راجع فيما سبق: د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد رائد الوجودية (ص ٢٤٣) وما بعدها .

والذى يطلع على هذه المؤلفات يؤكد أنها خليط غريب من الاعترافات العاطفية الشخصية، والتأملات الفلسفية، والمقالات الأدبية؛ حيث يرى أحيانًا فى الكتاب الواحد تعاقب الأجناس الأدبية: من يوميات، إلى صور أدبية، إلى نقد مؤلفين، إلى تفسير أحلام. ويرى كذلك تنوع اللهجة، فينتقل سريعًا من الجد إلى الهزل، ومن التهكم والسخرية إلى العرض المنسق الجاد. وإن دل هذا على شىء فيدل على أنه متقلب المزاج، ذو أهواء ونزوات، دائم الكآبة.

ويتضح لنا ذلك جليًا إذا علمنا أن كيرك جورد «لم يستخدم منهجًا واحدًا فقط، صحيح أن الغالبية العظمى من مؤلفاته - وهى مؤلفاته الجمالية والفلسفية - يستخدم فيها ما يسمى منهج (الاتصال غير المباشر)، لكنه يستخدم فى مؤلفاته الدينية (منهج الاتصال المباشر) لا سيما فى الفترة الأخيرة من حياته التى اقترب فيها من المسيحية الحقة على حد تعبيره(١)».

وسوف نتلمس فى النقطة التالية أهم ملامح فكره ومنهجه.

ثالثًا - فكره ومنهجه:

يتحدد فكره ومنهجه فى عدة أمور، منها ما يلى:

١- الحيرة والشك فى أفكاره؛ فقد أنكر كل شىء، ويئس من كل شىء، واتخذ إلهه هواه؛ هادفًا من وراء ذلك إقامة تيار وجودى على صورة تروق له، متخذًا التشكيك لترويج الأباطيل الإلحادية، وهدم الدين، ورفض العقل، وتكذيب المادة، وإنكار المعارف الأولى. بعد هذا الشك اتجه (كيرك جورد) إلى نفسه كى يتخذها مصدرًا لمعرفته بعد أن سلبها قواعد رؤيتها للأمور من عقل أو تجربة، التى هى طرق إدراكها، محاولاً أن يبنى من حطام هذه النفس المقهورة (سلمًا) ينقذه من (مأساة) ترديه فى قاع

---

(١) د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد رائد الوجودية (ص ٢٤٩).

الضياع والفناء الإنسانى، معتمدًا فى علاقته مع نفسه على وجودها الخاص[١].

٢- دعا كيرك جورد إلى الفردية والعزلة: فالفرد يوجد من خلال تحقيق حريته الشخصية وذاتيته، وهذا المنهج الذى نهجه هو الأساس الذى سارت عليه الوجودية من الاهتمام بالفرد، وإعطائه الحرية الكاملة للتصرف فى سلوكه وفى حياته، وفى هذا تقديس للفرد وتطبيق للأنانية المطلقة؛ حيث لا موجه له ولا ضابط إلا مصلحته الذاتية فقط[٢].

٣- اعتبر (كيرك جورد) نفسه هى مصدر معرفته، وهى ملهمته ومرشدته التى تمده بالمنهج الذى يسير عليه، وتمده بالدين، وتوصله بالله حسبما يتراءى له ويريده، فهى مقصده وغناه عن كل مصدر. وفى سبيل الوصول إلى هذه الغاية، رفض كل فكر أو معتقد وصله من أى طريق، أو تأصل على أى منهج؛ فرفض الوحى والنبوة والعلم والعلماء، وكل اتجاه عقلى أو مثالى، ورأى أن هذه مواريث قد أضرت بالإنسان؛ لأنها صرفته عن الوصول إلى غايته المنشودة، وهو الوجود الحقيقى الذى هو - فى نظره - لا يخرج عن وجود الإنسان فى نفسه، الذى لا بد له أن يكون وجودًا ذاتيًا مجردًا عن أى اتصال خارج عنه.

٤- هجومه على الفلسفات العقلية التى سبقته هجومًا عنيفًا مدعيًا أن العقل يجعل الإنسان يلتزم بقواعد وقوانين الكون والألوهية، والعلاقة بينهما، والالتزام بهذه القوانين يحمل على (حتمية) صارمة لا مبرر لها، كما يزعم[٣]. ولعل هجوم (جورد) على العقل وقوانينه وعلى العلم المادى منه

---

(١) راجع: بولس سلامة، الصراع فى الوجود، دار المعارف بمصر، ص ١٤٤ - ١٧٤ .

(٢) راجع: على عبد المعطى محمد، مقدمات فى الفلسفة العامة، دار النهضة، بيروت، ص ٣٣٠ .

(٣) راجع: بولس سلامة، الصراع فى الوجود، دار المعارف، مصر، ص ١٤٤ - ١٧٩ .

بالذات كان لتأصيل فكرة الوجودية بعدما زعزع الثقة فى العقل كمصدر للمعرفة والإدراك، وأنكر الدين، وادعى عدم الحاجة إليه؛ فالإنسان يمكن أن يكون له دينه الخاص به - على الشكل الذى يرغبه - وليس بحاجة إلى نبى ليشرح له علاقته بالإله أو يبين الدين، وهذا بلا شك تخبط، نعوذ بالله.

٥- رفض كيرك جورد مناهج الدين والعلم والفلسفة والأخلاق، معللاً ذلك بتعليلات واهية، ليس لها سند من قول أو فعل، سوى التعالى والتكبر، والادعاء بأن هذه المناهج تحد من حرية الإنسان ووجوده.

٦- اتخذ (كيرك جورد) منهجًا ذاتيًا له، وقد صور العقاد[١] هذا المنهج بقوله: «إنما نهتدى إلى وجودنا بثورة فى أعماق هذا الوجود، نهتدى إليه (بصدمة) فى عاطفة قوية أو بيقظة من يقظات الضمير، أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا عن المجتمع الذى نعيش فيه، أو نتناول مكاننا منه بالتحويل والتبديل»[٢].

إن المنهج الذى ارتضاه (جورد) للوصول إلى تحقيق الوجود: هو أن ترد عليه محنة من المحن، أو ضربة من ضربات الحياة، وهذه هى التى تحوله إلى أعماق نفسه، وسبر أغوارها الداخلية.

٧- الوجود عنده لا يتحقق إلا بعد أن يتحرر الإنسان من كل ما يراه قيدًا على حريته، والحرية عنده هى العمود الفقرى للوجود، إنها لديه الاختيار النابع من القلق، وهذا الاختيار هو ما عناه فى كتابه (إما . . . أو)، ومعناه: إما أن تجد نفسك أو تفقدها كل الفقدان[٣].

(١) عباس محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، ١٣٠٦ - ١٣٨٣هـ، أديب مصرى، وشاعر وناشر ومؤلف وكاتب كبير. راجع: المستدرك على معجم المؤلفين، رضا كحالة، ص ٣٢٣ .

(٢) العقاد، المذاهب الهدامة، دار الكتاب اللبنانى، ص ٣٧٩ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٠ .

٨- عارض كيرك جورد منهج (هيجل)[١]، فحين يدعو (هيجل) إلى النزعة الاجتماعية، والاهتمام بالمجتمع، واعتبار الفرد جزءًا من آلة كبرى، وإخضاعه لقيود المجتمع ونظمه وثقافته، ووجوده لا يتحقق إلا من خلال المجتمع، وبهذا نادت الماركسية التى اعتبرت الفرد طاقة مادية تضاف إلى الطاقات الأخرى من أجل حياة المجتمع وبقائه - دعا كيرك جورد وغيره من الوجوديين إلى تطبيق النزعة الفردية وإعلاء شأن الفرد على حساب المجتمع.

يقول الشيخ/محمد قطب: «ولنبدأ بالحديث عن النزعة الفردية المتطرفة، فحين تفسد فطرة الفرد، ويحس بوجوده الذاتى إحساسًا مبالغًا فيه - يكون قد اعتدى على الآخرين اعتداءً مؤكدًا؛ ليحقق لنفسه أكثر مما ينبغى له من المتعة الفردية الأنانية، وهو مع ذلك لا يعتزل المجتمع، ولا يعيش وحده متنازلاً عن العون الضخم الذى يستمده من وجوده فى الجماعة، والتسهيلات الهائلة التى تيسرها له مجموعة من الأفراد، فكأنه فى تبجحه يريد أن يستغل المجموع إلى أقصى درجة، ثم لا يؤدى نصيبه من التكاليف. وهنا موضع للجدل الشديد بين دعاة الفردية، وبين النظرة المعتدلة المتوازنة: فهم حينًا يزعمون أن المجتمع لن يضيره شىء فى أن يستمتع الفرد بحريته فيما يسمونه شئونه الخاصة، وهم حينًا آخر ينكرون حق المجتمع فى التحريج على الفرد فى تلك الشئون، أو فى تحقيق ذاتيته، كما يقول الوجوديون وغيرهم من المنحلين، سواء كان فى ذلك ضرر على المجتمع أو لم يكن؛ لأن الأصل هو الفرد، وهو الذى ينبغى أن يتحقق له وجوده الكامل رضى الآخرون أم غضبوا!! وفى كلا القولين مغالطة هائلة

---

(١) جورج وليم فريدريك هيجل ١٧٧٠ - ١٨٣١م، فيلسوف ألمانى له مؤلفات كثيرة منها (فينومينولوجيا العقل) و (علم المنطق). راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٥١١ .

تنهار أمام المنطق الصحيح»[١].

ولنا بديننا الإسلامى الغنية؛ حيث لا يقر الصراع بين الفرد والمجتمع، بل لا يقر التعارض بين مصلحتهما، فهو لا يقر إعطاء الفرد حرية مطلقة دون أى نوع من القيود التى يضعها لتصرفات أفراده، ويتخذها دستورًا فى حياته، وإلا انقلبت الحياة إلى فوضى، وتحولت إلى صراع مرير بين الفرد والمجتمع، يقضى عليهما جميعًا، كما أن الإسلام لا يلغى شخصية الفرد، ويدمجها إدماجًا كليًا مع المجتمع؛ لأن ذلك يؤدى إلى تعطيل التفكير لدى الأفراد، ويقضى على ملكة الاختراع والإبداع، ويؤدى بالتالى إلى وجود قطعان من البشر لا تختلف كثيرًا عن قطعان الحيوانات، بل يقيم الإسلام العلاقة بين الفرد والمجتمع على الأخوة الصادقة والتعاون المثمر البناء.

رابعًا - أثر كيرك جورد الفلسفى:

بدأت شهرة كيرك جورد تتصاعد بعد وفاته، فتأثر به هارلد هوفدنج مؤرخ الفلسفة الحديثة المعروف، كما تأثر به الناقد الشهير جورج برانس الذى راح يلقى محاضرات لامعة عن كيرك جورد فى استوكهلم سنة ١٨٧٧م وكتب عنه كتابًا مجد فيه عبقريته سماه: «ثنائية الفلسفة الجديدة» يقول فيه عن كيرك جورد: «إنه عبقرية عظيمة».

والحق أن التأثير الأكبر لكيرك جورد كان فى الفلسفة الوجودية، حتى عُدَّ بحق أباها ورائدها؛ فقد تأثر به كارل ياسبرز، وقال عنه: إنه هو ونيتشه قد عاشا مشكلة الوجود على نحو عميق، وحللا إمكانيات الوجود أدق تحليل.

كما تأثر به قطب الوجودية: هيدجر، فى كتابه «الوجود والزمان» سنة

---

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط٤، ١٩٦٥م، ص ١٤١، دار إحياء الكتب العربية .

١٩٣٧م، وحاول أن يستخلص النتائج النهائية لفكر كيرك جورد الوجودى، وقد تلمسه خصوصًا فى إنتاجه الدينى؛ لأنه رأى أن إنتاجه الفلسفى والنظرى أشد تأثرًا بروح هيجل، رغم صراع كيرك جورد ضد هيجل.

وقد تأثر -أيضًا- بكيرك جورد تيار دينى على رأسه كارل بارت، فى كتابه الشهير (الرسالة إلى أهل رومية) سنة ١٩١٨م، الذى أحدث ضجة فى الأوساط الدينية حين صدوره.

وأبرز العناصر التى أثرت فى هؤلاء من فكر كيرك جورد ما يلى:

١- الدعوة إلى الإشادة بالفردية، وتقويم الشخصية الإنسانية، واحترام القيم الإنسانية الخالصة.

٢- العناية بتحليل المعانى الأساسية فى الوجود الإنسانى من قلق وخطيئة وخوف ويأس وفناء ووحدة فردية لا سبيل إلى تمويهها بالمجموع، وحرية أساسية لا سبيل إلى استلابها.

٣- تمجيد الوجدان والانفعال وجعلهما فوق العقل، بوصف الوجدان أقدر على أن يحيا الحياة من العقل الذى يتأمل الحياة من خارج، ولا يعيشها من باطنها.

٤- معاناة المشاكل من الداخل، بدلاً من معالجتها من الظاهر[1].

والحقيقة أن هذه التأثيرات كان لها آثارها الخطيرة والمدمرة، خاصة فيما يتعلق بإعلاء شأن الحرية الفردية التى لا ضابط لها، وإهمال العقل وتقديم الوجدان عليه.

والإسلام - منهج الله فى الأرض - يقيم توازنًا بين الحرية الفردية ومطالب المجتمع، فالحرية فى الإسلام تتوقف حدودها عند عدم الإضرار

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٣٥ - ٣٧).

بالمجتمع ومصالحه. كما أن للعقل فى الإسلام مكانًا متميزًا؛ إذ بالعقل يعرف الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.. أما العواطف والوجدان - على الرغم من عدم إهمال الإسلام لها - فقد تنحرف بالإنسان - إن هو أطلق لها العنان - عن جادة الصواب، وذلك إذا تركها تعمل بعيدًا عن هداية العقل وإرشاده.

* * *

المبحث الثانى
بيرد يائيف
(١٨٧٤-١٩٤٨م)

أولاً : حياته:

ولد نيقولا ألكسندر روفيتش بيرد يائيف سنة ١٨٧٤م بمقاطعة (كييف)[١]من أسرة نبيلة تضرب أعراقها فى التقاليد الحربية الروسية الأثيلة، بيد أن جدته كانت فرنسية كاثوليكية هاجرت إلى روسيا، ثم أرسل - شأن أقرانه - إلى المدرسة الحربية فى كييف، فلم يطب له بها مقام؛ فالتحق بالجامعة.

ويعد أشهر الفلاسفة الروس الوجوديين، ودرس بجامعة (كييف) فى كلية الحقوق، ولكنه لم يتخرج فى هذه الكلية، فقد ألقى القبض عليه سنة ١٨٨٨م؛ لانضمامه إلى الحركة الاشتراكية، حيث إنه قد تعرف على شخصيتين هما: سرج بولجاكوف، وليون شستوف صاحب الأبحاث البارزة عن كيرك جورد وتولستوى ودستوفسكى، فشارك فى حركات الطلاب الاشتراكية الديمقراطية، فنفى إلى فولونطا بشمال روسيا، وكان من رفقائه فى المنفى سافنكوف الإرهابى الشهير، ولونتشرسكى الذى صار له فى دولة السوفيت مكانه ظاهرة؛ فأصبح مندوب الشعب فى التعليم العام.

وكانت روسيا فى ذلك الحين تجعل قبلتها الروحية الأولى ألمانيا؛ فكان للفكر الألمانى أخطر الأثر فى التكوين الروحى لنقولا بيرد يائيف، فلم يكد يطلق سراحه من منفاه حتى ارتحل إلى ألمانيا للدراسة فى جامعاتها سنة ١٩٠٣م وبخاصة فى هيدلبرج ذات العراقة الموغلة فى تقاليد الحكمة

(١) عاصمة جمهورية أوكرانيا الاشتراكية على نهر الدنيير من أكبر المدن الروسية .

والمعرفة الإنسانية. وهناك نأى بيرد يائيف - الذى حاول التوفيق بين (ماركس)[١]و(كانط)[٢]- عن الماركسية سنة ١٩٠١م، وعاش من سنة ١٩٠١م إلى سنة ١٩٠٨م فى (بطرسبرج)[٣]، وشارك فى حركة التجديد الروسى، وفى سنة ١٩٠٩م أقام فى موسكو، وأسهم فى حركة الإصلاح، وانتخب نائبًا فى (مجلس الجمهورية)، وفى سنة ١٩١٩م أنشأ الأكاديمية الحرة للثقافة الروحية، وفى سنة ١٩٢٠م صار أستاذًا فى جامعة موسكو حيث ألقى محاضرات نشر بعضها فى سنة ١٩٢٩م فى برلين تحت عنوان (معنى التاريخ)، ولكنه طرد من روسيا سنة ١٩٢٢م؛ لمعاداته للشيوعية، فعاش فى برلين إلى سنة ١٩٢٤م؛ ومن ثم انتقل إلى باريس فى نفس السنة، حيث عاش فيها حتى وفاته فى ٢٢ مارس ١٩٤٨م[٤].

ثانيًا : مؤلفاته:

كتب (بيرد يائيف) عددًا كبيرًا من الكتب والمقالات، ترجم معظمها إلى لغات عديدة، ومنها حسب تاريخ صدورها:

١- ١٩٠٠م أصدر كتابًا بعنوان (الذاتية والمثالية فى الفلسفة الاجتماعية).

٢- ١٩٠٧م كتب (الوعى الدينى الجديد والمجتمع)، وفى نفس السنة أصدر كتاب (فلسفة الحرية).

٣- ١٩١١م أصدر كتاب (معنى الإبداع).

---

(١) كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) هو زعيم الشيوعية العصرية، ولد من أبوين يهوديين، له كتب أهمها (رأس المال). راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم. ص ٤٠١ .

(٢) إمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) فيلسوف مثالى صاحب نظرية المذهب النقدى. راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٣٧٢ .

(٣) لينينجراد حاليًا .

(٤) راجع: (نيقولا لوسكى) تاريخ الفلسفة الروسية، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة زكى نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .

٤- ١٩٢٢م أصدر كتاب (فلسفة المساواة).

٥- ١٩٢٣م أصدر الكتب التالية: (تصور دستوفسكى للعالم)، و(معنى التاريخ).

٦- ١٩٢٤م أصدر كتاب (فلسفة الروح الحر، إشكالات واعتذارات مسيحية) فى مجلدين، وأصدر كتاب (عصور وسطى جديدة).

٧- ١٩٢٩م أصدر كتاب (مصير الإنسان)، وكتاب (مقال فى علم الأخلاق المتناقض).

٨- ١٩٣١م أصدر كتاب (الذات وعالم الأشياء).

٩- ١٩٣٧م أصدر كتابىّ (الروح والواقع) و(أسس الواقع الإنسانى الإلهى).

١٠- ١٩٣٩م أصدر كتاب (عبودية الإنسان وحريته).

١١- ١٩٤٦م أصدر كتاب: (الفكرة الروسية)، وفى سنة ١٩٤٧م أصدر آخر كتبه وهو (مقال فى الميتافيزيقا الأخروية)[١].

ثالثًا: فكره ومنهجه:

يتجلى فكره فى عدة أمور، منها ما يلى:

١- أطلق (بيرد يائيف) على نظريته: (التعددية الواحدة)، وفى ذلك يقول:

«والإنسان نواة هذه النظرية، وهو فرد فريد يحقق إمكانياته بالتفاعل والتواصل باستمرار بالآخرين وبالله»[٢].

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٣٤٥، والموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٤٦٠ .

(٢) راجع: د. عبد المنعم الحفنى، الموسوعة الفلسفية، نقلاً من كتاب بيرد يائيف (مصير =

٢- ادعى أن عبادة الله ليست هى الغاية، وفى ذلك يقول: «أكمل شخصية هى الله، وعبادته ليست الغاية الموضوعية للناس، لكنها المشاركة الذاتية منهم فى كل فعل خلاق، والإنسان ذات لكن ليست كل ذات شخصية، والذات لا تكون شخصية إلا عندما تفعل فى حرية لتحقق نفسها، وليست لتحقيق أهداف مجردة أو مفروضة عليها، والمجتمع الأصيل هو المجتمع الذى يهيئ للذوات فرص تحقيق نفسها لتصبح شخصيات».

٣- محاولته التوفيق بين الدين والوجودية، ومزجهما جميعًا بالماركسية ببرنامجها الاقتصادى والاجتماعى، ولكنه يرى أن الماركسية تقود إلى إهدار الحرية الشخصية، ويرى ويشعر بضرورة الحرية، حيث يدعى أن هذه الضرورة ناتجة عن أن هذا الإنسان قد صنع على صورة الله ومثاله[1]، على حد زعمه.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى: « يحاول بيرد يائيف أن يوفق بين الدين والاشتراكية، كما حاول أن يوفق بين الدين والوجودية، شأنه شأن جابرييل مارسيل المفكر الفرنسى الوجودى الكاثوليكى... لكنه من أجل هذا يضطر إلى ألوان من التأويل لكلا الطرفين المتباعدين حتى تتم المساومة. وفى هذا التأويل من المغالاة والبعد عن الفهم المستقيم ما يخشى معه تشويه الجانبين، على الرغم مما يحتال به هنا من إيغال فى التمييز ووضع الفروق الدقيقة؛ حتى يلبس عليك الأمر فترافقه على مبتغاه. ومن هنا كان ثمة ما يدعو إلى التحصن من مكره الخفى فى كثير من الأحيان، خصوصًا وأن له مهارة فائقة فى العرض والتحليل، بحيث يغرى بك - إن لم تكن متنبهًا - إلى أن تسايره حتى النهاية؛ فتمالئه على نتائجه»[2].

= الإنسان)، ص ٣٤ - ٣٥ .

(١) المرجع السابق، ص٣٦ .

(٢) د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٣٨، ٢٣٩) .

٤- سلب هيمنة الله (سبحانه وتعالى) على الوجود، وفى ذلك يقول: «لا يمكن أن يكون الله الخالق مسئولاً عن الحرية التى ينشأ عنها الشر»[١].

ويقول أيضًا: «الله الخالق قادر قدرة تامة على الوجود وعلى العالم المخلوق، ولكن لا سلطان له على اللاوجود أو على الحرية اللامخلوقة»[٢].

هذه بعض أفكاره، استقيناها من كتبه، والتى أوردنا منها بعض النصوص، والمتمعن لهذه النصوص يرى فيها من مجانبة للصواب وزيغ عن الحق الذى قررته العقيدة الصحيحة، العقيدة الإسلامية، والمتمثل بما يلى:

أ- تشير العقيدة الإسلامية ممثلة فى دستور هذه الأمة (القرآن الكريم)، وفى دراسته عن الوجود الإنسانى إلى أن هناك هوة وجودية سحيقة بين وجود الله ووجود الإنسان، ولا يمكن بأية حال أن نضع جسرًا بين ذينك الوجوديين، بمعنى: أن يدعى بعض البشر أن وجودهم قارب وجود الخالق، أو أنهم والخالق - جل وعلا - صورة واحدة، إلى غير ذلك من التعابير الفاسدة والاصطلاحات الموضوعة كما يزعم الوجوديون المسيحيون.

ب- إن غاية الإنسان ووجهته، ومنتهى أمله، هى حسن الصلة بالله - تبارك وتعالى - والحصول على مرضاته، وطريق ذلك عبادته وحده لا شريك له. فالإنسان لم يخلق عبثًا ولم يترك سدى؛ وإنما خلق لغاية وحكمة، وادعاء (بيرد يائيف) أن عبادة الله ليست الغاية الموضوعية للناس هو امتداد للنظرية المادية الملحدة التى لم تعرف للإنسان غاية؛ لأن الغاية

---

(١) بيرد يائيف، نقلاً من كتاب نيقولا لوسكى (تاريخ الفلسفة الروسية) ص ٢٦٢، نقلاً من كتابه (مصير الإنسان).

(٢) بيرد يائيف، نقلاً من كتاب نيقولا لوسكى (تاريخ الفلسفة الروسية) ص ٢٦٢، نقلاً من كتابه (مصير الإنسان).

تقتضى قصدًا، والقصد يقتضى قاصدًا، وهى تنكر أن يكون الإنسان قد خلق قصدًا؛ ولهذا فليس للإنسان - فى نظرها - رسالة غير رسالة الكدح وراء العيش، فهو يعيش لنفسه فقط ومتاع دنياه، فإذا مات فقد انتهى كل شىء فى وجوده.

ج- ينكر الفيلسوف الروسى الوجودى، قدرة الله الشاملة، وعلمه المحيط بكل شىء، وهيمنته على الكون كله، معتقدًا أن الحرية لا يمكن أن تخلق، وأنها لو كانت مخلوقة لكان الله مسئولاً عن الشر الكونى؛ فتصبح العدالة الإلهية أمرًا محالاً، على حد زعمه، وسفسطة هذا الفيلسوف ليست وليدة يومه؛ بل امتداد لادعاءات باطلة قال بها المعتزلة - معاذ الله - والله سبحانه وتعالى عالم بكل شىء، ما كان وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون؟ قال - الله تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[2]، وقال -تعالى-: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ﴾[3]، وقال -تعالى-: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4]، فالله - سبحانه وتعالى - مهيمن على هذا الكون وما احتوى عليه قبل خلقه وبعده.

* * *

(١) سورة فاطر، آية ٣٨ .
(٢) سورة طه، آية ٧ .
(٣) سورة التغابن، آية ٤ .
(٤) سورة الملك، آية ١٤ .

المبحث الثالث
كارل ياسبرز
(١٨٨٣-١٩٦٩م)

أولاً : حياته:

هو أحد الفلاسفة الوجوديين، ومن أغزرهم إنتاجًا، وأوضحهم تفكيرًا، وأوسعهم اهتمامًا، وأقربهم إلى التفكير الإنسانى العام، ليس فيه غموض هيدجر، ولا جفاف لغته ولا ضراوة مصطلحاته، وليس فيه عبث سارتر ولا دعاواه الفجة، وليس فيه تخلخل التحليل وتهلهل التفكير اللذان يميزان جابرييل مارسيل.

ولقد كان كارل من أشد الفلاسفة تأثرًا بكيرك جورد؛ فقد عنى به منذ بداية اتجاهه الفلسفى، وأخلص له، وإن لم يطرق الموضوعات التى طرقها وبالطريقة التى لجأ إليها[١].

وكارل ياسبرز ألمانى الجنسية، ولد فى ٢٢ فبراير (شباط) ١٨٨٣م فى (أولدينبرج)[٢]، وأمضى طفولة هادئة، مقيمًا معظم الوقت فى الريف، أو على شواطئ بحر الشمال، ورباه والده على حب الحق والإخلاص فى العمل، دون الارتباط بمراسم دينية، فيما عدا قليلاً من الطقوس البروتستانتية، ثم درس فى مدارس أولدينبرج[٣].

درس القانون والطب فى جامعات (هيدبرج)[٤]و(ميونخ)[٥]و(برلين)[٦].

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ١٣٢) .
(٢) مدينة شمال غرب ألمانيا .
(٣) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ١٣٢) .
(٤) مدينة ألمانية على نهر نيكر .
(٥) مدينة ألمانية على نهر أيبر .
(٦) عاصمة ألمانيا الشرقية سابقًا .

وحصل على شهادة الطب من (هيدبرج) سنة ١٩٠٩ م.

ولم يكن طريقه المعتاد الذى يسلكه أساتذة الفلسفة، فلم يتخصص فى الفلسفة فى الجامعة، فقد تخصص فى الطب - كما سبقت الإشارة - فلقد بدا له أن الفلسفة كالشعر لا يمكن أن تكون دراسة للتخصص يصبح المرء بعدها فيلسوفًا، بيد أنه كان فى عهد الطب مشغولاً بالمسائل الفلسفية.

فاهتم بأفكار الفلاسفة، وخاصة أفكار رائد الوجودية (كيرك جورد)، كما أنه فى مجال الطب كان يطمح إلى أن يكون أستاذًا فى كلية الطب، وأستاذًا لعلم النفس والأمراض العقلية، وفعلاً بدأ منذ سنة ١٩٠٩م ينشر أبحاثًا فى الأمراض النفسية، وفى سنة ١٩١٣م حصل على دكتوراة التأهيل لتدريس علم النفس. ولم يكن ياسبرز يهتم بالسياسة ولا الأحوال الاجتماعية؛ بل كان يكرس كل تفكيره لأعمال الروح، أعنى للبحث العلمى الخالص فى ميدان العلوم النفسية والأمراض العقلية، إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م فشعر شعورًا عنيفًا بما للمشكلات السياسية والتاريخية والاجتماعية من أهمية بالغة التأثير فى حياة الإنسان، هنالك أحس بأهمية الفلسفة؛ فسعى إلى دراستها، وحصل على كرسى الأستاذية فى الفلسفة ١٩٢١م حتى إذا شارف الأربعين كرس جهده كله لها، فجعلها واجبه وغايته.

وقد مات فى ٢٦ شباط ١٩٦٩م[١].

ثانيًا: مؤلفاته:

يعد (ياسبرز) من أغزر الفلاسفة الوجوديين إنتاجًا؛ حيث تزيد مؤلفاته عن الثلاثين، بعضها يزيد عن ألف صفحة، غير أن أهم كتبه حسب الصدور ما يلى:

١- ١٩١٣م صدر كتاب (طب الأمراض النفسية العام).

---

(١) راجع: معجم الفلاسفة (جورج طرابيشى)، ص ٦٨٠ - ٦٨١ .

٢- ١٩١٩م صدر كتاب (سيكولوجية النظرات الفلسفية العامة عن الحياة).

٣- ١٩٣٢م صدر كتاب (فلسفة) فى ثلاثة مجلدات.

٤- ١٩٤٧م صدر له كتاب (المنطق الفلسفى).

٥- ١٩٤٨م صدر كتاب (المجال الدائم للفلسفة).

٦- ١٩٤٩م صدر كتاب (أصل وهدف التاريخ).

٧- ١٩٥٠م صدر له كتاب (الطريق إلى الحكمة).

٨- ١٩٥٧م صدر له كتاب (مستقبل الإنسانية)، وفى نفس السنة صدر له كتاب (الفلاسفة العظام)[١].

ثالثًا - فكره ومنهجه:

يتحدد فكره فى عدة أمور، منها:

١- يزعم أنه يؤمن بأن هناك وجودًا أعلى هو (الله)، ولكنه يتناقض عند تعريفه لخالقه؛ حيث يرى أن لكل إنسان إلهًا، يقول: «أنا واثق من أن الله موجود بالإرادة التى تجعلنى موجودًا، وثقتى هذه لا تسمح لى بأن أجعل الله فى محتوى لمعادلة من المعادلات، أو قانون من القوانين، ولكنها تجعل منه حضورًا للوجود»[٢].

٢- أنه يزعم أن الوصول إلى الله باجتهاد شخصى وليس عن طريق الأنبياء؛ فالطريق إلى الله - كما يدعى - طريق شخصية بحتة، يبلغها الإنسان بالكفاح والمجاهدة فى سبيل الوصول، ولا يتلقاها كما يتلقى الهواء والنور، فإلهه غير إله الآخرين، لا يشاركه فيه أحد - نعوذ بالله - وهو يرى

---

(١) راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٦٨١ .
(٢) كارل ياسبرز (فلسفة)، ص ٥٦، نقلاً من كتاب (معنى الوجودية)، ص ٧٤ .

أن على المرء أن يتوجه وحيدًا إلى الله، وأن يحيا حياته مستقلا عن الآخرين؛ فلا ينجرف بالعقلية (القطعانية)، فإذا لم يحتفظ بوحدته واستقلاله، فَقَدَ أصالته ووجوده العميق، وفقد بالتالى الشعور بالمخاطرة، وهو شعور أساسى لتحقيق معنى الوجود[١]، على حد زعمه.

٣- يزعم أيضًا أن الدين قضية شخصية بحتة، لا عقيدة عمومية يلزم اتباعها، وعلى حد زعمه فإن الدين فى هذه الحالة لا يبقى دينًا؛ بل يصبح وثنية وخرافة[٢].

٤- يتجنب كلمة (الله) فى بحوثه؛ لزعمه أن لها ارتباطات دينية، ويستخدم بدلاً منها كلمة (الشامل) أو (المحيط)[٣].

٥- التوكيد على أن المعرفة الذاتية هى المنبع الوحيد للحقيقة، والتفكير فى فلسفته يبدأ وينتهى بالذاتية[٤].

٦- يظهر على فلسفته التشاؤم والضياع، والإيمان بدعوى المصادفة، حيث يقول: «لقد وجب أن أموت، ووجب أن أتألم، ووجب أن أناضل، وإننى خاضع للمصادفة، مأخوذ بصورة ضحية بشباك الإثم والشعور بالجريمة»[٥]، ويقول أيضًا: «إن التوق إلى الضياء والوضوح شىء لا فائدة منه؛ فنحن نسير فى ظلمة الإيمان، وعندما نحس أننا على ثقة من أنفسنا فقد أصبحنا تمامًا فى وسط المتاهة»[٦].

---

(١) راجع: بولس سلامة، (الصراع فى الوجود)، دار المعارف بمصر، ص ٢٥٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٣) راجع: فؤاد كامل، مدخل إلى فلسفة الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص٩ .

(٤) راجع: جان فال، ما هى الوجودية، ترجمة عبد المنعم الحفنى، مدبولى ١٩٧٧م، ص ٥ .

(٥) كارل ياسبرز (فلسفة)، ص ١٩، نقلاً من كتاب (معنى الوجودية)، منشورات مكتبة الحياة، ص ٧٣، ٧٤ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

النقد:

هذه هى أهم النقاط التى وردت فى أفكاره، وهى أفكار مضطربة ومنهج متناقض؛ حيث أنكر الإيمان بالله وجحد الرسالات السماوية، وادعى أن الدين خرافة، وهى دعاوى باطلة، وهى آراء الشيوعيين الذين كذبوا وضلوا ضلالاً مبينًا. فالدين هو شريعة الإصلاح، وهو الناموس الخالد لدعوة التجديد والبناء والنهضة والحضارة، والمنبع الأزلى للحقيقة والإيمان والعدالة؛ فليس هو خرافة - كما يدعى ياسبرز وأنصاره من دعاة الوجودية والإلحاد - ومحاربة الدين باسم الذاتية والمدنية والحرية، والإنسان فى هذه الحياة فى أمس الحاجة إلى الدين؛ فإن فى الإنسان غرائز وطبائع مختلفة، جسمية ونفسية، وللجسم حاجاتٌ، وللنفس ميول ورغبات، وقد تجمح هذه الغرائز؛ فتضل وتتعدى الحدود فتظلم، فلم يتركها الله - سبحانه وتعالى - دون أن يضع لها الحدود، وينظم لها أساليب الحياة، وأساليب العلاج. والله سبحانه وتعالى هو العليم بما أودع فى الإنسان من قوى، وركب فيه من غرائز، وهو اللطيف بخلقه، والمدبر لعباده بحكمته، فوضع له ما شاء من نظم للعبادة، وما شاء من نظم للمعاملات، وأرشده إلى أصول الأخلاق، وصحح له العقيدة فى الكون وخالقه، وفرض عليه أنواعًا من العبادات هى علاج للجسم، وعلاج للنفس، ورياضة للقوى الجسمية والروحية، فآمن بها أهل الإيمان، وأنكرها الكافرون، وازدراها العابثون، وما بالله حاجة إلى عبادة الناس، وإلى شكر الناس؛ فهو الغنى عن العالمين، قال -تعالى-: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1]. وهذه الشعائر وما يتصل بها هى الدين. فكيف يكون خرافة؟! إذن الدين هو مصدر القوة المعنوية فى الأمم، ومهذب الأخلاق والنفوس فى الجماعات، وقائد الناس إلى الخير والإيثار

---

(١) سورة الزمر، آية ٧ .

والمعروف، وإلى الإيمان والأمن والسلام، وإلى العلم والحضارة، والعزة والمنعة، والسمو الروحى، والطمأنينة النفسية، وهو المرشد إلى الرحمة والإخاء والتعاون، والموجه إلى المثل العليا والفضائل الإنسانية المهذبة، وإلى خدمة البشرية كافة، والداعى إلى أداء الواجب، والشعور بالمسئولية، وإرضاء الضمير، والنأى عن الشبهات، والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الجماعة وخيرها.

وبهذا ندرك أن الدين هو الذى يدل الناس إلى الحق والآداب والفضائل والأخلاق، والشعائر والشرائع، وإلى وسائل العزة والكرامة والصلاح فى الدنيا. وهو فوق ذلك يهدينا إلى السعادة فى الآخرة، وإلى الوسائل التى تبلغنا رضاء الله ومثوبته وجناته ونعيمه ورضوانه، فهل بعد هذا يكون الدين خرافة؟!

لقد آمنا بالله ربًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن وحيًا منزلاً من السماء، ولن نؤمن بخلاف ذلك مهما قال الوجوديون وأذنابهم من الضالين عن طريق الحق، وصدق الله العظيم حيث أمر باتباع الدين، وفرضه على العالمين فقال: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

* * *

(١) سورة آل عمران، آية ٨٤ .

المبحث الرابع
مارتن هيدجر
(١٨٨٩-١٩٧٦م)

أولاً : حياته:

مارتن هيدجر أكبر الفلاسفة الوجوديين من غير شك؛ فهو الذى أقام بنيان الوجودية مذهبًا شامخًا يضارع أكبر المذاهب الفلسفية التى عرفت على مدى التاريخ، وهو الذى وضع مذهبًا كاملاً فى الوجود بوجه عام، فبحث فى موضوع الفلسفة الأولى، ولم يقتصر مثل كيرك جورد وياسبرز على تحليل المواقف الوجودية؛ حيث إن هيدجر يفرق بين الوجود وبين وجود الموجود، فالموجود يشمل كل الموضوعات والأشخاص، وأما وجود الموجودات فهو كونها موجودة، ووجود الأشياء غير الأشياء نفسها، وغير فكرة الموجودات أيضًا[١].

وقد ولد (مارتن هيدجر) فى ٢٠ سبتمبر ١٨٨٩م فى (مكرش)[٢]لأسرة عميقة الجذور فى المدينة، وكان أبوه أمينًا لخزانة قديس المدينة، وكانت ديانتهما كاثوليكية.

حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٠٩م والتحق بجامعة (فريبرغ)، وحصل على الدكتوراة سنة ١٩١٣م، وأصبح مدرسًا ثم أستاذًا فى الجامعة بعد تقاعد (هوسلر)[٣]ومنح كرسى الأستاذية، وعندما تولى (هتلر)[٤]زمام

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٨٨، ٨٩) .

(٢) مدينة صغيرة فى مقاطعة بادن بألمانيا .

(٣) آدمند هوسلر (١٨٥٩ - ١٩٣٨م) فيلسوف ألمانى مذهبه (الظاهرية). راجع: المعجم الفلسفى، جميل صليبا، ج٢، ص ٣٥ - ٣٦

(٤) أدولف هتلر (١٨٨٩ - ١٩٤٥م) دكتاتور ألمانى، زعيم الحزب النازى، شن حربًا على الشيوعيين فطردهم من الوظائف الحكومية، ونكل باليهود، وأشاع الإرهاب بحمام دم، =

السلطة سنة ١٩٣٧م قبل (هيدجر) منصب مدير جامعة (فريبرغ)، ورحب بتولى هتلر السلطة، وأثنى على إلغاء الحرية الأكاديمية، وقطع علاقته بـ(هوسلر)؛ لأنه لم يكن نازيًا، وعين (هيدجر) عضوًا بالحزب النازى. لكن تدخل الحزب فى شئون الجامعة، وإقالة الأساتذة المعارضين - جعلت هيدجر يستقيل من الجامعة كمدير، وبقى يدرس فيها، وبعد نهاية الحرب منعه الاحتلال الفرنسى من العودة للتدريس، وأمضى حياته فى بيته إلى أن توفى سنة ١٩٧٦م فى (مكرش) مسقط رأسه(١).

ثانيًا : مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة ورسائل عديدة، من أهمها(٢).

١- ١٩٢٧م أصدر كتاب (الوجود والزمان).

٢- ١٩٢٩م أصدر كتاب (ما الميتافيزيقا)؟ وأصدر كتاب (كانت ومشكلة الميتافيزيقا).

٣- ١٩٣٠م أصدر كتاب (ما هى الحقيقة؟).

٤- ١٩٣٥م أصدر كتاب (أصل العمل الفنى).

٥- ١٩٤٢م أصدر كتاب (نظرية أفلاطون فى الحقيقة).

٦- ١٩٤٩م أصدر كتاب (رسالة فى النزعة الإنسانية).

٧- ١٩٥٣م أصدر كتاب (مدخل إلى الميتافيزيقا).

= ونصب نفسه قائدًا للجيش الألمانى؛ مما أدى إلى نتائج وخيمة، فهزمت ألمانيا على يد الحلفاء؛ فانتحر هتلر فى برلين سنة ١٩٤٥م. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٨٩١ .

(١) راجع: (مارتن هيدجر)، ترجمة فؤاد كامل ومحمود رجب، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٧ - ١٠ .

(٢) راجع: مجاهد عبد المنعم مجاهد (هيدجر راعى الوجودية)، دار الثقافة، القاهرة، ص ١٠ - ١١ .

٨- ١٩٥٥م أصدر كتاب (ما الفلسفة)؟

٩- ١٩٥٨م أصدر كتاب (سؤال الوجود).

١٠- ١٩٦١م أصدر كتاب (نيتشه).

ثالثًا : فكره ومنهجه:

تبرز أفكاره ومنهجه فى عدة نقاط، نورد منها ما يلى:

١- تأثر بمفهوم الوجود عند (كيرك جورد)، ومع ذلك حاول أن يأتى بلغة فلسفية جديدة تعبر عن عمق الوجود الفردى - بصفة خاصة - وقام تلميذه (سارتر) بتأليف كتاب (الوجود والعدم) يشرح فيه أفكار سيده (هيدجر).

٢- المعرفة عنده ليست عملية عقلية، أو تجربة حسية، بل هى معرفة وجودية، أو الوجود فى العالم؛ ولذلك فإن منهجه هو منهج وجودى مبنى على تفكير ميتافيزيقى[1].

٣- فكرة (العدم) هى السمة الرئيسية لأفكار هذا الفيلسوف الوجودى؛ فهو يرى أن الحياة محددة فى الزمان والمكان، والإنسان جاء إلى هذا العالم بدون إرادته، فكأنه قذف إليه قذفًا، ولا يشعر الإنسان فى هذا العالم أنه عالمه أو بيئته، فهو غريب عنه؛ لأنه - على حد زعمه - لا جذور له تشده إلى الأرض، فالحياة فى نظره محدودة بالزمان والمكان، ومثل هذه الحياة فى نظره مفزعة؛ إذ تصبح حقيقة الذات الجوهرية الأساسية هى الاتجاه نحو (العدم). يقول (هيدجر): «حينما يستولى على أنفسنا الشعور بالقلق، فهنالك لا بد من أن ندرك أنه قد قذف بنا إلى هذا العالم على الرغم منا، وأنه قد خلى بيننا وبين ذواتنا، وأننا مهجورون لا نجد خلفنا أية دعامة

---

(١) راجع: هيدجر، نداء الحقيقة، ترجمة عبد الغفار مكاوى، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٧م، ص ٢٣ .

نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أى هدف ننزع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة تعيننا على التحكم فى مصيرنا»[(١)]. ويقول -أيضًا-: «كلنا سنموت، وما سيبقى من أجسادنا بعد الموت حفنة تراب لا تشمل ذاتنا»[(٢)].

٤- نقد أفكار الفيلسوفين (هوسلر) و(هيجل)؛ لإهمالهما وجود الفرد، كما نقد (ديكارت)[(٣)]؛ لأن مذهبه مبنى على الحقيقة العقلية[(٤)].

النقد:

هذه هى أبرز أفكار هذا الفيلسوف الملحد، وهى تدل على مدى القلق والحيرة والغربة والتشاؤم واليأس المتمكن فى فكره، المبنى على الإلحاد العميق. فهو ينكر كل ما تعارفت عليه الأديان من علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الله بالعالم، وعلاقة الإنسان بفكرة التكليف والعقل، وينكر -أيضًا- كل عقيدة ترتبط بفكرة النبوات والسمعيات، وما فلسفته العدمية إلا امتداد لمواقف الطبيعيين والدهريين الذين قال الله -تعالى- فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٥)].

---

(١) هيدجر، نقلاً من كتاب (دراسات فى الفلسفة المعاصرة)، د. زكريا إبراهيم، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢) هيدجر، نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى) للأستاذ/ محمد الفيومى، ص ١٢٥.

(٣) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) فيلسوف فرنسى صاحب المذهب العقلى. له كتاب (المقال فى المنهج)، وكتاب (التأملات). راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٢٧٠.

(٤) راجع: (هيدجر)، (رسالة فى النزعة الإنسانية)، ص ١٩٣، نقلاً من كتاب (هيدجر راعى الوجودية)، مجاهد عبد المنعم.

(٥) سورة الجاثية، آيات ٢٤ - ٢٦.

المبحث الخامس
جابرييل مارسيل
(١٨٨٩-١٩٧٣م)

أولاً : حياته:

فيلسوف وكاتب مسرحى، ولد فى ٧ ديسمبر ١٨٨٩م فى باريس فى جو من التجريد الروحى الذى يهزأ بالتجربة، ويعيش فيما وراءها متجاوزًا عالمه اليومى، وأولع بالأفكار والصور العقلية، ومناداة المجهول المستتر منذ بدء تفكيره؛ فلم يحفل إلا بالمفكرين الصوفيين(١).

وكان أبوه كاثوليكى المولد والمنشأ، ولكنه سرعان ما انفصل عن الدين مؤثرًا اللاإرادية التى دعا إليها تين وسبنسر ورينان، على الكاثوليكية التى رآها حافلة بالأساطير غير المعقولة، ومع هذا لم يكن شهوانى المنزع، بل كانت حياته تتسم بالضبط والقناعة والحرص على أداء الواجب(٢)، وأمه التى ماتت وهو فى الرابعة من عمره كانت من أصل يهودى، وسليلة عائلة يهودية ، وقد اعتنقت البروتستانتية فى أشد أنواعها تحررًا من العقائد الجامدة، وكانت تؤثر الشعراء المتشائمين فى القرن التاسع عشر من ألفرد دى حتى مدام آكرمن؛ لأن شعورها بأن الحياة خلو من المعنى كان يسيطر عليها، وكانت تعشق الاستقامة الخلقية.

ولد جابرييل ابنًا وحيدًا لوالديه، وكان أبوه موظفًا كبيرًا فى الحكومة الفرنسية، تقلب فى عدة وظائف دبلوماسية، وكان مستشارًا للدولة، ومديرًا لأكاديمية الفنون الجميلة، ومديرًا لدار الكتب الوطنية، وواحدًا من كبار المثقفين فى عصره، ثم عين فى سنة ١٨٩٨م وزيرًا مفوضيًا فى استوكهلم

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٤٠) .

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٤٠) .

بالسويد، وجابرييل فى التاسعة من عمره، وقد تركت هذه الفترة أثرًا فى نفسه.

وعاش جابرييل بحكم عمل والده فى كثير من البلدان الأوربية حتى عاد إلى باريس بعد أن أقام فى السويد ثمانية عشر شهرًا، وهنا أحس بالضيق؛ لأنه دخل الليسيه، والليسيه تضاد الحياة الحرة الشخصية المفتوحة على المجهول التى عاشها فى استوكهلم حرًا من الدراسة[١].

ثم دخل جابرييل جامعة (السوربون) حيث حصل على ليسانس الفلسفة، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره كتب رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا، ثم عين مدرسًا للفلسفة فى قندوم سنة ١٩١٢م وفى باريس سنة ١٩١٥-١٩١٨م، وفى صانص ١٩١٩-١٩٢٢م.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، اتضح أنه لا يصلح للخدمة العسكرية، فالتحق بالصليب الأحمر الدولى، فكان أكبر أسباب وقوعه فى شرك الوجودية؛ حيث هيأ له ذلك أن يعانى الحرب من زاويتها الوجودية لا السياسية، من حيث تأثيرها فى النظام الأخلاقى للإنسان.

واستقر فى باريس نهائيًا سنة ١٩٢٢م، فأشرف على بعض السلاسل الأدبية، واشتغل بالنقد المسرحى فى الصحف والمجلات حيث حصل على الجائزة الأكاديمية الفرنسية للأدب سنة ١٩٤٨م، والجائزة الوطنية الكبرى الفرنسية سنة ١٩٥٨م، وعين عضوًا فى أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية فى المعهد الفرنسى، ثم انعقدت أواصر الصلة بينه وبين الناقد الكاثوليكى النزعة (شارل دى بوس)؛ فتأثر مارسيل بنزعته الكاثوليكية، وبمناسبة رسالة كتبها إليه القصصى المعروف فرانسوا مورياك اعتنق جابرييل الكاثوليكية فى سنة ١٩٢٩م، وفى سنة ١٩٣٧ حصل على جائزة بربيه الأدبية، وفى سنة

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٤٠، ٢٤١).

١٩٤٨م نال جائزة الأكاديمية الفرنسية للأدب، وفى سنة ١٩٥٦م حصل على جائزة جيته الهانزياسيه، ثم حصل على الجائزة الوطنية الكبرى الفرنسية سنة ١٩٥٨م، ثم عين فى سنة ١٩٥٢م عضوا فى أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية فى المعهد الفرنسى [(١)].

ومات فى ٨ تشرين أول سنة ١٩٧٣م[(٢)].

ثانيًا : مؤلفاته:

يعد (مارسيل) مؤلفًا مسرحيًا وافر الإنتاج، مثلت مسرحياته فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسائر أوربا. وقد نشر يومياته فى مجلدين أحدهما نشر سنة ١٩٢٧م بعنوان (يوميات ميتافيزيقية)، والثانى نشر سنة ١٩٣٥م بعنوان (الوجود والملك). وله بالإضافة إلى هذين المجلدين الكتب الفلسفية التالية، والتى هى عبارة عن مجموعة من المقالات والأبحاث، وهى:

١- ١٩٤٠م نشر كتابًا بعنوان (من الإباء إلى النداء) يحتوى على ٣٢٧ صفحة.

٢- ١٩٤٤م أصدر كتاب (الإنسان المسافر) فى ٣٥٩ صفحة.

٣- ١٩٤٥م جمع بحوثًا سبق نشرها له فى مجلة (الميتافيزيقا والأخلاق) سنة ١٩١٧م، وأصدرها بعنوان (ميتافيزيقا رويبس).

٤- ١٩٥٠م أصدر كتابًا بعنوان (سر الوجود)، وهو فى جزأين: أحدهما يتكلم عن التأمل والسحر، والثانى عن الإيمان والواقع.

٥- ١٩٥١م نشر كتابًا بعنوان (الناس ضد ما هو إنسانى).

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، دراسات فى الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م، ص ١٩٢ - ١٩٤.

٦- ١٩٥٥م أصدر كتاب (الإنسان المشكل).

٧- ١٩٦٤م أصدر كتابًا فى ٢١٩ صفحة بعنوان (الكرامة الإنسانية)[١].

ثالثًا : فكره ومنهجه:

إن المتتبع لحياة (جابرييل مارسيل)، والمطلع على أفكاره ومنهجه، يدرك أن صدى الوجودية العميق فى فلسفته يرجع لأمرين، هما:

١- حياته، فقد تربى فى جو متوتر جاف، فوالده ملحد، وأمه يهودية أولاً ثم بروتستانتية ثانيًا؛ فكان لإحساسه بالفراغ الدائم الأثر العميق عليه.

٢- عمله أثناء الحرب العالمية الأولى فى دوائر الصليب الأحمر، وفى مكتب (استعلام المفقودين) وقد حز فى نفسه أن يرى هؤلاء المفقودين إلى غير عودة، على حد زعمه.

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نجد لجابرييل أثرًا فلسفيا على هيئة كتاب، وإنما كل إنتاجه يوميات أو مقالات؛ ولهذا يصعب على المرء - بل يستحيل عليه - أن يتخلص من مؤلفاته مذهبًا محكم الأجزاء معمارى البناء شأن الفلاسفة، فهو صاحب خواطر وشذرات؛ ولهذا جاءت فلسفته غير تامة... ومن هنا لا يمكن عرضها إلا فى تقريبات وكمناظر جانبية من مجموعها تتألف صورة[٢].

هذا، وقد تأثر (مارسيل) بأسلافه ومعاصريه من الوجوديين، وهو يؤمن بجميع المقالات والمفاهيم الوجودية التى تؤكد على الذاتية وترفض العقل، والإيمان عنده يتجدد بالمشاركة، وفكرة المشاركة من الأفكار الأساسية فى مذهبه، ويقصد بها مفهومها فى الأفلاطونية المحدثة، بمعنى: أننا نشارك

---

(١) راجع: كتاب (المرجع فى الفكر الفلسفى)، د. نوال الصايغ، دار الفكر العربى، ص ٢٤٨ .

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٤٢) .

فى الكون - على حد زعمه - وأن بضعة منا تضم بضعة من الكون. يقول مارسيل: «الإيمان هو شعور المرء أنه بمعنى ما فى داخل الألوهية»[١]، ويقول -أيضًا- عن المشاركة: «تلك العلاقة بين الحرية الإنسانية والحرية الإلهية التى هى السر المركزى فى الديانة المسيحية»[٢].

وهو يرى -أيضًا- أن الوجودية تدور حول الجسد، فالجسد عنده غير مرتبط بصور سابقة لوجوده، بل هو عمارة قائمة لا صلة لها بالمهندس الذى أقامها، ولا تعترف به ولا بالتصميم الذى أقامها على صورته ورسمه، بل هذه العمارة تهندس نفسها منذ أن اكتشفت وجودها، وعليها أن تخلق عالمها[٣]، (وهذا جحود وكفر).

ولا يخفى ما فى هذه الأفكار من إلحاد وزيغ وضلال، وصدق الله القائل: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[٤].

* * *

---

(١) مارسيل، نقلاً من كتاب (دراسات فى الفلسفة الوجودية)، د. بدوى، ص ١٩٨ .

(٢) مارسيل، نقلاً من كتاب (دراسات فى الفلسفة الوجودية)، د. بدوى ص ١٩٨ .

(٣) راجع: د. عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص ٢١٨ .

(٤) سورة الكهف، آية ٥ .

المبحث السادس
ميرلوبونتي
(١٩٠٨-١٩٦١م)

أولاً : حياته:

(موريس ميرلوبونتى) فيلسوف وجودى، ولد بمدينة (روثغور) سنة ١٩٠٨م، وتلقى دراسته الثانوية (بباريس)، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا. وبعد تخرجه عين معيدًا بهذه المدرسة، وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة (السوربون)، فعين أستاذًا بكلية الآداب بجامعة (ليون) سنة ١٩٤٥م، ثم حصل على أستاذ كرسى سنة ١٩٤٨م، فشارك فى إصدار مجلة (الأزمنة الحديثة) التى أسسها (سارتر)، ودعى إلى جامعة السوربون حيث احتل كرسى الأستاذية من سنة ١٩٤٩م إلى سنة ١٩٥٢م. وبعد ذلك تفرغ للتأليف حتى وفاته التى حصلت فجأة فى الثالث من مايو سنة ١٩٦١م[١].

ثانيًا : مؤلفاته:

كتب (ميرلوبونتى) فى موضوعات كثيرة: سياسية، ولغوية، وفلسفية، وشارك فى الحياة الفكرية الفرنسية، ورأس تحرير مجلة (العصور الحديثة)، وأهم كتبه[٢]:

١- ١٩٤٢م أصدر كتاب (بناء السلوك).

٢- ١٩٤٥م أصدر كتاب (فينومينولوجية الإدراك الحسى).

٣- ١٩٤٧م أصدر كتاب (الإنسانية والرعب).

---

(١) راجع: كتاب (ميرلوبونتى) تأليف أندريه روبينيه، ترجمة جمال الأسود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص ٥ - ٨ .

(٢) راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٦٠٦ .

٤- ١٩٤٨م أصدر كتاب (المعنى واللامعنى).

٥- ١٩٥٣م أصدر كتاب (امتداح الفلسفة).

٦- ١٩٥٥م أصدر كتاب (مغامرات الجدل).

٧- ١٩٦٠م أصدر كتاب (علامات).

٨- ١٩٦١م أصدر كتاب (المرئى واللامرئى).

ثالثًا: فكره ومنهجه:

أبرز ما فى أفكاره ومنهجه الأمور الآتية:

١- أن الحرية عنده هى صميم الوجود البشرى، وهى لا تتطلب دليلاً أو برهانًا؛ لأنه - على حد زعمه - مجرد حضور الذات أمام نفسها ينطوى هو نفسه على الحرية(١).

٢- أبدى (ميرلوبونتى) إعجابه بالماركسية؛ لواقعيتها وربطها بين البشر فى المجتمع الصناعى بروابط خلقية واقعية، وإقامتها الوعى على أساس من الموقف المادى - على حد زعمه - لكنه أنكر عليها إسقاطها للذات الإنسانية، وقولها بوجود منطق وجدل تاريخى، ومع ذلك وافقها أن التاريخ عمل جماعى، لكنه وصفه بأنه عارض غير ضرورى، بمعنى: أنه لا يمكن التكهن بمسيرته؛ فهو إذن يؤمن بضرورة بقاء الماركسية، ويرى أنها التعبير الصحيح عن عقلانية التاريخ وتسلسله المنطقى، وأنها هى الأمل ومصدر الخلاص والتحرر؛ ذلك لأن العمال لن يجدوا حريتهم إلا بها، وبفضلهم سيتحقق التواصل بين أفراد البشر عبر الحدود القومية المصطنعة، وأن عصر ما قبل التاريخ سينتهى وشيكًا، فيبتدئ تاريخ البشرية الحقيقى. والشيوعية - فى نظره - قد أرسلت نداءها وهى تنتظر جواب البشرية

(١) راجع: زكريا إبراهيم فى كتابيه (دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج١، مكتبة مصر، ص ٥٢١)، و (مشكلة الحرية، مكتبة مصر، ص ١٩١ - ١٩٢).

كلها صامتة مترقبة متربصة، وسيشهد العالم كله مستقبلاً جديدًا يصبح فيه كل الناس سواء.

هذا وقد عارض ماركسية (سارتر) ووصفها بأنها (بلشفية)[١] مسرفة، وعبر (بونتى) عن رجائه فى أن تبرز الروح الماركسية الأصلية لتحقق انتصاراتها التاريخية الموعودة[٢].

٣- الفلسفة عنده خبرة معاشة، ومنهجه يقوم على وصف هذه الخبرة المعاشة أو العالم أو الوسط الذى تعايشه.

٤- يدعى أنه قادر على تكوين مذهب فلسفى دون الاستعانة (بفكرة الله)، وليس لديه أدلة يقتنع بها هو نفسه بعدم وجود الله[٣].

بعد هذا العرض السريع لأفكار ومنهج (ميرلوبونتى) أؤكد أنه لم يأت بأفكار إيجابية جديدة، بل هو زاد من سواد الليل الحالك؛ حيث أنكر وجود الله بدون سند أو دليل فلسفى مقنع له أو لغيره، وإن دل هذا على شىء فإنه يدل على الإلحاد السافر الماجن فى أفكاره.

وأما إعجابه بالشيوعية والماركسية، وأنها هى الأمل ومصدر الخلاص والتحرر، وأمنياته ورجاؤه فى بروز الروح الماركسية الأصلية لتحقق انتصاراتها التاريخية الموعودة - فإنى أجد عند عرض هذه المزاعم الباطلة والأمانى الكاذبة فرصة للإشارة إلى مصير الماركسية فى هذا الوقت بالذات، وهل كانت هى الأمل ومصدر الخلاص؟ وأين هى الانتصارات الموعودة؟

---

(١) مذهب شيوعى وضعه لينين يرى استحالة الانتقال طفرة من النظام الرأسمالى إلى النظام الشيوعى، وأنه لابد من دور انتقالى يطبق فيه مذهب الجماعية إلى أن تتغير عقلية الناس. راجع: المعجم الفلسفى، د. مراد وهبة، ط٣، ص ٨٠ .

(٢) راجع: معنى الوجودية، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان ص ٩٧ - ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٩٨ .

إن الأحداث السريعة المذهلة التى تجرى فى قلعة الشيوعية (الاتحاد السوفيتى)، والتى أسفرت عن نهاية الحزب الشيوعى الذى جثم على الاتحاد السوفيتى حوالى سبعين عامًا، وإنهائه فى بضعة أيام، وسقوط هذه القلعة الكبيرة - ليدل دلالة قاطعة على مدى تهافت الماركسية اللينينية التى لم تنشأ وتتم إلا فى ظل عالم تسوده الحرب العالمية، سواء كانت الساخنة أم الباردة، وبعد أن لاحت تباشير عهد جديد من الوفاق العالمى سقطت الشيوعية، وانهارت على الفور دون أن تتحرك جيوش، أو تقصف مدافع أو طائرات، وسقطت أكبر الرموز الحمراء فى تاريخ الماركسية اللينينية.

إن سقوط الحزب الشيوعى ورموزه الحمراء بهذه السرعة المذهلة رغم ضخامة الشعارات، ووسائل التأثير - وهو الحزب الحارس للمذهب الشيوعى الهدام - ليؤكد تأكيدًا لا مراء فيه ولا مجادلة، على أن الشيوعية (أيديولوجية) ضد فطرة الإنسان وطبيعته؛ ولهذا فقد أفلست كمبدأ ونظرية فى التاريخ الإنسانى، وهى مذهب هدام يقوم على الإلحاد، ولا يعترف إلا بالمادة التى تعتبر فى نظر الفكر الماركسى أساس كل شىء، والعامل الاقتصادى وصراع الطبقات هما المصدران الأساسيان لتفسير التاريخ.

وها نحن الآن على مشارف نهاية القرن العشرين، وبعد مضى سبعين سنة نشهد تجارب حصاد هذا المبدأ الهدام، ونخرج بنتيجة لا تقبل الجدل ولا النقاش، مؤداها: أن الشيوعية كانت خدعة كبيرة، ومجرد ضرب من الهوس، وشدة الخراب والتخريب، فجميع التنبؤات التى قدمتها الماركسية انتهت إلى سراب، وتمخضت عن خيال وأوهام.

فقد تنبأت الماركسية بأن التطور الاجتماعى لابد أن يؤدى إلى اختفاء فكرة الدولة، واستحالتها إلى مجتمع بلا طبقات، وإذا بالحقائق التاريخية تثبت العكس تمامًا، بل إن الشيوعيين أنفسهم لم يعتقدوا يومًا بهذه الفكرة الساذجة، كل ما فى الأمر أنهم كانوا يطوعون النظرية لما فيه مصالحهم، بل

جاءت طبقة جديدة أخذت تسيطر على المجتمع بشكل لم يعهد من قبل فى أية دولة من دول العالم.

وقد سقطت جميع ادعاءات (ماركس) التى يأتى فى مقدمتها دعواه أن الماركسية ستأخذ مكانها البارز فى الدول الصناعية، وإذ بنا نرى رأى العين عكس ذلك، بعد أن سجلت الماركسية فشلاً ذريعًا فى جميع دول العالم التى طبقتها، وسادها الفقر والعوز والحاجة والانهيار الاقتصادى الذى لم نشهد له مثيلاً. واتضح لنا بجلاء أن مصير الفلسفة المادية التى روجت لها الماركسية هو التمزق والضياع، وهذا هو المصير المحقق لكل نظرية تخالف الفطرة والسنن الإلهية، وتبقى كلمة الله هى العليا، وكتاب الله صالحًا لكل زمان ومكان، وفيه خير الدنيا والدين.

* * *

المبحث السابع
ألبير كامى
(١٩١٣-١٩٦٠م)

أولاً : حياته:

ولد (ألبير كامى) سنة ١٩١٣م فى قرية (موندوفى) الجزائرية، لأب فرنسى وأم أسبانية. وكان أبوه عاملاً زراعيًا فى تلك القرية، ثم قتل فى معركة (المارن) الأولى فترملت أمه، وسكنت مدينة جزائرية أخرى لتجد لها عملاً، فأقامت فى بيت فى حى (بلكور) ومعها ابناها وأمها وأختها، وعاشت عيشة الفقراء المدقعين؛ فتأثرت طفولة ابنها الأصغر - ألبير - بهذا الحرمان فقضى شبابه فى الفقر؛ إلا أنه يعتبرها تجارب حية دفعته إلى مواصلة الدراسة، والانخراط فى سلك التدريس، ثم انصرف عنها إلى وظائف الدولة، فعمل كاتبًا فى مديرية الجزائر، وانشغل فى القراءة والكتابة، فكتب مقالات صغيرة بعنوان (الزفاف)، وشغله المسرح كثيرًا تمثيلاً وقراءة، واستهوته الصحافة بعد تعرفه على رئيس تحرير جريدة (الجزائر الجمهورية)، ثم انتقل إلى باريس وعمل سكرتير تحرير لجريدة (باريس المسائية).

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أراد الانخراط فى المعارك، فحالت حالته الصحية دون ذلك، فانضم إلى حركة المقاومة للاحتلال الألمانى، فاشترك فى خلية الكفاح، وطبع هو وبعض أصدقائه نشرة للكفاح سميت بهذا الاسم (الكفاح)، وأصبح (ألبير كامى) رئيس تحرير لها حتى مصرعه سنة ١٩٦٠م والذى يعتبره بعض أصدقائه أنه خير مصداق لمذهبه فى الوجود، فقد مات فى حادث سيارة ميتة (لا معقولة) - على حد زعمهم - ذلك الذى رأى أن كل ما فى الوجود لا معقول، ومات ميتة (استسلام) ذلك

الذى نادى دائمًا بالتمرد والثورة والمقاومة[١].

ثانيًا : مؤلفاته:

يعد (ألبير كامى) أحد كتاب الحركة الأدبية والفكرية فى فرنسا، حيث اشترك فى تحرير صحيفة (الكفاح)، وتوالت رواياته ومسرحياته ومقالاته الأدبية، التى اتسمت بالمذهب الوجودى، وأهم كتبه ورواياته ما يلى:

١- ١٩٤٢م أصدر كتاب (أسطورة سيسوفوس)، وفى نفس العام أصدر رواية (الغريب).

٢- ١٩٤٧م أصدر كتاب (الطاعون)، وفيه يعبر عن لا معقولية الحياة الإنسانية وتفاهتها، (على حد تفكيره).

٣- من ١٩٤٨-١٩٥٥م أصدر مسرحية (كاليجولا) ومسرحية (سوء تفاهم)، ومجموعة أبحاث جمعها فى كتاب (الثائر)، وقد حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٥٧م، فكان أصغر من حصل عليها فى وقته[٢].

ثالثًا : فكره ومنهجه:

ألبير كامى أديب روائى قصصى، والمطلع على كتبه أو رواياته أو قصصه يحكم عليها بأنها تتضمن أمرين، هما: الثورة.. واللامعقول.

١- أما فكرة اللامعقول، فقد عرضها من الناحية الفلسفية فى كتابه (أسطورة سيسوفوس)، وقد اتخذ (كامى) هذه الشخصية الأسطورية رمزًا لحال الإنسان فى هذا الوجود. والأسطورة هذه تقوم على شخصين هما (هوميروس) و(سيسوفوس): فالأول يحدثنا عن الثانى فيقول: إنه كان أعقل بنى الإنسان، على أنه قيل فى رواية أخرى: إنه كان يميل إلى قطع

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ١٥٣ - ١٥٨ .

(٢) راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٤٣٤ .

الطريق، وإنه عوقب عقابه الرهيب فى العالم السفلى حيث قضت عليه الآلهة - على حد تعبير كامى - بأن يستمر أبدًا فى إصعاد صخرة إلى قمة جبل لا تلبث بمجرد وصولها إلى القمة أن تسقط من تلقاء نفسها؛ فيضطر (سيسوفوس) إلى إصعادها من جديد - وهكذا أبدًا - وليس ثمة عذاب أفظع من القيام بعمل لا فائدة فيه، ولا أمل فى الفراغ منه، فاعتقد أنه عوقب؛ لأنه استخف بالآلهة فأفشى أسرارهم.

لقد جر عليه استخفافه بالآلهة وكراهيته للموت وعشقه للحياة - هذا العقاب الرهيب - عملاً متواصلاً لا ثمرة له، وهذا هو الثمن الذى لابد من دفعه لقاء لذات الدنيا، على حد مزاعم كامى.

فكامى يسرح ويمرح بعقله وخياله الخالى من ذرة من إيمان، فيشبه الإنسان فى هذه الحياة (بسيسوفوس) الآنف الذكر حيث يشقى، وشقاؤه من غير جدوى، ويجهد نفسه بالغ الجهد، وجهده ضائع، ويعمل آناء الليل وأطراف النهار، ولا يبلغ من وراء عمله شيئًا، (كل ما فى الوجود عبث) - على حد زعمه - وياليته شقى وأجهد نفسه وعمل دون أن يشعر! إذن لما أحس بالعذاب، ولما أدرك أن كل شىء عبث، ولكن مصدر العذاب هو هذا الشعور أو الوعى الذى ينتاب الإنسان فى بعض اللحظات النادرة من حياته، أعنى تلك الساعة التى يخلد فيها إلى نفسه، ويفكر فى قيمة ما يعمل، هنالك تزلزله الحقيقة الأليمة الرهيبة - على حد زعمه - (كل ما فى الوجود عبث)، وهكذا أبدًا حتى الموت، هذه النهاية اللامعقولة[1] لكل موجود، على حد زعمه.

٢- أما فكرة الثورة، فقد شرحها (كامى) فى كتاب صدر له سنة ١٩٥١م بعنوان (الثائر)، وتتلخص فكرته فى عبارة واحدة: «عش ثائرًا على الحياة،

---

(١) راجع: كتاب (مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى فرنسا)، ت/ نيروبى، ترجمة عبد الرحمن بدوى، ج١ - ٢، ١٩٦٤، ص ٢٣٠ - ٣٢٠ .

ومت ثائرًا على الموت». لكن هذه الثورة على الحياة والموت معًا، أفلا تستلزم الحرية شرطًا لقيامها[١]؟

٣- ينكر كامى المعنى السائد للحرية؛ لأنه يراها حرية العبيد، ولمدى تعمق الإلحاد عنده يمقت أية حرية تمنح له من كائن أعلى، والحرية الوحيدة التى يعرفها هى حرية العقل والفعل[٢].

٤- يرى أن المشكلة الرئيسية للإنسان فى هذه الحياة هى مشكلة الشر فى العالم؛ إذ - على حد زعمه - كيف يحارب الإنسان الشر دون أن يرفع رأسه إلى السماء حيث الله صامت؟ - نعوذ بالله - كما قال ذلك فى رواية (الطاعون)[٣].

بعد هذا العرض لأهم أفكار (كامى) نرى أنها تخبطات فكرية ونفسية وإلحادية انطلقت من عدم تصور قضية الإيمان بالرب الخالق القدير العليم الحكيم المختار، والإيمان بحكمة الابتلاء، وما يتبعه من جزاء فى حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة؛ لذلك فمن منطلق فكره التشاؤمى الإلحادى رأى أن الحياة الدنيا تعاسة وشقاء وشر، ولا عجب فمشاعره هذه من الجزاء المعجل الذى يعاقب به الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .
(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٢ .
(٣) راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٣٦٥ .

المبحث الثامن
سارتر
(١٩٠٥-١٩٨٠م)

أولاً : حياته:

(جان بول شارل إيجار سارتر) فيلسوف فرنسى وجودى، اقترن فى أذهان عامة الناس بأنه فيلسوف الوجودية الأول، والعلة فى هذا الاقتران أنه قد أذاع هذة الفلسفة فى مختلف الأوساط بعد أن كانت قاصرة على أهل الفلسفة فقط.

و الحقيقة: أن نصيب سارتر فى تكوين المذهب الوجودى الفلسفى لا يتكافأ أبدًا مع الشهرة التى نالها بوصفه من أعلام الوجودية؛ إذ إنه أخذ عن هيدجر المعانى الرئيسية الكبرى فى الوجودية، ثم صاغها صياغة رائعة جديدة، فيها ما يدعو إلى اهتمام عامة الناس، بل وخاصتهم أيضًا؛ فإن من الصعب جدًّا حتى على المختصين فى الفلسفة أنفسهم أن يفهموا هيدجر بلغته الغامضة، وفكره الحلزونى العميق، وتلاعبه البهلوانى أحيانًا باللغة الفلسفية واشتقاقاتها وإيغاله فى التحليل الأنطولوجى الدقيق الممل فى بعض أجزائه.

بل إن سارتر زاد على هيدجر فى مواطن عديدة، واستخرج لنفسه وجهات نظر جديدة، بل تفوق على هيدجر فى التحليل الفينومينولوجى لبعض المعانى الكبرى فى الوجودية، ومن هنا كان له دوره فى إكمال بناء المذهب الوجودى [١].

وقد ولد فى ٢١ يونية ١٩٠٥م فى باريس، ونشأ عند أمه التى ترملت

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية ص ٢٦١، ٢٦٢ .

١٩٠٦م، وكانت كاثوليكية فتعلق بها تعلقًا شديدًا وصل إلى حد العبادة - نعوذ بالله - بعد ما فقد الحنان الأبوى فى حياته. وعندما انتقلت أمه للعيش مع أبويها شعر سارتر باضطراب حياته وارتباكها وافتقارها إلى الاستقرار، كانت جدته هى الشخصية المسيطرة على حياتهما فى هذه الفترة الهامة من حياته؛ مما سبب إصابته بهزة عنيفة كانت لها آثارها فى تكوين حياته. ثم اشتدت صدمته عنفًا حين رأى أمه تحيا على فتات جدته وبقايا فضلها[١].

ولما بلغ الحادية عشرة من عمره تزوجت أمه للمرة الثانية، فأدرك أن زوج أمه ليس بأب حقيقى له؛ مما دفعه إلى وصف نفسه بأنه (يتيم وأنه ابن حرام مزيف)[٢]- نعوذ بالله - وكان هذا الزواج العقدة الأساسية فى مأساة سارتر؛ حيث دفعته هذه التجربة العميقة إلى ادعائه بأنه ليس هناك ما يبرر الوجود.

وقد أنهى سارتر دراسته الثانوية سنة ١٩٢٣م، ثم التحق بدار المعلمين سنة ١٩٢٤م حيث حصل على البكالوريا فى الفلسفة، وأصبح معلمًا يدرس الفلسفة فى المدارس الريفية. ثم أمضى سنوات تجنيده كاتبًا فى الجيش الفرنسى، فأعفى من التدريب على القتال بسبب ضعف بصره. هذا وقد كون سارتر علاقة صداقة وحب مع زميلة له هى (سيمون دى بوفوار) وهى أصغر منه، وقد زاملته فى مهنة التدريس، وفكر سارتر بالزواج بها إلا أنهما اتفقا على ألا ينجبا أطفالاً فلم يتزوجا إطلاقًا[٣].

وفى سنة ١٩٣٣م ذهب سارتر إلى برلين لتدريس مبادئ وأفكار الفلاسفة الوجوديين، وخاصة (جورد) و(هيدجر)، وبذلك تكونت لديه الأرضية

---

(١) راجع: فؤاد كامل عبد العزيز (فلاسفة وجوديون)، الدار القومية بمصر، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) راجع: موريس كرانستون، سارتر بين الفلسفة والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٦ - ٧ .

(٣) راجع: موريس كرانستون، سارتر بين الفلسفة والأدب، ص ٦١ .

الفكرية لفلسفته الوجودية المملوءة بالإلحاد والزندقة والانحلال الأخلاقى، كما سيتضح ذلك - إن شاء الله - وفى سنة ١٩٣٥م تعرض لانهيار عصبى دام ستة أشهر أدى به إلى الهلوسة. وبمرور الأيام زالت هذه العوارض. وقد اشتغل بالتمريض أثناء الحرب العالمية الثانية، فوقع أسيرًا سنة ١٩٤٠م لدى الألمان، ولكنهم أطلقوا سراحه خلال عام لأسباب صحية[١].

وفى سنة ١٩٤٤م أسس سارتر مجلة (الأزمنة الحديثة)، وفى سنة ١٩٤٨م اشترك فى تأسيس حزب (التجمع الديمقراطى الثورى) وشعاره: (الاشتراكية - العداء للديجولية[٢]- للستالينية[٣]- للاستعمار - والحياد بين المعسكرين)، وقد قام هذا التجمع سنة ١٩٤٩م بحملة احتجاج مطالبًا بالسلام فى الهند الصينية، ومقاومة الحرب، ولكن سرعان ما استقال سارتر من التجمع، وبعدها ندد بوجود معسكرات روسية فى فرنسا[٤].

وقد رشح سنة ١٩٦٢م لنيل جائزة نوبل للآداب، فرفضها قائلاً ما معناه: «على الكاتب أن يرفض التحول إلى مؤسسة، وسوف أكون عاجزًا عن قبول جائزة (لينين) إذا أراد أحدهم منحى إياها»[٥]. وقد اختلفت آراء المثقفين حيال السبب الرئيسى لموقف سارتر: فرأى بعضهم أنه لم يرفض هذه الجائزة إلا بدافع من الكبرياء، بينما رأى آخرون أنه رفضها حرصًا على الشهرة، فى حين ادعى غيرهم أن موقفه من الشيوعية هو الذى أملى عليه رفض تلك الجائزة. هذا وقد قطع سارتر الطريق أمام المثقفين؛ إذ صرح بنفسه بأنه لم يرفض الجائزة إلا لاعتقاده بأن لها أهدافًا سياسية، وهو لا

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥ .
(٢) نسبة إلى شارل ديجول ١٨٩٠ - ١٩٧٠م، رئيس فرنسا من ١٩٥٩ - ١٩٦٩م .
(٣) نسبة إلى جوزيف ستالين ١٨٧٩ - ١٩٥٣م مارشال السوفيت و سكرتير الحزب، راجع: المنجد فى اللغة والأعلام، ص ٣٥٠ .
(٤) راجع: د. خليل أحمد خليل، السارترية، ص ١٠٠ .
(٥) المرجع السابق، ص ١٠٤ .

ينتمى إلى أى حزب[١]، على حد زعمه.

وفى سنة ١٩٦٧م وفى شهر فبراير بالتحديد قام سارتر بزيارة (مصر)[٢]، وقد وجد فيها - مع الأسف الشديد - من يصفق له ويضعه فى مقام العظماء رغم أنه لم يخف إلحاده، بل أعلنه دون مواربة فى كتبه ومسرحياته - كما سيأتى، إن شاء الله - وأيضًا رغم دعوته السافرة الوقحة إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين تضم فى فلكها كافة المنبوذين المشردين من اليهود على حساب أصحابها الأصليين (الفلسطينيين). لقد أحاط به المعجبون، وطالبوا بإعداد برنامج كبير له، وتشكيل لجنة تحضيرية لوضع هذا البرنامج، ولجنة أخرى لمرافقة هذا الفيلسوف الملحد، والترحيب به، ومصاحبته فى زيارته حتى توديعه. وقد كان البرنامج المقترح يتضمن ما يلى[٣]:

١- عمل مؤلف جماعى يتضمن عدة أبحاث باللغة العربية وملخصًا لها بالفرنسية؛ تحية له.

٢- تعميد مجلات الجمهورية بإبراز فلسفة الضيف ومنزلتها فى الفكر المعاصر.

٣- إعادة إنشاء الجمعية الفلسفية المصرية وعقد أول جلساتها بحضوره.

٤- إنشاء مجلة الدراسات الفلسفية.

٥- إنشاء معهد الدراسات الفلسفية وافتتاحه بحضوره.

٦- عمل دعوة له من كلية الآداب جامعة القاهرة لمناقشة المشتغلين بالفلسفة.

---

(١) راجع: زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ص ٤٧٦ .

(٢) راجع: د. مصطفى غالب، فى سبيل موسوعة فلسفية، دار الهلال، ص ١٨ .

(٣) راجع: مقدمة كتاب سارتر (تعالى الأنا موجود)، ترجمة وتقديم حسن حنفى، دار الثقافة الجديدة بالقاهرة، ط١ ، ١٩٧٧م، ص ٧ - ١٢ .

٧- عقد مناقشة مفتوحة له على مستوى الجمهورية.

٨- تركيز زيارة الفيلسوف حول قضية فلسطين، والذهاب إلى قطاع غزة.

٩- مقابلة الفيلسوف للرئيس (جمال عبد الناصر).

وهكذا زار سارتر مصر، ورافقته (سيمون دى بوفوار) التى دعت نساء مصر فى صراحة تامة إلى تحطيم قوامة الرجل على المرأة، وإلى تحرير الزوجات من العقد الشرعى كأسلوبها وتحايلها مع عشيقها سارتر.

ولا يخفى ما للصهيونية من دور كبير فى هذه الزيارة؛ حيث دست معه (كلود لانزمان)، وهو رجل يهودى، وقد استطاع بفكره الصهيونى - المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمى - التضليل والوقوف وراءه فى كل زياراته، والتأثير عليه حتى قامت إسرائيل فى نوفمبر سنة ١٩٦٧م بمنحه شهادة الدكتوراة الفخرية فى سفارتها بباريس.

وأود الإشارة إلى أن البرنامج الذى وضعه مثقفو مصر قد رفض؛ لأسباب سياسية تعارض علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى آنذاك.

وفى سنة ١٩٧٣م أصيب سارتر بمرض فى عينيه حتى أصبح نصف أعمى، وفى سنة ١٩٧٥م صار سارتر شبه أعمى، وتوقف عن الكتابة نهائيًا إلى أن مات فى ١٥ أبريل سنة ١٩٨٠م فى باريس[١].

ثانيًا : مؤلفاته:

يعد سارتر أحد الكتاب البارزين فى كتابة الروايات والمسرحيات والقصص الإلحادية والماجنة، ومن أهم الكتب[٢] التى أصدرها ما يلى:

١- ١٩٣٦م أصدر كتاب (التخيل) موسوعة فلسفية دراسة سيكولوجية.

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٥٦٤ .

(٢) راجع: د. مصطفى غالب، فى سبيل موسوعة فلسفية، ص ١٩ - ٢٢، وراجع أيضًا: عبد الفتاح الديدى، فلسفة سارتر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤١ - ٤٣ .

٢- ١٩٣٨م أصدر كتاب (الغثيان) رواية: ترجمها للعربية سهيل إدريس.

٣- ١٩٣٩م أصدر مجموعة قصص (الجدار)، وأصدر (نظرية عامة فى الانفعالات) ترجمها للعربية سامى محمد وعبد السلام القفاص.

٤- ١٩٤٠م أصدر كتاب (التخيل) دراسة سيكولوجية.

٥- ١٩٤٣م أصدر كتاب (الكينونة والعدم) بحث فلسفى: ترجمه عبد الرحمن بدوى، وأصدر رواية (الذباب) ترجمها محمد القصاص.

٦- ١٩٤٤م أصدر مسرحية (جلسة سرية) ترجمها مجاهد عبد المنعم.

٧- ١٩٤٥م أصدر رواية (سن الرشد)، وهى الجزء الأول من ثلاثية (دروب الجباة) و(وقف التنفيذ) الجزء الثانى من الثلاثية، وقد ترجمها سهيل إدريس.

٨- ١٩٤٦م أصدر كتاب (الوجودية نزعة إنسانية) دراسة فلسفية: ترجمها (حنا مينا)، وأصدر كتاب (تأملات فى المسألة اليهودية) دراسة سياسية واجتماعية. وأصدر كتاب (الدوامة) سيناريو: ترجمه هاشم الحسينى، وأصدر كتاب (موتى بلا قبور) مسرحية: ترجمها سهيل إدريس.

٩- ١٩٤٧م أصدر كتاب (تمت اللعبة) سيناريو: ترجمه مجاهد عبد المنعم، وكتاب (مواقف) ج١ دراسة متفرقة: ترجمه جورج طرابيشى.

١٠- ١٩٤٨م أصدر كتاب (مواقف) ج٢ ترجمة نقدية بعنوان (ما هو الأدب؟) ترجمه (جورج طرابيشى)، وأصدر كتاب (بودلير) دراسة نقدية: ترجمه جورج طرابيشى، وأصدر كتاب (الأيدى القذرة) مسرحية: ترجمها سهيل إدريس.

١١- ١٩٤٩م أصدر كتاب (الحزن العميق) ج٣ من الرواية الثلاثية

(دروب الحياة) ترجمه سهيل إدريس، وكتاب (مواقف) ج٣ دراسة متفرقة: ترجمه جورج طرابيشى، وكتاب (محاورات فى السياسة) دراسة سياسية.

١٢- ١٩٥١م أصدر كتاب (الشيطان والرحمن) مسرحية.

١٣- ١٩٥٢م أصدر كتاب (القديس جنيه) دراسة نقدية.

١٤- ١٩٥٣م أصدر كتاب (هنرى مارتان) دراسة سياسية.

١٥- ١٩٥٤م أصدر كتاب (سجين) مسرحية سياسية.

١٦- ١٩٥٦م أصدر كتاب (نيكراسون) مسرحية.

١٧- ١٩٥٩م أصدر كتاب (سجناء الطول) مسرحية.

١٨- ١٩٦٠م أصدر كتاب (نقد العقل الجدلى) ج١ دراسة فلسفية ترجمه جورج طرابيشى، وأصدر كتاب (الكلمات) سيرة لسارتر فى طفولته.

١٩- ١٩٦٤م أصدر كتاب (مواقف) ج٤، ٥ ترجمه جورج طرابيشى.

٢٠- ١٩٦٥م أصدر كتاب (مواقف) ج٦، ٧ دراسة عن مشكلات الماركسية: ترجمه جورج طرابيشى.

٢١- ١٩٦٦م أصدر كتاب (تعالى الأنا موجود) دراسة فلسفية: ترجمه حسن حنفى.

ثالثًا: فكره ومنهجه:

يعتبر سارتر أبرز الفلاسفة الوجوديين المعاصرين فى فرنسا، وأكثرهم ضجيجًا، وهو السبب فى رواج الوجودية حيث سخر لها فكره وقلمه، مع تواجده فى جيل من الحائرين الذين فقدوا اتزانهم؛ فجعلوه نبى معتقدهم الجديد (الوجودية). فقام بنشر أفكاره التى تضمنت الإلحاد الصريح - دون مواربة - من خلال تصوره وجود الإنسان، وحريته وسلوكه، وموقفه من الآخرين، وهو الخط الرئيسى الذى سارت عليه الوجودية الحديثة الإلحادية

ذات الطابع التشاؤمى. وتسيطر على أفكار سارتر فكرتان هما الوجود والحرية:

١- الوجود

قسم سارتر الوجود إلى ثلاثة أنواع[١]:

أ- الوجود فى ذاته، ويسميه: الوجود الواقعى، ويعنى به الوجود الكائن بالفعل، ووجوده موضوعى وثابت، وإن شئت قلت: هو وجود أى موضوع مادى كثيف متجانس ممتلئ. ويضيف أيضًا أنه لا يحتاج فى وجوده إلى شىء آخر، وهو وجود متطابق مع نفسه، أو فى هوية دائمة مع ذاته، بمعنى: أن يكون هو نفسه دون تغيير.

ب- الوجود لذاته، وهو وجود الإنسان، ويعنى به ما وجوده متحرك متغير زمانى، وهو وجود حائر، بل هو وجود يحمل العدم فى صميمه، وهو وجود الشعور أو الوعى، وليس شيئًا مغلقًا أو محصورًا فى هوية بلا نوافذ لا يدخل منها الهواء. كما أنه لا يتطابق مع نفسه أبدًا، وليس طبيعة أو ماهية. إنه تخلخل فى الوجود - على حد زعمه - ويتميز بأن له داخلاً وخارجًا، باطنًا وظاهرًا.

ج- الوجود للغير، وهو وجود الإنسان حينما يحيله الآخرون إلى موضوع.

ولإيضاح ما يقصده سارتر فإن الوجود الأول - وهو ما يسميه بالوجود الواقعى - قد حدده فى الأشياء الجامدة التى ماهيتها سابقة لوجودها، كالبذرة مثلاً تنطوى على إمكانيات الشجرة. أما الوجود الثانى - وهو وجود الإنسان - فإنه فى رأيه - ورأى الوجوديين: سابق على ماهيته؛ فهى لاحقة

---

(١) راجع: (المذاهب الوجودية) تأليف جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٤٠ .

على وجوده، ومن ثم فلا بد له من أن يعثر لنفسه على ماهيته، ووجوده عبارة عن تحول مستمر يكون الإنسان خالقًا فيه لذاته باستمرار، وما دام ليس هناك ما يعين له سلوكه فالإنسان حر فى أن يفسر الأشياء كما يشاء. وهو محكوم عليه فى كل لحظة أن يخترع الإنسان، فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريد نفسه، وما يتصور نفسه، فالوجود الإنسانى إذن هو اختيارنا الحر لماهيتنا، أو الشخصية التى نريد أن نكون عليها - حسب مفهومه وزعمه - وهذا الوجود الإنسانى من مميزاته - على حد زعمه - أنه يعانق القلق الذى سببه: أن الإنسان قد قذف به فى هذا العالم دون أن يدرى لذلك سببًا، وهو محكوم عليه دائمًا بالاختيار، وهذا هو مبعث قلقه، وهو قلق مؤلم. والوجود الإنسانى عنده مرادف للقلق، حيث يدعى سارتر ويردد: «نحن قَلَقٌ».

ويُعَدُّ القول بأن الوجود يسبق الماهية هو «المبدأ الرئيسى الذى يضعه سارتر للوجودية... وقد كان السائد فى الفلسفة المبدأ المضاد لهذا القول، وهو: أن الماهية تسبق الوجود، فقبل أن يوجد العالم كانت صورته أو فكرته فى عقل الله، وقبل أن يوجد شىء تسبق وجوده فكرة عند صانعه، ومن هنا كان يقال: إن ثمة طبيعة للإنسان - وهذه الطبيعة الإنسانية - وهى التصور الإنسانى توجد عند جميع الناس، أى: أن كل فرد من الناس هو مثال جزئى لتصور كلى هو الإنسان... أما الوجودية فترفض هذا الرأى، وتقول: إن الوجود يسبق الماهية، أى فيما يتصل بالإنسان، مثلاً: الإنسان يوجد أولاً، ويصادف، وينبثق فى العالم، ثم يتحدد من بعد، فالإنسان فى أول وجوده ليس شيئًا، ولا يمكن أن نحده بحد، وعلى ذلك فليس ثمة طبيعة إنسانية، بل الإنسان: كما يتصور نفسه، وكما يريد نفسه وكما يدرك نفسه، بعد أن يوجد، وكما يشاء هو بعد هذه الوثبة نحو الوجود».[١]

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٦٢).

ونتج عن القول بأن الوجود يسبق الماهية أمران:

الأول: ضرورة أن يكون الإنسان مسئولاً عما يكون، وكل إنسان يحمل المسئولية الكاملة عن وجوده، ولا تقتصر المسئولية عليه وحده بوصفه فردًا، بل تمتد إلى الناس جميعًا؛ لأن القرار الذى يتخذه لنفسه يمس سائر بنى الإنسان، فالإنسان حين يختار لنفسه هو فى الوقت نفسه يختار لسائر الناس؛ ذلك لأنه باختياره هذا يرسم الإنسان كما يرى أن يكون؛ إذ أن اختياره لهذا أو ذاك توكيد فى الوقت نفسه لقيمة ما يختاره؛ لأننا لا نختار أبدًا ما نؤمن أنه شر.

وهذه المسئولية الهائلة تمس الناس جميعًا، ولأنها كذلك فلابد أن تثير القلق.

الثانى: أن القول بأن الوجود يسبق الماهية دليل على حرية الإنسان المطلقة، وبهذه الحرية يخلق الإنسان نفسه بنفسه[١].

أما الوجود الثالث - وهو الوجود للغير - فقد صور سارتر علاقة الإنسان بغيره تصويرًا قاتمًا للغاية حيث جعل جوهر علاقات الإنسان بغيره: (الصراع)، وانتهى إلى قوله: «الآخرون هم الجحيم»[٢].

٢- الحرية:

الحرية عند سارتر هى صميم الوجود الإنسانى، وتتميز حريته بأمرين:

أ- أن هذه الحرية ضرورية، بمعنى: أن الإنسان محكوم عليه بالحرية قسرًا، وليس للإنسان أن يخضع نفسه للقوانين أو للعرف أو للطبيعة أو لله - على حد زعمه - لأنها كلها أساليب قاضية على حرية الإنسان، الذى هو خالق معاييره وقيمه. يقول سارتر فى ذلك: «ويترتب على ذلك أن

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى: دراسات فى الفلسفة الوجودية (ص ٢٦٢، ٢٦٣).
(٢) سارتر (الأبواب المقفلة)، ص ٩٧ .

حريتى هى الأساس الوحيد للقيم، وليس ثمة شىء مطلقًا يمكنه أن يلزمنى باصطناع هذه القيمة أو تلك»[١] .

ب- أن هذه الحرية ذات طابع ذاتى بحت ليس إلى إنكاره من سبيل، إلى الحد الذى وصل به أن يدعى أننا نخلق العالم، وبخلقه نخلق ذواتنا. بل إنه يمعن فى إطلاق الحرية فيقول: «إنها ليست سوى إرادتنا وأهوائنا»[٢]، ويقول أيضًا: «إننا لسنا أحرارًا فى أن نتخلى عن كوننا أحرارًا»[٣] .

ويبالغ سارتر بإطلاق الحرية فيجعلها فوق كل تفسير أو مبرر عقلى ما دامت هى التى تخلق القيم والمعايير.

ويرتب سارتر على فكرة الحرية فكرة المسئولية: فالإنسان يشرع للإنسانية بأسرها، ومن ثم شعوره بالمسئولية كلها، حتى إنه يحمل نفسه مسئولية الحرب التى اشترك فيها فيقول: «إننى مسئول من الأعماق عن الحرب، كما لو كنت أنا الذى أعلنتها»[٤] .

هذه أبرز أفكار الفيلسوف الوجودى (سارتر)، وسأناقش هذه الأفكار مناقشة موجزة، أما التفصيل فسوف أتركه للباب الثانى، إن شاء الله تعالى.

١- إن ادعاء سارتر (سبق الوجود على الماهية) ادعاء فاسد يقوم على الإنكار؛ فمن المعروف أن هناك أوجه شبه جامعة للنوع البشرى، ولو كان لهذا الادعاء وجه من الصحة لما كانت هناك خصائص مشتركة تجمع أفراد الإنسان، بالإضافة إلى أن هذا الادعاء عكس ما جاء به الإسلام - بل مضاد لما قررته الفلسفة قبل ذلك - حيث يقرر أن الإنسان خلق على مثال سابق؛

---

(١) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧٦، ترجمة عبد الرحمن بدوى، منشورات دار الآداب، ١٩٦٦م .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٥١٥ .

(٤) المرجع السابق، ص ٦٤١ .

فالماهية إذن سابقة على الوجود، قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(١)]، وقال -تعالى-: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[(٢)]، وعن تكريم الإنسان قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[(٣)]. ولا يشك عاقل فى الأهداف السامية، والغايات النبيلة للوجود الإنسانى، والزعم بأن الإنسان بلا هدف ولا غاية زعم باطل، يؤيد بطلانه المشاهدات العلمية التجريبية، فمن أين تأتى ملاءمة العالم لوجود النوع الإنسانى؟! وصدق الله حيث قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[(٤)]، وقال -تعالى-: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[(٥)]. والإنسان لا يعيش فى فراغ، وإنما يعيش فى العالم؛ فلا مجال للفصل التام بين الوجودين. الوجود الإنسانى والوجود الخارجى. والإنسان يتفاعل دائمًا مع البيئة، ويتأثر بما يجرى فى العالم من وقائع وأحداث، فنظرة سارتر إلى الآخرين بأنهم جحيم نظرة سطحية موغلة فى الجهل، جالبة للصراع والأنانية بين أفراد الجنس البشرى.

٢- إن ادعاء سارتر الحرية المطلقة، واستقلالها عن عالم الأشياء ادعاء باطل؛ لأن الإنسان ليس حرًا بإطلاق، وإرادته ليست خارقة للعادة؛ وإنما هى إرادة محدودة. وكذلك لا يخفى أن الالتزام والتمسك بالقيم ليس حجرًا على الحرية - كما يدعى - ومن المعروف: أن القيم التى ينشأ فيها الإنسان، سواء كانت قيم الأسرة أو المجتمع الذى يعيش فيه، لها من الفاعلية المباشرة أو غير المباشرة، فى سلوك الإنسان ما لا يمكن أن يُنكر أو يقلل من أهميته. وتتأكد محدودية الحرية بما يحصل أحيانًا من اصطدامها بالواقع الخارجى، وحصول ظروف طارئة أو خارجة تحد من

---

(١) سورة التين، آية ٤ .
(٢) سورة البقرة، آية ٣٠ .
(٣) سورة الإسراء، آية ٧٠ .
(٤) سورة المؤمنون، آية ١١٥ .
(٥) سورة القيامة، آية ٣٦ .

تحقيق أماني وطموح الإنسان. وإذا رجعنا إلى حقيقة الإنسان نجد أن القرآن الكريم يذكّر بأنه كائن ضعيف من حيث إن إرادته محدودة، تقوى على أشياء، ولا تقوى على أشياء أخرى، كقوله -تعالى-: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾(١). بل إن الإنسان يمر فى مراحل حياته بمستويات تقوى وتضعف حسب تقدم العمر، وهذا ما يحكم به العقل، وتقره المشاهدة، ويشير إليه القرآن، قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾(٢).

٣- لقد ناقض سارتر نفسه حيث ادعى الحرية مطلقة، ثم جعل القلق ملازمًا لها، فإذا كان إنسان سارتر قد اختار اختيارًا بحرية مطلقة فإذن لماذا القلق؟! وإذا كان إنسان سارتر هو خالق ذاته، وخالق معاييره، فلماذا يخشى إساءة الاختيار؟! ولماذا يقع فريسة للقلق؟!

٤- إن المسئولية التى نادى بها سارتر وعبر عنها بأنها مسئولية كلية شاملة تجعل الإنسان مسئولاً عن العالم كله، أو على حد تعبيره: تجعله يحمل العالم على كتفيه - مسئولية لا معقولة حقيقة؛ فتصوره هذا للمسئولية لا مبرر له، وهو تصور مناف لما ورد فى القرآن الكريم كقوله -تعالى-: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٌ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(٣)، وقال -تعالى-: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(٤)، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(٥)، وقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ...﴾(٦).

---

(١) سورة النساء، آية ٢٨ .
(٢) سورة الروم، آية ٥٤ .
(٣) سورة البقرة، آية ١٣٤ .
(٤) سورة النجم، آية ٣٩ .
(٥) سورة الصافات، آية ٣٩ .
(٦) سورة فاطر، آية ١٨ .

والمطلع على فلسفة سارتر يؤكد أنها فلسفة قد انطلقت من الإلحاد، والذى ينطلق من الإلحاد ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[١]، وهى فلسفة تنتهى إلى العدم، والذى ينتهى إلى العدم لا يمثل إلا خواءً فكريًا كفيلاً بالقضاء على جميع إنجازات الإنسان. يقول الأستاذ فؤاد كامل: «. . . بعد أن فعل هذا كله، جرد الوجود نفسه من كل قيمة، ونزع عنه كل معنى؛ فأصبح الوجود عبثًا فى عبث، وصار المجهود الإنسانى كله ضربًا فى الهواء، ومصارعة لطواحين الرياح»[٢].

* * *

(١) سورة الأنعام، آية ١٢٢ .

(٢) فؤاد كامل، الرد على إلحاد سارتر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٤٨ - ٤٩ .

المبحث التاسع
عبد الرحمن بدوى

مدخل:

انتشرت الوجودية فى العالم العربى، وراجت رواجًا هائلاً فى الخمسينات والستينات من هذا القرن؛ وذلك لأسباب أهمها:

١- ترجمة مؤلفات أقطاب الفلسفة الوجودية.

٢- المستشرقون الذين قاموا بتدريس الفلسفة ببعض الجامعات العربية، وخير شاهد على ذلك: أن الذين أشرفوا على رسالتى (الماجستير والدكتوراة) للدكتور (بدوى) من المستشرقين العاملين بجامعة القاهرة، وهما (لالاند)[١] و(كواريه)[٢]، وكذلك (باول كراوس)[٣] الذى أثنى عليه بدوى فى ترجمته.

٣- اهتمام بعض الكتاب العرب بمسرحيات وروايات وقصص الوجوديين، ونشرها فى مجالات الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة. يقول صفوان قدسى: «كانت التطبيقات الأدبية للتيار الوجودى فى الفكر الأوربى قد بدأت تصل تباعًا، وكانت مؤلفات سارتر وكامى القصصية والروائية تصل تباعًا إلى الأعمال القصصية والروائية العربية، وأصبح لدينا (ميرسو) عربى متطابق الملامح والقسمات مع (ميرسو) الفرنسى، وتعددت المحاولات القصصية والروائية التى تفيض بالحديث عن الفردية والعبث والانخلاع عن الواقع، أو ما يسمى بالقلق الوجودى»[٤].

---

(١) أندريه لالاند (١٨٦٧ - ١٩٦٣م)، مستشرق فرنسى.

(٢) ألكسندر كواريه (١٨٩٢ - ١٩٦٤م)، مستشرق فرنسى.

(٣) باول كراوس (١٩٠٤ - ١٩٤٤م)، انتدب سنة ١٩٣٦م للتدريس بالجامعة المصرية حتى انتحاره. راجع: نجيب العقيقى (المستشرقون) ج٢، ص ٤٧٢.

(٤) مقال لصفوان قدسى فى مجلة المعرفة (العلاقة بين الفكر والأدب)، العدد ١٢٦، =

٤- انتشار الوجودية فى الدراسات الجامعية، والاهتمام بها عن طريق البحوث والرسائل، وخير شاهد على ذلك: أن (عبد الرحمن بدوى) قد حصل على درجتى الماجستير والدكتوراة فى الفلسفة الوجودية.

هذا، ويعتبر الدكتور (عبد الرحمن بدوى) رائد الوجودية فى العالم العربى؛ حيث اعتنق المذهب الوجودى، وخيم على نشاطه الفكرى، وذلك باعترافه هو حيث يقول فى موسوعته: «فيلسوف مصرى ومؤرخ للفلسفة، فلسفته هى الفلسفة الوجودية فى الاتجاه الذى بدأه (هيدجر)، وقد أسهم فى تكوين الوجودية بكتابه (الزمان الوجودى) الذى ألفه فى ١٩٤٣م وقدمه رسالة للحصول على الدكتوراة فى الفلسفة، .... وتمتاز وجوديته من وجودية (هيدجر) وغيره من الوجوديين بالنزعة الديناميكية التى تجعل للفعل الأولوية على الفكر، وتستند فى استخلاصها لمعانى الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة معًا، وإلى التجربة الحية، وهذه بدورها تعتمد على ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحى. لكن أقوى تأثير فى تطوره الفلسفى إنما يرجع إلى اثنين هما (هيدجر) و(نيتشه)»[١].

ولتأكيد ريادة بدوى للوجودية فى العالم العربى، يقول محمد عابد الجابرى: «ويبدو أن رائد الوجودية فى العالم العربى، لم يتمكن - كما يرى البعض - من قراءة الفلسفة الإسلامية قراءة وجودية، ولم يستطع العثور فيها على ما يسعفه فى تأسيس (وجوديته) عربيًا أو إسلاميًا. لم يجدها موجودة من أجله هو؛ فأنكر عليها حقها فى الوجود، ومع ذلك فيجب أن نعترف له - شاء ذلك أم كره - بأنه من أكبر باعثى هذه الفلسفة، بل إنه أنشط حفار فى قبورها»[٢].

١٩٧٢م.

(١) عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) محمد عابد الجابرى، (الخطاب العربى المعاصر)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٤٧.

أولاً : حياته:

عبد الرحمن بدوى[(١)] أحد الفلاسفة الوجوديين العرب. ولد فى الرابع من شهر فبراير ١٩١٧م فى قرية شرباص بمحافظة دمياط بمصر. أكمل تعليمه فى مصر، فحصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة من جامعة القاهرة سنة ١٩٣٨م، وعين معيدًا بنفس القسم، ثم حصل على درجة الماجستير سنة ١٩٤١م، وكان موضوعها: (مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية)، وقد أشرف على رسالتيه أستاذان فرنسيان، وواصل تعليمه مع قيامه بالتدريس حتى حصل على درجة الدكتوراة سنة ١٩٤٤م، وكان عنوانها: (الزمان الوجودى)، وعين أستاذًا مساعدًا بنفس الكلية والقسم سنة ١٩٤٩م، ثم انتقل إلى كلية الآداب جامعة (عين شمس) لتولى رئاسة قسم الفلسفة سنة ١٩٥٠م، واستمر بهذا العمل حتى ترك الجامعة سنة ١٩٧١م. وقد عمل أستاذًا زائرًا بمعهد الدراسات الإسلامية فى طهران من سنة ١٩٦٧م حتى ١٩٧٣م، ثم عمل بكلية الآداب بالجامعة الليبية ببنغازى أستاذًا للفلسفة المعاصرة، ثم عمل أستاذًا للتصوف الإسلامى والفلسفة الإسلامية بكلية (الإلهيات والعلوم الإسلامية) بجامعة طهران لمدة عام دراسى سنة ١٩٧٤م، وفى نهاية السنة انتقل إلى جامعة الكويت أستاذًا للفلسفة المعاصرة والمنطق والأخلاق فى كلية الآداب، ثم صار رئيسًا لقسم الفلسفة فيها حتى ترك الجامعة سنة ١٩٨٦م واستقر فى باريس. هذا، وقد كانت له مشاركات فى السياسة، فكان عضوًا فى حزب مصر الفتاة، ثم

---

(١) قال عنه د. عبد المنعم الحفنى فى موسوعته ص ٩٢: «وجودى ملحد» وقال عنه الأستاذ فؤاد كامل فى كتابه (الرد على إلحاد سارتر): «وأعاننى على الانغماس فى تلك النزعة المنكرة الساخرة إلحاد أستاذنا الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوى وأضرابه من فلاسفة الوجود الملحدين»، وليس لدى ما ينفى هذا أو يثبته؛ لأن الرجل لا يزال حيًا، ومن حيث أفكاره التى اطلعت عليها فهى تؤكد إلحاده، لكن لا أعلم هل تاب ورجع عن أفكار أم لا؟

عضوًا فى الحزب الوطنى الجديد[1].

ثانيًا : مؤلفاته:

بلغ عدد مؤلفات (بدوى) التى أصدرها حتى الآن أكثر من مائة وعشرين كتابًا، منها خمسة مجلدات باللغة الفرنسية، إلى جانب مئات المقالات والأبحاث التى ألقاها فى المؤتمرات العلمية بمختلف اللغات، وسأذكر ثبتًا بأهم مؤلفاته مراعيًا ترتيبها التاريخى فى الظهور[2]:

١- ١٩٣٩م نيتشه.

٢- ١٩٤٣م أرسطو.

٣- ١٩٤٥م الزمان الوجودى، وكتاب (من تاريخ الإلحاد فى الإسلام).

٤- ١٩٤٧م أصدر كتاب (الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى)، وكتاب (شخصيات قلقة فى الإسلام) ترجمة ودراسة.

٥- ١٩٤٨م أصدر كتاب (منطق أرسطو).

٦- ١٩٥٠م أصدر كتاب (الإنسان الكامل فى الإسلام) ترجمة وتحقيق نصوص.

٧- ١٩٦١م أصدر كتاب (دراسات فى الفلسفة الوجودية).

٨- ١٩٦٢م أصدر كتابى (المنطق الصورى والرياضى)، و(فلسفة العصور الوسطى).

٩- ١٩٦٣م أصدر كتاب (مؤلفات الغزالى).

١٠- ١٩٦٤م أصدر كتاب (مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة فى

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .
(٢) المرجع السابق، ج١، ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

فرنسا) ترجمة.

١١- ١٩٦٥م أصدر كتاب (الوجود والعدم لسارتر) ترجمة.

١٢- ١٩٧١م أصدر كتاب (مذاهب الإسلاميين).

١٣- ١٩٧٥م أصدر كتابى (مدخل جديد إلى الفلسفة)، و(الأخلاق النظرية).

١٤- ١٩٧٦م أصدر كتاب (إمانويل كانط).

١٥- ١٩٧٧م أصدر كتاب (الأخلاق عند كانط).

١٦- ١٩٨٠م أصدر كتابى (حياة هيجل)، و(الخطابة لأرسطو).

وهكذا قدم (بدوى) الفكر الوجودى، وترجم أهم كتب الوجوديين، ومنها كتاب سارتر (الوجود والعدم)، وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة، وضمن موسوعته جميع الفلاسفة الوجوديين، ولم يأل جهدًا إلا سلكه فى سبيل الترويج للوجودية والوجوديين، ونشر أفكارهم بأسهل الطرق والوسائل.

ثالثًا: فكره ومنهجه:

بين بدوى الخطوط العامة لنزعته الوجودية فى كتابه الذى أعده للماجستير (الموت فى الفلسفة الوجودية)، وفى كتابه الآخر رسالة الدكتوراة (الزمان الوجودى)، وفى كتابه -أيضًا-: (دراسات فى الفلسفة الوجودية) والذى خصص موضوعًا كاملاً له بعنوان (خلاصة مذهبنا الوجودى)[١].

آمن بدوى بالمفاهيم والمقولات الأساسية للوجوديين الغربيين، ونأخذ ذلك من خلال ما كتبه فى مؤلفاته التى هى صورة حقيقية تمثل أفكاره ومنهجه الوجودى، والمتمثل بما يلى:

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، دراسات فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٣٦.

١- آمن بالفرية الرئيسية للوجوديين: (الوجود أسبق من الماهية)؛ حيث يقول فى أحد كتبه: «رغم أن الوجودية مذهب فى الوجود محدد تمام التحديد، يقوم على مبدأ سهل بسيط: هو أن وجود الإنسان هو ما يفعله. فأفعال الإنسان هى التى تحدد وجوده وتكونه؛ ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله. فوجود كل إنسان بحسب ما يفعله، وذلك ضد مذهب القائلين (بالماهية)، أى: الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان، وعنها تنشأ أفعاله، ووفقًا لها يحكم عليه، وبها يحدد»(١).

٢- آمن بفكرة الذاتية امتدادًا لنزعته الفردية الوجودية؛ حيث يقول: «إنما الوجود الحقيقى هو وجود الفردية، والفردية هى الذاتية، والذاتية تقتضى الحرية، والحرية معناها وجود الإمكان»(٢).

٣- آمن بفكرة الحرية المطلقة؛ حيث يقول: «وفكرة الشخصية تقتضى بدورها فكرة الحرية؛ فلا شخصية حيث لا حرية، ولا حرية حيث لا شخصية»(٣).

٤- آمن بفكرة أن الالتزام بالقيم والأخلاق قيد وحجر على الحرية؛ حيث يقول: «لما كانت الوجودية تقوم على أساس فكرة الذات المنفردة المتوحدة المنعزلة المنفصلة، فإن التقويم لابد فيها أن يكون ذاتيًا، ولما كان التقويم الذاتى مستحيلاً، إذن فالوجودية ينتفى معها التقويم الموضوعى، وبالتالى لا يمكن أن نقول بأخلاق»(٤)، ويقول -أيضًا-: «إن الوجودى الحق هو المتوحد الأكبر الذى يحرص على الانفصال الدائم... هو الذى يحرص على أن يكون الاستثناء بينه وبين أية قاعدة؛ لأن بينه وبين كل

---

(١) المرجع السابق، تنبيه.
(٢) عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٣٠٧.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٠١.
(٤) عبد الرحمن بدوى، (الزمان الوجودى)، ص ٢٢٠ وما بعدها، طبعة القاهرة، ١٩٤٥م.

القواعد عداوة مستحكمة أو أزلية»[١]، ويقول -أيضًا-: «إن الحرية إن اشترطت شرطًا فهو الخلو من كل شرط؛ فلا معنى للواجب فى عالمها، ولا تقيد لمدى انطباقها وانطلاقها، إنها الفعل المطلق من كل قاعدة أو شرط أو قانون أو نظام»[٢].

٥- إيمانه بأفكار (هيدجر) رغم بعدها المتطرف فى العدم، وفيه يقول: «وفكرة العدم. . . فكرة خصبة فى وسعنا أن نفسر بها سر الوجود كله. . فالعدم كما رأينا هو الأصل فى الفردية أو العكس، وفكرة الحرية تقوم على فكرة الفردية أو العكس، وفكرة التوتر مصدرها -أيضًا- فكرة العدم. . ومن هنا نرى أن الأفكار الرئيسية الموجهة لنا فى مذهبنا الوجودى - وهى الفردية والتوتر والإمكان - ترتبط كلها بالعدم أوثق ارتباط، وكله إذن البؤرة التى يشع منها النور على المذهب كله»[٣].

٦- نهج بدوى منهجًا غاية فى الغرابة؛ إذ حاول - مع الأسف - أن يجعل للتيار الوجودى اتصالاً بالفكر الإسلامى، حيث وضح فى كتابه (الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى) وفى حدود أربعين صفحة: الصلة بين الوجودية وبين التصوف الإسلامى، بل وصل به الأمر إلى أن جعل التصوف فى الإسلام هو عين الوجودية. ولا يخفى أن هذا أكبر ترويج لهذا التيار الإلحادى، وقد ينخدع به من يطلع عليه فيتوقع أن الوجودية مذهب إسلامى، أو على الأقل لا يرفضه، ولننظر ماذا يقول بدوى: «ولهذا لا نمل من الإلحاح فى توكيد هذا المعنى؛ حتى نفهم مدلول النزعة الصوفية على وجهها الأعمق، فهى ليست مجرد تحليلات نفسية شخصية لأحوال فردية تؤخذ على هذا الأساس النفسى الفردى؛ بل هى فى جوهرها تحليل

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص ٣١٦ - ٣١٧ .

للوجود الذاتى بوصفه الوجود الحقيقى، كما تقول النزعة الوجودية تمامًا...»[١]. ويقول -أيضًا-: «وهذه الفكرة -أيضًا- فكرة الإنسان الكامل، تجمع بين الصوفية والوجودية من حيث النزعة الإنسانية؛ فقد رأينا فيها أكبر توكيد للنزعة الإنسانية؛ لأن فيها تأليه الإنسان، والوجودية تضع الوجود الإنسانى مكان الوجود المطلق، ونقول: ليس ثمة كون غير الكون الإنسانى كون الذات الإنسانية». وعلى هذا فالوجود الذى تتخذه كل من الصوفية والوجودية موضوعًا لهما هو الوجود الذاتى الإنسانى»[٢]. ويقول -أيضًا-: «ولعل فى هذا البيان بعض الغنية لتوكيد ما ذهبنا إليه من وثاقة الصلة - الفكرية طبعًا لا التاريخية - بين التصوف الإسلامى والمذهب الوجودى. وتلك هى المسألة الأولى التى أردنا التنبيه إليها»[٣].

٧- اهتم بدوى بالفلسفات الباطنية[٤] والمجوسية[٥]، يحييها ويرد إليها الروح. وفى كتابه (شخصيات قلقة فى تاريخ الإسلام) يشيد بأمثال (الراوندى)[٦] و(الحلاج)[٧] وغيرهما من الزنادقة، هذا وقد ركز على

---

(١) عبد الرحمن بدوى، الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص ٧٤ .

(٢) عبد الرحمن بدوى، الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٦ .

(٤) هى طائفة تدعى أن لظواهر النصوص بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر، وما يفهم الناس من ظواهر هى عندهم رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وإذا ارتقى الإنسان إلى علم الباطن هذا انحط عنه التكليف، وهدفهم إبطال العقيدة والشريعة. راجع الفرق بين الفرق، ص ٢٨١ - ٣١٣ .

(٥) هم الذين يقولون بأصلين، النور والظلمة، واسم الأول: يزدان، والثانى: أهرمن. راجع الملل والنحل، ج١، ص ٢٣٢ - ٢٤٤ .

(٦) أبو الحسين أحمد بن يحيى، توفى سنة ٢٩٨ هـ، تطرف فى الكلام حتى ارتد وألحد. تنسب إليه الراوندية. راجع معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٢٠ .

(٧) أبو عبد الله الحسين بن منصور، متصوف من أصل فارسى، ولد سنة ٢٤٤ هـ، ومات سنة ٣٠٩ هـ فى بغداد مصلوبًا. راجع معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٢٤٧ .

الجانب الصوفى المتصل بوحدة الوجود والحلول، وأشاد (بالسهروردى)[١] و(ابن عربى) و(ابن سبعين)[٢]. يقول بدوى: «نشير إلى المنهج الذى بدأ منه كيرك جورد فى تحليلاته الوجودية، وهو اتخاذ القصص الدينية أساطير للتفسير الوجودى، وهو بعينه ما يفعله الصوفية المسلمون، وبخاصة الحلاج والسهروردى وابن عربى: فالحلاج قد تمثل خصوصًا حياة المسيح، فراح يحياها وجوديًا ويعبر عنها فى صورة إجمالية قد تصلح أساسًا لتحليلات وجودية، ويمتاز خصوصًا من بين بقية الصوفية المسلمين - فيما عدا السهروردى إلى حد ما، وابن سبعين إلى حد كبير - بأنه حيى فلسفته تمامًا كما فعل كيرك جورد. وفى وسعنا إذن أن نطبق عليه ما يطبقه النقاد من تمييز بين كيرك جورد وبين هيدجر أو ياسبرز، ونعنى أن كيرك جورد فيلسوف وجودى، بينما هيدجر وياسبرز فيلسوفان فى الوجود أو مفلسفان للوجود. . . والحلاج قد أراد هو الآخر - إلى حد كبير - أن يجعل فلسفته - إن صح هذا التعبير - وجودًا لمذهبه فى الوجود. ومن هنا لا يمكن بالنسبة إليه: أن نفصل حياته عن فكره، فقد حيى ما قال، وقال ما حيى. . . لكن لا يزال المجال مع ذلك واسعًا لدراسة كل من الحلاج والسهروردى المقتول على ضوء ما قررناه هنا، ويمكن قطعًا أن نضم إليهما ابن سبعين، هذه الشخصيات الغريبة الشائقة بأقوالها وأفعالها، وبخاصة فعلها النهائى الحاسم الذى قضت به على حياتها، فكانت فَعْلة وجودية من الطراز الأول، لا بد أن تكون قد قامت على أسس وجودية، ونعنى بذلك انتحاره بقطعه أحد شرايينه، وهو عمل إرادى واع لنفسه لا نكاد نجد له مثيلاً فى تاريخ الفكر العربى»[٣].

---

(١) شهاب الدين بن يحيى، فيلسوف ولد سنة ١١١٥م، ومات مقتولاً سنة ١١٩١م. راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٣٤٣ .

(٢) محمد بن عبد الحق بن سبعين، ولد فى مرسية سنة ٦١٤ هـ، ومات منتحرًا بمكة سنة ٦٦٩ هـ، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٢٢ .

(٣) عبد الرحمن بدوى، الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

اهتم بدوى بالمستشرقين، بل اعتز بهم، وكان على صلة وثيقة معهم، فهو يتحدث عنهم، وينقل منهم، ويترجم لهم، ويتقمص شخصياتهم فى فهمه وتعامله وأحكامه على العقلية العربية، ويفتخر بمعرفته الشخصية بهم؛ فحين تطلع على كتابه (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية) ترى دراسات مترجمة لعدد من المستشرقين كـ (كراوس) و(جولد زيهر)[(١)] و(كارل نلينو)[(٢)] وغيرهم. وكتابه (تاريخ الإلحاد فى الإسلام) هو دراسات ألف بعضها وترجم الأخرى، وكذلك فى كتابه (مخطوطات أرسطو)، وكتابه أيضًا (أفلاطون فى الإسلام) نراه يعتمد فيما نقله من نصوص على جهود المستشرقين.

كذلك تركيزه على أعمالهم، والثناء عليهم بها؛ فقد ذكر أعمال المستشرق الإيطالى (دلافيد)[(٣)]، وذكر (شاخت)[(٤)] الذى انتدب للتدريس فى الجامعة المصرية، وذكر (هنرى كوربان)[(٥)] قائلاً: «لقد انعقدت أواصر الصداقة بينى وبينه منذ أن زار مصر سنة ١٩٥٤م»[(٦)]، وذكر (سانتلانا)[(٧)] ومحاضراته بالجامعة المصرية، وذكر (ماسينيون)[(٨)] وأشاد به

(١) مستشرق مجرى (١٨٥٠ - ١٩٢١م)، أقام بالقاهرة ويعد من أعرف المستشرقين بالإسلام. راجع: الموسوعة العربية. ج١، ص ٦٦٨ .

(٢) مستشرق إيطالى (١٨٧٢ - ١٩٣٨) عين عضوًا بالمجمع اللغوى بالقاهرة. راجع: نجيب العقيقى (المستشرقون)، ج١، ص ٤٣٢ .

(٣) مستشرق إيطالى (١٨٨٦ - ١٩٦٧م)، راجع: المستشرقون، نجيب العقيقى، ج١، ص ٤٤٠ .

(٤) مستشرق ألمانى (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) عضو المجمع العلمى بدمشق، راجع: المستشرقون، العقيقى، ج٢، ص ٤٦٩ .

(٥) مستشرق فرنسى (١٩٠٣ - ١٩٧٨م) ولد ومات بباريس. راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشى، ص ٤٩١ .

(٦) عبد الرحمن بدوى، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٣٤ .

(٧) مستشرق إيطالى (١٨٤٥ - ١٩٣١م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٩٥٧ .

(٨) مستشرق فرنسى (١٨٨٣ - ١٩٦٢م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص =

فى موسوعته. وفى كتابه (شخصيات قلقة فى الإسلام) يستشهد به، وينقل عنه فى كتابه (تاريخ التصوف)، ولم يكتف بذلك بل وصل به الأمر إلى الادعاء أن للمستشرقين دورًا وفضلاً فى الكشف عن علوم العرب، ويظهر ذلك فى كتابه (دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب)؛ فقد ذكر أن المستشرقين تناولوا علوم العرب بالدرس والتحقيق والمقارنة بينها وبين أصولها - على حد زعمه - اليونانية والهندية، وتأثيرها فى أوربا فى العصر الوسيط وأوائل العصر الحديث. ويذكر هذه العلوم علمًا، علمًا: كالكيمياء، والطب، والفيزياء، والرياضيات . . . الخ.

٩- يبدى (بدوى) اعتزازه بالفكر الغربى، ويدعو إلى التوجه إلى الغرب، ويثنى على أستاذه (طه حسين)[١]ويدافع عنه حيال ما أثير حول كتابه (الشعر الجاهلى)، ويقول: «علام إذن كل هذه الضجة الزائفة التى أثيرت حول الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاءوا من النعوت، فاتهموه بالمروق والتهجم على التراث العربى العريق، والرغبة فى تحطيم أمجاد العرب. . . إلخ»[٢]. وفى دعوته إلى الغرب يقول: «من المؤكد أنه ليس أمام الشرقيين من سبيل آخر إلى التهذيب والثقافة القادرة على التطور إلا سبيل الإنسانية فى الغرب»[٣]. ولم يكتف بذلك، بل ينقد العقلية العربية، ويتخذ منها موقفًا رافضًا لها؛ بدعوى أنها عقلية تفتقد الذاتية؛ ولذلك تجده يرجع الفضل دائمًا إلى الغربيين (معلمى الإنسانية) - على حد زعمه - ويقول: «فيما يتعلق بأساتذتنا فهم المستشرقون الذين درسوا ونقبوا وحللوا

١٦٢٤ .

(١) طه حسين بن على بن سلامة (١٣٠٧ - ١٣٩٣هـ)، ولد بمحافظة المنيا بمصر، ومات بالقاهرة. يحمل الدكتوراه فى الآداب، له مؤلفات فى الأدب والشعر. راجع: المستدرك على معجم المؤلفين، ص ٣٠٥ .

(٢) عبد الرحمن عبد الرحمن بدوى، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى، ص ١٠ - ١٤ .

(٣) المرجع السابق، ص١٧ - ٣٢ .

وحققوا التراث العربى الإسلامى، علينا متابعتهم والأخذ عنهم، ولا بأس - أيضًا- من ترديد آرائهم التى تحط من قدر العقل العربى والعقل السامى»[١].

١٠- يتجاهل بدوى حقيقة الروح الإسلامية، ويدعى أنها بطبيعتها تنافى الفلسفة، وليس فى الفكر الإسلامى قيمة فلسفية حقيقية، لماذا؟ لأن المذهب الفلسفى تعبير عن الذات فى موقفها حيال الطبيعة الخارجية والذوات الأخرى، على حين - على حد زعمه - أن الروح الإسلامية تنكر الذاتية أشد الإنكار، وإنكار الذاتية يتنافى مع إيجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة؛ ولهذا فإن الروح الإسلامية لم تنتج فلسفة، بل لم تستطع كذلك أن تفهم روح الفلسفة اليونانية وأن تنفذ إلى لبابها[٢].

١١- أغرق بدوى نفسه فى الذاتية امتدادًا واتفاقًا مع نزعته الفردية الوجودية، ويبدو ذلك من خلال الاطلاع على موسوعته: فهو يكتب عن نفسه، وهو دائم الإحالة فى جميع كتبه إلى كتبه الأخرى التى ربما تكون هى الكتابات العربية الوحيدة التى يشير إليها، ويتجاهل جميع المفكرين والكتاب العرب المحدثين والمعاصرين[٣].

١٢- يظهر فى كتابات (بدوى) الأدبية الدعوة إلى التطرف والثورة والتمرد؛ فالمطلع على كتابه (شهيدة العشق الإلهى/ رابعة العدوية) يدرك مدى دعوته إلى التطرف، وأن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين، أما التطرف فمن شيمة الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ[٤]- على حد

(١) عبد الرحمن بدوى، نقلاً من كتاب (الخطاب العربى المعاصر) محمد عابد الجابرى، ص ١٤٧ .

(٢) راجع: عبد الرحمن بدوى، (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية)، ط١، دار القلم ١٩٦٥م، ص ١٩ .

(٣) راجع موسوعته الفلسفية و كتبه الفلسفية .

(٤) راجع: عبد الرحمن بدوى (شهيدة العشق الإلهى)، وكالة المطبوعات بالكويت، ط٢، =

زعمه - ويتضح من كتابه -أيضًا- (الحور والنور) نزعاته الوجودية التى تتسم تارة بالغربة وأخرى بالتمرد والثورة[١].

* * *

= ١٩٧٨م، ص ٢١ .

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى (الحور والنور) النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٥١م، المقدمة .



الباب الثانى

اعتقادات الوجوديين

ويتضمن ستة فصول:

الفصل الأول: نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية.

الفصل الثانى: تصور الوجوديين للحرية.

الفصل الثالث: نظرة الوجوديين إلى الأخلاق.

الفصل الرابع: نظرة الوجوديين إلى القلق.

الفصل الخامس: الإنسان بين الوجودية والإسلام.

الفصل السادس: استغلال الوجوديين الأدب والتربية لنشر أفكارهم.

الفصل الأول
نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم الألوهية عند الوجوديين.

ثانيًا: أقوال الوجوديين في الإله.

ثالثًا: شبهات الوجوديين على معتقدهم في الألوهية.

رابعًا: عقيدة الألوهية في الإسلام.



الفصل الأول
نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية

أولاً: مفهوم الألوهية عند الوجوديين:

لقد توصل كيرك جورد بعد تجارب طويلة إلى أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان بالله إلا بإنكار العقل والمنطق، وجاء بعده نيتشه الذى أعلن موت الآلهة، التى هى المثل العليا والقيم الخالدة التى يستند إليها الإنسان فى تقدير الأمور والحكم عليها أو لها، ويهتدى بنورها فى التمييز بين الخير والشر.

ومما لا شك فيه: أن فلسفة نيتشه منبثقة عن فلسفة شوبنهور التى تجعل من الإرادة قوام العالم، لكن شوبنهور قد دعاه خداع إرادته إلى استسلامه للألم؛ فكان مخرجًا له إلى إبادة رغباته بهدم نفسه، وإذابتها فى المحبة والفن، على حين أن نيتشه قد دعاه صراعه الفلسفى إلى هدم الضعفاء وسحق الرحماء، حتى نادى أخيرًا - وفى كثير من نصوصه - بأن «الإنسان قد اخترع فكرة الله».

ومن هنا اندفعت الوجودية إلى رسالتها الخطرة، حتى أكدت فى معظم مذاهبها: أن فكرة الله من خلق الإنسان، وأن من المتناقضات الكبرى: أن يكون الله موجودًا، وأن يكون الإنسان حرًا.

لقد وصلت الوجودية إلى قمتها مع سارتر الذى أعلن للعالم كله أنه: لا شىء هو الإله، لا الإله المسيحى، ولا آلهة الوثنيين، ولا إله دين من الأديان، وما دام الإله قد مات - كما قال نيتشه - فيجب على الإنسان أن يعيش مستغنيًا عن القيم التقليدية التى اخترعها الضعفاء للتسلط على الأقوياء[1].

---

(١) راجع: د. عبد القادر محمود: الفكر الإسلامى و الفلسفات المعارضة ص ٢١٤، ٢١٥.

وبهذا لم يعد لوجود الإله أو عدمه أهمية فى نظر الوجودية، فالإنسان كتب عليه أن يكون حرًا كما يقول سارتر - وسيظل هكذا حرًا.

وقد يقول قائل: أليس من فلاسفة الوجودية مؤمنون يقرون بوجود الله؟

أقول: لقد سبق أن ذكرت أن الوجوديين فئتان:

أ- فئة يطلق عليها: مؤمنة (غير ملحدة).

ب- فئة يطلق عليها: ملحدة.

أما الفئة المؤمنة فهم يؤمنون بوجود الإله، لكنه فى الواقع والحقيقة إيمان صورى؛ فهم يقولون ويعتقدون أن الإنسان قد خلق وعرف من قِبَل إله متمكن موجود فى عالم سام، وقد تم خلق الإنسان على شاكلة هذا الإله - نعوذ بالله - وعليه: فإن للإنسان هنا وجود معروف ومقرر وجوده سلفًا من قبل الله، ولكن وجوده الإنسانى فى الحياة يكون سابقًا لأى شىء آخر غير وجوده فى الحياة، أى: لا وجود للماهية أو أى عمل فكرى فى الحياة سابق له. ويترتب على هذا الإيمان: أن الله - سبحانه وتعالى - لا سلطة له ولا قدرة ولا مشيئة على الإنسان؛ بل الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه.

أما الفئة الملحدة فهؤلاء لا يعترفون بوجود الله، وينكرونه بدعوى أن الإنسان قد وجد فى هذا العالم بلا تعريف أو ماهية سابقة لهذا الوجود الإنسانى، ولا يعرف مطلقًا - على حد زعمهم - القوة التى دفعته إلى هذا الوجود وألقته فى هذا العالم[١].

إن الوجودية تجمع - فى الواقع - بين الجميع، مؤمنين وملاحدة، عند هذا المخطط الكبير:

---

(١) راجع: (الوجودية مذهب إنسانى) سارتر. ترجمة كمال الحاج. منشورات مكتبة الحياة بيروت ص ٤١ .

١- الرفض لأى معنى يفسر الحياة.

٢- التبرم والضيق بالمقررات المنطقية والعلمية التى ترجع بالأمر إلى أى سلطان أو نظام أو قانون[١].

وهذا المخطط ينطوى على إنكار وجود الله، فمعنى وجود الله يفسر الحياة، ورفضهم لأى معنى يفسر الحياة يعنى رفضًا لوجود الله، جل وعلا.

كما أن إثبات وجود الله يقوم على المقررات المنطقية والعلمية؛ حتى يؤمن من يؤمن عن بينة، ويكفر من يكفر عن بينة، وحتى يقيم الله الحجة على عباده، فإن يتبرموا بهذه المقررات فمعناه: إنكار للأدلة التى تؤدى إلى معرفة الله، جل وعلا.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الإله:

قال الوجوديون فى الله قولاً آثمًا كافرًا ملحدًا يعتبره المنصف كفرًا صريحًا يقود صاحبه إلى النار وبئس القرار، وسأذكر نماذج لأقوال مشاهيرهم، ثم نستنتج من هذه الأقوال فكر الوجودية عن الإله.

١- قال كيرك جورد:

«لا يصح أن نقول: الله موجود؛ لأن الموجود هو الإنسان، والذى يتغير هو الإنسان فله زمان، أما الله فلا زمان له، فهو غير موجود؛ لأنه لا زمان له، بل هو كائن»[٢].

مناقشة هذا القول:

استدل رائد الوجودية «كيرك جورد» على أن الله ليس بموجود: بأنه لا يتغير ولا زمان له؛ وإنما الذى يتغير ويمر عليه الزمان هو الإنسان؛ فهو

(١) راجع: د. عبد القادر محمود: الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة ص ٢١٧ .

(٢) كيرك جورد: إما أو. ترجمة: د.عبد الرحمن بدوى. دار الثقافة ١٩٦٣ ص ٢٤٥ .

الموجود. ولست أدرى أى تفكير هذا الذى يأخذ من ثبات الشىء وعدم تغيره أنه معدوم؟! وإذن فماذا يقول هذا الرجل فى الجبال الراسيات، والبحار والمحيطات، والأرض والسموات، وهو قطعًا قد رآها طوال حياته غير متغيرة؛ أفيقول عنها: إنها غير موجودة؟! أو ماذا عساه أن يقول؟ وقد يقول: إنه يمر عليها الزمان. ونقول: ما دليلك على هذا وهى لم تتغير أبدًا؟

استدل العقلاء المفكرون بالتغير ومرور الزمان على الحدوث الأخص من الوجود؛ إذ الوجود يعم القديم والحادث، واستدلوا بعدم تغير الله - سبحانه وتعالى - وعدم مرور الزمان عليه: على أنه قديم؛ إذ إنه موجود قبل الزمان فلا يقاس وجوده بالزمان إذن، ومن كان هذا شأنه كان موجودًا قديمًا، وهذا الاستدلال يتمشى مع العقل السليم والتفكير السديد، ولكن فساد عقل هذا الرجل جعله يستدل بما يثبت القدم على العدم - تفكير معكوس ومنطق مقلوب - ثم بعد أن حكم على الله بأنه غير موجود - سبحانه وتعالى - يقول: بل هو (أى الله) كائن. هل معنى هذا عنده أن الكائن شىء غير الموجود؟ فما هو وما حقيقته؟ وهل الكائن بأى معنى أراده يقال: إنه غير موجود؟! وإن زعم ذلك فما دليله وما وجهته؟ الذى نعرفه فى معنى كلمة (كائن): أنه موجود أو ثابت أو واقع أو حادث أو غير ذلك مما لا يخلو عن معنى الحدوث والوقوع، إذن فقد أثبت لله - سبحانه وتعالى - الوجود بعد أن نفاه عنه، ويدلك على أنه يخلط فى القول ويلقيه بلا وعى ولا فهم: أنه أطلق هذه الكلمة (كائن) بنصها على أبيه فى عبارة له لما مات جميع إخوته، وبقى أبوه وقد نيف على الثمانين، حيث يقول: «أبصرت فى أبى كائنًا شقيًا كتب عليه أن يعيش بعدنا جميعًا»، كأنه فرض نفسه ميتًا حيث يقول: «بعدنا جميعًا» فالمعنى الذى أراده من هذه الكلمة فى حق أبيه ما هو؟ إن أراد أن معناها فى حق أبيه الموجود وجب أن يراد هذا المعنى بعينه فى حق الله، وإن كان معناها غير الموجود فقد أثبت على أبيه

أنه غير موجود مع أنه إنسان يتغير وله زمان، وإن أراد أن لها فى حق الله معنى يغاير معناها فى حق أبيه طالبناه بالدليل، ولا دليل عنده، بل هو متخبط غلبت عليه شقوته.

ثم انظر إلى مدى تناقضه واضطرابه وهو ينعى حال أسرته ويتوجع لها فيقول: «لقد كتب على هذه الأسرة أن يسلط عليها عقاب الله فتبيد»[١] أين هو الله، حسب زعمك؟ إنك تعتقد أنه غير موجود؛ فكيف يسلط العقاب عليك وعلى أسرتك؟! ألم أقل: إنه يهذى ويخلط ويلقى الكلام بلا وعى ولا إدراك؟! ولذلك أتعجب وأتألم - فى وقت واحد - وأنا أرى أناسًا تبعوا هذا الرجل وهو يهذى هذيان المجنون، ثم انظر إليه وهو يتبرم ويضجر ويئن ويتألم مما أصابه ونزل به فيقول: «لماذا كانت تسعة أشهر قضيتها فى بطن أمى كفيلة أن تجعل منى رجلاً عجوزًا؟ لماذا لم أولد فى النعيم؟ ولماذا ولدت فى الألم وللألم؟ ولماذا انفتحت عيناى لا لترى الهناء، بل لتغوص فى دنيا الزفرات وحدها دون أن أملك الخلاص منها؟!»[٢]. ألا يكون نزول هذه المصائب به واجتماعها عليه، وهو لا يحبها ولا يميل إليها ولا يرغب فيها، ثم لا يجد منها فكاكًا، ولا يملك لها خلاصًا - ألا يكون نزولها به دليلاً واضحًا على أن هناك وراء محيطه ومحيط العالم كله إلهًا قاهرًا، له عليه وعلى غيره السلطان والغلبة، يصب عليه ما يشاء من غضب ونقم، وينزل بغيره الرحمة ويوليه النعيم؟! سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. هل يعرف الشيء ويستدل عليه إلا بآثاره الناشئة عنه؟ وهل هذه الآثار جميعًا لا تدل فى نظر الرجل على أن هناك موجهًا لها، وهى تنادى باحتياجها الدائم، وفقرها المتأصل إلى من يدفع عنها حاجتها ويصون لها وجودها؟!

---

(١) كيرك جورد. نقلاً من كتاب (شخصيات فلسفية) إمام عبد الفتاح ص ٢٩٩ ج١ .
(٢) كيرك جورد نقلاً من كتاب (شخصيات فلسفية) إمام عبد الفتاح ص ٢٩٩ ج١ .

ومن أقواله أيضًا:

«كل ما أعيشه أعيشه فى التناقض؛ لأن الحياة ليست سوى متناقضات؛ ولذا يحاول الوجودى أن يثبت بالبرهان أن وجوده ووجود الإله أبعد ما يكون عن المضمار البرهانى من جميع الوجودات الأخرى، ولا يوجد فى ذلك ملجأ إلا فى كنف العقيدة؛ إذ إن العقيدة مطلقة والإيمان بها قاطع، ولا ينبغى التنقيب عن براهين وجود الإله، إذا كان من إهانة الإله جحوده فإن من الإهانة الأشد غلظة وفظاظة: أن يحاول الإنسان إثبات وجود الإله وهو تحت سمعه وبصره»(١).

وهذا النص الذى ذكره (سورين كيرك جورد) يتضمن ما يلى:

أ- عدم وجود إحكام وإبداع فى إيجاد هذا العالم، الأمر الذى يترتب عليه إنكار الخالق المبدع، وهذا القول يتنافى مع القول السديد بأن كل ما وجد فى الكون وجد لحكمة وبحكمة، وهذا الطريق أحد الطرق التى سلكها القرآن الكريم إثباتًا لوجود الله -تعالى- كما سنوضح ذلك فى حينه بمشيئة الله تعالى؛ فالكون كله - حسب زعمه - ضرب من المتناقضات.

ب- أن هذا القول يجر إلى أقوال كثيرة قال بها الملاحدة: من دهريين وطبيعيين ممن قالوا بالصدفة، أو ادعوا أن العالم خبط عشواء. وهذه كلها قال بها المبطلون قديمًا وأحيتها الوجودية حديثًا. وسنرى الرد كاملاً على هؤلاء الوجوديين عند التعرض لشبهات الوجوديين فى الألوهية.

٢- ويقول (باسكال):

«هل الإله موجود أو غير موجود؟ ماذا تختار منهما؟ أما بواسطة العقل فلا تستطيع تأييد أى واحد منهما ... وإذن فالأفضل ألا تتكلم فيهما.

---

(١) سورين كيرك جورد: (إما هذا - إما ذاك) ص ١٦٩ نقلاً من كتاب (الإسلام وتيارات الفكر المعاصر) د. طلعت غنام ص ٨٦ .

نعم، ولكن ينبغى التكلم، وهذا ليس إراديًا، لأنك أبحرت فوق زورق الحياة، أى: أنك (مربوط) فأيهما تختار؟» ثم يقول:

«كل ما أراه فى الطبيعة هو موضع شك وقلق، ولو كنت لا أدرى شيئًا يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده، ولو شاهدت آيات خالق فى كل شىء لاسترحت بالإيمان، ولكن ما أراه هو أكبر مما أستطيع إنكاره، وهو أقل مما يقنعنى؛ فأنا فى حالة تستوجب الشفقة»[١]، وهذا النص فيه عدد من المغالطات نذكر منها على سبيل الإشارة فقط هنا، وسنعاود الرد فى حينه من هذا البحث - إن شاء الله -:

أ- هذا النص يتنكر لكل الأدلة التى ساقها العقلاء إثباتًا لوجود الله - تعالى- ولما ساقه القرآن الكريم من أدلة عقلية فى ثوب نقلى جعلت العقل يسجد لله؛ لإقناعها وحكمتها.

ب- أن هذا النص يتنكر فى وقاحة لهذه الآيات المبثوثات فى هذا الكون المترامى الأطراف، والتى لا ينكرها أو يتنكر لها إلا مكابر جاحد ألغى عقله وفكره.

ج- أن هذا يدل على الحيرة والشك الذى يدور فى فكر هذا الفيلسوف.

٣- يقول (جابرييل مارسيل):

«الإيمان هو شعور المرء أنه بمعنى ما فى داخل الألوهية»[٢]، ويقول - أيضًا-: «تلك العلاقة بين الحرية الإنسانية والحرية الإلهية التى هى السر المركزى فى الديانة المسيحية»[٣].

---

(١) باسكال (الأفكار) ترجمة سامى ناشد. عالم الكتب القاهرة ص ٤٣٧ .

(٢) جابرييل مارسيل. نقلاً من كتاب (دراسات فى الفلسفة الوجودية) د. عبد الرحمن بدوى ص ١٩٨ .

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة .

ويقول -أيضًا-: «وليست الذات التصورية بأفضل من الذات المادية، أى: ليس إنسان هيجل بأفضل من إنسان كارل ماركس حيث يتبخر الله فى التجريد، حيث يصبح فكرة لا إلها شخصيًا»[(١)]، ومن هذه النصوص يتضح ما يلى:

أ- رغم أن هذا الفيلسوف يعد من المؤمنين - على حد تعبيرهم - إلا أنه أنكر وجود الله - سبحانه - وتعالى حقيقة؛ حيث جعل الله فكرة فقط لا صلة ولا قدرة لها بالمخلوقين.

ب- بناء على المفهوم السابق: فإن الإنسان عنده جسد غير مرتبط بصورة سابقة لوجوده، عمارة قائمة لا صلة لها بالمهندس الذى أقامها ولا تعترف به، ولا بالتصميم الذى أقامها على صورته ورسمه؛ بل هذه العمارة تهندس نفسها منذ أن اكتشفت وجودها، وعليها أن تخلق عالمها[(٢)].

ج- أن إيمان هذا الفيلسوف إيمان مسيحى مشوب بالتخريف والتحريف.

٤- ويقول (هيدجر):

«وحينما يستولى على أنفسنا الشعور بالقلق فهنالك لابد أن ندرك أنه قد قذف بنا إلى هذا العالم على الرغم منا، وأنه قد خلى بيننا وبين ذواتنا، وأننا مهجورون لا نجد خلفنا أية دعامة نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أى هدف ننزع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة عليا تعيننا على التحكم فى مصيرنا»[(٣)]، وهذا القول لا يحتاج إلى تعليق، إنه إنكار واضح لوجود الله.

---

(١) مارسيل (الوجودية والفكر المسيحى) ص ١٦٥، نقلاً من كتاب (المذاهب الوجودية تأليف ريجبيس جولفيه) ترجمة فؤاد كامل.

(٢) راجع: د. عبد الرحمن عميرة (المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها) دار الجيل، بيروت ص ١٨.

(٣) هيدجر، نقلاً من كتاب زكريا إبراهيم (دراسات فى الفلسفة المعاصرة) ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

٥- يقول (سارتر):

«أنا موجود، معناه: أننى حر، وقولى: أنا حر، معناه: أن الله لم يعد موجودًا»[(١)].

ويقول -أيضًا-: «أن تكون إنسانًا، هذا معناه: أن تنزع إلى أن تكون إلهًا، وإذا شئت الإنسان فى صميمه إن هو إلا رغبة عارمة فى أن يصبح هو الله نفسه»[(٢)]، ويقول -أيضًا-:

«إن الله قد مات، ولكن هذا لا يعنى أنه غير موجود أو أنه لم يعد موجودًا؛ بل إن الله قد مات، بمعنى: أنه كان يحدثنا ثم صمت؛ فلم نعد نستطيع أن نلمس منه الآن إلا جثة هامدة»[(٣)].

ويقول -أيضًا-: «أما نحن فإننا قد قوضنا الله، لكننا قلنا باستمرار وجود تلك القيم بالرغم من اعتقادنا بعدم وجود الله»[(٤)].

ويقول -أيضًا-: «إن الإنسان محكوم عليه بالحرية، محكوم؛ لأنه لم يخلق ذاته، وهو حر؛ لأنه قد صار مسئولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن تواجد فى العالم»[(٥)]، ويقول -أيضًا-: «إن الوجودية ليست إلحادًا، بمعنى: استنفادها لنفسها فى استعراض أوجه عدم وجود الله، وهى تعلن أنه حتى لو كان الله موجودًا فالنتيجة لها سواء، وليس المهم أننا لا نؤمن بوجود الله؛ ولكن المهم بالنسبة لنا أو ما نظنه المشكلة الحقيقية ليس مشكلة وجوده؛ بل المهم هو أن الإنسان محتاج لأن يجد نفسه من جديد، ولأن يفهم أن لا شىء يمكن أن ينقذه من نفسه ولو برهن على أن الله موجود»[(٦)].

---

(١) سارتر (الذباب) ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) سارتر (الشيطان والرحمن) ص ٢٦٧ .
(٣) سارتر (المواقف) ترجمة جورج طرابيشى. دار مكتبة الحياة ص ١٢٣ ج١ .
(٤) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٢٦ .
(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٢٦
(٦) المرجع السابق، ص ٦٧ .

ويقول -أيضًا-: «هناك تناقض ضمنى فى الفكرة التى تقول بوجود كائن يستمد وجوده من نفسه»[(١)]، «أنا وحدى اخترعت الله)[(٢)].

ويقول -أيضًا-: «إن الله لكى يكون علة نفسه يجب أن يوجد أولاً لكى يصبح علة لوجوده، أى: أن يوجد قبل أن يوجد؛ فالله متناقض»[(٣)].

ويقول -أيضًا-: «إن الله لكى يوجد يجب أن يجمع فى طبيعته بين الوجود فى ذاته - أى وجود الأشياء - وبين الوجود لذاته، أى: وجود الإنسان، وكلا الوجودين متناقض مع الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما»[(٤)].

ويقول -أيضًا-: أما إذا اعتبر البعض إلحادنا بالله يأسًا فالوجودية يأس شديد عميق»[(٥)].

ويقول -أيضًا-: «إن الله غير موجود؛ فكأننى تخلصت من فكرة كانت موجودة فى العالم، ووضعت مكانها عدمًا روحيًا وفكرة ناقصة داخل إطار أفكارى جميعًا»[(٦)].

ويقول -أيضًا-: «كل موجود يوجد بلا سبب، ويحيا عن ضعف، ويموت بمحض المصادفة»[(٧)].

هذه بعض أقوال هذا الفيلسوف الملحد، ولقد أعلن إلحاده ولم يجد فى إعلانه حرجًا؛ فهو يقول فى تبجح: «ولكن الوجودية الملحدة والتى أمثلها

---

(١) سارتر (الوجود والعدم) ترجمة عبد الرحمن بدوى. ص ١٢٨ .
(٢) سارتر (الشيطان والرحمن) ص ٢٦٧ .
(٣) سارتر (الوجود والعدم) ص ١٢٩ ومسرحية الذباب ص ٣٦ .
(٤) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧١٢ - ٧١٥ .
(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٦٧
(٦) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٥٤٦ .
(٧) سارتر (الغثيان) ص ١٩٣، و (الوجود والعدم) ص ٦٣٠ .

أنا»[١]، وهذا القول وغيره مما سبق إشارة واضحة لعدم اعتراف سارتر بوجود الله، تعالى الله عما يقول هذا المغالط علوًا كبيرًا.

مناقشة أقوال سارتر:

١- استدل سارتر على عدم وجود الله بشبه واهية متهافتة متهالكة: حيث أخطأ فى الشبهة الأولى التى قالها، وهى «إن الله لكى يكون علة نفسه يجب أن يوجد أولاً. . . إلخ»، ومنشأ الخطأ لدى سارتر وغيره من الوجوديين ممن تشبث بهذه الشبهة: أنه اعتقد أن كل موجود مفتقر فى وجوده لآخر حتى وجود الله؛ فتصور وجوده كوجود الإنسان؛ ولذلك لم يتصور أنه أصل الوجود الذى ليس وراءه أصل. والوجود لا يكون إلا هكذا؛ إذ إنه لابد - فى الوجود - من موجد أوجد غيره ولم يوجده غيره، هو الأول للوجود كما عبر عنه (فيثاغورس)[٢] بأنه كالعدد واحد: أصل الأعداد ولا يوجد أصل له؛ ولذلك قال الله فى القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

٢- أما شبهة سارتر الثانية، والتى سلكها لإنكار وجود الله - فهى قائمة على أن وجود الله مستحيل، إلا إذا جمع فى طبيعته بين الوجود لذاته «الإنسان» وبين الوجود فى ذاته «الأشياء أو الجماد»، وكلا الوجودين متناقض مع الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما. فهل يقبل من لديه ذرة من عقل شبهة سارتر هذه؟! وهل من المعقول أن يكون الله - العلى القدير الخالق لكل شىء - مثلاً لإنسان أو مثل أى شىء خلقه هو - سبحانه

---

(١) راجع سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ترجمة كمال الحاج، دار مكتبة الحياة بيروت، ص ٤١ .

(٢) فيثاغورث (٥٧٢ - ٤٩٧ ق. م) مؤسس المدرسة الفيثاغورثية. ولد بجزيرة (ساموس) وتلقى تعليمه فى مصر وبابل. راجع المعجم الفلسفى. مجمع اللغة العربية ص ١٣٨ .

(٣) سورة الحديد آية ٣ .

وتعالى علوًا كبيرًا - قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

قال الأستاذ وحيد الدين خان: «وعلى كل حال فإن شبهة سارتر هذه - بكل ما تتضمن من السفسطة والجهل وانعدام الواقعية - هى فكرة لا معنى لها فى ذاتها، وليست مفهومة، كما أنها لم تحظ بالقبول لدى أى إنسان عاقل؛ إذ كيف يسلم ويؤمن بوجود الإنسان، وكذلك يسلم ويؤمن بوجود الكون، ولا يؤمن بوجود الله، فإذا آمنا بوجود الكون فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيًا؛ إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود دون خالقه؛ فكل شىء وراءه علة، فكيف بنا نؤمن بأن كونًا عظيمًا مثل كوننا جاء (الوجود) دون خالق، أليس هذا عنادًا ومكابرة؟!»[2].

٣- إن مفهوم الألوهية لدى (سارتر) مفهوم بشرى ساذج، بل إنه أكثر سذاجة من مفهوم المشبهة[3]؛ ذلك أن المشبهة مع قولهم بجوارح وأعضاء لله تماثل جوارح البشر وأعضاءهم لم يسلبوه من صفات (إلهية) تميزه عنهم، لكن سارتر يتصور الله -تعالى- على أنه موجود كسائر البشر فيسميه (موجودًا بذاته) مثلما يطلق هذا اللفظ على أى موجود واع آخر، فالله - تعالى- موجود بذاته بنفس المعنى الذى تعبر عنه عبارة سارتر: (موجود بذاته)، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وكلمة (موجود) تحمل بين طياتها الوجود المجسم الذى ليس وراءه أى حقيقة غيبية، يتضح ذلك من تفسير الوجودية السابق للوجود بأنه (ما يظهر

---

(١) سورى الشورى آية ١١ .

(٢) وحيد الدين خان (الإسلام يتحدى) ترجمة ظفر الإسلام خان. مكتبة القرآن ١٩٦٦، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) المشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره كالبابية والبيانية، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره كالهشابية والجواربية .

عليه)، أى: أن الوجود هو الوجود الظاهرى الذى ليس وراءه وجود خفى، فالله (موجود بذاته) بهذا المعنى المجسم للوجود - كما يدعون - لذا طابق وجوده الوجود الواعى المجسم الذى هو الإنسان.

وللتعليق على هذه الفكرة أقول: إن سارتر ليس بالبساطة العقلية والسذاجة التى تجعله يصدق هذه الفكرة التى ابتدعها عن الخالق، ولكن الجحود والمكابرة اللذين أشار إليهما قول الحق - تبارك وتعالى - فى شأن الكفار: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1] هما اللذان دفعاه للإصرار على هذه الفكرة، يدل على هذا تصريح يتضمن اعترافًا واضحًا له بوجود (الخالق)؛ حيث جرت محاورة بينه وبين عشيقته (سيمون دى بوفوار)، وذلك قبل وفاته بوقت قصير، حيث قال: «أنا لا أشعر بأنى مجرد ذرة غبار ظهرت فى هذا الكون؛ وإنما ككائن حساس تم التحضير لظهوره وأحسن تكوينه، أى بإيجاز: ككائن لم يستطع المجىء إلا من خالق»[2].

٤- تجرأ سارتر على الله ونسب إليه لفظ الموت فقال: «إن الله قد مات»، ويعنى بذلك أن الإنسان موجود مهجور قد خلى بينه وبين نفسه، وأنه لا يجد فى ذاته أية دعامة يركن إليها، أو أى سند يعتمد عليه، فعلى الإنسان أن يسترد حريته الخلاقة؛ فيصبح هو الخليفة الشرعى الذى يتربع على عرش الحقيقة المتعالية[3]، على حد زعمه.

٥- أن عبارة «الموجود بذاته» لا يمكن بحال أن تدل على المفهوم الحقيقى للألوهية، وتقابلها - على سبيل الفرض - عند علماء المسلمين عبارة (الواجب لذاته) الدالة على المفهوم الصحيح؛ لأنها تدل على قيام الله

---

(١) سورة النمل، آية ١٤ .

(٢) مجلة الدوحة عدد ٧٧ شهر رجب ١٤٠٢ تحت عنوان (المحاورة الأخيرة بين سارتر ودى بوفوار) ص ١٢ ترجمة وتعليق محمد جابر الأنصارى .

(٣) راجع: د. زكريا إبراهيم (مشكلة الإنسان) ص ٢٠١، وموريس كرانستون (سارتر بين الفلسفة والأدب) ص ٤٨ .

بنفسه، والقائم بنفسه لا يحتاج لغيره حتى وهو موجود؛ فكيف يتوقف وجوده عليهم؟!

٦- أوهم سارتر الإنسان أنه سيد مصيره، وأنه قادر على خلق ذاته وحيدًا مستقلًا عن الآخرين، يختار هذه الذات فى حرية تامة دون أن يهتدى بأية قوى فى طريقه، أو يعتمد على مقاييس موضوعة له، فجعله يعيش فى ظلمة دائمة تحيط به الأخطار من كل جانب، فهو يكابد القلق يائس من غيره، لا يؤمن إلا بصنع يده ونتاج عقله، وما دام سارتر قد أعلن أنه لا إله إلا إرادته الخالقة - نعوذ بالله - وأن قيمة الإنسان فى مدى ما تخلقه هذه الإرادة وتحققه، يقول الأستاذ رمضان لاوند: «إنه أراد أن يمنح الإنسان صفات الله، ولكنه إله مزيف يصنع نفسه شيئًا فشيئًا فى طريق لا نهائى لن يصل به إلى النور»[١].

٧- ادعى سارتر أن الأديان تقييد لحرية الإنسان ومسيطرة عليه، فما القواعد والنظم والأديان إلا مجرد أفكار مثالية، وتشريعات لم يصنعها الإنسان، ولم يساهم فى وضعها، فهو لا يعترف بها، والفكرة بصفة عامة لا وجود لها؛ إذ الوجود لا يكون إلا لما هو كائن بالفعل، وما يحققه الإنسان من خلال تجربته الوجودية على حد زعمه.

ومما لا شك فيه أن هذا الاتجاه يفتح أبوابًا عدة إلى الضلال؛ ذلك أن كل إنسان مهما كانت تجربته فهى تجربة ذاتية فردية دون مقاييس سابقة، ستصل به حتمًا إلى نتائج لا يطمئن إلى قيمتها الحقيقية من الحق أو الباطل ما دام لا يوجد الميزان الذى توزن به، ومع ذلك يدعى سارتر أن الدين خرافة[٢]؛ لأنه نسيج من الاتجاهات الغيبية والفكرية - على حد زعمه - وهذه مسايرة ومجاراة لأفكاره التى أحدثها قلبه المريض؛ حيث ادعى أن

---

(١) رمضان لاوند (وجودية ووجوديون) دار مكتبة الحياة بيروت، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) راجع: سارتر (الجدار) ص ١٩٧ .

ذاته قائمة أولاً، ومنها بعد ذلك تنبثق الاتجاهات الفكرية: فالإنسان يخلق الفكرة التى يصنع بها حياته، مثله فى ذلك كمثل عابد الوثن الذى يصنع الوثن أولاً بيديه ثم يخر له ساجدًا. وهذا دليل على التعالى والعظمة والشعور بفخامة النفس حين يتصور كل وجودى نفسه إلهًا[١]، وهكذا تصبح الكرة الأرضية آلهة بلا عباد ولا رسل ولا كتب ولا ملائكة ولا دين ولا آخرة. نعوذ بالله من ذلك.

٨- نفى سارتر وجود الله؛ لأنه - كما يزعم - لو كان موجودًا لأوجد الإنسان تبعًا لصورة مسبقة فى ذهنه، فى حين أن الإنسان هو الذى يوجد صورته التى يقررها لنفسه. وهذا الادعاء ليس له أساس من الصحة؛ إذ لو كان الإنسان هو الذى يحدد وجوده وصورته التى يقررها لنفسه، بعد ولادته - كما يقرر سارتر - فمن الذى أبدع صورته ووجوده عند الولادة، وكذا وهو جنين فى بطن أمه: أهو الإنسان أيضًا؟

إن فطرة سارتر التى فطره الله عليها تعترف بوجود الله، ولكنه يكابر ويعاند لهوى فى نفسه، ويؤكد ذلك ما قرره[٢]: وهو أن الإنسان لم يختر أشياء كثيرة كهيئته فى الطول أو القصر، فى الجمال أو القبح، فى صحة البدن أو إذا كان ذا عاهة أو علة، فكل ذلك لم يختره الإنسان، فمن الذى اختاره إذن؟

٩- إن النزوع إلى الله أمر فطرى لدى جميع الناس حتى (سارتر) الذى أعلن إلحاده؛ ولذلك نجده يقول: «إن الإنسان ينزع دائمًا نحو الوجود، ولكن الوجود الذى يشتاق إليه الإنسان ليس هو الوجود المادى الذى قد يبعث فيه الشعور (بالغثيان)، أو الذى فيه من اللزوجة ما قد يولد لديه الضيق

---

(١) راجع: محمد لبيب البوهى (الوجودية والإسلام) دار المعارف مصر، ص٢٠ - ٢١ .
(٢) راجع: سارتر (الوجودية والعدم) ص ٦٦٥ .

والاختناق؛ بل هو ذلك الوجود القار فى ذاته، الوجود الإلهى نفسه»[١]، وقوله -أيضًا-: «وأن تكون إنسانًا، معناه أن تنزع إلى أن تكون إلهًا، وإذا شئت الإنسان فى صميمه إن هو إلا رغبة عارمة فى أن يصبح هو الله نفسه»[٢]. وكذلك قوله على لسان (أورست) مخاطبًا ملك الآلهة: «لم تكد تخلقنى حتى خرجت عن نطاق سلطانك»[٣].

إذن فسارتر معترف بالإله الخالق، وهذه الأقوال تؤكد ذلك، ولو لم يكن معترفًا فى قرارة نفسه بأن هناك إلهًا لما قال ذلك وتمنى أن يكون هو الله؛ فكل إنسان لديه حاسة روحية تتلمس آفاق النور دائمًا. يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: «وإنه مهما غرق الإنسان فى الظلام فإن تلك الحاسة لا تغفل عن وظيفتها أبدًا»[٤]، إلا أن هذه الحاسة أو الفطرة - كما يقول د. أحمد شلبى - «لا تختفى، بل لا تضعف ولا تذبل إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة»[٥]، إذن هذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها جميعًا - بمن فيهم سادة الوجودية، وعلى رأسهم سارتر - قد تراكم عليها الصدأ بسبب الاتجاهات الفكرية لديهم، وعدم إيمانهم إلا بنتاج التجربة الذاتية والحواس، والله - سبحانه وتعالى - لا يمكن أن يرى فى الدنيا؛ لأن الله - عز وجل - لم يجعل للعين القدرة على رؤيته فى الدنيا، ولكنه سيرى فى الآخرة، كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن الله - عز وجل - قد نصب الأدلة الكونية التى تدل عليه - عز وجل - وتبين ربوبيته للكون، كما أن الفطرة البشرية قد أودع فيها معرفته وتعظيمه، وقصد عبادته، وهذه

---

(١) سارتر (الشيطان والرحمن) ترجمة د. عبد المنعم الحفنى. مدبولى القاهرة، ص ٢٦٧ .
(٢) نفس المرجع السابق .
(٣) سارتر مسرحية (الذباب) ترجمة فؤاد كامل. الدار القومية، عدد ٥١، ص ٨٧ - ٨٨ .
(٤) عبد الكريم الخطيب (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) دار الفكر العربى، ١٩٧١م، ص ٩٠ .
(٥) د. أحمد شلبى (مقارنة الأديان) الإسلام / مكتبة النهضة، ١٩٧٩م، ص ٦٨ - ٧٤ .

الفطرة قد تنحرف وتصاب بالفساد بحسب العوامل التى تحيط بالإنسان؛ لهذا نجد القرآن الكريم - كما أثبت أن الله فطر الإنسان على معرفته به - أثبت أيضًا أن هناك من ينحرف بهذه الفطرة، قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[1]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2].

ويضيق المقام عن عرض أقوال الوجوديين فى الإله، ومن خلال ما ورد أقول: إن الوجوديين لا أحسبهم إلا من المعاندين الذين يحاربون دعوة الحق؛ حرصًا على المصالح الدنيوية أو المراكز الأدبية أو الجاه والسلطان أو الحقد، وهو الحقد ليس غير؛ ذلك إذا عرفنا أن الله أثبت العلم للكافرين بوجوده، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وأثبت الفطرة العارفة بالله خالق كل شىء، قال -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

ثالثًا : شبهات الوجوديين على معتقدهم فى الألوهية:

تقيم الوجودية على معتقدها الكافر الباطل فى الألوهية شبهات عدة، منها:

١- استند الوجوديون على زعمهم الباطل فى القول بنفى الألوهية على دعوى زائفة هى قولهم بحرية الإنسان حرية مطلقة.

---

(١) سورة الإسراء، آية ٦٧ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٣٤ .
(٣) سورة البقرة آية ٤٢ .
(٤) سورة الزخرف آية ٩ .
(٥) سورة الجاثية آية ٢٣ .

وهذا القول الذى ينادى به طواغيت الوجودية ومردتها يؤسسون عليه إنكارهم لوجود الله تعالى؛ فهو - فى منظورهم الخاطئ - ليس مهيمنًا على هذا الوجود، فهيمنة الله - تعالى - على هذا الوجود تتنافى مع القول بحرية الإنسان حرية مطلقة؛ ذلك لأن الوجودية حين تقرر حرية الإنسان بمفهومها المطلق فإنها تعنى بذلك أن الله ليس موجودًا. يقول أكبر طواغيت الوجودية: «إن حرية الإنسان تقوم على أنقاض حرية الله»[1].

الرد على هذه الشبهة:

أن دعوى الحرية المطلقة التى أسس عليها الوجوديون إنكار الله - الخالق الرازق المحيى المميت - لا وجود لها إلا فى خيالهم المريض؛ إذ لو كان الإنسان حرًا حرية مطلقة لتحكم فى مسيرة ومجريات أحداثه، ولكان عالمًا بكل ما يحيط به من أحداث، بل لكان هو المتحكم والمخطط لمسيرها فى الحياة، ولما كان هناك ما يقع على الإنسان غير ما يبتغيه أو يرغب فيه، بل يتمنى ألا يقع تأكد كذب ما ترتب على دعوى الوجودية من استغناء الإنسان عن خالق أوجده وقدره. وبيان ذلك: أن الإنسان وهو بطريق الحياة تتناوبه هذه الأقدار:

أ- أحداث تقع به فيفجؤه - بل يفجعه - نزولها به دون أن يدور بخلده - قط - أنها ستصيبه أو ستلم به، مثل: النوازل والكوارث التى قد تصيب الإنسان وهو بطريق الحياة دون سابق إنذار، وما يستطيع عاقل أن يقول: إن الإنسان هو الذى وضعها بنفسه أو أنزلها بساحته بناء على حريته المطلقة.

ب- أحداث تنوبه ما تمناها لنفسه - قط - لكنها تقع به، مثل: ضعف البصر، انحناء الظهر، عجز القدمين عن حمل الجسم، تجاعيد الوجه، ابيضاض الشعر، فلو كان الإنسان سيد أفعاله لما أوقع بنفسه ما تكرهه

---

(١) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٦٢٤ .

نفسه[١].

ج- لو كان الإنسان هو الخالق لنفسه لكان عالمًا بتفاصيل حياتها وأسباب وجودها، أو الغاية التى تصير إليها بعد رحيلها، وهذا يتناقض مع ما تنادى به الوجودية فى أضل مبادئها؛ فهى ترى أن الإنسان قد قذف به فى الحياة دون هدف، وسيرحل عن الحياة دون إرادة أو غاية، وتوضيح ذلك وبيانه أوضح من أن يثار.

د- هل يعقل أن يلغى الإنسان وجود الله لمجرد إثبات حريته الكاملة، وما المبرر لذلك إذا كان الله العالم بكل شيء قد وهب الإنسان حريته؟! قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٢]، ولنا مزيد بسط فى هذا البحث فى الفصل القادم، إن شاء الله.

٢- الشبهة الثانية التى يستدل بها الوجوديون على إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - هى حصر إيمانهم فى المحسوسات فقط، فيدعون أنه إذا كان الله موجودًا فلماذا لا نراه بأعيننا ولا ندركه بحواسنا كما ندرك ونرى الموجودات؟! وهل يسوغ لنا أن نؤمن بما لا نراه؟!

الرد على هذه الشبهة:

إن الإيمان بالمحسوسات والموجودات فقط مسخ للإنسان، وتغليب لجانب من شخصيته على الجانب الآخر؛ مما ينتج عنه القلق والفزع الذى يعانى منه الوجودى، وإلا فالإنسان جسد وروح[٣]، وحصر الموجودات

(١) راجع: د. عبد السلام عبده (العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل) ج١ ١٤٠٩، مطبعة الفجر الجديد ص ٣٥٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٥ .

(٣) راجع: على لبن (الغزو الفكرى فى المناهج) ص ٨١ .

فيما يرى ويحس غير صحيح، فكم من موجودات لا تحس ولا ترى! كما أن حصر وسائل المعرفة فى الإدراك الحسى غير صحيح كذلك؛ فالإنسان يعرف ويدرك عن طريق البداهة والفطرة، وعن طريق العقل والفكر، وعن طريق البصيرة والإلهام، كما يعرف ويدرك عن طريق الحس والرؤية: فعلماء الفلك يقدرون وجود كواكب بيننا وبينها ملايين السنين الضوئية، وقدروا مواقعها والأبعاد بين بعضها؛ لأن وجودها فى المواقع التى حددوها يفسر لهم آثارًا وظواهر معينة فى حركة الكواكب التى رصدوها، ويستدلون بما رأوه على ما لم يروه، ويتبين بالملاحظات العلمية صحة الفرض الذى فرضوه. فهل يلام هؤلاء العلماء على إيمانهم بما لم يروه ولم يحسوه، مع أنهم اهتدوا إليه بالمنطق الرياضى الذى يعتمد على الأرقام لا على الأوهام؟!.

إن هؤلاء العلماء قد اعتمدوا على منطق بسيط ولكنه صادق: هو الاستدلال بالأثر على المؤثر، فهم قد عرفوا الكواكب البعيدة بآثارها لا بذواتها، وعلى هذا النهج نفسه درس العلماء الطبيعيون «الذرة»، واستخدموا قوانين الكتلة والطاقة، مع أنهم لم يروا الذرة حتى الآن، كل ما انتهوا إليه بوسائلهم الإلكترونية الجبارة أنهم استطاعوا أن يروا ظلها أو خيالها بعد تكبيره وتضخيمه؛ فكيف نسلم بهذا المنطق - منطق الاستدلال بالآثار - ونستخدمه فى علوم الطبيعة والفلك ثم ننكره فى معرفة الخالق؟![١].

٣- الشبهة الثالثة التى يضعها الوجوديون حجة لهم فى إنكار الله - سبحانه وتعالى - أن الإنسان أو الكون لا يحتاج إلى موجد أوجده: بل وجد صدفة دون تقدير ولا تدبير؛ فلا خالق ولا موجد له.

---

(١) راجع: بسام سلامة (الإيمان بالغيب) مكتبة المنار، ص ١٩٢ - ١٩٩ .

الرد على هذه الشبهة:

وللرد على هذه الشبهة نقول: إن المصادفة فى نظر العقل تنقسم قسمين:

١- مصادفة ممكنة.

٢- مصادفة مستحيلة.

أما المصادفة الممكنة فصورتها - على سبيل التمثيل -: أن مهندسًا مدنيًا أشرف على نسف جبل صغير فى جهة من الجهات، ولما قام بعملية تفجير الألغام إذ بالأحجار تتناثر هنا وهناك، فتكون عن طريق الصدفة بيتًا صغيرًا لم تظهر عليه روعة الهندسة ولا تصميم البناء، فتشكيل البيت مصادفة بهذا الوصف، وبعد عملية النسف ممكن عقلاً؛ إذ الواقع يؤيده، والعقل يصدقه أو يحتمله.

وحتى هذه الصورة من المصادفة كان لها مقدماتها، فلو لم ينسف المهندس الجبل وتتناثر الأحجار، لما تشكل البيت، فكيف بالكون يتشكل دون مقدمات، وكيف يتشكل من العدم؟!

وأما المصادفة المستحيلة فهى التى يحكم العقل ببطلانها؛ لاستحالة وقوعها فى الواقع، وهى فى المثل السابق تتبين فى أنه يستحيل عقلاً وعرفًا: أن يتكون من عملية النسف قصر منيف رائع قائم على هندسة محكمة، وتصميم بديع من ناحية ترتيب الغرف وموقع الشرفات وتماسك البناء، فالعقل يكذب بداهة هذه المصادفة المزعومة.

وصورة أخرى: نفترض أنك تمتلك مطبعة فيها نصف مليون حرف مصفوفة فى صناديق، فجاءت هزة أرضية قلبت الصناديق، وبعثرت الحروف، وخلطتها مع بعضها البعض، ثم جاءك من يقول: إنه تألف من اختلاط الحروف مصادفة بضع كلمات متفرقة غير مترابطة المعنى، فالمصادفة قد تكون هنا ممكنة، لكن لو أخبرك بأنه تكون كتاب من عدد من

الصفحات، يتضمن فصولاً متعددة، تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة الأفكار، متساوية الأسلوب والمعانى - فإنك لن تصدق؛ لأنك ترى المصادفة أمرًا مستحيلاً عقلاً وعرفًا، بل إنك قد تتهم من يخبرك بها بالجنون والخبال واختلاط العقل[١].

وبذلك يتبين لنا أن إحالة الأمور على المصادفات - كما فعل الملاحدة من الوجوديين وغيرهم - ضرب من الدجل العلمى يرفضه أولو الألباب. والصدف حين تخط على القرطاس كلمة (عمر) أقرب إلى الذهن من تصور أنها (أى الصدف) تخلق قطرة ماء فى المحيطات الغامرة أو حبة رمل فى الصحارى الشاسعة. وأين ما ذكرناه من صور المصادفة المستحيلة بالنسبة لهذا الكون الكبير المتآلف الأجزاء، المحير بإبداعه وروعة نظامه العقول والقلوب؟

وأين القصر المنيف من إبداع هذا الكون العظيم؟ وأين وحدة الكتاب من روعة خلق الأرض والإنسان والأفلاك؟

إن نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا صدفة[٢].

وصدق الله إذ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٣]، قال -سبحانه-: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ

(١) راجع عقيدة المسلم الشيخ الغزالى: (دار الكتب الحديثة).
(٢) راجع: د. عمر عبد العزيز قريش: حقيقة الإيمان ص ١١٧ - ١١٩.
(٣) سورة يس الآيات ٧٧، ٨٠.

وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] فهذا الكون الذى تصوره الآيات محكومًا بنظام، متسقًا منضبطًا بقوانين، هل يتصور عقلاً وعرفًا أن يأتى مصادفة؟! تعالى الله عما يقول الظالمون المكذبون الجاحدون علوًّا كبيرًا.

وعلى هذا، فالقول بالصدفة من الافتراءات الآثمة التى قال بها الغافلون عن الإبداع الكونى، وما فى العلم من أسرار ونواميس هى أكبر شاهد على مدبر حكيم. إن ما يحدث فى الكون من تقدير فى الأرزاق والآجال وما عليه الكون من إبداع، وما يحتوى عليه من أسرار - لا مرد له إلى العشوائية والارتجال - كما يدعى الوجوديون - وآية ذلك تتضح فيما يلى:

أ- أن تحقق الحياة على هذه الكرة الأرضية أو فى غيرها من الكواكب محتاج إلى نظم وسنن تتناهى فى دقتها وحكمتها، بما يستحيل على المصادفة أن تفتل غزلها أو تنتج خيوطها وهى العمياء البلهاء.

إن كل خيط من خيوطها هو جزء السبب الذى أبدعه الخالق وجعله ركيزة وجودها؛ فهل يدور بخلد عاقل أن المصادفة هى التى أوجدت هذا السبب خلقًا وابتكارًا وإبدعًا؟! الواقع والمنطق يقولان: لا.

ب- أن الحياة على هذا الكوكب الذى خلقه الله -تعالى- ودحاه، فأخرج منه ماءه ومرعاه - خاضعة لعوامل شتى تكشف للفكر الإنسانى فى كل يوم من أيام تطوره وتقدمه ما يذهله، فهى أكبر من أن يحيط بها. فنظرية المصادفة لا تقوم على أى دليل مقبول، ولا يقبل بها أى عقل سليم؛ ولهذا

---

(١) سورة يس الآيات ٣٣، ٤٤ .

نرى القرآن الكريم يخاطب هؤلاء المتشككين بأسلوب إقناعى يبين أن الكون لا بد له من موجد، وهو الله - سبحانه وتعالى - القائل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، ويلفت القرآن الكريم النظر إلى الحكمة المتمثلة فى خلق المخلوقات والتى تدل على خالق فى نهاية العلم والحكمة. قال -تعالى-: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢]، وجاء فى القرآن فى وصف الله - سبحانه وتعالى - ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٣]، فالمصادفة لا تخلق وجودًا فيه علم وحكمة وإبداع وإتقان.

ولو فكر كل وجودى فى هندسة هذا الكون: كواكبه ونجومه، وهندسة جسمه هو وإتقانه، وخواصه وتكوينه، أو فكر فى عالم الحيوان: الطائر والسابح، الماشى والزاحف بأنواعه المختلفة، المتقنة فى أشكالها، وأوضاعه وألوانه، وطبائعه وطرق عيشه، وكبيره وصغيره، أو فكر فى عالم النبات أشجاره وزروعه، كبيره وصغيره، هوائه ومائه، ثماره وزهوره، أوراقه وأخشابه، طعومه وروائحه، أو فكر فى هذه الأرض: بحرها ويابسها، بجبالها وأغوارها، بوديانها وسهولها، بصخورها ورمالها، بأنهارها وبحرها وبرها، بليلها ونهارها - لو فكر فى كل هذا لرفض رفضًا قاطعًا المصادفة، ولآمن أن وراء ذلك إلهًا عظيمًا حكيمًا حليمًا لطيفًا رحيمًا.

ويرد أيضًا على الوجوديين فى زعمهم بالمصادفة بقصة أحد الملاحدة مع أحد علماء الإسلام[٤] وهى مشهورة، ففى مجلس من مجالس بغداد تواعد الملحد والعالم فى ساعة محددة، فحضر الملحد ولم يحضر العالم، وبقى الجميع فى الانتظار ساعات حتى كادوا ينفضون، وإذا بالعالم يدخل محييًا

---

(١) سورة إبراهيم آية ١٠ .

(٢) سورة النمل آية ٨٨ .

(٣) سورة السجدة آية ٧ .

(٤) يقول الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه (الأئمة الأربعة): إن هذا العالم أبو حنيفة. دار الجيل، بيروت، ص ٥٨ .

ويعتذر عن تأخيره بسبب عجيب. فلما سألوه عن السبب قال: لما انتهيت إلى ضفاف دجلة وأنا فى طريقى إليكم رأيت شجرة ضخمة تهوى إلى النهر من تلقاء نفسها، ثم شاهدتها تتقطع قطعًا متشابهه متشابكة منتظمة، ثم أبصرت هذه القطع تتلاقى وتتلاحم على شكل زورق، ثم سال عليها القار، ودخلت فيها المسامير؛ فأصبحت زورقًا جميلاً رائعًا، ثم رأيت هذا الزورق يقف عند الضفاف من تلقاء نفسه، فإذا ركب به الناس سار بلا مجداف ولا سائق حتى يصل بهم إلى الجانب الآخر، فإذا ركب الناس من ذلك الجانب سار بهم إلى الجانب الأول، وهكذا، وكان هذا هو العجب الذى رأيته وسبب لى التأخير، وما أن أتم كلامه حتى ضحك الملحد بسخرية واستهزاء قائلاً: إنى لآسف من تضييع الوقت فى انتظار هذا الرجل الأحمق السخيف؛ فالتفت إليه العالم وقال: إذا كان هذا غير ممكن عقلاً ومعتقده أحمق سخيف؛ فكيف بوجود الأرضين والسموات والكواكب والكائنات؟![1] ولهذا أقول إن فكرة الصدفة ساقطة فى ميزان العقل والعلم.

٤- الشبهة الرابعة التى يحتج بها الوجوديون على إنكار الخالق هو وجود الشر فى العالم، حيث جعلوا الإنسان مصدر كل شىء ومصدر معرفة الخير والشر، والإنسان لا يختار إلا الخير لنفسه وللبشرية، وقالوا: كيف أيضًا تكون الدنيا من صنع خالق كامل حكيم عليم رحيم كريم، وهى فى حالة من الشر والظلم والنقص وسفك الدماء؟ إذ لو كان الخالق موجودًا لمنع كل هذه الأشياء ولأبدلها خيرًا وسعادة.

الرد على هذه الشبهة:

لا مجال لادعاء الوجوديين عدم وجود الخالق بسبب وجود الشر؛ بل الشر والخير من دلائل وجود الله - سبحانه وتعالى - ونرد على شبهتهم من

---

(١) راجع كتاب (الله بين الفطرة والدليل) تأليف الشيخ محمد حسين آل ياسين. مطبعة الجبلاوى مصر. شبرا. ط٥، ١٣٩٨م، ص٩ .

وجوه:

١- الإنسان له طاقة، فإذا قصر فى الخير وجد الشر، والدنيا ليست هى النهاية، بل هى مرحلة من مراحل كثيرة يمر بها الإنسان، أما المرحلة النهائية فهى الآخرة حيث لا ظلم، كما قال -تعالى-: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾[1].

٢- أن الله -عز وجل-: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[2]، وقد أراد هذا الإله الحكيم أن يكون فى الدنيا خير وشر، فوجود الشر ليس دليلاً على عدم وجود الخالق -تعالى- بل إن وجود الشر (بالنظرة البعيدة) دليل على الخالق الفاطر - سبحانه وتعالى - إذ إننا نحن البشر نعجز فى كثير من الأحيان عن تقدير عقوبة ظالم من الظالمين؛ لكثرة الشرور التى فعلها، حتى لو قدرنا له عقوبة الموت فإنه لا شىء؛ بالنظر إلى مئات أو آلاف الأرواح التى أزهقها وغير ذلك من الفساد، فشر هذا الظالم وعدم مقدرتنا على تقدير عقوبة له - دليل على أن هناك ذاتًا أقوى وأحكم منا قادرة على تلقين هذا الظالم عقوبة تتناسب مع جرائمه فلا تنقص ولا تزيد، بينما لو وكل الأمر للبشر فإنه لا بد مائل إلى جهة من الجهتين[3].

٣- ولله المثل الأعلى: فإن الابن يبكى حينما يأخذه أبوه ليجرى له جراحة، ويعتبر هذا جريمة وشرا، فإذا امتد به العمر علم أن هذا الشر العارض كان وراءه خير كثير يستحق التحمل، وكذلك هذه الدنيا.

٤- الخير والشر وجهان لعملة واحدة، فالفيضان هو خير من وجه وشر من وجه آخر، والحروب دمار من جهة، وحياة من جهة أخرى، وهكذا،

(١) سورة غافر آية١٦، ١٧ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٣ .
(٣) راجع: بسام سلامة (الإيمان بالغيب) ص ٢١٠ - ٢١٢ .

والبحوث المركزة فى أوقات الحرب أخرجت للناس البنسلين، ونقل الدم، ونقل الأعضاء، والطاقة الذرية، والصواريخ، والنفاثات، والغواصات، وصناعة الصلب، وأجهزة الرادار، والبارود[١].

هذا: وقد أورد الباحثون ما مضى على أساس أنها شبهات للملاحدة، ولكنى أرى أنها ليست شبهات من كل الوجوه؛ وإنما هى من التعليلات التى قالوا بها لتبرير انحرافهم وهبوطهم. والآن بعد أن عرفنا تصور الوجوديين للإله، والشبه التى أقاموها لإنكارهم هذا الإله - نختم حديثنا ببيان مفهوم الألوهية فى الإسلام.

رابعًا : عقيدة الألوهية فى الإسلام:

الله فى العقيدة الإسلامية هو ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[٢]، الله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[٣]، الله هو الخالق والرازق، هو المسيطر والمدبر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٤]، هو الرافع والخافض، هو المعز والمذل، والله هو النافع والضار، والله هو المنتقم الجبار، والله هو الغفور الودود، والله هو العلى الكبير، والله هو القريب المجيب، والله هو الذى يحول بين المرء وقلبه، والله هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، والله هو العليم بذات الصدور، وهو معهم أينما كانوا، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٥]، وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، وهو الذى يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠ - ٢١٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٣) سورة الحديد آية ٣ .
(٤) سورة آل عمران آية ٥ .
(٥) سورة الأنعام آية ٥٩ .

الميت، ويخرج الميت من الحى، وهو مطلق الإرادة ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[(١)]، وهو يملك هذا الكون الذى خلقه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٢)]، يحكم فى ملكه كما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[(٣)]، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٤)]، والكون كله خاضع له ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(٥)]، وقال -تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[(٦)]؛ فلا ملجأ من الله إلا إليه.

هذا هو مقتضى ألوهيته - سبحانه وتعالى - متفرد بالألوهية فى السموات والأرض، واحد بلا منازع، متفرد بلا شريك، سبحانه[(٧)].

والذين جادلوا فى وجود الله قلة مغمورة فى كل عصر، ومعظمهم ممن جرفتهم الشهوات كالوجوديين، وغلبتهم الغرائز الدنيا؛ فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالإلحاد وإنكار وجود الخالق الأعلى؛ حتى لا يحاسبهم أحد، ولا يحاسبوا أنفسهم على السقوط والانغماس فى الملذات البهيمية. وقد قال بعض المفكرين فى إلحاد هذا النوع من الناس: إنه إلحاد بطن وفرج لا إلحاد عقل وفكر، يعنى: أنهم ينحلون أولاً، ثم يلحدون ثانيًا، وبتعبير علماء النفس: إن الإلحاد والإنكار عندهم ضرب من الحيل اللاشعورية لجئوا إليه؛ لتبرير انحرافهم، والدفاع عن سقوطهم وسوء سلوكهم، وتغطية ضعفهم أمام الشهوات والملذات. ومن هنا لم يكن هم الأنبياء منصرفًا إلى إثبات وجود الله - سبحانه - فقد كان هذا أمرًا مفروغًا منه ومسلمًا به لدى أقوامهم؛ وإنما كان أكبر همهم تنقية الإيمان بالله مما شابه من أدران الوثنية

(١) سورة هود آية ١٠٧ .
(٢) سورة الحديد آية ٢ .
(٣) سورة الرعد آية ٤١ .
(٤) سورة القصص آية ٧٠ .
(٥) سورة الرعد آية ١٥ .
(٦) سورة النحل آية ١٢ .
(٧) راجع: جابر طعيمة (العقيدة والفطرة) دار الجيل، بيروت، ص ٦٧ - ٧٢ .

ونجاسة الشرك الذى أفسد عقول البشر وجعلهم عبيدًا لبعض الأشياء التى سخرها الله لهم، وجعلهم سادة عليها، وكان أكبر همهم الدعوة إلى التوحيد، كان أول ما يدعو إليه الرسول وأبرز ما ينادى به قومه أن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(١)، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢).

ولما بعث محمد ﷺ وجد قومه - كما وجد سائر الأمم -(٣) يعبدون مع الله آلهة أخرى من مخلوقات الأرض، وكواكب السماء، ولكنهم لم يجحدوا وجود الله، ولا جادلوا فيه، وهذا ما قرره القرآن فى قوله -تعالى-: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(٤)، وإذا كان هناك فئة قليلة من الدهريين الملحدين فإن القرآن لم يقم لهم وزنًا، ولم يعتد بوجودهم؛ لأنهم يتحدون الفطرة والبداهة والحس، ووجه خطابه - أكثر ما وجهه - إلى الذين أشركوا؛ ولهذا كان أول ركن فى الإسلام: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾(٥)، وكانت دعوة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض وأباطرتها تتمثل فى هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٦).

أدلة وجود الله - سبحانه وتعالى -:

معرفة الله -تعالى- ومحاولة البرهنة على وجوده بالدليل العقلى من الموضوعات التى احتلت مكانة بارزة فى اهتمامات الفلاسفة فى كل العصور، وهم لم يبرهنوا على وجوده ليتوسلوا بهذه البرهنة للإقناع بعقيدة أو التوسل إلى إيمان؛ وإنما كان خوضهم فى هذا الموضوع من متممات مذاهبهم الفلسفية: فأرسطو - مثلاً - لم يثبت وجود الله - تعالى - ليقنع به

(١) سورة الأعراف آية ٥٩ .
(٢) سورة النحل آية ٣٦ .
(٣) راجع: د. يوسف القرضاوى (وجود الله) ص ١١ - ١٢ .
(٤) سورة الزمر آية ٣٨ .
(٥) سورة النساء آية ٣٦ .
(٦) سورة آل عمران آية ٦٤ .

منكرًا يدين بالكفر والإلحاد؛ ولكنه أثبته لأن تقسيمه لظواهر الكون لا يتم بغير هذا الإثبات، ولم يحاول أن يقنع به أحدًا فى زمانه على طريق التدين والإيمان، فهو عنده ليس مسألة دينية أو غيبية، بل حقيقة عقلية كالحقائق الهندسية التى يتم بها تصور الحركات والأشكال فى الأفلاك والسموات.

وديكارت أبو الفلسفة الحديثة يجعل البرهنة على وجود الله - تعالى - أساسًا لكل الحقائق، فما لم يثبت وجود الله - تعالى - فلا ثبات للعالم، ولا لأية حقيقة أخرى.

أما عندنا - نحن المسلمين - فمعرفة وجود الله - تعالى - واجبة، وتكون بالأدلة النقلية والعقلية.

ومما ينبغى اعتقاده أن وجود الله - سبحانه وتعالى - من المسلمات والبديهيات فى النفس البشرية، أودعها الله فيها؛ فلا يحتاج إلى برهان، يقول الشيخ عبد الحليم محمود: «فوجود الله أوضح من أن يبرهن عليه»[(١)]، ويقول الأستاذ محمد البهى: «وليس هناك ضرورة أو حاجة ملجئة إلى استخدام الأدلة على وجوده؛ فتصور الذهن للوجود وحده يؤدى به حتمًا إلى الاعتراف بواجد الوجود»[(٢)]، ومعرفة الله - عز وجل - بصفاته وأسمائه الحسنى، ومعرفته فى علاقاته بخلقه عامة، وبالإنسان خاصة، ومعرفة الحكمة من الخلق كلها معارف إخبارية، تبدو بعد معرفتها عن طريق الوحى معقولة، ومقبولة للنفس؛ لاتفاقها مع الفطرة أولاً، وعدم تعارضها واختلافها مع مقولات العقل والمنطق الصحيح ثانيًا. ومن ثم فمصدر هذه المعرفة هو هداية الله وإمداده لنا بها، وعلينا أن نتلقاها منه عن طريق الوحى؛ فإنه لو لم يهدنا ربنا فلن نهتدى إذن، كما قال -تعالى- عن

---

(١) د. عبد الحليم محمود (التفكير الفلسفى فى الإسلام) الدار المصرية، ١٩٧٧م، ص ٧١ .

(٢) د. محمود البهى (الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى) دار الكتاب العربى، ١٩٦٦م، ص ٥١٥ .

إبراهيم - عليه السلام -: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[1]، وعلينا - نحن المسلمين - أن نقر بذلك ونحمده ونقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[2].

والحمد لله الذى منّ علينا بنعمة الإسلام ودستوره القرآن الذى يوضح كل ما نحتاج إلى معرفته.

ومن ثم فالأدلة العقلية لإثبات وجود الله لن تمنع وجود ملاحدة على الأرض - أمثال الوجوديين - لأن المسألة ليست إلحادًا لنقص فى المعرفة، فلا يوجد على الأرض هذا الإنسان الذى يلحد لهذا السبب؛ لأن الله - عز وجل - قد زوده بالفطرة فى عالم الذر، والإشهاد قبل نزوله إلى أرض الحياة الدنيا؛ وذلك حتى لا يحتج على الله بذلك السبب يوم القيامة ويقول مع أمثاله: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[3]، وتنزلا مع هؤلاء المرتابين والمجادلين، اضطر علماء الإسلام إلى إقامة براهين على وجود الله - سبحانه - ليرتكز الإيمان على أساس عقلى متين، وإلا فهم - أيضًا - ذكروها؛ لبيان عظمته - سبحانه وتعالى - وقدرته وتدبيره وهيمنته.

وتجدر الإشارة إلى أن حديثنا عن وجود الله وإقامة الأدلة العقلية على هذا الوجود، يجىء من باب مجادلة الملاحدة بالتى هى أحسن، والنزول إلى مستواهم فى المناقشة من باب ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4].

وكذلك فحديثنا لهم أو مجادلتنا لهم، قبل أن تكون بالقرآن الكريم - وهو دليل الأدلة - كانت بالعقل، ذلك الأمر المتفق عليه بيننا وبينهم، أما

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٧ .
(٢) سورة الأعراف آية ٤٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٤) سورة الأعراف: آية ١٦٤ .

القرآن فنحن نؤمن به؛ ولذا سنذكر أدلته فيما يختص بنا ولا نحاجهم به؛ لعدم إيمانهم به.

ولا شك أن الأدلة فى هذا الباب شىء يفوق الحصر والعد، ثم هى من الوضوح بمكان، مع أن الأمر أبسط وأوضح من أن يحتاج إلى برهان أو دليل، كما قال الشاعر:

وليس يصح فى الأذهان إذا احتاج النهار إلى دليل

فما الأدلة التى يقدمها المؤمنون لدى هؤلاء الملحدين؟

أولاً - دليل الفطرة والتاريخ:

إن وجود الله - سبحانه وتعالى - مركوز فى الفطر المستقيمة، إنه شعور يشرق فى أعماق الإنسان متى تأمل فى نفسه وفى الكون من حوله، شعور يؤكد ما بفطرته. ولكن لابد لهذا من سلامة الفطرة؛ فلا تتدنس بدنس الجاهلية الأولى، فتلف - تبعًا لذلك - فى أقنعة وأغطية تحول بينها وبين رؤية الحق الصراح، فهب أنك صوبت بصرك نحو الشمس فى رابعة النهار، فأبصرتها مبهرة تملأ الكون ضياء ونماء، ثم جاء قوم فوضعوا على ناظريك القناع تلو القناع، فذهب ضوء الشمس، وغاب سناها عنك. هل يؤدى ذلك إلى القول بأنه لا شمس؟!

إن سلامة الفطرة وصفاء الإحساس من أهم الوسائل الأساسية فى شعور الإنسان بكثير من البدهيات واكتسابه الكثير من المعارف الحقة، التى يعرفها الإنسان فى أطوار حياته. ولعل هذه الفطرة المستقيمة هى ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1]، ولا أدل على أن الفطرة من الأدلة البارزة الموصلة إلى

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

معرفة الله - جل وعلا - من ذلك المشهد الذى يسوقه القرآن الكريم، وهو مشهد عام ومتكرر، يوضح فيه الله - جل وعلا - أن معرفة الله والتيقن بوجوده مركوزان فى أصل الفطرة، يقول الله - عز وجل -: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[١] .

الفطرة هى التى دعت الإنسان إلى الإقرار بوجود الله - تعالى - ساعة الشدة، فإذا زالت الشدة، واشتد الركام على هذه الفطرة - نزع الإنسان نزوعًا آخر، نزع إلى الكفر والإلحاد وإنكار هذا الوجود، ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢] [يونس: ٢٣].

وإذا قلنا: إن الشعور الفطرى فى الإنسان من الدلائل الصادقة على وجود الخالق، فلنا على ذلك أمثلة كثيرة من واقع الحياة، حياة الإنسان فى تكوينه الفطرى؛ حيث يوافق شعوره الفطرى ما هو كائن فعلاً أو ما يجب أن يكون بشكل لا يقبل الزيادة عليه أو النقصان منه، بأى مقدار قل أو كثر مهما تقدمت البحوث العلمية والكشوفات التجريبية. إن كثيرًا من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل فى أنفسنا غير شعورنا الفطرى بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات فإنها لا تزيد عنها شيئًا غير ما توصلنا إليه بفطرتنا، ومن أمثلة ذلك:

أ- انسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتضاع ثدى أمه دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون أن يدرك ذلك بدليل عقلى أو حسى ظاهر.

ب- شعور الأم بعاطفة الأمومة، سواء علمت أن السر فى ذلك حفظ

---

(١) سورة يونس: ٢٢ .
(٢) سورة يونس: ٢٣ .

الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادرًا على الاستقلال بنفسه أم لم تعلم.

ج- إحساسنا بمطالب عيشنا ولو لم ندرك الغرض من وراء هذا الإحساس.

د- إحساسنا بالجوع، فنأكل سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم.

هـ- شعورنا بوجود أرواحنا داخل أجسامنا، وإدراكنا أنها سر حياتنا ودفاعنا عنها، وحرصنا على بقائها؛ لأن فى بقائها بقاءنا، دون أن نحسها بواحدة من حواسنا الظاهرة، وقد لا يستطيع الكثير من الناس أن يقيم الدليل على وجودها، لكنه رغم ذلك يشعر بها ويعتقد وجودها.

و- شعورنا بالأحاسيس كالحب والبغض، والرغبة والكراهية، دون أن تكون هناك أسباب معقولة.

هل نستطيع أن نقيم على ذلك دليلاً وهو متغلغل فينا داخل فى كياننا؟ إننا نشعر بالشهوة ونشعر بالألم فهل نستطيع أن نثبت ذلك بأكثر من أننا نشعر به؟ إن الشعور بها دليل على وجودها.

ومما لا شك فيه أن هذه الفطرة، وذاكم الإحساس العميق فينا - لم يوجدا عبثًا؛ إنها فطر صادقة للواقع الكونى، وموافقة لحاجتنا، ومهما تقدم العلم فلن يستطيع الغض من أثر هذه الفطرة، ولن يستطيع إهمالها أو الاستعاضة عنها إلا قليلاً ما لم تكن الفطرة فى الإنسان شاذة أو مريضة، والمريض الشاذ يجب علاجه[١].

ومن أجل وأصدق ما فطر عليه الإنسان هو إحساسه بوجود الخالق، وتلهفه دائمًا لمعونته وإمداداته، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير - فى

---

(١) راجع: (العقيدة الإسلامية وأسسها) عبد الرحمن حنبكة. دار العلم دمشق، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٩٧ - ٩٨ .

نظامه وإتقانه وما فيه من إبداع وحياة وموت - إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه شعور فطرى تشترك فى الإحساس به جميع الخلائق على اختلاف نزعاتها، ومستويات ثقافتها فى البيئات البدائية، وفى المدن المتحضرة.

هذه هى صبغة الله -تعالى- فى كل مخلوق مدرك، وفطرته التى فطر الناس عليها، قال -تعالى-: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾(١)؛ ولذلك كان تعجب الرسل من هؤلاء المنكرين لوجود الله، قال -تعالى-: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢)، كما بينت آيات القرآن الكريم أن إقامة الوجه لله هو فطرة الله التى فطر الناس عليها؛ قال -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

ولما كان هذا الشعور أمرًا فطريًا - كما تبين - وجدنا أصل الإيمان قدرًا مشتركًا بين جميع الأمم، وفى مختلف الأقاليم، وفى شتى العصور، وإن كان الكثيرون قد انحرفوا عن الإيمان الصحيح، وخلطوه بأوهام وأباطيل كدرت نقاءه وأفسدت جوهره.

يقول الفيلسوف (هنرى برجسون): «لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة»، ويقول المؤرخ الإغريقى (بلوتارك): «لقد وجدت فى التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا مدارس، ومدن بلا قصور، ولكن لم توجد مدن بلا

(١) سورة البقرة آية ١٣٨ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٩ - ١٠ .
(٣) سورة الروم آية ٣٠ .

معابد». والدارسون لتاريخ الأديان، يؤكدون أن الإنسان لن يستطيع مهما بلغ من العلم والتمدن أن يستغنى عن الإيمان والدين.

ويقول الفيلسوف (رينان) فى كتابه (تاريخ الأديان): «إنه من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه، وأن نبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين، بل سيبقى حجة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة فى الحياة الأرضية[١].

فالتاريخ يشهد - كما تشهد الفطرة - على وجود الإله الخالق المبدع، فهلا يرعوى الظالمون الملحدون!

هذا فضلاً عن خلق الإنسان فهو أعجب وأعظم؛ لما امتاز به من العقل، وأوتى من الفهم والعلم، ولما أعطى من ملكة النطق والكلام والقدرة على التعبير، ولما فطر عليه من حسن الصورة والهيئة، ولما اجتباه به الله من تسخير السموات والأرض؛ ولذلك قال الله - جل وعلا - منبهًا الإنسان إلى عظيم خلقه: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٢]، وقال -سبحانه- ممتنًا عليه بالتفضيل: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[٣].

والخصائص والمزايا التى ركبها الله فى الإنسان دالة دلالة كاملة تامة على الخالق المبدع والإله الحكيم القادر (الله الحى القيوم المُوجِد).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٤].

---

(١) راجع: د. يوسف القرضاوى: وجود الله (طبعة مكتبة وهبة) ص ١٩ وما بعدها.
(٢) سورة الذاريات: آية ٢٠-٢١.
(٣) سورة الإسراء: آية ٧٠.
(٤) سورة الانفطار: ٦-٨.

وهنا تتردد مقولة - قال بها بعض الملاحدة من الوجوديين وغيرهم - وهى أن العالم قديم أزلى ليس لنشأته بداية.

والجواب على هذه الفكرة: أنها منقوضة من الناحية العلمية، ومن الناحية العقلية؛ ذلك أننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود، فكيف نفسر وجوده ونشأته؟

وهناك احتمالات أربعة للإجابة عن هذا السؤال:

الاحتمال الأول: أن يكون الكون مجرد وهم وخيال، وهذا يتعارض مع القضية التى سلمنا بها حول وجوده، كما أنه لا يحتاج أصلاً إلى مناقشة؛ لسخافته.

والاحتمال الثانى: أن يكون الكون نشأ من تلقاء نفسه من العدم، وهو لا يقل سخافة وحمقًا عن سابقه.

والاحتمال الثالث: يذهب إلى أن الكون أزلى ليس لنشأته بداية، وهو مردود بالعلم؛ فقوانين الحرارة تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيًا، وأنها سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هى الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة . أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فهى دليل واضح على أن أصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة؛ فهو إذن حدث من الأحداث؛ إذن فالقول بأزلية العالم قول منقوض مردود طائش.

والاحتمال الرابع: أن الكون له خالق، وهو الصحيح المقبول عقلاً وعلمًا؛ إذ لابد لأصل هذا الكون من خالق أزلى ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوى ليس لقدرته حدود، ولابد أن يكون هذا الكون من إبداعه وصنعه... هذا الخالق هو الله القوى القادر سبحانه.

قال الله -تعالى- عن ذاته: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

هذا، ويسوق بعض المبطلين من الملاحدة - ومنهم الوجوديون - بعض الشبهات ذكرنا طرفًا منها من قبل عند الحديث عند الحديث عن شبهات الوجوديين، ونزيد هنا شبهتين يعترف فيهما الملاحدة بوجود موجد للكون، لكنه غير الله، جل وعلا:

الشبهة الأولى: أن الذى أوجد الكون هو الطبيعة.

وهذه الشبهة لا تقل تفاهة وسخفًا عن القول بوجود الكون مصادفة؛ ذلك أن الطبيعة لا يمكن أن تكون إلهًا، ولا أدرى كيف يعطونها صفة الخلق والإيجاد، وهى جماد أصم لا يتصف بعقل ولا تدبير ولا علم ولا إرادة؟! وكيف يعطونها صفة الخلق والإيجاد وهى خاضعة لقوانين دقيقة ونواميس ثابتة؟! فهل يصدق عاقل أن الأرض خلقت الأرض؟! والسماء خلقت السماء؟! والأشياء أبدعت ذاتها؟! والحياة أوجدت نفسها، فهى خالقة ومخلوقة، وموجدة وموجودة؟!

إن الطبيعة هى المادة، وعناصر تكوينها من البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة والمواد المركبة منها، وهى الذرات المكونة من النوى، وكل نواة تشتمل على بروتون ونيترون وإلكترون.

فهل هذه العناصر من النوى والذرة والخصائص المشتملة عليها المادة أوجدت نفسها، فكونت ما يسمى بالطبيعة؟! اللهم لا؛ إذ هو مما تحيله العقول ولا تقبله أبدًا؛ لأن المادة المركبة من عناصرها، والمودع فيها خواصها وطباعها - مفتقرة إلى من يوجد عناصرها ويودع فيها خواصها، وحينئذ فهى حادثة مخلوقة؛ فكيف تكون إلهًا خالقًا ينسب إليها الخلق

---

(١) سورة الحديد: آية: ٣ .

والتكوين والإبداع والتنظيم؟!

ثم إن المادة ميتة؛ فكيف تخلق الأحياء؟! والطبيعة صماء عمياء بكماء؛ فكيف تخلق السميع البصير المتكلم؟! والإنسان يستخدم الطبيعة ويسخرها له؛ فكيف تكون خالقة له؟![١].

إذن القول بأن الطبيعة هى التى أوجدت الكون من البدهيات التى ترفضها العقول السليمة.

والشبهة الثانية: أن الكون وُجد بالضرورة.

والضرورة تعنى: أن التنوعات الموجودة حصلت بطريق الضرورة؛ فحاجة الزرافة إلى تناول غذائها من الشجرة العالية هى التى جعلت عنقها يطول، وحاجة السمكة الملحة إلى السبح فى الماء هى التى أوجدت زعانفها التى تساعدها على السباحة... إلى غير ذلك من السفه والهراء والتعسف العجيب والمنطق السقيم.

والذى دفعهم إلى القول بذلك: الخوف من مواجهة الحقائق والبراهين الدامغة على وجود الله - عز وجل - والهروب من الحقيقة الكبرى: وهى الإيمان بالله الصانع الحكيم الذى لا إله إلا هو ولا رب سواه.

إن ما يسمونه بالضرورة إنما هو العناية الإلهية بمخلوقاته، أَوَلَمْ يروها فى أم الولد، وكيف تدر اللبن لمولودها بمجرد أن تضعه، وفى ولدها الذى كان فى بطنها يتغذى بواسطة الأنبوب المتصل بسرته، ولما انفصل عنها خرج من بطنها وحملت له الغذاء فى ضرعها، وهدى الله ذلك المولود إلى معرفة امتصاص الثدى ليتغذى باللبن، إلى أن يصبح قادرًا على التغذى

---

(١) راجع: د. عمر عبد العزيز القرشى: حقيقة الإيمان ص ١٢١ - ١٢٣، والشيخ أبو بكر الجزائرى: عقيدة المؤمن طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص ٣٩ - ٤٠، وعبد الله ناصح علوان: شبهات وردود حول العقيدة الربانية طبعة دار السلام ص ٥٣ - ٥٥ .

بالحبوب والفواكه والخضر.

أَوَلَمْ يروا إلى ذكور الحيوانات كيف تأتى إناثها مدفوعة إلى ذلك بما أودع الله فيها من غريزة إتيان الجنس؛ لتحبل الأنثى ذات اللبن، فتوفر للإنسان لحمًا ولبنًا وسمنًا، هو فى حاجة إلى مثلها لاستكمال غذائه الذى هو عنصر نمائه وحياته من أجله؟!

أَوَلَمْ يروا إلى ذبابة لقاح التين كيف تخرج من حبتها بعد نضجها لتدخل فى التينة فتلقحها، ثم تخرج منها لتدخل فى أخرى فتلقحها؛ كل ذلك ليتوفر للإنسان فاكهة من ألذ الفواكه وأكثرها نفعًا؟!

أَوَلَمْ يروا إلى الرياح كيف تثير السحاب وهو الضباب الناتج عن تبخر الرطوبات فى الأرض، ومياه الأنهار والبحار، وكيف يبسط الله -تعالى- ذلكم السحاب فى السماء على نسب ومقادير خاصة، فيتكثف فى طبقات الجو، ويصبح يحمل كميات من الماء عذبة صافية، ثم يمطر حيث يأذن الله تعالى، فتحيا به الأرض بعد موتها فتخرج للإنسان غذاءه من الحبوب والفواكه والخضر؟!

فليقولوا لنا: أين الضرورة فى إيجاد اللبن فى الضرع؟ وأين الضرورة فى لقاح الحيوان؟ وأين الضرورة فى تلقيح ذباب التين لأنثاه حتى يكون التين؟ وأين الضرورة فى عملية التبخر والتكثف وإثارة الرياح للسحب ونزول المطر بالمقادير والكميات المحددة والأوقات المحددة، وفى إنبات الأرض وخروج الثمرات المختلفة، أين وجه الضرورة فى ذلك؟!

إنه لا ضرورة، وإنما هى عناية الله الذى أعطى كل شىء خلقه، ثم هدى[١].

---

(١) راجع: أبو بكر الجزائرى: عقيدة المؤمن ص ٤١ وما بعدها.

ثانيًا : دليل الكون:

ويسمى -أيضًا- دليل الخلق والحدوث، أو دليل العلة.

وقد قالوا: من الأمور المسلم بها عقلاً، والمعروفة تجربة وحسًا وواقعًا - أن لكل حادث محدث، لا بد من ذلك، وهذا الكون - بإجماع العقلاء - حادث؛ إذن لابد له من محدث. وإنه موجود؛ فلا بد له من موجد، ومخلوق فلابد له من خالق، فمن الذى خلقه؟ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[1] .

وعلى هذا فإنكار محدث الحوادث وموجد الوجود، تكذيب للواقع وتناقض مع العقل، ونسف لمبدأ السببية الذى هو مفتاح العلم ومصدر الحقائق.

وهذا الكون الكبير بسمواته وأرضه، بإنسانه وحيوانه، ونباته وجماده، بكل ما فيه من الذرة إلى المجرة، ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة - إذا تأمله الناس حق التأمل يأخذ بأيديهم إلى الله، ويدلهم على وجوده، بل على وحدانيته وتفرده بالملك والتدبير، كما يدلهم على أسمائه الحسنى، وصفاته العليا. والإنسان نفسه آية فريدة دالة على الله، فهو وحده عالم خاص، اجتمع له من حسن الصورة ومن قوى الإدراك والشعور والبصيرة ما لم يحظ به غيره؛ ولهذا يوجه القرآن الإنسان إلى النظر والتفكر فى نفسه وفيما يحيط به من عوالم، موقنًا أن هذا النظر والتفكير جدير بأن يهديه إلى الحق، ويسوقه إلى الخير؛ بما يرى ويلمس من آيات الله فى الأنفس والآفاق[2]، يقول -تعالى-: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3]، ويقول -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) سورة الطور: آية: ٣٥-٣٦ .

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوى (وجود الله) مكتبة المعارف ١٤٠٨ ص ١٩ .

(٣) سورة الذاريات: آية ٢٠ - ٢١ .

وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[(١)]، ويقول -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾[(٢)]، ويقول - تعالى-: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[(٣)]، ويعرض القرآن كثيرًا من مظاهر الكون فى الأرض أو فى السماء، ثم يعقب على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، و: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، و: ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[(٤)]، وينكر القرآن على الكافرين أنهم قد أوصدوا عقولهم ومشاعرهم فلا ينتفعون بآيات الله، قال -تعالى-: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[(٥)]، وكثيرًا ما يختم الآيات بمثل هذه الفواصل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(٦)]، و: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، و: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[(٧)]، ولهذا أقسم الله بالقرآن كثيرًا ببعض خلائق هذا الكون ومظاهره، وذلك لتنبيه القلوب الغافلة، والعقول المعرضة، فأقسم بالليل والنهار والفجر والضحى، والشمس والقمر والنجم، والبحر والسماء والأرض، والشفع والوتر، وما نبصر وما لا نبصر. والمتأمل فى هذا الكون بما فيه الإنسان يجد فيه أربعة أدلة رئيسية تهديه إلى ربه الأعلى، هذه الأدلة هى: الخلق، التسوية، التقدير، الهداية.

١- دليل الخلق:

الخلق هو الإيجاد والإحداث، ومعناه: إبراز الشىء من العدم إلى الوجود، وذلك مثل خلق الحياة فى الكائنات الحية على ظهر الأرض التى

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٥ .
(٢) سورة الروم آية ٨ .
(٣) سورة يونس آية ١٠١ .
(٤) سورة النحل آية ١١ - ١٣ .
(٥) سورة يوسف آية ١٠٥ .
(٦) سورة الأنعام آية ٣٢ .
(٧) سورة السجدة آية ٢٦ - ٢٧ .

بث فيها من كل دابة، وأنبت فيها من كل زوج بهيج، ومثل خلق الإنسان العاقل الذى لم يكن شيئًا مذكورًا ثم كان، ومثل خلق السموات والأرض، وهو أكبر من خلق الناس، وقد دل علم الفلك على عظم الأجرام العلوية، وسعة المسافات بينها، حتى إنها لتقاس بملايين السنين الضوئية.

إن المتأمل للمخلوقات الحية المنبثة هنا وهناك، والمنتشرة فى عوالم هذا الكون - يجد ملايين الملايين من الأحياء تنقسم إلى آلاف من الأنواع والأجناس، كل جنس وكل نوع له خصائصه ومزاياه وشكله وصورته وطرق تغذيته وطرق حياته وبقاء نوعه وسلالته...

قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[٢].

فهذه النوعيات والأجناس من الكائنات الحية المنتشرة فى الكون، وهذه الخصائص والمزايا الموجودة فيها - ألا تدل على أن الله -سبحانه- هو الذى بدأ خلقها، وصور أشكالها، وقدر أقواتها، ونفخ فيها روح الحيوية والحياة؟! ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾[٣].

فهل يستطيع أحد فى هذا الوجود مهما أوتى علمًا وقدرة وذكاء أن يخلق كائنًا حيًّا بعد أن لم يكن؟!

والقرآن الكريم يتحدى البشر أن يخلقوا ذبابة إن كان فى مقدورهم، وقد ثبت عجزهم، أفلا يدل ذلك على أن الخالق هو الله؟! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ

---

(١) سورة النور: ٤٥ .

(٢) سورة الأنعام: ٣٨ .

(٣) سورة العنكبوت: ٢٠ .

مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[١].

ترى بعد هذا كله من خلق الحياة على هذه الأرض؟! ومن خلق هذا الإنسان العاقل المفكر؟! ومن خلق هذا الكون كله بأرضه وسمائه؟! هل وجدت الحياة ووجد الإنسان، ووجدت المخلوقات العلوية والسفلية وحدها بلا موجد؟ أم لابد لها من خالق أوجدها؟! ومن هو؟! قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٢]، وقال -تعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

٢- دليل الإتقان وعدم التفاوت:

ويسمى هذا الدليل -أيضًا- دليل: النظام والحركة، أو التقدير والتسوية، ويعنى أن الكون علويه وسفليه قائم على نظام دقيق وعجيب يربط بين أجزاء الكون كله من الذرة إلى المجرة. وهذا النظام المدهش المحير للعقول الذى يستحيل عقلاً أن يكون ناتجًا عن صدفة وتلقائية أو عن تفاعلات كيميائية، أو أن يكون نتيجة للحركة المستمرة للمادة منذ ملايين السنين - كما يزعم الخياليون المغرورون المخدوعون - هذا النظام لا يمكن أن يصدر من غير ذى إرادة وقصد وعلم وحكمة وتدبير.

إن نظرة إلى السماء: إلى خلقها وتكوينها، إلى الإحكام والإتقان فيها، إلى أبعادها، إلى سعتها، إلى عدد نجومها ومواقعها، إلى الأفلاك الدائرة فيها، إلى ضوء شمسها، ونور قمرها - هذه النظرة الفاحصة الشاملة، ترى

---

(١) سورة الحج: ٧٣ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩٥ .
(٣) سورة يس آية ٣٦ .

الإنسان العاقل من مظاهر القدرة والعلم والإرادة والقصد والتصميم ما يجزم معه ببطلان هراء الماديين، وترهات الملحدين، ويسلم بوجود إله عظيم، متصف بصفات الربوبية ونعوت الألوهية[١].

يقول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[٢].

ويقول -سبحانه-: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾[٣].

ويقول -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[٤].

ويقول تقدست أسماؤه: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٥].

كل هذه الآيات تؤكد على قوانين تصرخ باسم الله، ولكن الصُّم لا يسمعون، وأي نظرة فاحصة دقيقة على الأرض: إلى خلقها وتكوينها، إلى محيطاتها وأنهارها، إلى جبالها ووهادها، إلى مرتفعاتها وسهولها، إلى

---

(١) راجع: أبو بكر الجزائري: عقيدة المؤمن ص ٥٢، ٥٣ .
(٢) سورة فاطر: ٤١
(٣) سورة ق: ٦-١١
(٤) سورة الغاشية: ١٧-٢٠
(٥) سورة يس: ٣٧-٤٠

النباتات والأشجار، إلى التنوع فى الحيوانات، إلى الاختلاف فى أجناس البشر لونًا ولسانًا - تقف بالناظر عند حقيقة لا يستطيع إنكارها، ولا إخفاءها وجحودها، وهى أن وراء هذا الخلق والإبداع خالقًا مبدعًا عليمًا حكيمًا، وهو الله الذى لا إله إلا هو ولا رب سواه[١].

وإذا كان الخلق يدل على الله، فالتسوية دليل عليه أيضًا، والتسوية أخص من الخلق؛ إذ من الممكن أن يخلق الشىء غير سوى. والقرآن الكريم يعبر عن هذه التسوية بعبارات مختلفة الألفاظ متقاربة الدلالة على المقصود، مثل: الإحسان فى قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٢]، والإتقان فى قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٣]، وإعطاء كل شىء خلقه فى قوله -تعالى- على لسان موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤]، كما عبر عن هذه التسوية بنفى التفاوت فى خلق الله فى قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[٥]وهذه التسوية ظاهرة فى الكائنات كلها على وجه العموم، وفى الكائنات الحية على وجه الخصوص، وفى الإنسان على وجه أخص:

أ- فالأرض - مثلاً - قد سواها صانعها بحيث تصلح مهادًا ومستقرًا لنوع الإنسان؛ فلهذا مدها وبسطها وجعلها ذلولاً، وألقى فيها رواسى كالأوتاد لها حتى لا تميد، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، فلو كانت قشرة الأرض كلها صخرية، أو كلها يابسة، أو كلها محيطات - ما صلحت للإنبات وإخراج الثمرات، ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هى بمقدار بضعة

---

(١) راجع: الشيخ محمد الغزالى: عقيدة المسلم ص ١٧ وما بعدها، وأبو بكر الجزائرى: عقيدة المؤمن ص ٥٣ .
(٢) سورة السجدة آية ٧ .
(٣) سورة النمل آية ٨٨ .
(٤) سورة طه آية ٥٠ .
(٥) سورة الملك آية ٣ .

أقدام لامتص ثانى أكسيد الكربون الأكسجين، ولما أمكن وجود حياة للنبات، قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[(١)]، وقال -تعالى-: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[(٢)]، وقال -تعالى-: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[(٣)]، وقال -تعالى-: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[(٤)].

ب - وكل ما على الأرض من كائنات حية، قد سويت خلقته وأحكمت صنعته بحيث يؤدى وظيفته فى يسر وسهولة.

فالجمل - مثلاً - قد أعطى الصورة الخلقية التى تلائم عيشته وأسفاره الطويلة فى الصحراء؛ فلهذا خلق برقبة طويلة تعلى الرأس، وتنأى بعينيه عن غبار الرمال، كما منح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادى دون أن تؤذيه، وأعطى سنامًا يختزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يومًا فى الصحارى القاحلة، ولم تنته رجله بحافر يغوص فى الرمل كحوافر الخيل والبغال والحمير، بل انتهت بخف يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يسوخ فيها؛ ولهذا سموه (سفينة الصحراء)، وهكذا نجد أثر التسوية فى كل الأحياء، فكل حى أعطى الوسائل التى يحصل بها على غذائه الملائم، وأعطى من الأجهزة ما يهضم به هذا الطعام. كما زودت الكائنات الحية جميعها بأسلحة مناسبة تدافع بها عن نفسها فى صراع البقاء بينها وبين غيرها: كالناب والمخلب والقرن، ولولا هذه الأسلحة التى زود الله بها

---

(١) سورة النبأ، آية ٦، ٧

(٢) سورة عبس، آية ٢٤ - ٣٢ .

(٣) سورة المراسلات، آية ٢٥ - ٢٧ .

(٤) سورة النازعات، آية ٣٠ - ٣٣ .

تلك الأحياء لأفنى قويها ضعيفها، ولأباد كبيرها صغيرها، قال -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[١].

ج - تسوية الإنسان: إن مظاهر تسوية الإنسان وأماراتها أوضح وأعظم؛ فقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وجعل له مهمة عظيمة هى عبادة الله على الأرض؛ ولهذا أعطى من الخصائص والمميزات والأجهزة المادية والروحية ما يعينه على أداء وظيفته، وييسر له سبيل مهمته، ولو فكر الإنسان فى تكوينه لرأى العجب العجاب من عظمة التسوية، ودقة التصميم، وتناسق الأجهزة المختلفة التى لا يعدّ شيئًا بجانبها تصميم أى جهاز يخترعه الإنسان، انظر إلى الجهاز العضلى والجهاز العظمى والجهاز الدموى، والجهاز التناسلى والجهاز التنفسى والجهاز العصبى، وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر ... إلخ كل منها آية من الآيات تسجد لخالقها العقول، وتخشع له القلوب، سبحانه وتعالى. أما العقل فهو أجل مظاهر التسوية فى خلق الإنسان، إن الإنسان استطاع بعقله المفكر وبروحه المبصرة أن يستأنس الثور والحصان والجمل، وغيرها من الدواب الضخمة فى جثتها، وأن يسخرها فى حاجاته ومعيشته، واستطاع بما اخترعه من أجهزة ميكانيكية أن يطوى المسافات الشاسعة فى الزمن القليل، واستطاع أن يغوص فى البحار كالحيتان، وأن يحلق فى الهواء كالطيور، وتحكم الإنسان فى شق الأنهار، ونسف الصخور، واستخدام البخار والغاز والكهرباء وفجر الذرة، وغزا الفضاء، وحاول الصعود إلى الكواكب[٢].

٣- دليل التقدير:

إن كل شيء فى هذا الكون الفسيح قد خلق بمقدار وميزان وترتيب

---

(١) سورة الغاشية: ١٧، ٢٠ .

(٢) راجع د/ يوسف القرضاوى (وجود الله) ص ٢٥ - ٣٢ .

وحساب؛ بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه؛ فلا يعطل وظيفتها، أو يعوق مسيرتها لما خلقت له، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ينتظم بها سير الوجود كله. فإذا كانت التسوية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدى به وظيفته على الوجه اللائق به، فإن التقدير هو أن يكون بالقدر الذى ينفع فى نفسه ولا يضر غيره، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وبالمكان الملائم والزمان المناسب، وبالكم الذى يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التى يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه. وهذا التقدير ظاهرة عامة فى كل شيء، كما نبه القرآن على هذه الحقيقة إذ قال -تعالى-: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٢] وقال -تعالى-: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٣]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٤]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٥]، وبالمثال يتضح المقال: الماء -مثلاً- خلقه الله وأسكنه فى الأرض بقدر، وأنزله بقدر، بحيث لا يقل عن حاجة الخلق فيكون الجدب والقحط، ولا يزيد عنها فيكون الغرق والضرر، ولا تطغى المحيطات على اليابسة، ولا الملح على العذب، وإلى هذا يشير القرآن الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾[٦]، وعلى هذا قس: كالشمس والفضاء والنجوم والهواء، وكل شيء فى هذا الكون قد خلق بحساب ومقدار، وجاء العلم الحديث بكشوفه ووسائله فأماط اللثام عن الحكمة البالغة، والأسرار العجيبة وراء ما بين المخلوقات من مقادير

---

(١) سورة الرعد آية ٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢ .
(٣) سورة الطلاق آية ٣ .
(٤) سورة القمر آية ٤٩ .
(٥) سورة الحجر آية ٢١ .
(٦) سورة المؤمنون، آية ١٨ .

وحدود وضوابط وموازنات.

إن فى الفضاء الفسيح الذى لا نعرف له حدودًا، ملايين الملايين من النجوم السابحة فى أجوائه، وبعض هذه أكبر من الشمس بآلاف المرات وملايينها، كالشعرى الذى هو أثقل من الشمس بعشرين مرة، ونوره ضعف نور الشمس بخمسين مرة، وسهيل أقوى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة... وهكذا.

ويقول الفلكيون: «إن من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه، هذه كلها تسبح فى الفلك الغامض، ولا يوجد أى احتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم بكوكب آخر، إلا كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الأبيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى، يسيران فى اتجاه واحد، وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد، وبعيد جدًا، إن لم يكن مستحيلاً».

ومع هذا التباعد بين كل نجم وآخر، فقد وضع كل نجم فى مكانه، بحيث يتسق فى آثاره وتأثراته مع سائر النجوم والكواكب، وتؤدى جميعها مهمتها المنوطة بها فى بناء الكون وسير حركته[١].

فلنفكر كيف تحقق كل هذا التقدير، وكيف تحقق كل هذا التدبير: إذا لم يكن هناك خالق أعلى يقدر فيحسن التقدير، ويدبر فيحكم التدبير[٢]، سبحانه وتعالى؟!

٤- دليل الهداية أو العناية:

يجدر بنا قبل الخوض فى الحديث عن هذا الدليل أن نذكر قاعدة عامة

---

(١) راجع: د. عمر عبد العزيز القرشى: حقيقة الإيمان ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٣ - ٤٢ .

فى الكون كله، مفادها: أن الكون لا مجال فيه للباطل، ولا محل فيه للعبث بحال من الأحوال؛ بل الكون كله قائم على أساس العدل والحق، والنظام والإحكام.. وهذه القاعدة أكدها القرآن الكريم فى قوله -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

وفى قوله -تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

ودليل العناية يتألف من حقيقتين:

الأولى: خلو الكون كله من أية ظاهرة للعبث والباطل فيه.

والثانية: أن الكون كله بجميع أجزائه مسخر لخدمة نوع واحد من بين سائر الأنواع؛ فمن أعظم كائن فيه إلى أصغر كائن وأحقره، الكل يخدم ذلك النوع، وهى حقيقة مدهشة للغاية، أن يكون هذا الكون الفخم الهائل بكل ما فيه من أجرامه السماوية، ومخلوقاته الأرضية، الجميع مسخر تسخيرًا خاصًا لخدمة نوع واحد من بين سائر المخلوقات التى حواها الكون، وانتظمها هذا الوجود المادى القائم، هذا النوع هو الإنسان.

يقول الله -سبحانه-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ولكى يؤدى كل عنصر من عناصر الكون وظيفته خلقه الله على هيئة معينة تؤهله للقيام بالوظيفة المنوطة به[٤].

---

(١) الدخان آية ٣٨ - ٣٩ .
(٢) ص، آية ٢٧ .
(٣) الجاثية، آية ١٢ - ١٣ .
(٤) راجع: د. عمر عبد العزيز القرشى: حقيقة الإيمان ص ١٢٦ وما بعدها .

وإذا كان كل شيء في الكون قد خلق على الصورة التي تناسب وظيفته وتعينه على أدائها فهو -أيضًا - قد هدى إلى ما خلق لأجله، وألهم غاية وجوده، ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذي يناسبه، وهذه هي الهداية، إنها شيء فوق الخلق والتسوية والتقدير، إنها الإلهام أو التعليم، إنها الهداية التي يتم بها التقدير، ويكمل الخلق والتدبير، وهذه الهداية عامة مبثوثة في كل شيء في الكون حي أو جامد، صامت أو ناطق، عاقل أو غير عاقل، ومظاهر الهداية كثيرة، وكل ما في الكون أعطى من الحواس والأجهزة الخاصة ما يعينه على أداء وظيفته المنوطة به، ويعينه على معيشته: كالصقر أعطى البصر، والحمام الزاجل أعطى قطع آلاف الأميال، والنحلة تهتدي إلى خليتها مهما طمستها الرياح ... إلخ. يقول العلامة (ابن القيم)[١]: «إن هداية الحيوانات إلى مصالح معاشها حدث عنه ولا حرج»، وفيها يقول: «من هدى الأنثى من السباع إذا وضعت ولدها أن ترفعه في الهواء أيامًا تهرب به من الذر والنمل؛ لأنها تضعه كقطعة من لحم، فهي تخاف عليه الذر والنمل؛ فلا تزال ترفعه وتضعه، وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد، ومن علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتفى أثره ويُطلب، عفّى على أثر مشيته بذنبه، ومن علم العصفور إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء، فيطيرون حول الفرخ، ويحركونه بأفعالهم، ويحدثون له قوة وهمية وحركة حتى يطير معهم، ومن علم الحمامة إذا حملت أن تأخذ هي والأب في بناء العش وأن يقيما له حروفًا تشبه الحائط، ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى، ثم يقلبان البيض في الأيام حتى يفرخ، ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة

---

(١) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، فقيه أصولي مجتهد، ولد سنة ٦٩١ هـ، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر به، توفي سنة ٧٥١م. من تصانيفه: أعلام الموقعين، مدارج السالكين، راجع شذرات المذاهب ٦/ ١٦٨ - ١٧٠ .

المحكمة وتجعل فى أعلاها خيطًا، ثم تتعلق به، فإذا تعرقلت البعوضة فى الشبكة تدلت إليها فاصطادتها، ومن علم الظبى ألا يدخل كناسه إلا مستدبرًا ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفه، ومن علم السنور إذا رأى فأرة فى السقف أن يرفع رأسه كالمشير إليها بالعود، ثم يشير إليها بالرجوع، وإنما يريد أن يدهشها؛ فتنزلق فتسقط؟![(١)]

هذا عدا عجائب الهداية فى عالم النبات، وكيف يمتص كل نوع من عناصر الأرض بنسب محدودة ومقادير معلومة رغم اتحاد التربة واختلاط العناصر فيها، بالإضافة إلى ما اهتدى إليه العلم من تكوين خلايا الحياة فى الجسم الحى وعملها وتضامنها وكيف تهتدى إلى طريقها وتصيب هدفها، ولا تخطئه ضمن ملايين الاحتمالات، وكل فرد منا أمة، بل أمم منتظمة من ملايين، بل بلايين الخلايا، وكل خلية مواطن صالح يؤدى نصيبه الكامل من الخدمة الصالحة للمجموع فى أمانة وذكاء ومهارة.[(٢)]

ولقد خطر لعالم أمريكى أن يستفرخ البيض فى جهاز خاص للتفريخ، وذلك بوضع البيض فى نفس الحرارة التى ينالها البيض من الدجاجة الحاضنة له. فلما جمع البيض ووضعه فى الجهاز، نصحه فلاح بأن يقلب البيض فى كل فترة؛ إذ إنه رأى الدجاجة تفعل ذلك، فسخر منه العالم وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطى الجزء الأسفل من حرارة جسمها، أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع حرارة ثابتة لكل أجزاء البيضة.

واستمر العالم فى عمله، حتى جاء دور الفقس، وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة، وكرر التجربة بلا جدوى، وأخيرًا استمع إلى نصيحة الفلاح،

---

(١) ابن القيم (شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)، ج١، تخريج وتصحيح مصطفى الشلبى، مكتبة الوادى للتوزيع بجدة، ط١٤١٢، ص ٢٠٠ - ٢٠٤ .

(٢) سورة طه: ٥٠ .

فصار يقلب البيض، حتى إذا جاء ميعاد الفقس خرجت الفراريخ.

وآخر تعليل علمى لهذه الظاهرة: أن الفرخ حينما يخلق فى البيضة ترسب المواد الغذائية فى الجزء الأسفل من جسمه إذا بقى دون تحريك؛ فيؤدى إلى موته.

فلولا هذه الهداية التى أودعها الله فى الدجاجة لما بقى نوع الدجاج فى العالم.

ثم انظر إلى البيض وقد جاء موعد فقسه، فتقوم الأم بنقر البيض، ما تخطئ مرة فتفقأ عين الكتكوت، أو تنقر أذنه، فمن الذى هداها؟! إنه الله الأعلى ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] ، يقول - سبحانه -: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2].

إن ظاهرة الإلهام والهداية التى أودعها الله فى هذا الكون لهى أكبر دليل على خالق حكيم مبدع، أحكم كل شىء، وأتقن كل شىء.

هذا هو الله فى مفهوم الإسلام، فهو الخالق القادر الحى الذى لا يموت، الصمد المقصود فى الحاجات، الرقيب الذى لا يغفل، الحسيب الذى لا ينسى، العادل الذى لا يظلم، الرحيم الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف، السوء السميع المجيب ... إلخ من صفات الله وأسمائه الحسنى.

ثالثًا - دليل النبوات والرسالة:

من أدلة وجود الله - سبحانه وتعالى - النبوات والرسالة لأن من مقتضى الإيمان بوجود الله -سبحانه- تصديقه فى كل ما يخبرنا به، وهذا يقتضى

---

(١) سورة طه: ٥٠ . راجع: د. يوسف القرضاوى (وجود الله) ص ٤٢ - ٥٠ .

(٢) الأعلى: (١ - ٣) وراجع: عبد الله ناصح علوان: شبهات وردود حول العقيدة ص ٣٣ وما بعدها .

الإيمان بأنبيائه ورسله الذين أخبر عنهم فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالإيمان بجميع الأنبياء والرسل وبجميع ما أنزل عليهم صفة عقيدة المؤمنين، قال الله -تعالى-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[١]، ويأمر الله نبينا محمدًا، ويأمرنا معه، فيقول: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

قال ابن القيم - رحمه الله -: وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع، وصفاته، وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها؛ فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها؛ ولهذا يسميها الله -سبحانه- آيات بينات، وليس فى طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها؛ فإن انقلاب عصا تقلها[٣] اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به، ثم يعود عصا كما كانت - من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد؛ فكل قواعد الدين فى هذه العصا، وكذلك اليد وفلق البحر طرقًا، والماء قائم بينها كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رءوسهم، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عينًا تكفى أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء: كإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٥ .

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٤ .

(٣) تقلها: أى تحملها اليد، قال صاحب اللسان: أقل الشىء واستقله: حمله ورفعه، لسان العرب ٥/٣٧٢٨، مادة قلل .

طائر من طين ثم ينفخ فيه النبى فينقلب طائرًا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التى أرشد إليها عباده (ودلهم بها)، كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التى فى الجو وفى الأرض، وأحوال المعلومات من السماء والشمس والقمر والنجوم، وأحوال النطفة وتقلبها طبقًا بعد طبق حتى صارت إنسانًا سميعًا بصيرًا، حيًّا متكلمًا عالمًا قادرًا يفعل الأفعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة، فكل طريق من هذه الطرق أصح وأقرب وأسهل وأوصل من طرق المتكلمين التى لو صحت لكان فيها من التطويل والتعقيد والتعسير ما يمنع الحكمة الإلهية والرحمة الربانية أن يدل بها عباده عليه وعلى صدق رسله وعلى اليوم الآخر، فأين هذه الطريق الطويلة العسرة الباطلة المستلزمة لتعطيل الرب عن صفاته وأفعاله وكلامه وعلوه على خلقه وإنكار وجهه الأعلى ويديه الكريمتين ورؤيته فى الدار الآخرة وسائر ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله - إلى طرق القرآن التى هى ضد هذه الطريق من كل وجه؟! وكل طريق منها كافية شافية هادية وإن صرفها الله لعباده ونوعها: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

هذا، وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نورًا أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب، وليس فى الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جدًّا، كيف وقد أرشد ذوى العقول والألباب فيه إلى أدلة هى للعقل مثل ضوء الشمس للبصر لا يخلقها إشكال، ولا يغير فى وجه دلالتها

---

(١) الأنفال: ٤٢ .

إجمال، ولا يعارضها تجويز واحتمال، تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادى الظمآن، فضلها على أدلة أهل العقول والكلام كفضل الله على الأنام، لا يمكن أحدًا أن يقدح فيها قدحًا يوقع فى اللبس إلا إن أمكنه أن يقدح بالظهيرة صحوًا فى طلوع الشمس، ومن عجيب شأنها أنها تستلزم المدلول استلزامًا بينًا، وتنبه على جواب المعترض تنبيهًا لطيفًا، ففيها إقامة الدلالة والجواب عن المعارضة والشبهة، وهذا الأمر إنما هو لمن نور الله بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن وآتاه فهمًا فى كتابه؛ فلا يعجب من منكر أو معترض أو معارض.

وقل للعيون العمى للشمس أعين ... سواك تراها فى مغيب ومطلع
وسامح نفوسًا أطفأ الله نورها ... بأهوائها لا تستفيق ولا تعى

فأى دليل على الله - سبحانه - أصح من الأدلة التى تضمنها كتابه، كقوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١)، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾(٣)، وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٤)، وقوله:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

---

(١) إبراهيم: ١٠ .
(٢) البقرة: ٢٨ .
(٣) البقرة: ٢١، ٢٢ .
(٤) البقرة: ١٦٤ .

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾(٣)، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ

---

(١) يونس: ٣١، ٣٢ .
(٢) الرعد: ٢ - ٤ .
(٣) الجاثية: ٣، ٦ .
(٤) الروم: ٢٠ - ٢٥ .

كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣)، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ

---

(١) الزخرف: ٩ - ١٤ .

(٢) النمل: ٥٩ - ٦٤ .

(٣) الأعراف: ٥٤ .

(٤) الأعراف: ٥٧ .

ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين﴾[١]، وقوله: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾[٢]، وقوله: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾[٣]، وقوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا﴾[٤].

إلى أضعاف أضعاف ذلك كما ذكر فى سورة «ق» و«الذاريات» و«الطور» و«الرحمن» و«المرسلات» وسورة «إبراهيم» و«الحجر» و«النحل»، فتأمل أدلة سورة «النحل» من أولها إلى قوله: ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾[٥].

وما ذكر فى سورة «لقمان» و«السجدة» و«هل أتى على الإنسان» وآخر «الغاشية» وسورة «البلد» و«الشمس وضحاها» وما ذكر فى سورة «الأنعام» وسور «الصافات» و«طه» و«الأنبياء» و«الحج» و«المؤمنون» و«الفرقان» - من الأدلة التى هى للبصائر كالشمس للأبصار، فأبى المتكلمون إلا دليل الجواهر والأعراض والحركة والسكون والاجتماع والافتراق، ولعمر الله لم يزل إيمان الخلق صحيحًا حتى حدثت هذه الأدلة المبتدعة الباطلة؛ فأوقعت الأمة فى العناء الطويل، وفرقت الكلمة، وعارضت بين العقل والوحى، وألقت بينهم العداوة والتباغض والتلاعن، حتى استحل بعضهم

---

(١) يس: ٣٣ - ٤٤ .
(٢) الطارق: ٥ - ٧ .
(٣) عبس: ٢٤ - ٣١ .
(٤) النبأ: ٦ - ١٦ .
(٥) النحل: ٨٣ .

من بعض ما لم يستحل مثلها المحاربون للإسلام وأهله، وحتى فتح على النصوص باب التحريف والتأويل، ورميت بأنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وساءت ظنون أتباع هؤلاء بوحى رب العالمين، وهذا كله ببركة هذه الطريق المخالفة للسمع والعقل، فالله - سبحانه - نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء واشتقوا طريقًا موصلة إلى تعطيل الخالق ونفى أسمائه وصفاته وأفعاله، وقالوا للناس: لا يتم إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق فلما سلكها من سلكها أدت به إلى ما أسره: الحيرة والشك والتأويل والتجهيل، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[1]، وبهذا ندرك أن هذا الدليل يتمثل فى أمور كثيرة، منها:

١- خطابه - تعالى - لخواص عباده من أنبيائه ورسله، وتعرفه إليهم بندائهم، ووحيه إليهم، وإنزال ملائكته عليهم، فمن ذلك نداؤه لآدم أبى البشر - عليه السلام - وخطابه إياه فى قوله - تعالى-: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ومن ذلك خطابه لنوح، ووحيه إليه، ونداؤه إياه فى قوله - تعالى-: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[3]، وفى قوله - تعالى-: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾[4].

ومن ذلك خطابه لإبراهيم - عليه السلام - ونداؤه إليه، ووحيه إليه فى

---

(١) سورة الأحزاب: ٤ . ابن قيم الجوزية، الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق د/ على بن محمد الدخيل، ج٣، دار العاصمة للنشر والتوزيع ص ١١٩٧ - ١٢٠٦ .

(٢) سورة البقرة: ٣٥ .

(٣) سورة هود: ٣٦ .

(٤) سورة هود: ٤٨ .

قوله - تعالى-:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١)، وفى قوله - تعالى-: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

ومن ذللك نداؤه تعالى لموسى - عليه السلام.

ولداود عليه السلام، ولزكريا عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ومن ذلك نداؤه - لمحمد ﷺ - وخطابه إياه وإرساله وأمره ونهيه، قال - تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٣).

إن هؤلاء الرسل جميعًا وغيرهم كثير، قد أوحى الله - تعالى - إليهم، وعرفهم بنفسه فعرفوه، وأرسلهم إلى أممهم فبلغوهم رسالاته باسمه، ودعوا إليه بإذنه واستنصروه فنصرهم، وسألوه العظائم من المعجزات فأعطاهم، فهل بعد هذا يطالب عاقل بالدليل على وجود الله؟! اللهم لا، اللهم لا.

٢- ما أنزله - تعالى - من كتب بطريق الوحى المباشر حيث أنزل صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزابور داود، وإنجيل عيسى، وفرقان محمد ﷺ.

٣- ما آتى الله - عز وجل - رسله من معجزات خارقة لسنن الكون، وقوانين الحياة؛ تدليلاً على صدق نبوتهم، وثبوت رسالتهم، فمن ذلك: معجزة إبراهيم أبى الأنبياء، وإمام الموحدين بلا منازع حيث ألقى به خصومه فى النار فلم تحرقه، وخرج منها سالمًا؛ فكانت معجزة خارقة

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤ .
(٢) سورة الصافات ١٠٤،١٠٥ .
(٣) سورة المائدة ٦٧ .

لقانون الأجسام القابلة للاحتراق إذا ألقيت فى النار أو أشعلت فيها، قال - تعالى-: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

ومن ذلك معجزات موسى - عليه السلام - كانفلاق البحر، والعصا، ومن ذلك معجزات عيسى - عليه السلام-: كإبرائه الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله - تعالى - وكتكلمه فى المهد فى أيام ولادته.

ومن ذلك ما أوتى محمد - ﷺ - من معجزات: كالعروج به إلى الملكوت الأعلى، ورد عين قتادة بعد أن سقطت على وجنتيه، ونطق جذع النخلة، وحنينه إليه، وسلام الحصا والشجر عليه، وفيضان الماء من بين أصابعه فى صحراء قاحلة لا ماء بها حيث سقى وشرب وتطهر جيش بأكمله.

فهذه المعجزات: كل واحدة خارقة لنظام السنن الكونية فهل تدل على غير وجود الله ربًا وإلهًا ذا صفات متناهية فى الكمال؟!

اللهم إنها لا تدل إلا عليك، ولا تعرف إلا بك يا رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، سبحانك أن تخفيك ألسنة الجاحدين.

وبعد أن عرفنا تصور الوجوديين للإله وأقوالهم، والرد عليها، وشبههم فى إنكار الإله وتفنيدها، وعقيدة الألوهية فى الإسلام - نذكر تصور الوجوديين للحرية.

* * *

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٨، ٦٩ .



الفصل الثانى
تصور الوجوديين للحرية

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم الحرية.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الحرية.

ثالثًا: مناقشة أقوال الوجوديين.

رابعًا: الحرية فى الإسلام.

الفصل الثانى
تصور الوجوديين للحرية

أولاً - مفهوم الحرية:

١- المفهوم العام:

المطلع على المفاهيم الفلسفية يجد أن كلمة (حرية) قد احتوت واحتملت من المعانى ما لا حصر لها، بحيث قد لا تستطيع أن تتقبل تعريفًا واحدًا باعتباره تعريفًا عامًا يصدق على صور الحرية.

الحرية فى اللغة ضد الوجودية، والحرية هى الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللوم بحسب إطلاقها، فإذا أطلقت على الخلوص من الشوائب دلت على صفة مادية، يقال: ذهب حر لا نحاس فيه، وإذا أطلقت على الخلوص من الرق دلت على صفة اجتماعية، يقال: رجل حر طليق من كل قيد، وإذا أطلقت على الخلوص من اللوم دلت على صفة نفسية، يقال: رجل حر، أى: كريم لا نقيصة فيه[١].

فالحرية بمعناها الاشتقاقى إذن: هى عبارة عن انعدام القسر الخارجى.

والإنسان الحر بهذا المعنى هو من لم يكن عبدًا أو أسيرًا[٢]، وعلى هذا فالحرية تجىء على ثلاثة معانٍ:

أ- المعنى العام:

وردت الحرية بمعنى خاصة الموجود الخالى من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته، وهى بهذا المعنى تصدق على الكائنات الحية جميعها من نبات

---

(١) راجع (المعجم الفلسفى) جميل صليبار - دار الكتاب اللبنانى، ج١، ص ٤٦٢ .
(٢) راجع (مشكلة الحرية) زكريا إبراهيم، ص ١٨ .

وحيوان وإنسان، وإذا أطلق هذا المعنى على أفعال الإنسان دل على الحرية المادية، يقال: ليس للمريض أو السجين حرية؛ لأنهما لا يستطيعان أن يفعلا ما يريدان[١].

ب- المعنى السياسى والاجتماعى:

وهو ما يعنى نفى الاستعباد الإنسانى.

والحرية بهذا المعنى قسمان:

الحرية النسبية:

وهى الخلوص من القسر والإكراه الاجتماعى، والحر هو الذى يأتمر بما أمر به القانون، ويمتنع عما نهى عنه، ويكون مسئولاً عن عمله.

الحرية المطلقة:

وهى حق الفرد فى الاستقلال عن الجماعة التى انخرط فى سلكها.

ج- المعنى النفسى والخلقى:

والحرية على صور عديدة، منها: ما تكون الحرية فيه مضادة للاندفاع اللاشعورى، أو الجنون، والإنسان الحر بهذه الصورة هو الذى لا يقدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه، سواء كان هذا الفعل خيرًا أو شرًّا، فهو يعرف ما يريد، ولا يفعل أمرًا إلا وهو عالم بأسبابه.

ومنها: ما تكون الحرية فيه مضادة للهوى والغريزة، والبواعث العرفية، والإنسان الحر بهذه الصورة هو الذى يحقق بفعله ذاته من جهة ما هى عاقلة وفاضلة.

ومنها: ما تكون الحرية فيه مضادة للحتمية، والإنسان الحر بهذه الصورة هو القادر على حرية الاختيار، ويكون فعل الإنسان متولدًا عن إرادته.

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة .

٢- الحرية عند الوجوديين:

يذكر بلاكهام «أن الخصيصة الجوهرية للذات الإنسانية تكمن فى الفاعلية، وفى الإنسان كذات فاعلة، وهذه الفاعلية إنما تحقق إمكاناتها، وتصنع ذاتها وأفعالها وأعمالها، ومن ثم تصبح موضوعًا لذاتها، فالفاعلية خصيصة أساسية تقوم على فكرة أن الإنسان كائن فاعل، والفعل الإنسانى هو الذى يحدد الذات ويحققها فى الوجود، وليس ثمة إنسان بدون فعل»(١).

والفعل يتضمن الحرية، والحرية من أقرب الموضوعات إلى قلوب الوجوديين، فموضوعها «ويعالج عند جميع الكُتَّاب الوجوديين، وهو بارز عند كيرك جورد الذى يرى أن الوجود البشرى والحرية تعبيران مترادفان تقريبًا، وليس الاهتمام بالحرية - أو بالأحرى: الافتتان بالحرية - محصورًا فى أى طائفة خاصة من الوجوديين، فاثنان من أعظم رسل الحرية فى القرن العشرين، بغير نزاع، كانا فيلسوفين ملحدين هما: سارتر وكامى»(٢)، وللترابط القوى بين الوجودية والحرية عند الوجوديين ذهب سارتر إلى حد القول: «إنك لا يمكن أن تميز بين وجودك وبين حريتك، وإن الإنسان لا يوجد، ومن ثم يصبح حرًا؛ فلكى تكون إنسانًا يعنى أن تكون فى نفس الوقت حرًا»(٣).

والوجوديون بعامة على أن الحرية متضمنة فى الوجود، كما أن الوجود متضمن فى الحرية، وهم يقولون: إن الوجود ينسلخ عن كل قيد، ويهرب من كل فكر تحليلى، ويبعد عن أية مقولات تحبسه فى داخلها فهو إذن غير

---

(١) د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد - مؤسس الوجودية المسيحية (ص ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٥٦).

(٣) د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ٣٢٤).

مقيد فى طبيعته، وغير خاضع لفكر أو نسق أو مذهب من أى نوع، أى: أنه يتسم اتسامًا أصيلاً بالحرية، ويتشابك تشابكًا حميمًا معها، ويتداخل فى صميم نسيجها[١].

لكن هناك مشكلة تبرز حين نحاول إقامة تصور للحرية؛ إذ حينما نحاول ذلك تفر منا، ومن هنا قال جون ماكورى: «لكن الوجوديين يصبحون أكثر ما يكونون هلامية فى مناقشتهم لموضوع الحرية، وعلى الرغم من أننا استشهدنا بكل من كيرك جورد وسارتر على وجهة النظر التى تقول: إن الوجود البشرى والحرية متحدان، وهما شىء واحد - فإن هذا التوحيد لن يعفينا من دراسة مشكلة الحرية على وجه التخصيص؛ فقد يكون من المسموح به من الناحية البلاغية: أن نوحد بين الوجود البشرى والحرية، لكن المشكلة بالنسبة للفلسفة هى توضيح الفروق الكامنة فى استخدام هذين اللفظين.

لكن كيف يمكن للمرء أن يتحدث عن الحرية على الإطلاق، أو أن يحاول تكوين تصور عنها؟

إننا كلما حاولنا الإمساك بها زاغت منا فيما يبدو، وهى بطبيعتها لا قوام لها، ولا تستقر على حال، بالغًا ما بلغ تقديرنا لها»[٢]، بحيث تتركنا فى إطار تصور الحتمية لا تصور الحرية، فكل تحديد للحرية هو بمثابة وأد لها، وقضاء على تلقائيتها وانبثاقها غير المقيد بقيد، وغير المشروط بشرط.

وهذه محاولة تستجلى فكر الوجوديين حول الحرية تتمثل فى آراء نيقولا بيرد يائيف «خصوصًا ما يتفق فى هذه الآراء مع كيرك جورد فى نفس

---

(١) راجع: د. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد، (ص ٣٢٤) .
(٢) الوجودية (ص ٢٥٧) .

الموضوع»[١].

وفى البداية يهاجم بيرد يائيف البراهين والأدلة التقليدية عن حرية الإرادة؛ من جهة أن هذه النظرة تحاول أن تجعل الحرية موضوعًا يمكن إدراكه وبحثه والبرهنة عليه، على حين أن بيرد يائيف يرى الحرية عند الوجودى ليست موضوع برهان، بل هى مسلمة يفترضها الفعل مقدمًا، فهى موجودة من قبل كشرط لتواجدنا، فالحرية لها الأولوية على الوجود؛ وذلك تأكيد منه على أسبقية الحرية[٢]؛ ومن ثم فهو يرى «أن أى مذهب يعترف بالأولوية المطلقة للوجود هو مذهب حتمى، وكل مذهب عقلى متموضع هو - أيضًا - مذهب حتمى، فهو يشتق الحرية من الوجود؛ إذ تبدو فيه الحرية محتومة بالوجود، وهو أمر يعنى فى نهاية التحليل: أن الحرية هى بنت الضرورة، ويكون الوجود بذلك ضرورة مثالية دون أى احتمال للانفجار للخروج عن إطاره، فهو وحدة مطلقة وكاملة.

غير أن الحرية لا يمكن أن تشتق من الوجود، فجذورها تضرب فى العدم، وفى اللاوجود إن الحرية لا أساس لها، وليست محتومة بالوجود ولا متولدة عنه إن الحرية ضد الوجود فهى أقرب إلى اللاشىء منها إلى أن تكون شيئًا، هى إمكان أكثر منها فعلًا؛ فلا يمكن أن يمسك بها، لكنه يعرضها فقط من خلال ممارسة الحرية، وحتى عندئذ فربما كنا لا ندرك شيئًا عن ذلك الطابع الأصلى العميق الغور للحرية، إلا فى تلك اللحظات النادرة لتجربة القلق بإزاء الحرية»[٣].

والواقع أن بيرد يائيف استطاع أن يصل إلى أعماق سر الحرية حين ذكر

---

(١) د. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد (ص٣٢٥).
(٢) راجع جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٥٨، ٢٥٩) ود. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد (ص ٣٢٥).
(٣) جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٥٩).

أن الحرية لا شىء أكثر من كونها شيئًا، وإمكانية أكثر من كونها واقعية، ولا يمكن فهمها بالفكر؛ وإنما يتم معرفتها فقط خلال ممارستها، ونحن ندرك خلال لحظات نادرات من الخبرة المشوبة بالقلق شيئًا من الخاصية الأولية للحرية، بما يرتبط بها من دوار الهاوية[١].

وكثيرًا ما يربط الوجوديون بين الحرية والخلق، وهاهنا يشارك الإنسان الله فى فعل الخلق هذا، والخالقية سر الحرية، ويستطيع الإنسان أن يخلق بالطبع ما هو شرير وما هو خير، وما هو جميل وما هو مفيد[٢].

لقد نادى الوجوديون بحرية الإنسان حرية مطلقة لا تعرف الحدود ولا تحوطها السدود، حتى زعم زعيمها الملحد - سارتر - أن (الإنسان حر والإنسان حرية)[٣]، بدعوى أن الإنسان مضطر فى كل لحظة من لحظات حياته أن يضع إنسانيته، ويكشف عنها بنفسه ما دام قد وجد نفسه فى الوجود بلا عون أو مدد، وبدعوى إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - فهم يزعمون أن معنى أن الإنسان حر: أن الله غير موجود؛ لأن الحرية الإنسانية إنما تقوم على أنقاض الحرية الإلهية، وبهذا اتخذت الحرية طريقًا لإنكار وجود الله - تعالى - وكذلك تدمير القيم الدينية والعادات الاجتماعية والمعايير الأخلاقية، والإباحية المطلقة بالعبّ من الشهوات بلا حساب، والانطلاق وراء المتع الحسية بلا حياء، والتحلل من عُرَى الفضيلة والأخلاق والقيم العليا.

ثانيًا : أقوال الوجوديين فى الحرية:

سلم الوجوديون بالحرية بلا استثناء، وليس بينهم أدنى اختلاف فيما

---

(١) راجع: د. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد (ص ٣٢٦) .
(٢) راجع السابق (ص ٣٢٧) .
(٣) سارتر (الذباب) ص ١٨٥، الوجودية مذهب إنسانى ص ٦٧ .

ينسبون إلى الإنسان من حرية، ويتضح هذا من أقوالهم التالية:

١- قال مؤسس الوجودية (سورين كيرك جورد):

(فالحرية هى آية ما فى الإنسان من عظمة واتساع ذات)[(١)]، (الحرية هى الخير الرئيسى الذى يجلبه الوجود الأخلاقى معه، بوصفه مكملًا لأسس الحياة الحسية)[(٢)]، (إن فعل الإنسان نفسه فعل حر، وإن الله لا يستطيع أن يسبق فيقدر إنسانًا بطريقة يجرده فيها من حريته)[(٣)]، (فليس فى الخير ضرورة؛ إذ إن الخير يكون بسبب أنى أريده وبدون رغبتى فيه ليس له وجود، وهذا هو التعبير عن الحرية، وهكذا الحال بالنسبة للشر؛ فإنه يكون عندما أريده فقط، وليس معنى هذا: أن التفرقة بين الخير والشر تفرقة ذاتية؛ بل إن هذا يقرر - على النقيض من ذلك - الصدى المطلق لهذه التفرقة فالخير هو الموجود فى ذاته ولذاته، وقد وضعه الموجود فى ذاته ولذاته، وهذه هى الحرية)[(٤)]، (إننا إذا نظرنا إلى نظرية القدر السابق لرأينا أن من المستحيل أن تنشأ هذه النظرية إذا لم توجد فكرة الحرية)[(٥)]، (ولكن اختيارى ليس حرًا؛ فأنا أعرف الحرية فى اختيارى عندما أسلم نفسى للضرورة فقط، وفى تسليم نفسى لها فإننى لن أنساها)[(٦)]، (فنحن لا نرى ضرورة الماضى إلا حينما ننظر إليه بوصفه شيئًا قد كان، ولا يمكن الآن أن نغير منه شيئًا، أما إذا تساءلنا كيف صار كذلك لظهر لنا الماضى فى صيرورته، أى: فى حرية وقوعه)[(٧)]، (وهم فى الحقيقة مجموعة من

---

(١) كيرك جورد (دروس السوربون) ص ١٨ .
(٢) كيرك جورد - إما أو - ص ٢٢١ .
(٣) كيرك جورد - فكرة الخوف ص ١١٧ .
(٤) كيرك جورد - إما إو - ج١ ص ١٨٩ .
(٥) المرجع السابق، ص ١٣١ .
(٦) كيرك جورد - (مراحل فى طريق الحياة) ص ٣٢٣ .
(٧) كيرك جورد (الوجود من الداخل) ص ٥٦ .

السوقة والدهماء يهمها جدًا طمس الشخصية المتميزة، وهكذا تكاتف المجتمع كله لتزييف الذات، وكانت صرخته: كل شيء مزيف[١]، (الفرد الموجود هو نفسه في عملية صيرورة)[٢]، (كل ما هو يصير يثبت لنا بصيرورته نفسها أنه ليس ضروريًا؛ لأن الشيء الوحيد الذى لا يمكن أن يصير هو الضرورى؛ لأن الضرورى موجود)[٣]، (ونحن نرى أنه إذا كان خطرًا دائمًا أن نضع تعريفًا للوجود، فإننا نستطيع أن نقول: إن الوجود هو الصيرورة، فليست الذات شيئًا يوجد؛ بل هى شيء يصير، إنها واجب)[٤]، (فالماضى قد صار، والصيرورة هى تغيير الواقع بواسطة الحرية)[٥].

٢- وقال لويس لافيل:

(نعرف الحرية وبصورة دائمة بالاختيار، مع أن هناك ما يدفعنا إلى الشك فى ألا تكون هذه الحرية فى أعلى أشكالها غير ضرورة إنسانية دا-خلية، أعنى بذلك: أنها ليست ضرورة سببية أو ضرورة طبيعية، ولكنها ضرورة نشاط يحدث مبررات وجوده بدلاً من أن يخضع لها)[٦]، (إن الحرية والجبرية هما وجها التقرير والاختيار الذاتى المادى والروحى المميزين لكل شيء)[٧]، (فإذا كنت حرًا، فمعنى ذلك: أننى حر لأسباب ومبررات خاصة، وحرية تقرير ما أريد تتناسب طردًا مع مدى تعلقها بهذه المبررات وتلك الأسباب، فأكثر الأفعال حرية - وهى أكمل الأفعال - هى تلك التى

---

(١) كيرك جورد (يوميات) ص ٣٥٢ .
(٢) كيرك جورد (دروس من السوربون) ج٢ ص ١٨ .
(٣) كيرك جورد (اللاأشياء الفلسفية) ص ١٥٤ .
(٤) كيرك جورد (دروس السربون) ص ٢٦٦ .
(٥) كيرك جورد (اللاأشياء الفلسفية) ص ١٦٠ .
(٦) لافيل (رسالة فى القيم) ص ٤٢٨ .
(٧) لافيل (الحضور الكلى) ص ٢٢٥ .

ينتفى فيها الاختيار والمفاضلة)[١] .

٣- وقال كارل ياسبرز:

(إن حرية الإنسان نطلق عليها وجوده أيضًا)[٢]، (فالحرية لا يمكن البرهنة عليها أو إبطالها)[٣]، (فحرية الإنسان غير منفصلة عن شعوره بحقيقته النهائية)[٤]، (الإنسان لديه من الإمكانيات ما يمكنه من أن يجعل ذاته ما يريد، وذلك عن طريق ممارسته لحريته)[٥]؛ (فلأنى أعرف أنى حر فإنى أسلم بذاتى بوصفها مذنبة)[٦] .

٤- وقال بيرد يائيف:

(فى البدء كانت الحرية، وفى النهاية تكون الحرية)[٧]، (الحرية هى قبل وبعد كل شيء استقلالٌ، هى تحديدى من الداخل ومبادأتى الخلاقة، وواقعها لا يعتمد على أى معيار، وممارستها ليست مجرد اختيار بين الخير والشر)[٨]، (إن الحرية هى معيارى الخاص، وهى خلقى الخاص للخير والشر، وقد يؤدى شرط الاختيار إلى إحساس بالكبت وعدم الحسم، أو إلى اختفاء الحرية تمامًا، فالتحرر يأتى عندما يتم الاختيار، وعندما أكون قد شرعت فى عملية الخلق، وترتبط مشكلة الإنسان والإبداع الإنسانى ارتباطًا وثيقًا بمشكلة الحرية، وترتبط مشكلة الحرية عندى بالحياة فى الله، فالحياة

---

(١) لافيل (إمكانيات الأنا) ص ١٥٥ .
(٢) كارل ياسبرز (مدخل إلى الفلسفة) ص ٥٦ .
(٣) المرجع السابق، ص ٤٤٠ .
(٤) كارل ياسبرز (معنى الفلسفة) ص ٦٤ .
(٥) كارل ياسبرز (مدخل إلى الفلسفة) ص ١٤٦ .
(٦) المرجع السابق ص ٤٤٦ .
(٧) بيرد يائيف، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) طلعت غنام، ص ١٠٨ - ١١١ .
(٨) المرجع السابق، نفس الصفحات .

فى الله عندى هى الحرية، هى الانطلاق الذى لا يقيده قيد)[١].

٥- وقال هيدجر:

(الحرية هى وجودنا نفسه)، (التخلى عنها سيكون تخليًا عن إنسانيتى متبعًا لكلمة مشهورة: نحن محكوم علينا بهذه الحرية)[٢]، (فالحرية جوهر الإنسان وماهيته، وبها وحدها يمتاز الإنسان عن سائر الموجودات، فالموجود المتفتح فقط موجود حر، والحرية هى التفتح، والقدرة على التخيل تشهد بشعور حر)[٣].

٦- وقال سارتر:

(إن الإنسان حر، وإن الحرية هى صميم الوجود الإنسانى)[٤]، (فأنا مقضى على بأن أكون حرًا؛ من حيث إن الوجود قد أعطى لى دون موافقتى ودون سبب، وأنا مرغم على تقبله بأن أصنع نفسى)[٥]، (فقولى: أنا موجود، مرادف تمامًا لقولى: أنا حر؛ لأن الحرية هى الشعور بالوجود نفسه، فأنا أصنع نفسى ووجودى على نحو ما أريد، ودون أن أستطيع الاعتماد على شىء آخر غير نفسى، فليس فى وسع أى إنسان آخر أن يمارس حريتى عوضًا عنى)[٦]، (وأنا أستطيع أن أختار دائمًا، وحتى إذا رفضت أن أختار فرفض الاختيار هو اختيار)[٧]؛ (لأننى حين أتخلى عن حريتى يكون ذلك بواسطة الحرية أيضًا)[٨]، (إن الإنسان محكوم عليه

---

(١) المرجع السابق، ص ١١١ .

(٢) هيدجر (نداء الحقيقة) ص ١٠٠، ترجمة عبد الغفار مكاوى - دار الثقافة - القاهرة - ١٩٧٧م .

(٣) هيدجر (نداء الحقيقة)، ص ٩٣ .

(٤) سارتر (الوجود والعدم) ص ٥٥٠ .

(٥) المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

(٦) سارتر، نقلاً من كتاب (هذه هى الوجودية) بول نولكيه ص ٢٩ .

(٧) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٥١ .

(٨) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٩٨ .

بالحرية؛ محكوم لأنه لم يخلق ذاته، وهو حر؛ لأنه قد صار مسئولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن يتواجد فى العالم)[١]، (إذا كان الوجود حقيقة أسبق على الماهية فالإنسان مسئول عما هو عليه، وإذن تكون أولى آثار الوجودية المترتبة على ذلك: هو وضع كل فرد وصيًا على نفسه مسئولاً عما هو عليه مسئولية كاملة)[٢]، (إذا كنا سنشكل الصورة التى سنكون عليها أثناء عملية وجودنا، فهذه الصورة لن تكون واقعنا نحن فقط؛ ولكنها ستكون كذلك واقع الناس المحيطين بنا، والعصر كله الذى نجد فيه أنفسنا)[٣]؛ (لأن الإنسان محكوم عليه بالحرية، والحرية تقتضى الاختيار، والاختيار يقتضى المسئولية عما يختاره)[٤]، (إن العدم هو نسيج الوجود الإنسانى، وبذلك: فإن من أهم ما يميز الموجود لذاته - الإنسان - هو انفصاله عن ذاته، وخلقه لنفسه بنفسه، وليست الحرية سوى مجرد تعبير عن هذه الحقيقة الهامة)[٥]، (إن حريتى هى الدعامة الوحيدة للقيم؛ فليس ثمة شىء يمكن أن يلزمنى بأن أتخذ هذه القيمة أو تلك)[٦]، (اختاروا مثلما اخترنا؛ فنحن لا يمكن أن نختار الشر لأنفسنا، وما نختاره دائما خير لنا، ومن ثم فهو خير لكل الناس)[٧].

ثالثًا: مناقشة أقوال الوجوديين:

إن ادعاء الوجوديين بحرية الإنسان حرية مطلقة مردود عقلًا ومرفوض واقعًا، من خلال النقاط التالية:

---

(١) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٢٦ .
(٢) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ١٥ .
(٣) المرجع السابق، ص ١٧ .
(٤) سارتر (الأبواب المقفلة) ص ٩ .
(٥) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٤١ .
(٦) المرجع السابق، ص ٥٥٤ .
(٧) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ١٦ - ١٧ .

١- أن الإنسان فى ظل المذهب الوجودى يجرى وراء سراب يزعم أنه الحرية، وفى نفس الوقت يعيش لتحقيق غرائزه، والهدف من الحرية - على حد زعمهم - أن يسترسل الإنسان مع سفهه وأهوائه: يفسد، ويفجر، ويخون، ويمكر، ويبرر هذه المفاسد والآثام بقوله: (أنا حر)، ويكون قوله هذا حجة كافية ومعذرة وافية، ثم هل وجد الإنسان ليعيش ويحيا فوضويًا بلا تنظيم ونظام، ولا إلزام، والتزام؟! وإذن ما الفرق بينه وبين الوحوش فى الغابة؟! وهل فى الكون مجتمع بغير دستور؟! وإذا كان الشيوعيون قد أمموا وسائل الإنتاج؛ جبرًا لفقر البائسين كما يزعمون، فهل أمم الوجوديون الأديان، والشرائع والآداب والأخلاق؛ ليبرروا فوضى الخنافس والبهيميين وشذوذهم، وفساد الأشقياء وإجرامهم؟! نعوذ بالله.

٢- أن هذه الحرية المنداحة الدائرة، بل التى لا تعرف الحدود ولا القيود متناقضة - تمامًا - مع مبدأ آخر من مبادئ الوجودية ذاتها: ذاكم المبدأ الذى يقرر أن الإنسان وجد فى هذه الحياة دون إرادة منه، ويعيش فيها دون إرادة، ويرحل عنها كذلك دون اختيار؛ فكيف يتفق هذا القهر المطلق مع الحرية المطلقة التى ينادى بها الوجوديون؟ وإن دل هذا على شيء فيدل على مدى تناقض الوجوديين واضطرابهم.

٣- أن الإنسان لو كان حرًا - بالمفهوم الوجودى - فى هذه الحياة ما قبل الشيب والهرم والعجز والموت، فما يدعى إنسان سوىٌّ أنه يحب ذلك، لكنها واقعة به جميعًا، فهل يستطيع الوجوديون أن ينكروا ذلك، أو يدعون بأنهم يوقعونه بأنفسهم برغبتهم؟! ولهذا فالإنسان ليس حرًا بالمفهوم الوجودى.

٤- لو كان الإنسان حرًا بالمفهوم الوجودى لحقق كل ما يطمح إليه فى حياته الدنيا هذه، لكن الإنسان قد يطمح إلى ما لا يحققه، ويطمع فيما لا يناله، أو يصل إليه، فهل يعقل أن يكون الإنسان حرًا حرية مطلقة، ثم يعجز

عن تحقيق آماله، أو دفع ما يقع به.

٥- أن مفهوم الحرية عند الوجوديين، ينطوى على كثير من المفارقات، فعندما أدت حريتهم المطلقة إلى الفوضى، وقد أحسوا أن فى ذلك مجافاة للحقيقة - راحوا يربطون بينها وبين نقيضها - أعنى الضرورة تارة، والالتزام تارة أخرى - لكى يضفوا عليها شيئًا من المعقولية، إلا أن القارئ لهم يشعر بمثل هذه المفارقات، ويحكم عليهم بخلو حديثهم عن الصدق والواقعية على حد سواء، وأنهم دعاة للإباحية والسلوك الفاضح الذى لا تحكمه مبادئ أو قيم[١].

٦- ادعى الوجوديون أن الإنسان حر حرية مستمرة باختياره، ثم ادعوا أن الإنسان محكوم عليه بالحرية؛ فكيف يشعر الإنسان بأنه حر ويشعر فى الوقت نفسه شعورًا متناقضًا بأنه مقسور على هذه الحرية؟! إنه لتناقض عجيب!!.

٧- ما قيمة هذه الحرية التى نستطيع أن نفر منها؛ حيث تبدو هذه الحرية وكأنها خالية من كل معنى ومن كل قيمة؛ فبهذا ندرك أن الإنسان الوجودى يستطيع من خلال حريته أن يفر من حريته!! إنها الفوضى بعينها!! فكيف يكون الإنسان مقسورًا على الحرية، وكيف يمكنه فى الوقت نفسه أن يفر من هذه الحرية؟!

٨- ادعى الوجوديون أن الإنسان خال من الماهية السابقة على الوجود فى قولهم: (الوجود أسبق من الماهية)، ثم ادعوا أن ماهية الإنسان هى الحرية كقولهم: (إن الإنسان محكوم عليه بالحرية)؛ فكأنهم قالوا: إن الإنسان خال من الماهية الإنسانية، وإن الإنسان فى نفس الوقت حاصل على ماهية معينة هى الحرية، وهذا تناقض واضح.

---

(١) راجع د. محمد مهران رشوان (مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة) دار الثقافة، القاهرة، ص ١٢١ .

٩-ادعى الوجوديون أن الإنسان حر حرية مطلقة فى جميع الأحوال وفى جميع المواقف، وفى جميع الأفعال، ثم ادعوا أنه مقسور على الحرية، ومن ثم يصبح أحيانًا حرًا وأحيانًا غير حر؛ فعلى هذا يكون له فى بعض أفعاله ومواقفه مطلق الحرية، وفى أفعال أخرى قليل القدر من الحرية، وفى أفعال ثالثة معدوم الحرية؛ فأى تناقض بعد هذا التناقض؟!

١٠- كيف يقول الوجوديون: إن الإنسان دائمًا حر، وإنه ليس حاصلاً على طبيعة أو ماهية تحدد سلوكه وأفعاله، ثم يقولون: إن الإنسان الذى يعرف أنه هو الذى يخلق القيم لا يستطيع إلا أن يريد شيئًا واحدًا هو الحرية؛ حيث إنها أساس لتلك القيم - على حد زعمهم - فكيف يكون الإنسان حرًا بمقتضى تركيبه النطولوجى[١]، ويسعى فى الوقت نفسه لتحصيل هذه الحرية؟! كيف يمكن أن تكون الحرية الإنسانية حرية عامة مطلقة تشمل جميع أفعال الإنسان، وفى نفس الوقت تكون موضوعًا للإرادة الإنسانية يسعى إليها وينبغى تحصيلها؟[٢]إنه الاضطراب الواضح.

١١- ادعى الوجوديون أن الإنسان حر حرية مطلقة، وأكثر أقوالهم تشير إلى تمجيد الإنسان لحريته المطلقة الذاتية الخاصة به، وأن الإنسان عندما يختار لنفسه فإنما يختار لكل الناس؛ لأن ما يختاره هو خير له وللجميع، ثم صدر عنهم أقوال أخرى تشير إلى عدم إقامة وزن للآخرين، وأنهم هم الجحيم: (الجحيم هم الآخرون)[٣]، وكما قال سارتر أيضًا: (إن الخطيئة الأولى عندى هى وجودى فى عالم يوجد فيه الغير)[٤]، فأقام الوجوديون

---

(١) (تعنى هذه الكلمة الأمور العامة التى تشمل جميع الموجودات: الواجب والممكن والجوهر والعرض. هذا ما جاء فى كتاب المعجم الفلسفى لمراد وهبة نقلاً عن تعريفات الجرجانى)، راجع محمد جواد مغنية (قاموس مصطلحات) دار مكتبة الهلال ص ١٩٢.

(٢) راجع د. حبيب الشارونى (الوجود والجدل فى فلسفة سارتر) ص ٩١ .

(٣) سارتر (الأبواب المقفلة) ص ٩٧ .

(٤) سارتر (الوجود والعدم) ص ٤٨١ .

علاقتهم مع الغير على الصراع، مع ادعائهم أن الإنسان عندما يختار لنفسه ولهم إنما يختار الخير والأفضل؛ فهذا تناقض وتذبذب واضح لا جدال فيه، ومحاولتهم إيجاد اتصال بين الإنسان والآخرين هى محاولة غير صادقة؛ بدليل تصريحهم بأن ظهور الآخرين على مسرح الحياة لا يعنى شيئًا سوى أنهم وجدوا ليسلبوه حريته، ويهددوا وجوده وحياته، والحرية بين الإنسان والآخرين هى علاقة نزاع وصراع، وبدليل - أيضًا - تمجيدهم للفردية، واحتقار الجماهير ووصفهم بالرعاع، والبهائم البشرية الذين يضايقون الآخرين كالذباب[١].

١٢- يرى الوجوديون أن الحرية ترتبط بالقلق ارتباطًا وثيقًا، فجعلوا القلق يحاصر الإنسان من كل اتجاه، وهنا تبرز عدة استفسارات، فإذا كان اختيار الإنسان هو الذى يحدد الأفضل والأسوأ، فلماذا يقلق ويخشى سوء الاختيار؟! وإذا كان الاختيار ليس له قيمة إلا فى اللحظة الحاضرة -كما يزعمون- ويمكن تعديله فى أى لحظة يريدها الإنسان؛ حيث إنه فى حالة اختيار دائم مستمر بدون انقطاع، فهل هناك - إذن - داع للقلق بسبب اختيار لا يدوم غير لحظة من لحظات حياته؟! وقد كان من الممكن أن يتفادى الوجوديون هذا القلق لو آمنوا بالله - عز وجل - واعترفوا بثنائية الوجود الإنسانى، وأن الإنسان يتركب من روح وجسد.

١٣- أن ادعاء الوجوديين أن اختيار الإنسان لنفسه اختيار للبشرية جمعاء، وأنه لا يختار إلا الخير - ادعاء باطل؛ بدليل حياة سارتر - مثلاً - فقد اختار الإضراب عن الزواج وعن الإنجاب، فما مصير البشرية إذا

---

(١) راجع كيرك جورد (يوميات) ص ٢٠١ - ٢١٣. وسارتر (الأبواب المقفلة)ص ٨٥ - ١٠٠.

أضرب الناس جميعًا رجالاً ونساءً عن الزواج وعن التناسل؟![١] ثم من رشح (سارتر) ليختار للبشرية؟! وماذا لو قال كل فرد مثل ما قال (سارتر) بأنه يختار للبشرية؟ ودعا إلى الالتزام بما يختاره؟ كيف تكون الحياة إذن؟! يقول أندريه لالند[٢]: (إن فكرة سارتر عن الحرية لا تكاد تنطوى على أى مفهوم عقلى واضح)[٣]، إنه واقع متناقض غير معقول ولا مفهوم، وهذا هو مصير مفهوم الحرية عند الوجوديين.

١٤- أن ادعاء الوجوديين أن الإنسان لا يمكن أن يختار إلا الخير لنفسه وللبشرية ادعاء باطل ومتناقض؛ لأن الإنسان يقرن فعله إذا نفعه بالخير، ويقرن ما يضره بالشر، ولكن لا يمكن اعتبار ما ينفعنى أنا - مثلاً - أو يضرنى مصدرًا للخير أو الشر؛ لأن ما ينفعنى قد يضر آخرين غيرى، والعكس كذلك من جهة، ومن جهة أخرى: فإن الله يحاسب كل إنسان على حسب اختياره فقط، فكيف يحاسب الإنسان على اختيار غيره، قال - تعالى-: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٤].

١٥- أن إرادة الله - سبحانه وتعالى - مطلقة، أما إرادة الإنسان فهى محدودة تنحصر حريتها فى الاختيار فقط، كما أن الاختيار ليس مطلقًا أيضًا؛ لأنه محدد بطريقين ومقدر سلفًا بفعلين هما طريق الخير وطريق الشر، ومن ثم لا يمتنع عقلاً انطواء الإرادة والمشيئة الإنسانية تحت الإرادة والمشيئة الإلهية المطلقة؛ حيث لا مشيئة مطلقة إلا لله وحده، وكل اختيار

---

(١) راجع محمد لبيب البوهى (الوجودية والإسلام) دار المعارف. مصر ١٩٦٠ص ١٥٣ .

(٢) أندريه لالند ١٨٦٧ - ١٩٦٤. فرنسى، كان أستاذًا للفلسفة بجامعة باريس وأستاذًا للفلسفة بالجامعة المصرية. أهم كتبه: (المعجم الاصطلاحى والنقدى للفلسفة) و (نظريات فى الاستقراء والتجريب)، راجع الموسوعة الفلسفية/ د. عبد المنعم الحفنى ص ٣٩٢ .

(٣) أندريه لالند (العقل والمعايير) ترجمة نظمى لوقا، الهيئة المصرية للكتاب، ص ٥٣ .

(٤) سورة الإسراء آية ١٥ .

بفعل الإرادة الإنسانية إنما هو اختيار بفعل المشيئة الإلهية المطلقة وغير خارج عنها؛ وذلك لكونها مطلقة يمتنع وجود أى مجال خارج مجالها؛ لأن مجالها مطلق، والمطلق لا يتناهى، وما لا يتناهى ليس له حدود، ومن ثم ليس ما هو خارجه؛ لأنه ليس ثمة خارج له، إنما الذى يمتنع عقلاً هو أن تكون كلتا الإرادتين حرتين مطلقتين، فذلك يرفضه العقل ولا يقبله المنطق(١).

١٦- ترتكز الحرية عند الوجوديين على الفعل؛ حيث إنها ممارسة قبل أى شىء، والإنسان عندهم ليس سوى ما يختاره ويفعله بنفسه، بل هو عين هذا الفعل، ومن ثم فإن مقومات الحرية لديهم ترتكز على الاختيار والفعل؛ أنه لا اختيار حيث لا حرية، ولا حرية بدون استطاعة على الفعل، ولكن مقومات الحرية فى الإسلام وإن كانت ترتكز على الاختيار والفعل فإنها ترتكز على مقوم آخر على قدر كبير من الأهمية لم يعترف به الوجوديون: وهو العلم أو المعرفة؛ إذ لو كان الإنسان قادرًا على إحداث الفعل كما أراده واختاره فإنه يلزم أن يكون لديه المعرفة والعلم الضرورى بالأسباب والعلل ونتائجها من جهة، ولديه المعرفة الضرورية بالفضائل والرذائل، أو الخير والشر فى الأفعال المختارة من جهة أخرى.

١٧- إذا كان الوجوديون قد جعلوا الحرية الإنسانية حرية مطلقة تستوعب كل مظهر من مظاهر النشاط الإنسانى، كما جعلوا اختيار الإنسان غير قائم على أساس مبدأ معين، وحرية الإنسان حرية إباحية غير مقيدة بأى قيد دينى أو اجتماعى أو أخلاقى - فإن الإسلام لم يجعل حرية الإنسان حرية مطلقة؛ حيث جعل جانبًا جبريًا فى حياة الإنسان حيث يبتليه بأمور وأحداث وأفعال هى فى حقيقتها جبرية، ليس له دخل فيها ولا أدنى اختيار، وهذا الجانب لا ينفى حرية الإنسان واختياره، وإنما يؤدى إليه؛

---

(١) راجع: الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان (الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية) ص ٨٧ - ٩٠.

لأنه مطالب نحو هذا الفعل الجبرى بسلوك وفعل اختيارى، نابع من إرادته واختياره؛ لأن الإنسان حينما يبتلى يواجه بسلوكين متضادين، وهنا تتحرك إرادته لاختيار واحد من السلوكين، وتبرز استطاعته الإنسانية لتنفيذ ما تم اختياره من حسن أو قبح أو خير أو شر.

١٨- الحرية الإنسانية فى الإسلام وسيلة وليست غاية كما فى الوجودية التى تجعل الحرية غاية وهدفًا لذاتها؛ فيصبح كل شىء مباحًا كالعهر والفساد والمجون؛ مما يزلزل القيم ويقضى على الأخلاق والمثل.

١٩- تؤدى الحرية المطلقة التى نادى الوجوديون بها إلى أن يعبد الإنسان هواه، فتفتح الباب له لأن يفعل ما يشتهى دون قيد أو شرط، يراقص ويقامر ويشرب الخمر، ويسكر ويزنى ويفعل الموبقات، ولا لوم عليه من عرف ولا مؤاخذة من قانون؛ لأنه فى نظرهم - والحالة هذه - يمارس حقه، المهم ألا يؤذى أحدًا، وتلك حرية الغريزة الحيوانية لا حرية الإرادة الإنسانية، وإرخاء العنان لشهوات الإنسان بهذه الصورة انحلال كبير لا يقره دين، وهدم للإنسان والمجتمع معًا؛ إذ إنهما متداخلان مترابطان يؤثر كل منهما فى الآخر، فإذا فسد جانب فسد الثانى[١].

أما الحرية فى الإسلام - والتى سنتطرق إليها - إن شاء الله - فهى حرية فى حدود القيم والفضائل، وفى نطاق الأخلاق والدين الذى يقوم عليه بناء المجتمع، وهى حرية تسمو بالإنسان وتصونه عن التدنى إلى أسفل، يقول الأستاذ روجيه جارودى: (تنقسم الحرية إلى قسمين: حرية حيوانية غير عاقلة، وحرية إنسانية عاقلة).

ثم قال: (إن الحرية السماوية تلبى حاجات إنسانية محضة، إن حرية الإنسان لا تتأتى من ممارسته للفوضى والهدم؛ بل من الحرية المسئولة أمام

(١) راجع: د/ جمعة الخولى (الاتجاهات الفكرية المعاصرة) ط ١٤٠٧هـ، ص ٨٤ .

القيم الأخلاقية وأمام الله؛ لذا فإن العبودية لله الواحد هى الحرية بعينها.

ولقد تحرر العربى المسلم حين مارس هذه الحرية فى إطار تعاليم الإسلام، فالله أمر المؤمن أن يفكر وأن ينتقد الخطأ ولا يسكت عليه، وينكر المنكر إذا رآه بيده وبلسانه وبقلبه، ثم حث الإنسان أن يعمل ذهنه ويفكر؛ ولهذا كله تحرر الإنسان المسلم من العبودية إلا لله وحده، ومارس أرقى أشكال الحرية الفردية والاجتماعية فى إطار من الوعى، غير أن أوربا والفكر المادى الأوربى والقوانين الأوربية سلبت الإنسان حريته؛ فأخضعته ووهنته، وجعلته عبدًا للآلة والاستهلاك والسلعة)[١].

٢٠- رفضت الوجودية عبودية الإنسان لله - سبحانه وتعالى - لأن العبودية - على حد زعمهم - نقيض الحرية، فى الوقت الذى نرى الإسلام لا يرضى بغير هذه العبودية، وفى الوقت - أيضًا - الذى نرى عبودية الإنسان لله فى الإسلام هى السبيل الوحيد إلى تحرير الإنسان، نرى الحرية فى الوجودية حرية مزعومة، لا رصيد لها فى واقع المجتمعات التى تؤمن بهذه الفلسفة، أى: أن الإسلام يعتمد على الوضوح وحده، بينما تعتمد الوجودية على التدجيل والتلبيس؛ ولذلك نجد الإسلام قد حرر العبيد من استذلال الغير، ممن يملكون، ومن استرقاق الحكام، ومن استرقاق الشيطان أيضًا، بينما نجد الوجودية قد حررت الإنسان على الورق فقط لتوقعه فى قبضة النفس وشهواتها، وتكون النتيجة ما يعيشه عالمنا المعاصر، وما يهدد حضارته، كما يهدد الجنس البشرى جميعه بالتدمير، ولا منقذ له من هذا التدمير سوى الإسلام.

فالحمد لله الذى من علينا بالإسلام؛ لأن الإسلام يرفض الأديان

---

(١) روجيه جارودى: محاضرة بعنوان (قضايا الإسلام فى الدول الأوروبية) راجع خلاصة المحاضرة فى جريدة الشرق الأوسط فى ١٩٨٣/٣/٢٥م.

الوضعية، وينبذ المذاهب الفلسفية كلها، ويدعو إلى إفراد الله بالألوهية ورفض الخضوع لغير أمره وتنظيمه.

وبعد أن عرفنا مفهوم الحرية عند الوجوديين نختتم حديثنا بمفهوم الحرية فى الإسلام.

رابعًا: مفهوم الحرية فى الإسلام:

الحرية فى الإسلام هى استعمال الحق المشروع بحيث لا يؤثر ولا يعترض على حقوق الآخرين.

فهذه الحرية تتيح للإنسان استعمال كافة حقوقه ما دام ذلك فى إطار الشرع.

فمن الحرية: العبودية لله رب العالمين، والإذعان الكامل لطاعته، وتحليل حلاله وتحريم حرامه، وقد قيل: (فى العبودية لله تمام الحرية، وفى الحرية تمام العبودية)، فالدين الإسلامى هو الذى يحقق الحرية الحقيقية للناس بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وبناءً على هذا يتهافت مفهوم الحرية عند الوجوديين؛ إذ ليس معنى الحرية إطلاق العنان للإنسان أن يعمل ما يشاء، أو أن يرتكب من المنكرات ما يريد دون أن تحد تصرفاته آداب، أو تقيد أفعاله ضوابط؛ فالحرية بهذا المعنى تجر إلى الفوضى والفساد والاضطراب، ولتلافى هذه المشاكل عنى الإسلام بالحرية، ووضع لها الضوابط التى تحمى الفرد والمجتمع.

فهى فى الإسلام حرية فى حدود القيم والفضائل، وفى نطاق الأخلاق والدين، وهى حرية تسمو بالإنسان وتصونه، وهى حرية تحرره من قيود الوثنية والاستعباد؛ فهى ضد عبودية الأوثان، وضد العبودية لأى كائن كان، وهى حرية الفرد وحرية الجماعة.

وقد قسم الباحثون الحرية فى الإسلام إلى أنواع:

أولاً - الحرية الدينية:

بنى الإسلام الحرية الدينية على أسس سمحة نبيلة، تحقق آمال الفرد، وأهداف المجتمع، وقرر فى هذا الصدد أربعة مبادئ تعد أسمى ما يمكن أن يصل إليه التشريع فى حرية الأديان والمعتقدات، وهى[١]:

١- حرية الاعتقاد الدينى ونفى الإكراه فى الدين:

وقد قرر الإسلام عدم جواز أن يجبر أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام، قال - تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[٢]، ويقول الله مخاطبًا الرسول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[٣]، وعلى هذا المبدأ سار المسلمون فى معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى، وكانوا فى الفتوحات الإسلامية لا يرغمون أهل البلد على ترك دينهم، ويفرضون عليهم الجزية والطاعة للفاتحين، وفى مقابل ذلك يحمونهم من كل اعتداء.

وفى هذا يقول عمر بن الخطاب[٤]رضى الله عنه فى معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له: (هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، لا تنكس

---

(١) راجع: على عبد الواحد وافى (الحرية فى الإسلام) دار المعارف مصر ص ٥٩ - ٧٤ .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦ .

(٣) سورة يونس، آية ٩٩ .

(٤) عمر بن الخطاب (٥٨١ - ٦٤٤م) ثانى الخلفاء الراشدين، تولى الخلافة سنة ١٣ هـ، من بنى عدى من قريش، أسلم قبل الهجرة بأربع سنوات، لقبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالفاروق، اشترك فى موقعة بدر وأحد، وزوج بنته حفصة للرسول، بادر إثر وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمبايعة أبى بكر خليفة للمسلمين، أوصى أبو بكر بخلافته بعده، توفى - رضى الله عنه - ٢٣ هـ، طعنه أبو لؤلؤة مولى المغيرة بن شعبة فى المسجد. راجع الموسوعة العربية ج٢، ص ١٢٣٦ - ١٢٣٧ .

كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم)[١].

ويقول عمرو بن العاص[٢] فى معاهدته مع المصريين بعد فتحه لمصر: (هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص)[٣].

٢- حرية المناقشة الدينية:

فقد قرر الإسلام حرية المناقشات الدينية فى الإسلام، وأهاب بالمسلمين إلى التزام جادة العقل والمنطق فى مناقشتهم مع أهل الأديان الأخرى، وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، قال - تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤]، وقال - تعالى-: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٥]، وقال - تعالى-: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٦]، وقال -

---

(١) محمد حسين هيكل (الفاروق عمر) ص ٦٣٢، ج١، دار المعارف، ط٦، سنة ١٩٧٧م.

(٢) عمرو بن العاص: هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشى السهمى، أسلم فى هدنة الحديبية سنة ثمان، ثم هاجر، تولى إمرة جيش ذات السلاسل، وكان من دهاة قريش من ذوى الحزم والرأى، تولى إمارة مصر ومات بها سنة ٤٣ هـ. راجع أسد الغابة ٤/ ١١٥/ ١١٨ وطبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٤ - ٢٦١. وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤ - ٧٧.

(٣) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى الأتابكى ٨١٣ - ٨٧٤ (النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة) ج١ ص ٢٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

(٤) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت، آية ٤٦.

(٦) سورة البقرة، آية ١١١.

تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾[١]، وقال - تعالى-: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢]، ولم يكتف القرآن بذلك؛ بل دعا وأغرى الكفار على المناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم، فتظاهر جدلاً بأنه لا يقطع بأن المسلمين على حق أو أنهم على باطل فيقول: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٣]، وسرت حرية المناقشات الدينية لدى الخلفاء، فكان العلماء يتناقشون لديهم فى شتى الأديان والفرق والعقائد، كل يدلى برأيه وحجته فى حرية وأمن واطمئنان، وكان الخلفاء يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع ويشتركون فيها بأنفسهم.

٣- اليقين والاقتناع فى صحة الإيمان:

فالإسلام هو ما كان منبعثًا عن يقين واقتناع، لا عن تقليد وابتداع.

٤- إباحة الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه:

فالإسلام أباح الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه، وهو المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط، فمتى توافرت هذه الشروط فى المسلم فله أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها، ويعمل بما يراه ويجهر بما انتهى إليه رأيه، والإسلام يكفل له حرية الرأى، ويحمى حريته، ويحترم رأيه، حتى لو كان اجتهاده خاطئًا ومجانبًا للحق فى الواقع؛ فالمجتهد فى الإسلام مشكور ومأجور فى حالتى صوابه وخطئه: فإن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٤ .

(٣) سورة سبأ، آية ٢٤ .

ثانيًا : الحرية السياسية:

إن صلب المشكلة السياسية ينطلق من أنه ما من إنسان إلا وفى طبعه درجة من الرغبة فى التسلط على الآخرين، وإن تَوَلِّى السلطة بما يتضمن من احتكار لأدوات العنف فى المجتمع يهيئ - بالتدلى بتلك الرغبة - إلى التعسف فى استعمال السلطة، بل وإلى الانحراف بها، ومن هنا تبرز المشكلة السياسية بمضمون قوامه: ما الوسائل التى إن اتبعت حالت دون التسلط؟

ونقول: إن سمة نزوع الأفراد نحو التسلط على الآخرين وسيطرة الدولة على المجتمع، تتطلب وجود قيم وأشكال تنظيمية تخلق توازنًا بين السلطة باعتبارها ضرورة اجتماعية وبين حرية الأفراد، ويمتد هذا التوازن ليحكم علاقة الدولة بالمجتمع، ويمنع من تحقيق غلبتها عليه.

وأبرز القيم فى النظام الإسلامى، وهى قيم ومبادئ تكفل للأفراد حريتهم وللمجتمع استقراره - أبرز هذه القيم ما يلى:

أ- منهج التعامل مع المشكلة السياسية فى الإسلام يرتكز على مبدأ (الحاكمية لله)، وهى النقطة المركزية التى يتم الاحتكام إليها من خارج الجماعة، وبعبارة أخرى: فإن الأساس الفلسفى الذى يستند إليه التصور الإسلامى هو أنه يقوم على (ضمانات شرعية) مستمدة من الشريعة لا من قرارات الأغلبية، وبذلك لا تكون تحت رحمة سلطة الأغلبية، أو من هو قادر على تشكيل وصنع هذه الأغلبية بالأساليب والوسائل المختلفة؛ فهى مبادئ ثابتة تفرضها الشريعة، وتتأسس على العقيدة، وتلتزم بالأخلاق الثابتة، وهذا يحميها من الانحراف والتحول، وهذه الطبيعة الإلهية للضمانات أو المبادئ التى تحكم حل المشكلة السياسية تحول الضمانات إلى التزامات قبل الله ورسوله، أو بتعبير آخر: تجعل منها ضرورات وحرمات لا مجرد حقوق، ضرورات تدخل فى إطار الواجبات الدينية التى

لا سبيل لحياة الإنسان - حياة تستحق معنى الحياة - بدونها، وأهمية الطابع الإلهى لهذه الضمانات أو المبادئ: أن المجتمع الخاضع للشريعة تخضع فيه الدولة - أيضًا- بجميع سلطاتها ونظمها وأجهزتها لهذه المبادئ؛ فلا تستطيع أن تعطلها بتغيير الدستور والقوانين.

فالحاكمية لله تعنى أنه - سبحانه - مصدر جميع الأحكام التكوينية والتشريعية، وأنها ليست مقيدة لسلطة الدولة فقط، بل ولا لسلطة الأغلبية فى النظام الديمقراطى؛ فالحاكمية - على هذا - تقييد لسلطة المشرع، وحماية للأفراد والمجتمعات من طغيان الحكام الذين يتخذون القوانين وسيلة لفرض سلطانهم واستبدادهم.

ولا يقتصر تقييد الحاكمية لسلطات الدولة وسلطان الأغلبية؛ بل يمتد ليشمل جميع المجتهدين والاجتهادات الفقهية؛ مما يضفى على الضمانات الشرعية ثباتًا وقداسة، ويؤدى بها إلى القيام بالوظيفة المنوطة بها من إقرار حقوق الأمة، وحفظ الحريات، ومنع الاستبداد، على خير وجه وأقوم سبيل.

وهكذا فإن النتيجة الحتمية والعملية لمبدأ الحاكمية، هى أن الأساس الذى يقوم عليه نظام الحكم فى الإسلام مستمد من مصدر أعلى من الدولة ومهيمن عليها؛ فليست الدولة الإسلامية أو الأغلبية فيها أو مجتهدوها أحرارًا فى تقييد أو إلغاء المبادئ الشرعية التى تحدد مقومات الحكم الشرعى أو خصائصه أو أصوله.

كما أن إعمال مبدأ الحاكمية يرفع من قيمة الأحكام، ويجعل تنفيذ تلك الأحكام والالتزام بطاعتها طاعة للخالق المعبود، وهذا يؤدى بدوره إلى صلاح المجتمع واستقامة أفراده والتزامهم المنهج الخلقى الكامل، وهو ما يكفل أن تحقق الضمانات الشرعية فعاليتها، وأن تكون القرارات أو

الإجراءات المستمدة منها عادلة وصالحة وراشدة، وهذا من شأنه كفالة حرية الأفراد جميعًا[(١)].

ب- مبدأ الشورى:

قال - تعالى-: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)] ولما للشورى من أهمية كبيرة فقد أمر الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - بمشاورة أصحابه، قال - تعالى-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[(٣)] ولا يخفى ما فى الشورى من إقرار بالمساواة بين الناس واحترام إرادة الأمة وكرامة رجالها، وكلما توسعت قاعدة الشورى أحس الناس بمشاركتهم فى اتخاذ القرارات بصورة أقوى، وزادت رغبتهم فى إنجاحها والالتزام بها.

ومن أوضح النماذج فى الشورى فى عصر الرسالة: استشارته - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه؛ فقد استشارهم فى مواجهة جيش المشركين ببدر، واستشار أبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - فى أسرى بدر، واستشار أم سلمة فى موقف الناس فى الحديبية، وتأخرهم فى تنفيذ أمره بالحلق والنحر استعدادًا للعودة بعد الصلح مباشرة، وكذلك الشورى فى غزوة أحد فى مسألة الخروج من المدينة لملاقاة المشركين أو البقاء داخلها والتحصن فيها، حيث استجاب لرأى الملحين بالخروج رغم ميله إلى البقاء؛ لما فيه من مصلحة ظاهره، ولكنه - عليه الصلاة والسلام - لم يخذل الأكثرية المتحمسة للخروج، وهكذا كان يستشير الناس جميعًا مرة، ويستشير خواص الصحابة مرة أخرى، وقد أوضح - عليه الصلاة والسلام - أنه غنى عن الشورى بالوحى، وإنما يفعل ذلك تطييبًا لنفوس أصحابه، وتعويدًا لهم

---

(١) راجع: هشام أحمد جعفر: تقييد السلطة بين النموذجين الإسلامى والغربى (بحث منشور بمجلة المسلم المعاصر، العدد ٨١، السنة الحادية والعشرون) (ص ٦٤ - ٦٨).

(٢) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

على ممارسة المسئولية، وتقريرًا لمبدأ الشورى؛ حتى تلتزم به الأمة من بعده.

وشهدت المدينة المنورة أروع تطبيق لمبدأ الشورى بعد وفاة الرسول ﷺ حيث اجتمع أصحابه فى سقيفة بنى ساعدة، وأوضح كل منهم رأيه على مرأى ومسمع من جميع الحضور: فتكلم بعض الأنصار، وتكلم كبار المهاجرين مثل أبى بكر وعمر، فكان الخليفة الأول الصديق - رضى الله عنه - مما يدل على استعداد نفوس الصحابة الكرام للانصياع للحق، وارتفاعها إلى مستوى المسئولية العامة وإحساسها بدورها التاريخى.

فالشورى مبدأ من المبادئ التى يقوم عليها بناء المجتمع، بل هى المبدأ الأساسى فى نظم الحياة الاجتماعية على اختلاف أشكالها وألوانها، سواء أكانت نظامًا عامًا فى الدولة أو قواعد تنظيم الحياة داخل الأسرة، أو مبادئ يلتزم الناس بها فى سلوكهم ومعاملاتهم فى جميع نواحى الحياة المختلفة؛ لأن الانفراد بالرأى واتخاذ القرارات على أساس وجهة نظر شخص واحد، أو طبقًا لهوى مجموعة معينة، أو تحقيقًا لاتجاه طائفة من طوائف المجتمع - يؤدى بالأمة إلى واد سحيق تتنازع فيه الجماعات، فتتطاحن كل مجموعة مع الأخرى فى سبيل فرض ما تراه صالحًا لها، أو سعيًا وراء تحقيق مصالحها المادية والفكرية، دون مراعاة مصالح الآخرين وحرياتهم؛ إذ هى لا تهتم إلا بما يعود على أفرادها بالخير غير مدركة أنه خير مؤقت، ومحدود فى دائرة ضيقة؛ إذ سرعان ما يجر التنازع الأمة كلها إلى الفشل والانهيار، فتعجز عن مواصلة السير على طريق التقدم، وتلك آفة تصيب من حصل من وراء هذا التطاحن على شىء، كما تضر - أيضًا - بالفريق الذى وقع عليه الظلم[١].

إن الشورى تكفل لأفراد المجتمع كله الحرية والحصول على حقوقهم

---

(١) راجع فى وصية أبى بكر - الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) ج٣ ص ٢٠٧ - ٢١٠ .

المشروعة، وتعصم المجتمع من الفشل والانهيار والضربات القاصمة التى قد تصيبه بالدمار.

إن الشورى ليست مجرد ضمانة من ضمانات نظام الحكم العادل؛ بل هى فوق ذلك أساس البناء الاجتماعى للأمة؛ لأن نظام الحكم حتى ولو قام على الشورى فى اختيار الحكام لا تكون له قيمة إذا كان الأفراد الذين يتولون هذا الاختيار (الناخبون أنفسهم) غير صالحين لهذه المسئولية وغير قادرين عليها، ولا يمكن ضمان ذلك إلا إذا توفر لدى أفراد الأمة قدر كاف من الاستقامة والصلاح يزود جمهورها وغالبيتها بالحد الأدنى من القيم الخلقية والكفاءات والقدرات اللازمة لإقامة العدل والإحسان، أما إذا لم يتوفر لدى الأغلبية هذا القدر من الخلق الصالح فإنها سوف تضع فى المسئولية من هو على شاكلتها من حيث القصور والنقص والانحراف أو العجز والفساد؛ فتضيع بذلك الحريات ويتعطل الاستقرار؛ ذلك أن الشورى ليست إلا مرآة الأمة ترى فيها صورتها، وتبرز فيها قدراتها، وتجعل قراراتها متناسقة مع ما يشبه حالها ويتناسب مع مستواها العقدى والفكرى والخلقى[١].

ج- الوصية:

وهى أن يوصى الخليفة قبل وفاته بمن يخلفه، وقد ثبتت الخلافة لعمر - رضى الله عنه - بذلك؛ فقد أوصى أبو بكر بعمر خليفة للمسلمين من بعده، يقول أبو بكر فى العهد الذى تركه لعمر: إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن بر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما كسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ

---

(١) راجع: د. محمد شامة: الإسلام كما ينبغى أن نفهمه (أبوللو للنشر والتوزيع) (ص ٣٦٣، ٣٦٤).

أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١] وبويع عمر - رضى الله عنه - بالخلافة، ومضى قدمًا فى ولاية أمور المسلمين أمينًا عادلاً.

د- الغلبـة:

عالج فقهاء المسلمين أمرًا وقع فعلاً، وهو التنازع على الخلافة بين اثنين أو أكثر، ثم أخذ أحدهم لها بالقوة، أو استيلاء واحد من المسلمين عليها بالقوة ابتداء: كمعاوية حين آلت إليه الخلافة، بعد مقتل على - رضى الله عنه - وتنازل الحسن - رضى الله عنه - عام ٤٠هـ، وقد سن معاوية سنة، وذلك بجعل الخلافة وراثية بين أولاده من بعده ومن يليهم.

وقد رجح هؤلاء الفقهاء تفادى الفتنة والقتال بين الناس وقبول الأمر الواقع إن استتب الأمر لواحد من المسلمين، فقد روى عن الإمام أحمد: أن الخلافة تثبت بالقهر والغلبة، كما روى عنه أن الجمعة لمن غلب، أى: صحة صلاة الجمعة التى يخطب فيها للإمام الذى استولى وغلب على الحكم.

وحينما فكر علماء بغداد فى التمرد على الخليفة أيام الواثق بسبب القول بخلق القرآن وحمل الناس على ذلك، واستشاروا الإمام أحمد بن حنبل - قال: (عليكم بالفكرة فى قلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين)[٢]، وروى عنه - أيضًا - قوله: (ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمى أمير المؤمنين - فلا يحل لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًّا كان أو فاجرًا).

وهذا الرأى وجيه؛ لما فيه من تجنب الفتنة والقتال بين المسلمين، قال الله - تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

---

(١) راجع: د. توفيق الشاوى: فقه الشورى ص ٥٦٠ .

(٢) (١ - ١) راجع كتاب نظام إسلام الحكم والدولة للأستاذ/ محمد المبارك، من كتاب الأحكام السلطانية ص ٥ - ٧ .

مِنكُمْ﴾[١]، وفى حديث أنس أن رسول الله - ﷺ - قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة»[٢].

هـ - العدل:

يتأسس الحكم فى الإسلام على قيمة كبرى هى العدل، والعدل يشمل كل نواحى الحياة: فالسياسة الإسلامية سياسة عادلة حكيمة، تنبع من قول الله - تعالى-: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[٣]، وقوله - سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقيمة العدل توفر مجتمعًا مستقرًا، وأفرادًا أحرارًا، مطمئنين لا يخافون ظلمًا ولا هضمًا، وهذا يدعوهم إلى العمل الجاد والإسهام المتواصل فى مجالات الحياة المختلفة.

ثالثًا - الحرية الاقتصادية:

وقد قدم الإسلام نظامًا اقتصاديًا محكمًا منبثقًا من حقيقة العبودية لله، وذلك على اعتبار أن كون الإنسان خليفة فى الأرض يعنى تملكه لها، واستغلاله لثرواتها ومنتجاتها، وقد حث الإسلام على العمل وأباح الملكية الفردية؛ تمشيًا مع الفطرة الإنسانية، وإطلاقًا للطاقة البشرية إلى آخر مدى مقدر لها، إذن فالحرية الاقتصادية لكل فرد فى المجتمع لا تتم إلا بتنفيذ التشريع المالى الاقتصادى فى القرآن الكريم، سواء كانت تشريعات إباحية أو تشريعات إلزامية، فللفرد فى الإسلام الحق فى استعمال كافة حقوقه،

---

(١) سورة النساء، آية ٥٩ .

(٢) رواه البخارى (١٣/ ١٣٠) فى كتاب الأحكام (٢٤١٧)، ومسلم (٣/ ١٤٦٧) فى كتاب الإمارة (٣٦/ ١٨٨٧).

(٣) سورة النساء: آية ٥٨ .

(٤) سورة المائدة: آية ٨ .

وعليه أداء الالتزامات التى أوجبها الله وفرضها، وبهذا تتحقق الحرية الاقتصادية لكل أفراد المجتمع ويحدث التوازن المطلوب[١].

هذا، ويمكن بيان دعائم المنهج الاقتصادى الإسلامى وأبرز مبادئه فيما يلى:

١- الاقتصاد جزء من نظام الإسلام الشامل، بمعنى: أن الاقتصاد الإسلامى يرتبط بالدين عقيدة وشريعة؛ ولذلك لا يدرس الاقتصاد مستقلًا عن العقيدة والشريعة.

٢- الاقتصاد له طابع تعبدى، بمعنى: أن أى عمل، أو أى نشاط مادى يقوم به الإنسان، يتحول إلى عبادة يثاب عليها الإنسان، إذا قصد بذلك وجه الله - سبحانه - ويؤكد النبى - ﷺ - هذا المبدأ بقوله - ﷺ -: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل فى فى امرأتك»[٢].

٣- النفع المادى وسيلة وليس غاية، بمعنى: أنه لا يسعى إلى المنافسة المادية باعتبار أنها هى الغاية، ولكن على اعتبار أنها وسيلة إلى غاية أكبر وهدف أسمى: وهى عمارة الأرض، وتهيئتها للعيش؛ امتثالاً لأمر الله، وتحقيقًا للخلافة عنه فيها.

٤- الرقابة فيه رقابة ذاتية، بمعنى: أن النشاط الاقتصادى تحميه رقابة ذاتية أكثر فاعلية من الرقابة الشرعية التى تمارسها السلطة العامة، وهى رقابة الضمير المسلم القائمة على الإيمان بالله، والحساب فى اليوم الآخر.

٥- التوازن الكامل بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى: التملك، والاستثمار، والتوزيع.

٦- فلسفته للمشكلة: نظر الإسلام إلى المشكلة على أنها إنسانية،

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩٤ .

(٢) أخرجه البخارى (٢٧٤٤)، ومسلم (١٦٢٨/٥) .

بمعنى: أنه حدد المشكلة من جهتين فى سلوك الإنسان، هما: إهماله الاستغلال والاستثمار لموارد الطبيعة، كما يجب أن يكون، وإغفاله عدالة التوزيع بين أفراد المجتمع بالنسبة لما أتيح له فعلاً من غلات الموارد وإنتاجه، ومن ثم كان علاج الإسلام للمشكلة منصبًّا على إصلاح السلوك الإنسانى من هاتين الجهتين، منطلقًا فى ذلك من هذه العقيدة، وهى أن الكون يحتوى على طاقات المعيشة وإمكانيات الحياة السعيدة، وأنها من الزيادة والوفرة فى مكنونها بما يتلاءم مع كثرة العدد مهما كان[١]، وبذلك أصاب الإسلام كبد الحقيقة فى مجال الاقتصاد، وضمن للإنسان أن يبقى حرًّا، خاصة وأنه نبه وأكد على أن الرزق ليس بيد أحد، بل هو بيد رب العباد، كما أنه ليس مقطوعًا ولا ممنوعًا؛ فقد قال الحق - جل وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٢]، وقال - سبحانه-: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٣].

ومن ثم يبقى الإنسان حرًّا عزيزًا؛ لأنه لن يذل لأحد، ولن يخاف من أحد؛ لأن رزقه ليس بيد أحد، ومعلوم: أن الرزق من أهم الأمور وأشدها التى تشغل بال الإنسان.

رابعًا: الحرية الفكرية:

كفل الإسلام حرية الفكر، لكنه حدد ضوابط تقوم على:

١- التزام الحدود العامة التى أقرتها الشريعة وفقًا لضوابط الشريعة الإسلامية.

٢- التزام القيود التى تَرِدُ على حرية التفكير والاعتقاد والتعبير، وهى:

---

(١) راجع: د. حلمى عبد المنعم صابر: الحل الإسلامى لمشكلة الغذاء وتحقيق مجتمع الكفاية والأمن (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) (ص ٣٤١، ٣٤٢).

(٢) سورة الذاريات، الآيات ٥٦،٥٨.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

تحريم إذاعة الباطل، وتحريم نشر ما فيه ترويج للفاحشة، وتحريم نشر ما فيه تخذيل للأمة، وتحريم نشر ما فيه خطر على أمن المجتمع، واحترام مشاعر المخالفين فى الدين، وعدم جواز السخرية من معتقدات الغير أو استعداء المجتمع عليه، وعدم جواز إثارة الكراهية القومية والمذهبية وكل ما يؤدى إلى التمييز العنصرى بكافة أشكاله.

٣- التزام القيود التى تَرِد على حرية الإعلام، وهى:

تحريم استغلاله وسوء استعماله، والتعرض للمقدسات، وكرامةِ الأنبياء، وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم، أو إصابة المجتمع بالتفكك، أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد.

٤- القيود الواردة بطريق مفهوم المخالفة بخصوص حرية العلم والتعليم والتربية والتوجيه، وهى تحديد ذلك بما يحقق مصلحة المجتمع، ويتيح للإنسان معرفة دين الإسلام وحقائق الكون وتسخيرها لخير البشرية، وأن يكون على أساس متكامل متوازن ينمى شخصية الإنسان، ويعزز إيمانه بالله واحترامه للحقوق والواجبات وحمايتها[١].

هذه هى الحرية الإسلامية التى حافظت على النفس والدين والعقل والمال والعرض، فى حين أن الحرية المطلقة التى دعت إليها الوجودية أهدرت النفس والدين والعقل والمال والعرض؛ فأحدثت شروخًا كبيرة فى المجتمعات الغربية سنرى بعض آثارها فى الباب القادم (الباب الثالث)، إن شاء الله.

* * *

(١) راجع: د. جمال الدين عطية: ضوابط الحريات الفكرية (بحث منشور فى مجلة المسلم المعاصر، العدد ٩٩، السنة الخامسة والعشرون) (ص ١٦٩).

الفصل الثالث

نظرة الوجوديين إلى الأخلاق

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم الأخلاق عند الوجوديين.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الأخلاق.

ثالثًا: مناقشة مفهوم الأخلاق عند الوجوديين وأقوالهم.

رابعًا: الأخلاق فى الإسلام.

الفصل الثالث
نظرة الوجوديين إلى الأخلاق

أولاً: مفهوم الأخلاق عند الوجوديين:

عرفنا من خلال الفصلين السابقين ما يلى:

١- إنكار الوجوديين للإله.

٢- الدعوة إلى الحرية المطلقة.

وبناءً على المفهومين السابقين أسقط الوجوديون الأخلاق والقيم من حسابهم، سيان منها ما فرضه الدين أو العرف الاجتماعى، وقاموا بحملة شرسة ضد القيم الإنسانية النبيلة التى مصدرها العقائد الإيمانية الثابتة، يقول الأستاذ أنور الجندى: «تواجه الوجودية كل القيم البشرية المطروحة بالرفض، فهى ترفض القديم والجديد معًا، وترفض التراث وتدعو إلى التحرر من القيم المتوارثة وتقوم الأخلاق فى الوجودية على القلق والقنوط والتشاؤم والرغبة فى الموت والغموض والأنانية المفرطة»[1].

ولقد ادعى الوجوديون دعوى باطلة لا سند لهم فيها ولا مبرر، وهى أن الالتزام بالأخلاق والقيم حجر على الحرية المطلقة التى وهبها الإنسان نفسه، وعلى الفرد أن يبتكر أخلاقه بنفسه؛ فليس ثمة سلطة تفرض عليه سلوكًا معينًا، فكل إنسان يضع المعايير التى يراها هو، ويختارها هو، وهذه المعايير معلقة على الغايات التى يحددها لنفسه هو، ويتساوى فى ذلك عظيمها وحقيرها؛ لذلك فالأخلاق عندهم نسبية متغيرة متلونة طبقًا لما يختاره الفرد من حرية شخصية تامة.

فالحرية - على حد زعمهم -: هى التى تخلق المعايير والقيم لذاتها

---

(١) مقدمات العلوم والمناهج، المجلد الثامن، طابع الإسلام بين الأديان والأيديولوجيات (دار الأنصار) (ص ٤٢١، ٤٢٣).

بمقتضى اختيار حر مطلق، وبدون أى مقاييس، وبدون أدنى باعث عقلى، ووضع أى مقياس للأخلاق - على حد زعمهم - يعد حدًا من الحرية؛ لأن وجود مقياس أو قاعدة معناه: أن الأفعال عليها أن تتجه فى اتجاه معين، ولم تعد حرة حتى ولو خالفت هذا المقياس؛ ولذلك رد الوجوديون أى مقياس أو قاعدة للأعمال وجعلوها حرة حرية مطلقة فى اختيار أية غاية بدون تحديد، فالاختيار لا يعتمد على ما يبرره، والحرية فقط هى التى تبرر الاختيار(١).

إذن «الأخلاق الوجودية - بصفة عامة - ترفض أى ضرب من التقيد الحرفى؛ إذ ينظر إلى القوانين والقواعد على أنها أعباء مفروضة على الوجود البشرى من الخارج تجبره على نمط من السلوك محدد سلفًا، وتمنعه من تحقيق ذاته الفريدة الأصيلة، وهكذا تميل الوجودية إلى تشجيع ما يسمى عادة بالموقف الأخلاقى، ويتحدد اتجاه الفعل فى مثل هذه الأخلاق بالموقف الفريد الذى يجد فيه الفاعل نفسه؛ فكيف يكون صادقًا مع نفسه فى مثل هذا الموقف؟!

وما دمنا قد رأينا أن الذاتية الأصيلة لها بعد اجتماعى فلن يكون المرء متسقًا مع ذاته لو فسر هذا المعيار الذى يربط بين الفعل وموقف الفاعل بطريقة تحصره فى إطار الذات الفردية»(٢).

غير أن الأخلاق الوجودية تعلى من شأن الموقف على عنصر القوانين والقواعد الأخلاقية، بل قد يتقلص الأخير حتى يتلاشى تقريبًا، بحيث يقترب المرء من ضرب من المذهب الذى يرفض القانون تمامًا؛ فالمثل الأعلى للوجودى فى الأخلاق ربما كان الفوضوية.

---

(١) راجع: بول فولكيه (هذه هى الوجودية) ص ٨٤ .
(٢) الوجودية (ص ٣٨٤، ٣٨٥) .

ومن السهل نقد موقف متطرف فى الأخلاق كهذا الذى نتحدث عنه، ففى مثل هذا الموقف الكثير من نقاط الضعف؛ فمن عيوبه: الإغراق فى النزعة الذاتية والفردية، وإعلاء التحمس فى الاختيار فوق تنمية الحكمة الأخلاقية والفضيلة، وهو - فضلاً عن ذلك - لا يدرك كيف يمكن أن يصبح القانون باطنيًا وداخليًا.

وقد نلمس - على الرغم مما فى الأخلاق الوجودية من ضعف وانحراف وزيغ وميل عدائى مبالغ فيه تجاه القوانين والقواعد - قد نلمس بعض الحسنات؛ إذ الأخلاق التى تركز على القانون هى - بصفة عامة - أخلاق تنظر إلى الماضى، إلى التقاليد والعادات، ومثل هذه الأخلاق - وإن كانت تجلب الاستقرار - فإنها قد تجلب أيضًا الركود، أما الأخلاق التى تركز على الموقف فهى تتجه إلى المستقبل، وتنظر إلى ما هو جديد، ويتحدد الفعل فيها آخذًا فى اعتباره ما هو جديد[١].

إن عيب الأخلاق الوجودية الخطير هو تركيزها على الموقف دون القانون، ومن هنا يمكن القول: إنه إذا تم التركيز على الموقف والقانون معًا ربما تكون الأخلاق أكثر فاعلية.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الأخلاق:

١- قال كيرك جورد:

(مهمة المرحلة الأخلاقية تحويل ما هو وجود بالقوة إلى وجود بالفعل عن طريق وعى الإنسان بذاته، أو معرفته لنفسه أو اختياره لذاته)[٢].

(لا بد للأخلاق أن تحول المثال إلى واقع، فحركتها ليست مخصصة للارتفاع بالواقع إلى مرتبة المثال، إن الأخلاق تشير إلى المثال كعمل

---

(١) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٣٨٥، ٣٨٦).
(٢) كيرك جورد إما - أو، ج١ ص ٢٦٣.

ومهمة، وتفترض أن الإنسان يمتلك الشروط المطلوبة لإنجاز هذا العمل.

وعندما يأخذ الإنسان على عاتقه تحقيق هذا العمل يصبح إنسانًا حقًّا)[١]، (... أعنى أنه لم يعش كما ينبغى للذات البشرية فيمارس حريته، ويختار وينتقى، ويرفض، وتكون أفعاله وتصرفاته وسلوكه هى فى النهاية شخصيته)[٢].

٢- قال هيدجر:

(إن القيم أوهام من صنع الذات التى تستعيض عن وجودها بهذه القيم أو الأوهام، وغرابة الإنسان لا تنشأ إلا عندما تبتلعه هذه الأوهام الذاتية)[٣].

٣- ويقول لويس لافل:

(إن قيمة كل إنسان تتوقف طرديًا على درجة حريته، وهذه الحرية نفسها ليست سوى بحث عن القيم، وسعى وراء الممكنات، وجهد متواصل من أجل العمل على تحقيقها، فالحرية تعبر عن قدرة المرء على العودة إلى ينبوع نشاطه، والرجوع إلى مصدر فاعليته، وهذا الينبوع نفسه هو مصدر كل شىء؛ لأنه أصل كل ما فى الوجود، وإذا كان لانيو[٤] يقرر أن القيمة لا تظهر إلا فى اللحظة التى تتعقل فيها الذات حريتها الخاصة - فإن فى استطاعتنا أن نقول: إن هذا التعقل نفسه (أعنى التأمل العقلى) تعقل فعال يتسم بطابع الفعل والتحقق، ومن هنا فإن من الواجب أن ننسب إلى

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٦٨، وراجع أيضًا: عبد الرحمن بدوى (دراسات فى الفلسفة الوجودية) ص ٥٥ .

(٢) كيرك جورد: (المرض حتى الموت) ترجمة: إمام عبد الفتاح. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٨٦ .

(٣) مارتن هيدجر (ما الميتافيزيقيا) ؛ ترجمة: محمود رجب. دار الثقافة، ١٩٧٤م، ص٤٠٢ .

(٤) لانيو جول: (١٨٥١ - ١٨٩٤م) فيلسوف فرنسى من دعاة الفردية والأنانية. راجع: معجم الفلاسفة جورج طرابيشى. دار الطليعة، بيروت، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

الشخص الإنسانى قيمة كبرى؛ لأن هذا الشخص هو الحرية نفسها.

وإنما يجب أن نضع الحرية نفسها فوق سائر القيم إذا أردنا لها أن تكون قادرة على الخير والشر معًا... فالقيمة هى سر الحرية)[١].

٤- يقول سارتر:

(إن حريتى هى الأساس الفريد للقيم، ولا شىء على الإطلاق يبرر اعتناقى لهذه القيمة أو تلك، أو لهذا السلم من القيم أو ذاك؛ فأنا الموجود الذى توجد بواسطته القيم، ولكن باعتبارى كذلك لا أجد مبررًا أو عذرًا لى، فأنا أساس القيم الذى لا أساس له، وهذا ما أعانيه من القلق الذى هو إدراك منعكس للحرية بواسطة نفسها، وقلقى يشتد حين أدرك أن القيم لا يمكن أن توجد دون أن توضع موضع التساؤل؛ لأنى أعرف نفسى حرا، أى: قادرًا على قلب سلم القيم)[٢]، (فأنا الموجود الذى توجد بواسطته القيم، ولكنى - باعتبارى كذلك - لا أجد مبررًا أو عذرًا لى؛ فأنا أساس القيم الذى لا أساس له)[٣]، (فالقوانين الخلقية تقوم على أساس ما يتخذه الإنسان من قرارات فى الحياة، ولا تستمد من أى إلهام غيبى)[٤]، (وما دمنا قد ألغينا وجود الله الأب، وكان هو المبدع القديم للقيم - فلا بد أن يكون هناك آخر يحل محله ويبدع القيم، وقد اخترنا أن نبدع القيم)[٥]، (كل فرد هو عالم قائم بنفسه، يضع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه، فيختار الإباحة إن شاء، أو يختار النسك والزهادة... فهو المسئول عما يصيبه من جراء إباحيته أو جراء نسكه وزهده)[٦]، (لأن إرادة الأخلاق

---

(١) لويس لافيل، نقلاً من كتاب (مشكلة الحرية) د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٤) سارتر (الذباب) ص ٣٧.

(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٦٣.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٥.

وإرادة الحرية شيء واحد، وإذن فالأخلاق الوجودية هى الحرية المطلقة من كل قيد وكل خلق، تبعًا للتحرر من كل دين وأى إله، ولأن خمرة اللامعقول وخبز اللامبالاة هما اللتان تؤلفان عظمة هذا الإنسان التافه، كما يجب أن نقول)[١].

ثالثًا : مناقشة مفهوم الأخلاق عند الوجوديين وأقوالهم:

سعى الوجوديون إلى تدمير الأخلاق، وتغليب اللذات والشهوات؛ فحطموا القيم الخلقية بالانفتاح على الحرية المطلقة، رغم أن بعضًا منهم قد تحدث عن الآفاق الأخلاقية، ورأى من الممكن قيام تحليل نفسى وجودى بمثابة وصف أخلاقى، إلا أن هذه الأخلاق عليها مآخذ، منها:

١- الأخلاق الوجودية لا مصدر لها؛ فهى خالية من أى مصدر، وتنكر الدين بوصفه مصدرًا للأخلاق، وهذا - فى حد ذاته - تدمير للأخلاق، وفتح لباب الشر والفوضى والانحلال والفساد للفرد، والانهيار للمجتمعات. وتتجلى عظمة الدين الإسلامى حين جعل الأخلاق شريحة من شرائح الدين وشرعة من شرائعه، تقوم به وتستمد منه، ولا تنفصل عنه، والأخلاق التى تنكر الدين بوصفه مصدرًا لها، تحمل على وصفها بأنها عادات صنعها المجتمع.

ومن هنا لا يمكن التمييز بين الأخلاق التى مصدرها الدين، والعادات والتقاليد التى مصدرها المجتمع، وبين الأخلاق التى تقوم على أساس الثبات، والعادات التى تقوم على أساس التغيير.

يقول الأستاذ أنور الجندى: (وبذلك وضع الإسلام نظامًا للقيم يختلف فى كثير من عناصره ومواده عن الأنظمة التى عرفتها حضارات الرومان والفرس والأديان السالفة، وبذلك نحى النفس الإنسانية وحماها عن

---

(١) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٦٦١، و (الوجودية مذهب إنسانى) ص ٨٢ - ٨٥ .

أخطار كثيرة:

أولاً: حماها من أخطار الزهادة، واحتقار المادة، وقتل النفس وحرمانها من الملذات التى أباحها الله لها.

ثانيًا: حماها من إسراف اللذات والشهوات وتدمير الأجساد والمجتمعات نتيجة لضعف قدرة قادتها على حمايتها والدفاع عنها.

ثالثًا: رفع النفس الإنسانية عن العبودية لغير الله، ونحاها عن أن تستعبدها الشهوات واللذات، أو يستعبدها الحكام وأصحاب الرئاسات على النحو الذى عرفته المجتمعات اليونانية والرومانية والفارسية القديمة، التى كانت ترى كل ما سوى الأمراء عبيدًا وخدمًا، وإقطاعًا وملكًا خاضعًا للقتل والإذلال دونما رحمة ولا كرامة)[(١)].

٢- الأخلاق الوجودية بعيدة - كل البعد - عن الأهداف والغايات التى تحقق المصلحة العامة للفرد والجماعة؛ ففى الوجودية كل فرد له أهداف خاصة، دون أن يكون له موجه من كتاب أو سنة لينير له دروب الحياة المظلمة، وبذلك دعت الوجودية إلى قمة الأنانية، وإلى الكسل والخمول والكآبة والقلق والجبن والضعف والفسق والشذوذ، وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى تقطيع العلاقات بين البشر بعضهم مع بعض، والتى بينهم وبين الله الخالق؛ مما يؤدى إلى قيام مجتمعات محطمة بلا أخلاق.

٣- الأخلاق الوجودية أمور اعتبارية نسبية لا ثبات لها؛ فهى تختلف من فرد إلى فرد، ومن شعب إلى شعب، ومن زمان إلى زمان، فالأخلاق عندهم مفاهيم اعتبارية يتواضع عليها كل فرد وحده، وليس لها ثبات فى حقيقتها، وليس لمقاييسها ثبات، وهذه مغالطات تؤدى إلى مد عنوان الأخلاق مدًا يشمل التقاليد والعادات والآداب، إلى غير ذلك من أمور

---

(١) أنور الجندى: قضايا العصر ومشكلات الفكر. ص ١٦٠ - ١٦١ .

ليست هى من الأخلاق أصلاً، والهدف من ذلك: نقض الأخلاق كليًا ونقض الأسس الأخلاقية، وبذلك يسهل عليهم إفساد الأجيال حتى تتمرد على جميع الضوابط الأخلاقية، التى تمثل فى الأمم قوى ترابطها وتماسكها وعناصر ارتقائها الإنسانى[١].

٤- فصلت الوجودية الأخلاق عن المجتمع والحياة؛ مما أدى إلى التمزق والضياع الذى يشهده العالم الغربى، وما جره هذا التمزق من الاضطراب النفسى والكآبة والضياع والزهد والرهبنة وتعذيب النفس، وغيرها من الأمراض الاجتماعية.

٥- ضرب الوجوديون بالتروى والتدبر والتعقل فى أى عمل أخلاقى عرض الحائط، بدعوى أنها مجرد خداع للنفس؛ لأنه كيف يتسنى للإنسان أن يحكم على البواعث والدوافع حكمًا صحيحًا، فى حين أنه هو الذى يخلع عليها ما لها من قيمة قبل كل تدبر عقلى، وهذا فى حد ذاته دافع للفوضى والمشاكل، والقضاء على مكارم الأخلاق.

٦- يهدف الوجوديون بدعواهم أن الحرية هى الأساس الفريد للقيم إلى منع أية سلطة أو قواعد تفرض على الإنسان سلوكًا معينًا أو تصدر إليه الأوامر وعدم وجود أى مبرر لاعتناق قيمة خلقية دون الأخرى، وبهذا يتبين حكمة التشريع الإسلامى حين قرر إفراد شرع الله وكتابه كمصدر وحيد لمعرفة الخير والشر والفضائل والرذائل، وسائر النظم الاجتماعية؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - هو المنفرد بعلم الغايات والأسباب والعلل القصوى للأحداث والأفعال والأشياء، وهو الحق؛ فأوامره التشريعية هى الحق والخير والفضيلة.

---

(١) راجع: عبد الرحمن حسن حنبكة (الأخلاق الإسلامية وأسسها) ج١، دار القلم، بيروت، ص ٩١ - ٩٨ .

٧- جرد الوجوديون الأخلاق من فكرة الإلزام، والواجب، والضمير الخلقى، وهذه أخطر المحاولات التى صنعت فكرة الضياع والقلق والتمزق والحق: أن الأخلاق لا توجد كقوة فاعلة فى المجتمع دون فكرة الإلزام؛ إيمانًا بأن الإلزام هو العنصر الأساسى أو المحور الذى تدور عليه قضية الأخلاق، والواضح: أن زوال فكرة الإلزام يقضى على جوهر الحكمة العملية التى تهدف إليها الأخلاق، فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسئولية، وإذا انعدمت المسئولية ضاع كل أمل فى وضع الحق فى نصابه وإقامة أسس العدالة(١).

٨- الأخلاق الوجودية ترتبط بالفرد فقط، وليس لها أى علاقة بالمجتمع؛ مما نتج عنه الصراع الكبير بين الفرد والمجتمع، وبهذا تتجلى حكمة الدين الإسلامى حين ربط الأخلاق بالمجتمع ربطًا وثيقًا، وهى تمثل القاسم المشترك لكل روافده من سياسة واقتصاد وأدب وعلم وتربية(٢).

٩- أنكرت الوجودية محصول البشرية من القيم والتجارب، ودعت إلى أن يبدأ الإنسان من جديد؛ فاحتقرت العلم والدين والأخلاق، ودعت إلى التحلل من القواعد الأخلاقية؛ فأوجدت جيلاً يتخلق بالأخلاق المريضة: كالقلق والقنوط والتشاؤم والرغبة فى الموت والغموض، والأنانية المفرطة؛ مما أدى إلى تقويض المجتمعات وهدم الأمل والخلق والغيرة، ومعارضة الشجاعة والتضحية(٣).

١٠- دعت الأخلاق الوجودية إلى الإباحية، وعارضت الضوابط والالتزامات الأخلاقية، ووصفتها بأنها حرمان وكبت.

---

(١) راجع: أنور الجندى (قضايا العصر ومشكلات الفكر) ص ٢٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤ .
(٣) راجع: أنور الجندى (الإسلام والدعوات الهدامة) ص ١٩٤ .

وقد استمدت هذه الدعوى من الفلسفة اليونانية الوثنية التى عرفت (بالأبيقورية)[(١)]، والتى ترمى إلى أن اللذة الجسمية هى الغرض الأسمى من الحياة؛ وبذلك أخرجت الوجودية الأخلاق عن مفهومها الطبيعى، بوصفها الجدار القوى الذى تقف عنده مطامع الإنسان وأهواؤه، والحائل دون تدمير الفرد لنفسه. وكان من أخطر دعوات الوجودية الأخلاقية الإباحية: تحريض الإنسان على الاندفاع نحو مطالب الغريزة وأهوائها، وإطلاق يده نحو عمل كل ما يريد، وبذلك سقط الإنسان فى هوة خطيرة وأزمة كبرى: هى أزمة القلق والضياع والفوضى والاضطراب، التى تمر بها البشرية فى الغرب فى هذا العصر[(٢)].

وبعد أن عرفنا مفهوم الأخلاق عند الوجوديين أختم حديثى فى هذا الفصل عن الأخلاق الإسلامية: أهميتها، وخصائصها، وأثرها على الفرد والمجتمع.

رابعًا: الأخلاق فى الإسلام:

الله - سبحانه وتعالى - أقام دينه الذى ارتضاه للناس على أركان أربعة: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات والمدقق يجد أن العقيدة والعبادة تصبان فى بوتقة الأخلاق، والمعاملات لا بد أن تقوم على الأخلاق، أى: أن الأخلاق هى الأساس فى الإسلام، وما العقيدة والعبادة إلا لترسيخ الأخلاق وإقامة الفضائل، يدلنا على هذا أن الرسول - ﷺ - حينما مدحه ربه فى كتابه العزيز لم يمدحه بإيمانه الكامل ولا بعبادته

---

(١) نسبة إلى أبيقور الذى نشأ بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد فى جزيرة ساموس على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى، وقد علم تلاميذه أن الآلهة موجودة، ولكنها مشغولة بسعادتها عن شئون الدنيا. ولا فرق عنده بين الأرباب والمخلوقات. راجع: د. إبراهيم خليل (مقارنة الأديان) دار المنار ص ١٨ .

(٢) راجع: أنور الجندى (الإسلام والدعوات الهدامة) ص ١٧٦ - ١٧٧ .

الوافرة، بل بخلقه العظيم، قال الله - تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، ولقد مدح - سبحانه وتعالى - كثيرًا من أنبيائه بصفات خلقية، فمدح نوحًا - عليه السلام - فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾(٢)، ومدح إبراهيم - عليه السلام - فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾(٣)، ومدح إسماعيل - عليه السلام - فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾(٤). إلخ.

والخلق: هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة، وجميلة وقبيحة، وهى قابلة بطبيعتها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة فى الخير، وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعًا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف - قيل فيه: خلق حسن، ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة، وذلك كخلق الحياء والحلم والأناة والصبر والكرم والشجاعة والعدل والإحسان، وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية.

وإذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوبًا لها، والجميل مكروهًا عندها، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال الذميمة هى التى تصدر عنها - نعتت بالأخلاق السيئة، وذلك كالخيانة والكذب والجزع والطمع والجفاء والغلظة والفحش والبذاءة، وما إليها.

وهذا المفهوم يخالف المفهوم السابق عند الوجوديين، هذا المفهوم الذى يتحكم فيه - كما قلنا - الموقف، ومصدره من النفس؛ فلا ضابط ولا

---

(١) سورة القلم: آية ٤ .
(٢) سورة الإسراء: آية ٣ .
(٣) سورة مريم: آية ٤١ .
(٤) سورة مريم: آية ٥٤ .

قانون يحكم الأخلاق فيه.

ونريد أن نتعرض للأخلاق الإسلامية، وهذا سيأتى فى النقاط التالية:

أولاً: أهمية الأخلاق:

القانون الأخلاقى الإسلامى لم يدع صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالنشاط الإنسانى إلا وقد رسم لها منهجًا للسلوك.

والأخلاق الإسلامية نابعة من القانون السماوى المتمثل فى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وهى تعتبر جوهر الإسلام وروحه السارية فى جميع جوانبه، ولها المكانة الرفيعة والأهمية العظمى التى تتجلى فيما يلى:

١- أن الرسول - ﷺ - حصر غاية دعوته فى إكمال البناء الأخلاقى الذى بدأه من سبقه من الرسل الكرام؛ حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١] مصداقًا لقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٢].

٢- الأخلاق الإسلامية هى ثمرة من ثمار هذا الدين؛ ولذا عرف الدين بأنه حسن الخلق، فقد جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال: ما الدين يا رسول الله؟ فقال: (حسن الخلق)[٣].

٣- الخلق الحسن هو خير برهان، وأفضل علامة على التفاضل بمدى صدق الإيمان، واكتماله فى النفوس؛ ففى الحديث قيل: يا رسول الله: أى المؤمنين أفضل؟ فقال ﷺ: (أحسنهم أخلاقًا)[٤].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٢/ ٢٨١، ومالك فى الموطأ ٦٥١ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٥١ .

(٣) رواه الديلمى عن أبى سعيد الخدرى، بلفظ: الإسلام حسن الخلق. كنز العمال، ٣/ ١٧/ ٥٢٢٥ .

(٤) رواه أحمد فى مسنده ٤/ ٣٨٥، ورواه الطبرانى فى الأوسط. الترغيب والترهيب ٥/ ٨٤ .

٤- ومما يدل على أهمية الأخلاق: أن الله مدح رسوله ﷺ بحسن الخلق، قال - تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(١)]، وقال - سبحانه وتعالى-: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٣)].

٥- اهتمام القرآن والسنة بالأخلاق، فالآيات القرآنية والتوجيهات النبوية المتعلقة بموضوع الأخلاق أكبر دليل على أهميتها: فمنها ما يدعو إلى الاتصاف بالطيب منها، وبيان ما يستحقه من ثواب، ومنها ما يدعو إلى ذم المتصفين بمرذول الأخلاق وبيان ما يستوجبه سوء الخلق من المقت والعذاب، قال الله - تعالى-: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[(٤)]، وقال - تعالى-: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[(٥)]، وقال - تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[(٦)]، وقال - تعالى-: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[(٧)].

وقال - تعالى-: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[(٨)]، وقال ﷺ: (إنكم لن

---

(١) سورة القلم، آية ٤ .
(٢) سورة التوبة، آية ١٢٨ .
(٣) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .
(٤) سورة الفرقان، آية ٦٣ .
(٥) سورة الشورى، آية ٤٣ .
(٦) سورة التوبة، آية ١١٩ .
(٧) سورة الحجرات، آية ١١ .
(٨) سورة فصلت، آية ٣٤ .

تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)[١] وقال ﷺ :(ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن)[٢].

٦- الأخلاق الأساسية كما هى عنصر أساسى فى بناء شخصية الفرد وتكوين عضو صالح، فهى كذلك عنصر أساسى فى شخصية الأمة بأسرها.

٧- للأخلاق أثر قوى فى بناء المجتمعات وفى كسب المعارك، وهى عنوان الأمة وحياتها ومصدر عزها وسؤددها.

ثانيًا : خصائص الأخلاق الإسلامية:

للأخلاق الإسلامية خصائص عديدة منها:

١- ارتباطها بالعقيدة:

تستمد الأخلاق الإسلامية من العقيدة، والدين هو أساس الأخلاق ومصدر نموها، بل هو الرقيب عليها، والمقوم لها إذا انحرفت أو تأثرت بالأهواء والمصالح المادية أو الشخصية كما هو حال أخلاق الوجوديين التى قامت على أساس منهار من المنفعة والمصالح؛ فدمرتهم ودمرت غيرهم[٣].

٢- تكامل الأخلاق الإسلامية وشمولها:

أقر الإسلام شمول الأخلاق وتكاملها واتساعها، فلها الأثر البالغ فى جميع مجالات الحياة؛ ففى مجال النفس نجد التقوى والقناعة، وفى مجال أخلاق الفكر نجد الاستقامة والوضوح والصراحة، وفى مجال أخلاق المعاملة نجد احترام العقود وأداء الأمانات والسماحة والتيسير على المعسر، وفى مجال الحكم نجد العدل والمساواة وفى مجال أخلاق الأسرة

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار من أحدها حسن جيد. الترغيب والترهيب ٥/ ٨٥ .

(٢) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح ٤/ ٣٦٢ .

(٣) راجع: عبد الكريم زيدان (أصول الدعوة) مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠١هـ، ص ٨٩ .

نجد أمر كل فرد بإصلاح أسرته، وفى مجال أخلاق المجتمع نجد بث الشعور الاجتماعى والتكامل الاجتماعى فى نفوس المجتمع.

وأما الأخلاق فى ظل الحضارة الأوربية المعاصرة، فهى إن وجدت اقتصرت على جوانب معينة من الحياة، وتحكمها فى وجودها فى تلك الجوانب الأنانية والنفعية؛ لذلك فصلوا السياسة عن الأخلاق، وليست فضائح السياسيين الأخلاقية التى تحدث على أعلى المستويات، وفى أرقى البلدان - كفضيحة «ووترجيت»[١]، أو تزوير الانتخابات - إلا أكبر دليل وبرهان.

وفصلوا الأخلاق عن الاقتصاد؛ فنشأ الاقتصاد الإقطاعى العالمى: فالاستغلال مباح، ونهب الخيرات جائز، وتجميد الأرصدة مشروع، واختلاق الأزمات الخانقة مبرر ما دام لأساطين الأنظمة المادية فى ذلك نفع.

وفصلوا الأخلاق عن الجنس، فالزنى والبغاء العلنى والشذوذ حرية شخصية لا تمس الجانب الأخلاقى؛ فليس فى معاقرة الخمر، وتعاطى المخدرات، ومصاحبة الساقطات - ما يمس شرفًا أو كرامة لمواطن فى ظل الجاهلية المادية الغربية[٢].

٣- اعتماد الأخلاق الإسلامية على عناصر وقيم ثابتة:

القيم الأخلاقية فى الإسلام كالصدق والوفاء والأمانة والعفة والإيثار... إلخ، كلها قيم ثابتة مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم، وارتفعت الحضارة؛ فلا تتغير ولا تتبدل تبعًا للظروف الاجتماعية والأحوال

---

(١) قضية تجسس على الحزب المعارض، وبها سقط الرئيس نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة.

(٢) راجع: د. محمد عقلة (النظام الأخلاقى فى الإسلام) مكتبة الرسالة، عمان، ١٤٠٧هـ، ص ٥١.

الاقتصادية، وهى تقيم الحواجز المتينة ضد الفوضى والظلم والشر.
الأخلاق الإسلامية ثابتة؛ لأنها نابعة من الدين، وصالحة لجميع الناس، تبث الطمأنينة فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع، بخلاف الوجودية التى نادت بنسبية الأخلاق، وعدم ثباتها؛ فبثت الفوضى والقلق والاضطراب واليأس والكآبة[١].

٤- واقعية الأخلاق الإسلامية:

ما أجمل واقعية الأخلاق الإسلامية: فهى بعيدة كل البعد عن الخيال، وبمقدور كل مسلم أن يتحلى بها، وتأصيلها فى نفسه بحيث تصبح جزءًا لا يتجزأ من حياته، كما راعت الأخلاق الإسلامية حالة الفرد وحالة المجتمع؛ فاعترفت بالضعف البشرى، وبالدوافع البشرية، وأقرت التفاوت الفطرى والعملى بين الناس؛ فليس الناس سواء فى قوة الإيمان، وراعت الظروف الاستثنائية، فمثلاً: حرم الإسلام الكذب من حيث المبدأ، ولكنه أباحه فى مواطن تقتضيها الضرورة الدينية: كالحرب، والكذب لإصلاح ذات البين؛ لأن المصلحة المتوخاة من الكذب هنا تفوق منفعة الصدق[٢].

٥- اعتدال الأخلاق الإسلامية ووسطيتها:

المطلع على الأخلاق الإسلامية يدرك أنها تأخذ طابعًا معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط: فأخلاق الإسلام وسط بين المثالية والخيالية، تعتمد على المعقولية والتعليل، ومخاطبة العقول والإدراك السليم، واستثارة الوجدان النبيل، فالإسلام وهو يأمر بالخير لا يجعل ذلك مطلقًا دون تعليل أو ترغيب، ولم ينهنا عن الشر دون تحذير أو ترهيب، ويعلل ما يدعو إليه وينهى عنه بالحكم والمصالح المترتبة عليه فى الدنيا والآخرة تفصيلاً تارة،

(١) راجع: د. عبد الله دراز (دستور الأخلاق فى القرآن) مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ، ص ٦٨٩ .

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوى (الخصائص العامة للإسلام) مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

وإجمالاً تارة أخرى[١].

ثالثًا : أسس الأخلاق الإسلامية:

تقوم الأخلاق الإسلامية على أسس هامة، تبعث على التمسك بها، والعمل على هدى من مبادئها فى سائر شئون الحياة العامة والخاصة، وهى كما يلى:

١- الأساس الاعتقادى:

يقوم هذا الأساس على ثلاثة أركان، هى:

أ- الإيمان بوجود الله - سبحانه وتعالى - خالق كل شىء، والذى أحاط بكل شىء علمًا.

ب- الإيمان بأن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان، وعرفه بنفسه وبين له طريق الخير وطريق الشر، عن طريق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وخلق فى الإنسان القدرة على إدراك الحقائق؛ لذا كلفه باتباع الحق والابتعاد عن الباطل.

ج- الإيمان باليوم الآخر، وأن الحياة الآخرة هى الحياة الباقية، وأن الحياة الدنيا هى طريق للحياة الآخرة التى يكافأ فيها الإنسان على ما قدم؛ لهذا أقول: إن الإيمان القوى يلد الخلق القوى، كما أن انهيار الأخلاق يرجع إلى ضعف الإيمان أو فقدانه[٢].

٢- الأساس الكونى:

القوانين الأخلاقية، واقعية ثابتة مستمرة، وقد وضع الإسلام للإنسان إطارًا أخلاقيًا على ضوء معرفته بالطبيعة الإنسانية، وأنها مكونة من الروح

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(٢) راجع: مقداد يالجن (الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام) مكتبة الخانجى، ص ١١٩ - ١٢٢ .

والمادة، وأن حياة الإنسان السعيدة لا تتحقق إلا بتلبية حاجاته المادية والروحية على حد سواء؛ حتى لا يكون أسيرًا للمادة، ولنوازع الطبيعة البشرية.

وفى ظل هذه المعرفة يبرز الارتباط بين الأخلاق والعلوم المختلفة؛ مما يجعل منها أساسًا صالحًا للبناء الأخلاقى، ومن ذلك:

أ- ارتباط الأخلاق بعلم الحياة، ويتجلى ذلك فى قانون المحافظة على الحياة؛ حيث يعتبر الإسلام كل سلوك يحافظ على الحياة الإنسانية ويمنحها الاستمرارية - يعتبره سلوكًا أخلاقيًا، وما عداه سلوكًا لا أخلاقيًا، ومن هنا حرم الإسلام القتل والانتحار، والتهديد وإخافة الناس؛ لأنها أمور لا أخلاقية تعوق الحياة وتهدمها.

ب- ارتباط الأخلاق بالعقل؛ فحرم الإسلام - مثلاً - شرب الخمر وغيره من المسكرات والمخدرات؛ حفاظًا على الطاقة العقلية من تبددها وضياعها هدرًا.

ج- ارتباط الأخلاق بعلم النفس؛ فدعا الإسلام إلى مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وبحسب الفروق الفردية بينهم فى الذكاء والعلم والظروف والبيئات، ودعوته إلى الرحمة بالحالات التى تستدعيها من طفولة وشيخوخة ويتم ومرض.

د- ارتباط الأخلاق بالصحة؛ فدعا الإسلام إلى النظافة كأسلوب وقائى ضد المرض، وحث على عدم الإسراف فى الطعام والشراب، ونهى عن الإرهاق فى العمل بصورة تفضى إلى الإجهاد والمرض[1].

٣- الأساس الإلزامى:

يعتبر الإلزام من أهم أسس الأخلاق فى الإسلام؛ فالإنسان مكلف فى

(١) راجع: مقداد يالجن (الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام)، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

هذه الحياة وله أمانة ورسالة وله حرية الإرادة التى تحكم عمله، وتكون مناط الجزاء، وبناءً على هذا تكون أهمية الإلزام.

والإلزام الأخلاقى عام وشامل، وينطبق على الناس جميعًا، ويعتمد الإلزام على المصادر التالية:

أ- الوحى: فالدين يدل الإنسان على الخير والأخلاق الحميدة.

ب- الفطرة: فالإنسان يستدل على الأخلاق بفطرته السليمة.

ج- العقل: فهو الذى يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة.

أما رفض الوجودية لقيم الإلزام، فهذا أخطر مقوماتها، وأخطرها معارضتها للفطرة الإنسانية وللدين الحق، وهى حين ترفض الإلزام ترفض كل ما يضبط الشخصية الإنسانية، ويحميها ويرتفع بها ويقيم لها وجودها الحق، وهى بذلك تدفع الإنسان إلى أهوائه لتدمره وإلى مطامحه لتحطمه، وبذلك تتجاوز الوجودية حدود الحرية وضوابط المجتمع إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، والعودة بالإنسان إلى عهود الهمجية وشريعة الغاب[١].

٤- المسئولية:

الشعور بالمسئولية الأخلاقية من الأسس الهامة فى نظر الإسلام، ومعناها: تحمل الإنسان نتائج التزاماته وقراراته واختياراته، والإنسان بهذا الإلزام يمتاز عن بقية الكائنات بالمسئولية؛ لأنه عاقل مريد، وهما صفتان لازمتان للوجود الإنسانى فى حالة كماله، إنه لا يوجد مخلوق فى هذا الكون يشبه الإنسان؛ حيث تحمل أكبر مسئولية ناءت بحملها السموات والأرض، والقيام بهذه المسئولية شرف للإنسان، وكلما كانت أكبر نال من

---

(١) راجع: أنور الجندى (معلمة الإسلام) ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

عمل بها شرفًا أكبر[١].

٥- الجزاء:

الجزاء من الأسس الأخلاقية الهامة؛ فالإنسان حر، وهذه الحرية تستلزم المسئولية الكاملة عما يختاره وينفذه، وهذه المسئولية تستلزم الجزاء، إما عاجلاً فى الدنيا وإما آجلاً فى الآخرة؛ لهذا فالجزاء هو ما يجب أن يناله الإنسان بحكم عمله الحر الناتج عن إرادة واختيار: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وقد يكون الجزاء ماديًا أو معنويًا، مباشرًا أو غير مباشر، عاجلاً أو آجلاً[٢].

والآن بعد أن تعرفنا على نظرة الوجوديين للأخلاق، ومفهوم الأخلاق فى الإسلام - ننتقل إلى الفصل الرابع، (نظرة الوجوديين إلى القلق).

* * *

(١) راجع: محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق فى القرآن) ص ٤٢١ - ٤٦٢ .
(٢) راجع: مقداد يالجن (الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام) ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

الفصل الرابع
نظرة الوجوديين إلى القلق

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم القلق الوجودى.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى القلق.

ثالثا: مناقشة مفهوم الوجوديين للقلق وأقوالهم.

رابعًا: موقف الإسلام من القلق.

الفصل الرابع
نظرة الوجوديين إلى القلق

أولاً: مفهوم القلق الوجودى:

لفظة (القلق) - حين يناقشها فلاسفة وجوديون مختلفون - لا تعنى بدقة معنى واحدًا عند كل كاتب يستخدمها، فكيرك جورد وهيدجر وسارتر يختلفون فيما بينهم بعض الشىء فى مفهومهم للقلق، وذلك على الرغم من اتفاقهم جميعًا على أن القلق يكشف بطريقة خاصة عن الوضع الإنسانى[١].

وأصل أفكار الوجودية عن القلق موجود عند كيرك جورد، ففى نوفمبر عام ١٨٤٤م أصدر كتابًا بالغ الصعوبة والتعقيد هو «مفهوم القلق»؛ حيث يشتمل منذ بدايته على قدر كبير من الأفكار الغامضة، بل والمتضاربة فى بعض الأحيان، فهو مثلاً يحمل عنوانًا فرعيًا هو «دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية»، لكنه سرعان ما يقول لنا: إن المشكلة لا يمكن أن تنحصر فى نطاق علم النفس وحده؛ ذلك لأن القلق (وكذلك الخطيئة) ليس تصورًا جامدًا ساكنًا، أو أنه ليس تصورًا على الإطلاق؛ إذ من أخص خصائص التصور أن يكون عامًا، فى حين أن القلق جزئى وفردى وشخصى تمامًا؛ فلا يشتمل على تصورات أعلى منه، ولا هناك تصورات أقل منه عمومية يمكن أن تندرج تحته، فكيف لعلم النفس أن يدرسه؟! كيف يمكن لعلم النفس أن يدرس موضوعات ليست عامة، ولكنها شخصية وجزئية؟[٢].

والقلق فى نظر كيرك جورد يسبق الخطيئة، ويقترن بالإمكان والحرية، وهو كاليأس يعطى الوجود ما يميزه، بل هو يكشف للموجود عن

---

(١) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٣٨ - ٢٤٠).

(٢) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد رائد الوجودية (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).

وجوده[١].

ولقد ناقش كيرك جورد القلق فى علاقته بمحاور ثلاثة، هى:

١- أن القلق ملازم لحالة البراءة، فالإنسان البرىء الطاهر نقى القلب، والذى يتسم بالبراءة كثيرًا ما يتعرض للقلق؛ خوفًا على تمزق طهارته أو فقدان براءته ولو عن طريق الأحلام؛ ففيها قد يبدو الإنسان الطاهر البرىء فى أوضاع حسية جنسية تخرق هدوء طهارته وتفقده براءته، وفى هذا يقول كيرك جورد: «وهذا هو السر العميق للبراءة، فهى فى نفس الوقت قلق»[٢].

٢- أن القلق مرتبط بالحرية، فهناك أيضًا ضرب من عدم الاتزان يسبق الفعل، ويوصف بأنه (دوار) أو (دوخة) الحرية؛ لأن الحرية تعنى الإمكان، والوقوف على حافة الإمكان يشبه الوقوف على شفا جرف هار.

والقلق فى ضوء الحرية هو أهم نوع ركز عليه كيرك جورد والوجوديون بوجه عام؛ حيث إن الحرية عند كيرك جورد تقتضى أن يكون الوجود والإنسان فى صيرورة دائمة، والصيرورة تعنى الانتقال من الإمكان إلى الفعل، ووجود الصيرورة هو الكفيل بأن يثبت لنا وجود الحرية، وتتجلى الحرية بأوضح صورها فى فعل الاختيار،وفعل الاختيار معناه وجود الإمكانية؛ فالاختيار اختيار بين إمكانيات، والإنسان حينما يختار لا يستطيع أن يختار كل أوجه الإمكانيات العديدة الموضوعة أمامه، بل عليه أن يقتصر على اختيار واحد من بين إمكانيات، وفى هذا الاختيار يجازف الإنسان باختيار هذا الوجه أو ذاك، ومن هنا يستلزم الاختيار المخاطرة، تلك المخاطرة هى التى تؤدى إلى القلق؛ القلق على الإمكانيات عامة، والقلق

---

(١) راجع: د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ٣١٥).

(٢) د. على عبد المعطى محمد: سورين كيرك جورد (ص ٣١٦) وراجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٤١).

من الوجه الذى اختاره الإنسان منها، فهاهنا قلق على قلق، وهذا القلق يشبه الدوار الذى يصيب الإنسان حين ينظر فى هاوية[١].

وتجدر الإشارة إلى أن كيرك جورد فرق بين نوعين من القلق:

القلق الأول الذى يسبق ممارسة الحرية، والقلق التالى الذى يصاحب الإنسان بعد ممارسته لحريته، وبعد اختياره واتخاذه قراره وهذا التمييز يشبه تمييزه بين الحرية التى تسبق الفعل، والحرية التى تتلوه[٢].

٣- أن القلق مرتبط بتكوين الإنسان الخاص، بوصفه جسدًا ونفسًا وتجمعهما الروح، فطريقة تكوين الإنسان نفسه تجعله معرضًا للتوتر، وهذا التوتر هو القلق، ومهمة الإنسان إنجاز مركب الجسد والنفس، وهى مهمة مشحونة بالقلق منذ بدايتها[٣].

وعلى هذا فالقلق عند كيرك جورد ظاهرة تتسم بها الظاهرة البشرية، فالحيوان لا يعرف شيئًا عن القلق؛ لأن حياته جسدية خالصة، كذلك لا يعرف الملَك شيئًا عن القلق؛ لأن حياته عقلية خالصة.

أما الإنسان الذى يجمع بين الحس والعقل، بين الجسد والنفس - فهو يعيش فى ظل القلق.

ويبدو أن فكرة كيرك جورد عن القلق يشوبها الغموض، وهى غير واضحة المعالم، مع ما قد يشوبها أحيانًا من بعض العمق.. فهو شأنه شأن كثير من الوجوديين اللاهوتيين يبغى إبراز دور إيجابى للقلق بوصفه مدخلاً للإيمان، فتحمل القلق يتطلب أن يفتح المرء عينيه على حقيقة الوجود البشرى، وأن يرى الحاجة إلى اللطف الإلهى.

---

(١) راجع: د. على عبد المعطى: سورين كيرك جورد (ص ٣١٨ - ٣٢٠).
(٢) راجع: السابق (ص ٣٢٠).
(٣) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٤١).

أما هيدجر فيرى أن ظاهرة القلق تقدم لنا واحدة من أكثر الإمكانات أثرًا، وأعظمها أصالة فى كشف الوجود.

ويربط فى تحليله بين القلق والسقوط، مثلما ربط كيرك جورد بين القلق والخطيئة فما يحدث فى حالة السقوط - فى رأيه - أن الموجود البشرى يهرب من ذاته، فهو يفقد نفسه فى وجود غير أصيل مع الآخر، وهو ما يسمى بـ«الهم» أو فى الانشغال والاهتمام بشئون عالم الأشياء.

ومع ذلك فإن فرار المرء من ذاته يوحى هو نفسه بأن الموجود البشرى قد يواجه نفسه بالفعل بطريقة ما.

ويختلف الفرار المرتبط بالسقوط اختلافًا تامًا عن الفرار الناشئ عن الخوف، فالخوف هو دائمًا خوف من شىء محدد داخل العالم، لكن ما نتحدث عنه الآن هو فرار المرء من نفسه.

والقلق ينشأ عند هيدجر من شىء غير متعين، وهذا اللاتعين لا يحدد واقعيًا ما هو الشىء الذى يتهددنا داخل العالم، وهو لا يقتصر على ذلك، بل ينبئنا - أيضًا - أن الأشياء الموجودة فى العالم لا علاقة لها بالمسألة على الإطلاق.

ويعلن هيدجر كذلك عن أن الأشياء الموجودة فى العالم تميل فى حالة القلق إلى أن تخبو وتتلاشى، ويدرك الموجود البشرى أنه لا يمكن أن يجد نفسه فى العالم؛ فيرتد إلى نفسه فى حريته الفريدة وإمكانه[١].

وبهذا يجعل القلق - كما يرى هيدجر - الإنسان يقف وجهًا لوجه أمام وجوده.

والقلق عند هيدجر يخرجنا من أوهامنا وأماننا الزائف، ويواجه الفرد

---

(١) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٤٣، ٢٤٤).

بمسئوليته، ويدعوه لإدراك وجوده الأصيل، بل إنه يوصف بأنه ظاهرة نادرة فى التجربة البشرية؛ لأنه فى معظم الأحيان يتعرض للإخماد والتهدئة بفعل هروبنا المراوغ من أنفسنا، وهو الهروب المميز لحالة السقوط. لكن للقلق الخالص رغم ندرته أهمية فائقة؛ إذ إن تعرض الناس له ينتشلهم من السقوط، ويرتفع بهم إلى الوجود الأصيل.

ويرتبط القلق فى تحليل هيدجر ارتباطًا وثيقًا بظاهرة الهم، وتلك خاصية هى من أشمل خصائص الحياة البشرية؛ فهى حياة هم واهتمام والهم ظاهرة معقدة، فهى تتضمن اندفاع الموجود البشرى إلى الأمام فى اتجاه إمكاناته وما يؤدى إليه ذلك من توتر مع الظروف والحدود الواقعية التى يجلبها معه بالفعل مضافًا إليها سقوطه الحاضر[١].

ويظهر لى أن فكرة هيدجر عن الهم بوصفه بنية الوجود اليومى فى العالم تناظر فكرة القلق عند كيركجورد بوصفه مصاحبًا لحياة السقوط، يزداد على الدوام تغلغلاً وانتشارًا.

وخلاصة التفريق بين كيركجورد وهيدجر: أن الأول يجعل القلق إزاء الحرية، والأخير يدرس القلق على أنه رهبة العدم[٢].

ويرى سارتر أن مفهومى كيركجورد وهيدجر للقلق متكاملان على الرغم من كونهما متناقضين؛ ذلك أن كيركجورد يؤكد أهمية الحرية فى نظرته إلى القلق، رغم أنه لم يلغ التناهى، فى حين أن هيدجر يؤكد التناهى رغم أنه لم ينس الحرية فعنده أن هناك ازدواجًا عميقًا فى معنى الحرية، وهو أن الإنسان محكوم عليه بأن يكون حرًا، وهناك عدم يتسلل إلى فعلى، بحيث لا أكون الذات التى سوف أكونها، والقلق بالضبط وعى بأن وجودى المقبل على نمط اللاوجود.

---

(١) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٤٣ - ٢٤٥).
(٢) راجع: السابق (ص ٢٤٥).

فالحرية عنده ليست حرية بسيطة على الإطلاق، وإنما هى حرية يثيرها ويقيدها العدم، وفى ممارستى لهذه الحرية أتغلغل فى معرفة كنه القلق[١].

يبقى أن نشير إلى أن الثلاثة يرون القلق شيئًا ينبغى تحمله لا الفرار منه، وكل تحليلات الوجوديين ترى فيه مفتاحًا لفهم الوجود الإنسانى، ومن ثم فللقلق أهمية خاصة فى الوجودية، وهو عنصر من عناصرها، بل هو أهم المفاهيم الأساسية التى قامت عليها الوجودية؛ فقد وسع الوجوديون نطاق المسئولية، فلم يقصروها على الشخص نفسه، بل جعلوا مسئولية الفرد تتعدى إلى الناس جميعًا؛ فنتج عن ذلك القلق الذى هو حالة نفسية صحية للإنسان الوجودى، وله تعريفات عديدة منها:

١- حالة نفسية غير سارة من التوتر العصبى تدل على أن المريض يتوقع خطرًا فى اللاوعى[٢].

٢- هو علامة ظاهرة لصراع مستمر فى أعماق اللاشعور[٣].

٣- صراع ناتج عن فقدان التوازن، من فشل فى التكليف[٤].

٤- حالة من الخوف الغامض الشديد الذى يتملك الإنسان، ويسبب له كثيرًا من الكدر والضيق[٥].

٥- شعور غامض غير سار بالتوقع والخوف والتحفز والتوتر، ومصحوب عادة ببعض الإحساسات الجسمية، يأتى فى نوبات تتكرر من نفس الفرد[٦].

---

(١) راجع: جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٤٦).
(٢) راجع: الموسوعة الميسرة ج٢، ص ١٣٩٢.
(٣) راجع: معمر خالد (الأمراض النفسية الشائعة) ص ٣٣.
(٤) راجع: د. أبو مدين شافعى (القلق) سلسلة القراء.
(٥) راجع: د. عثمان نجاتى (مقدمة كتاب القلق) ص ٣.
(٦) راجع: د. أحمد عكاشة (الطب النفسى المعاصر) ص ٤١.

ثانيًا - أقوال الوجوديين فى القلق:

١- أقوال كيرك جورد:

«القلق هو الرغبة فيما يخشاه المرء، إنه نفور مع تعاطف، القلق هو القوة الغريبة التى تمسك بزمام الفرد، ولا يستطيع منها فكاكًا وهو لا يريد ذلك؛ لأن الفرد خائف، لكن ما يخشاه الفرد ينجذب نحوه، القلق يجعل الفرد بلا حول ولا قوة»[١]، ويقول - أيضًا-: «القلق هو مواجهة الذات لمستقبلها الملىء بالإمكانات المختلفة التى يمكن أن تتحقق من خلال حرية الذات، وهى تتخذ القرار»[٢]، ويرى كيرك جورد أن الإنسان ما دام حرًا فى عملية الاختيار فإن ذلك يعنى قدرته على اختيار الشر، وهذا هو المصدر الأول للقلق - على حد زعمه - أما المصدر الثانى للقلق فهو ينبع من أن هذا الاختيار الذى يقوم الإنسان بممارسته يؤدى إلى مفترق طرق، حتى إنه يشعر دائمًا أن ما هو خطر حقيقى هو خلاصنا الأبدى أو هلاكنا الأبدى.

والمصدر الثالث يكمن فى صعوبة التفرقة بين الخير والشر[٣].

٢- قال عنه بيرد يائيف:

«القلق شوق إلى عالم آخر. . إلى ما هو عبر حدود عالمنا المتناهى، إنه يدعو إلى العزلة. . فى مواجهة التعالى. . إنه نقطة الصراع الأعظم بين وجودى فى هذا العالم وبين المتعالى، ويستطيع القلق أن ينبه وعيى بالله، ولكنه يمكن أن يعنى هجران الله لى، إنه يتدخل بين المتعالى وبين هوة اللاوجود هوة العدم. أما الخوف والضجر فيقصران على الوجود الأرضى، الخوف دليل على الخطر الآتى من العالم الأدنى، والضجر يشير إلى تفاهة هذا العالم وخوائه، وما من شىء أدعى إلى القنوط واليأس من الفراغ

(١) كيرك جورد (يوميات) ص ٧٩ - ٨٠ .
(٢) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ص ٢٢٣ .
(٣) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام (كيرك جورد) ج٢ ص٢٣٠ .

المتعب الممل للحياة، والقلق يسمح بالأمل»[١].

٣- ويقول هيدجر:

«قد ألقى بنا فى العالم عزلة لا مأوى، وبلا أمل فى الاتصال»[٢]، «إننا نوجد ولا ندرى سببًا لوجودنا؛ ومن ثم نحن وجود بلا ماهية»[٣]؛ «إذ نشعر بأننا نحن وكل الأشياء والأحياء قد انزلقنا فى هاوية غامضة غير محددة، فتبدو لى غريبة لا أهتم بها، إنها لا تنعدم، ولكنها فقدت كل معنى، وأضحت خِلوا من كل معنى يثير الاهتمام»[٤]، و«القلق من الموت هو ما يشعرنى بالفردية إلى الحد الأعلى من الشعور»[٥].

٤- ويقول سارتر:

«إن الوجود ليعلن صراحة أن الإنسان يحيا فى قلق ويكابد القلق»[٦]، «إن القلق شىء إنسانى يمليه على الإنسان وجوده كذات تعى مصيرها فى الحياة وتتحمل مسئولية هذا المصير، وعليه فإن الإنسان سيثابر على النشاط والإقدام فى حياته؛ ليتوصل إلى الأهداف التى يروم تحقيقها، وهذا بدوره يقوده إلى الإبداع فى شتى المجالات»[٧]، «ولأن الإنسان محكوم عليه بالحرية، والحرية تقتضى الاختيار، والاختيار يقتضى المسئولية عما يختاره، وفى نفس الوقت لا يختار هذا الإنسان ولديه أى مبدأ للاختيار، ؛

---

(١) بيرد يائيف (الحلم والواقع)، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) لطلعت غنام ص ٦٩ .

(٢) هيدجر نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى) د. محمد الفيومى، ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحات .

(٤) هيدجر، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) طلعت غنام، ص ٧٧ .

(٥) هيدجر، نقلاً من كتاب (دراسات فى الوجودية) عبد الرحمن بدوى، ص ٧٩ - ٨٩ .

(٦) سارتر (الوجودية مذهب إنسانى) ص ١٨ .

(٧) سارتر، نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنسانى) غازى الأحمدى، ص ٤٦ .

فهو يختار دون معيار يستطيع بمقتضاه أن يتحقق ما إذا كان قد أحسن الاختيار أم لا؟ ومن ثم يشعر الإنسان بالقلق على اختياره»[١]، «وباختياره لنفسه فهو يخلق المثل، أو النموذج للإنسان كما يبدع القيم لا لنفسه فقط، بل للجميع أيضًا؛ فهو يشرع للإنسانية، وبالتالى يتحمل مسئولية الجنس البشرى كله؛ فكيف لا يشعر بالقلق والفزع حيال تبعة هذا الحد من العظمة والكمال؟!»[٢].

ثالثًا - مناقشة مفهوم الوجوديين للقلق وأقوالهم:

١- إن ادعاء الوجوديين بأن قلقهم أمر طبيعى؛ وذلك بسبب اختيار الإنسان له ولغيره - ادعاء لا مبرر له وغير معقول؛ إذ إن السبب الحقيقى - والذى لا مناص منه - أن قلقهم كان بسبب إنكارهم خالقهم وجحدهم للأديان، وعدم إيمانهم بالأمور الغيبية، وقصر نظرتهم على المادة فقط، ونظرتهم التشاؤمية إلى الحياة، وفكرتهم عن العدم، ومنح أنفسهم الحرية المطلقة التى مضمونها: الانغماس فى الشهوات بلا حساب، والانطلاق وراء المتع الحسية بلا حياء، والتحلل من عُرَى الفضائل والأخلاق والقيم العليا؛ فأولدت بهذا المضمون خسارة جسيمة على البشرية، وهزيمة منكرة للمعانى الإنسانية التى بها صار الإنسان إنسانًا.

٢- مما يدل على فوضى الوجوديين وتناقضهم وحيرتهم: أنه ما دام الإنسان هو الذى يختار بحريته المطلقة فلماذا يقلق؟! ولماذا يخشى أن يسىء الاختيار ما دام أنه لا توجد سلطة تفرض عليه اختيارًا معينًا؟! وفوق ذلك: ما دام هذا الاختيار لا يتناول إلا اللحظة الراهنة، ويمكن زواله فى نفس اللحظة فلماذا القلق والارتياب؟ إنه التناقض واللامعقول! يقول

---

(١) سارتر (الأبوب المقفلة) ص ٩ .

(٢) سارتر، نقلاً من كتاب (هذه هى الوجودية) بول فولكيه، ص ٩١ - ٩٢ .

الأستاذ محمد غلاب:

«ومهما يكن من أمر فإن النتيجة العملية لهذا كله هى أن الإنسان منعزل فى صحراء هذه الحرية، وبالتالى لا يستطيع أن يأمل فى أى عون أو سند يعتمد عليه فى هذه الحياة، بل إنه تجاه المستقبل الغامض يلقى بنفسه فى حالة هجر تكبله بأغلال القلق الدائم، ولا غرابة فالقلق الدائم المضنى هو النهاية المطبقة للوجودية الملحدة، ومما هو جدير بالإشفاق: أن يفر الشباب من قلق الارتيابية والحيرة ليهوى فى قلق الوجودية؛ فيكون (كالمستجير من الرمضاء بالنار)»[1].

٣- إن المتمعن فى أفكار الوجوديين يقطع قطعًا جازمًا أن هذا القلق والاضطراب والشك الذى يتقلب على جمرِهِ الوجوديون المنكرون وجود الله وحكمته وعدله ورحمته، وجزاءه فى الآخرة، ووحيه إلى رسله - هذا الشك ليس بالأمر الهين، إنه عذاب أليم، وكوة من النار تلفحهم بها، وتشوى قلوبهم بحميها، وكلما خف لهيبها هبت عليهم عواصف الشك من جديد؛ فاشتعلت النار ليذوقوا العذاب. إن هذا القلق أمر لا مناص منه، إنه سيحرمهم سكون النفس، وهدوء الضمير، سيقض عليهم مضاجعهم، وينغص عليهم حياتهم، ويؤرق عليهم ليلهم، ويكدر عليهم نهارهم[2] إنهم يعيشون كما قال الله تعالى ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3]، ومع ذلك يتجاهلون هذا العذاب، ويعللون أنفسهم بأن هذا القلق صفة لازمة للإنسان الوجودى.

رابعًا: موقف الإسلام من القلق:

يعد القلق فى الإسلام من الأمور العادية[4] التى تمر على الإنسان فى

---

(١) راجع: د. محمد غلاب (الوجودية المؤمنة والملحدة) الدار القومية، ١٩٦٦م، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوى (الإيمان والحياة) ص ١١٢ - ١١٥.

(٣) سورة طه آية ١٢٤.

(٤) الإسلام يعد القلق الارتيابى حالة مرضية لا يسلم منها إلا المؤمن، قال - تعالى -: =

السراء والضراء والخير والشر؛ قال - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[١]، وإن المؤمن بالله - تعالى - المتبع لأوامره والمجتنب لنواهيه قد سلم من الشك والقلق، واستراح من البلبلة والحيرة الذهنية والنفسية التى يتجرعها الوجوديون.

فإذا عرف الإنسان المؤمن مبدأه ومصيره وغايته ومهمته، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه - انحلت عقد الشك من نفسه، وزالت علامات الاستفهام من حياته، فإذا عرف أن له ربًّا - هو رب كل شىء - هو الذى خلقه فسواه وكرمه وفضله، وجعله فى الأرض خليفة، وكفل له رزقه، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وعرف أن هذه الحياة القصيرة التى يعيشها الإنسان ممزوجة الخير بالشر، والعدل بالظلم، والحق بالباطل: ليست هى الغاية، ولا إليها المنتهى؛ إنما هى مزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى، وعرف أيضًا أنه لم يخلق عبثًا، ولم يترك سدى، فبعث الله إليه رسله بالبينات هداة ومعلمين، مبشرين ومنذرين؛ ليهتدى الناس إلى الحق - فهذه المكاسب الهائلة التى غنمها المؤمن، واجتنى ثمارها وقطوفها الدانية، لا يقدرها حق قدرها من حرمها، أو تأمل بعين بصيرته حال من حرمها، فالجاحدون بالله وبلقائه يوم الحساب يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة، كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جوابًا[٢].

هذا وقد أبان القرآن الكريم العلاج الحاسم فى هذا الشأن، وهو الالتجاء إلى الله والتقرب إليه، والاتصال به بالدعاء والصلاة؛ فالله - سبحانه

= ﴿ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه﴾، وفى قراءة: ﴿يهدأ قلبه﴾.

(١) سورة المعارج، آية ١٩ - ٢٣.

(٢) راجع: د. محمد إبراهيم الفيومى (القلق الإنسانى: مصادره - تياراته - علاج الدين له) مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٣٦ - ٤٤٥.

وتعالى - هو المرجع والملاذ حين تضطرب الأنفس وينتابها القلق؛ فلا ملجأ إلا إليه - سبحانه وتعالى - للشعور بالأمن والراحة والاطمئنان، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(١) والواقع أن الحرمان من طمأنينة النفس وراحة القلب، وضيق الصدر والهم والغم - كلها عقوبات نفسية نازلة بالوجوديين لا محالة، وهي نتائج لازمة للكفر بالله واليوم الآخر، تقتضيها سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قال - تعالى-: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾(٢)، وقال - تعالى-: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾(٣).

* * *

---

(١) سورة الرعد، آية ٢٨ .
(٢) سورة الأنعام، آية ١٢٥ .
(٣) سورة الحج، آية ٣١ .

الفصل الخامس
الإنسان بين الوجودية والإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث :

أولاً: مفهوم الإنسان عند الوجوديين.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الإنسان.

ثالثًا: مناقشة مفهوم الوجوديين للإنسان وأقوالهم.

رابعًا: مكانة الإنسان فى الإسلام.



الفصل الخامس
الإنسان بين الوجودية والإسلام

أولاً: مفهوم الإنسان عند الوجوديين:

الفلسفة طوال تاريخها تهدف إلى أن ترفع الإنسان إلى مستواه الحقيقى، وهو المستوى الإنسانى (الأخلاقى مرة أو الدينى مرة أخرى)، وذلك يعنى أن الفلسفة لا تؤمن بأن الإنسان يولد إنسانًا، بل يولد حيوانًا، أو متحدًا مع الطبيعة، غارقًا حتى الأذنين فى المادة والحس كما يفعل الحيوان تمامًا؛ بحيث يكون الوعى البشرى مفقودًا فى الطبيعة وتساعده على أن يسترد هذا الوعى، أو أن يصل إلى مرحلة الوعى الذاتى - بلغة هيجل - بحيث يستطيع أن يقول: أنا، أى: أن ينفصل عن الطبيعة (المرحلة الحيوانية) ليصل إلى المرحلة الأخلاقية التى تناسبه. فهيجل يجعل من الأخلاق (طبيعة ثانية) للإنسان يكتسبها ولا يولد بها.

وإذا كان الوعى البشرى يبدأ متحدًا مع الطبيعة على نحو ما كان عليه آدم وحواء فى بداية حياتهما، فإنه لا يلبث أن يتميز عنها بفضل المعرفة، لكن هذا الانفصال ليس مطلقًا؛ فهو يتعاون مع الطبيعة لكى يحيا؛ فهو إذن انفصال واتصال فى آن معًا[١].

هذا هو مفهوم الفلسفة للإنسان، ويقترب من هذا المفهوم مفهوم الوجوديين له، فهم يرفضون كما ترفض الفلسفة - أن يكون الإنسان ولد إنسانًا، أعنى أن يكون وجوده مطابقًا لماهيته منذ اللحظة الأولى لهذا الوجود، بل يذهبون إلى أن الإنسان يوجد أولاً، ثم تتشكل ماهيته فيما بعد[٢].

---

(١) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد رائد الوجودية، ج٢ (ص ٦٧، ٦٨).
(٢) راجع السابق ج٢ (ص ٦٨).

ولكى يصل الإنسان إلى ماهيته التى تجعل منه ذاتًا إنسانية أصيلة، فإنه يحتاج إلى جهد يبذل، وقد يكون العنف والإرهاق بحيث يسقط المرء إعياء قبل الوصول إليه، ومن هنا فإنك قد تجد كثيرًا من الموجودات البشرية ليست موجودات بشرية، أعنى ليست ذوات حقة، بل هى ذوات زائفة.

ولكن ينبغى التنبه إلى «أن المعيار الوجودى للوجود البشرى الأصيل هو معيار صورى لا مادى فصورة الوجود البشرى أو شكله هى معيار أصالته، أي: مدى تحقيقها للوحدة بدلاً من أن تكون وجودًا مبعثرًا، ومدى ممارستها للحرية بدلا من أن يحكمها الرأى والمعايير والأذواق السائدة»[١].

إن الوجوديين - كما عرفنا - يرفضون الأخلاق المتعارف عليها، وهى سمة عامة فيهم حتى فى الوجوديين المسيحيين، ومع هذا فيمكن عند الوجوديين القول بأنه ليس هناك فيلسوف وجودى كبير ذهب إلى أن كل شيء مباح للإنسان، فحتى إذا ما كان معيار الذات الصحيحة، أو البشرية الحقة، أو الوجود الإنسانى الأصيل، أو ما شئت من الأسماء - معيارًا صوريًا، فإنه تدخل فيه دائمًا بعض المبادئ المادية، ففى فلسفة سارتر تقوم فكرة المسئولية بممارسة الضبط (أو التحكم)، ومصدر الألم الذى يبعثه الاختيار - كما يفهمه سارتر-: هو أننى عندما أختار لا ألزم نفسى وحدها، وإنما ألزم البشرية كلها بطريقة ما[٢].

وتصور الوجوديين عن الذات الصحيحة أو البشرية الحقة هو تصور يوجد فى خيالاتهم فقط؛ ومن ثم فكلام الوجوديين عن أن كل شيء ليس مباحًا للإنسان قول ملقًى على عواهنه.

ثم إن نظرة سارتر التى ترى أن الإنسان يبدأ من لا شيء ويخترع قيمه

---

(١) جون ماكورى: الوجودية (ص ٢٩٩).

(٢) راجع: السابق (ص ٣٠٠).

وصوره لنفسه - نظرة لا يمكن قبولها؛ إذ إنه توجد صورة أو غاية معطاة بالفعل مع الوجود البشرى، أو هى ليست بالطبع نموذجًا أو نمطًا تفصيليًا؛ وإنما هى إدراك أساسى للاتجاه البشرى.

وأما الإنسان عند الوجوديين فإنه فى منظورهم قبضة من تراب هذه الأرض، ومن الأرض نشأ وعليها يمشى، ومنها يأكل وإليها يعود!! هو كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب، والأجهزة والغدد والخلايا، وما العقل والتفكير إلا مادة يفرزها المخ، كما تفرز الكبد الصفراء، أو كما تفرز الكلية البول[١]، فحصروا الإنسان فى الوجود المادى فقط، وادعوا أنهم كرموه حينما جعلوا وجوده سابقًا على ماهيته، والعدم هو النهاية المقررة لهذا الإنسان فعليه استغلال حريته المطلقة بالانطلاق وراء المتع والشهوات.

ثانيًا: أقوال الوجوديين فى الإنسان:

١- قال عنه كيرك جورد:

«الإنسان مركب من المتناهى واللامتناهى، من النفس والجسد، من الزمان الأزلى من الضرورة والإمكان.

باختصار: الإنسان مركب، والمركب علاقة بين عاملين، والإنسان بهذا المعنى ليس ذاتًا بعد»[٢].

«الإنسان روح لكن ما الروح؟ الروح هى الذات، لكن ما الذات؟ الذات علاقة تربط نفسها بذاتها، لكن الذات ليست هى العلاقة، وإنما تعتمد على أن تلك العلاقة تربط نفسها بذاتها الخاصة، الإنسان مركب من المتناهى واللامتناهى، من الزمانى والأزلى، من الحرية والضرورة، باختصار:

---

(١) راجع: إمام عبد الفتاح إمام (كيرك جورد رائد الوجودية) ج٢ ص ٦٩ .

(٢) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ترجمة إمام عبد الفتاح، ص ٥ .

الإنسان مركب، والمركب علاقة بين عاملين، وإذا نظرنا إلى الإنسان على هذا النحو قلنا: إنه ليس ذاتًا بعد، وفى العلاقة بين عاملين تكون هذه العلاقة هى الحد الثالث، بوصفها وحدة سالبة، والحدان يربطان نفسهما بالعلاقة، وفى العلاقة، وبواسطة العلاقة، ومثل هذه العلاقة هى العلاقة القائمة بين النفس والجسد عندما ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وإذا ما كانت العلاقة على العكس تربط نفسها بذاتها الخاصة، فإن العلاقة عندئذ تكون حدًّا ثالثًا إيجابيًا وتلك هى الذات»[١].

٢- ويقول كارل ياسبرز :

«إن الإنسان هو المكان الذى فيه ومن خلاله يوجد كل شىء واقع بالنسبة لنا، وأن نقصر لا أن نكون بشرًا، معناه: أن ننزلق إلى العدم»[٢]، «نعنى الإنسان وحدة فى المحل الأول، وليس الإنسان وحدة منفصلة مكتفية بذاتها، لكنه يتكون من الأشياء التى يجعلها ملكًا له، وهو فى كل شكل من أشكال وجوده يحال إلى شىء ما خلاف نفسه: كموجود بالنسبة لعالمه، أو كوعى بالنسبة للأشياء، أو كالروح بالنسبة للفكرة، أو كماهية بالنسبة للتعالى.

والإنسان يصبح دائمًا إنسانًا بأن يخلص نفسه حتى النهاية، ولا يصير واقعًا بالنسبة لنفسه إلا من خلال ذوبانه فى عالم الوجود، ومن المكان اللانهائى للأشياء، وفى الأفكار وفى العلو»[٣]، «الإنسان فى اعتقادى أهم مخلوق فى العالم، ونحن كبشر نريد أن نعرف حقيقتنا، وماذا يمكن أن نكونه، لكننا لو وجهنا اهتمامًا أكثر من اللازم بالإنسان، كان اهتمامنا

---

(١) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ص ١٤٦ .

(٢) كارل ياسبرز (فى الحقيقة) المجلد الأول من المنطق الفلسفى، ١٩٤٨م، دار الثقافة، ص ١٢٠ - ١٢٣ .

(٣) كارل ياسبرز (فى الحقيقة) المجلد الأول من المنطق الفلسفى، ص ١٢٠ - ١٢٣ .

المستمر هذا محرجًا؛ لأن هذا الاهتمام أكثر من اللازم، يبدو فيه واضحًا أن الشيء الجوهرى فى الإنسان قد تناسيناه»[١] .

٣- ويقول عنه بيرد يائيف :

«الإنسان ليس جزءًا من الطبيعة كما يزعم الطبيعيون، بل كل ومحور؛ لأنه على صورة الله، وغاية بذاته لا بواسطة»[٢] ، «العالم كله مستقر داخل الإنسان، متشخص به، ولا ينبغى اعتبار أى شيء خارجًا عنه، غير أن العالم الظاهرى التجريبى - كما يتبدى فى الواقع أمامى - ليس عالمى الخاص؛ بل على العكس يفرض نفسه على من الخارج، ويحرص على تحطيمى، ولست الكون المصغر الذى ينبغى أن أكونه، وحالة الإنسان الفعلية هى على نحو يجعل من شدة وعيه بنفسه مقياسًا لعبوديته لعالم غريب عليه، وهو يثور على هذا العالم حتى يوقف مد ضغوطه المدمرة، وأنا لا أملك فى الواقع العالم والطبيعة والمجتمع تلك الأشياء التى تقف فى مواجهتى، وما أملكه ضئيل غير ملموس بالقياس إليها، ضئيل إلى حد أنه يفلت تمامًا من ادعاءات الطبيعة والمجتمع والعالم بصورتها الإجماليّة، ولا أوافق على الخضوع أو الاندماج إلا مع الطبيعة أو المجتمع الذى يستطيع أن ينفذ إلى نفسى ويصبح ملكى الخاص»[٣] .

٤- ويقول عنه لويس لافيل :

«يظهر الإنسان بديًا كأنه كائن مادى، ولكن الحياة المادية ليست وسيلة لنا نحصل بها على الحياة الروحية، ونحن لا نلقى فى الجسم مظهر الحياة

---

(١) كارل ياسبرز نقلاً من كتاب (معنى الوجودية) د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) بيرد يائيف، نقلاً من كتاب (الصراع فى الوجود) بولس سلامة، ص ٤٢٣ - ٤٢٥ .

(٣) بيرد يائيف (الحلم والواقع) ترجمة فؤاد كامل، مراجعة على أدهم. توزيع المنشورات الجامعية، طرابلس ص ٣٠٦ .

إلا لإمكان إعطائنا الحياة أو الموت بهيئة حقيقية»[١]، «الإنسان كائن منغمس فى المادة التى تشخصه وتفصله، وهو مدعو إلى التغلب على هذا الحاجز؛ لكى يرتفع نقاؤه الروحى الذى هو بمعونة أفعال إرادية يدع الإنسان نفسه على أنه روح فى كينونته الخاصة والفردية»[٢].

٥- ويقول هيدجر:

«إن الموجود الذى يوجد على هيئة الوجود الماهوى هو الإنسان، والإنسان وحده يوجد وجودًا ماهويًا، الصخر موجود لكنه لا يوجد وجودًا ماهويًا، الشجرة موجودة لكنها لا توجد وجودًا ماهويًا، الفرس موجود لكنه لا يوجد وجودًا ماهويًا. . . إلخ»[٣].

٦- ويقول سارتر:

«إن الإنسان يوجد أولاً، ثم يتعرف إلى نفسه ويحتك بالعالم الخارجى؛ فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هى التى تحدده، فإذا لم يكن للإنسان فى بداية حياته صفات محددة فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئًا وهو لن يكون شيئًا إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه، وهكذا لا يكون للإنسانية شىء اسمه الطبيعة البشرية؛ لأنه لا يوجد الرب الذى يمثل وجود هذه الطبيعة، وحققها لكل فرد طبقًا للفكرة المسبقة التى لديه عن كلٍّ، فأنت تكفى نفسك بنفسك حتى ليخيل إلى من يدانيك أنك خلقت نفسك دون معين»[٤]، «إن الإنسان يولد بلا سبب، ويحيا عن ضعف، ويموت بالمصادفة، بل إن كل شىء موجود لا مبرر له، موجود

---

(١) لويس لافيل: عن الفعل ص ١٥٦، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) ص ١٢٩ .

(٢) لويس لافيل: عن الفعل، ص ١٥٦ - ١٥٧، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) للدكتور طلعت غنام، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) هيدجر (ما الفلسفة) ترجمة محمود رجب، ص ٨٧ .

(٤) سارتر (الجدار) ص ٢١ .

دون أن نعرف له سببًا ودون ضرورة تقتضيه أو تفسير يبرر ظهوره؛ فكل شىء صار عفوًا، هذه الحديقة وهذه المدينة وأنا نفسى»[١]، «إذن يبدو أن الإنسان هو الكائن الذى فتح باب العدم فى العالم؛ من حيث إنه من أجل هذه الغاية يتخذ صفة اللاوجود، إنه الكائن الذى بواسطته يجىء العدم إلى العالم»[٢].

ثالثًا: مناقشة مفهوم الوجوديين للإنسان وأقوالهم:

١ - ادعاء الوجوديين بأن الإنسان لم يولد إنسانًا، بل يولد حيوانًا - هو غض من كرامة الإنسان، وتحقير من شأنه، وفيه مخالفة لما جاء به الإسلام من تكريم الإنسان؛ حيث قال الله - تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٣].

فالإنسان إنسان من يوم أن خلقه الله، وهو مفضل على العالمين، مفضل على سائر الكائنات، ودليل ذلك: أن سخر الله له كل المخلوقات الأخرى، سواء العوالم الأرضية أو السماوية، حتى الملائكة الذين هم مخلوقات الله المكرمة.

ودعوى أن الإنسان ولد حيوانًا تكاد تكون مأخوذة عن داروين الذى قال بأن أصل الإنسان قرد ثم تطور، فيما يعرف بنظرية (النشوء والارتقاء)، وهى نظرية باطلة عقلاً ونقلاً وعلمًا: فعقلاً لا يمكن لنوع أن يتطور عن نوع آخر، فهذا ما لم نسمع عنه أو نشاهده فى جميع المخلوقات، ونقلاً: فقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الإنسان أصله من تراب، وهذا الطين أو التراب خلق الله منه آدم، وآدم وصف فى القرآن الكريم بأنه بشر من الوهلة الأولى، فقال الله - تعالى-: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

(١) راجع: سارتر (الغثيان) ص ١٦٧ - ١٩٣.
(٢) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٠.
(٣) سورة الإسراء: آية: ٧٠.

رُوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[١] ولقد تواطأ الناس - فيما نقله لنا التاريخ - على ذلك، وأثبتت الحفريات ذلك.

٢- إن ادعاء الوجوديين أن الإنسان موجود حسيًا موضوعيًا قائمًا على الأرض يملأ العالم المشاهد فقط - ادعاء باطل لا مبرر له، وحط من قيمة الإنسان، وقد أحسن الإسلام حين جعل الإنسان أشرف المخلوقات وأسماها تحت حكم الله، وأن الله قد خلقه ونفخ فيه من روحه، وهو مزيج من روح ومادة؛ مصداقًا لقوله - تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٢]، والفصل بين الروح والمادة من أخطر ما قدمته الوجودية من مفهوم عن الإنسان، بينما يقرر الإسلام تكاملهما واتصالهما دون متناقضات أو صراعات، فالقيم المادية وحدها لا تؤدى إلى تدين الإنسان؛ لأنها تقتل خاصية أساسية فيه هى روحه ونفسه، ومن هنا كانت مأساة الإنسان الوجودى، هى عجزه عن أن يتوحد مع ذاته؛ فتسحقه المتناقضات - كما يدعى الوجوديون - لقد وازن الإسلام بين القيم الروحية والقيم المادية التى بدونها لا يتوحد الإنسان مع ذاته أو يحقق وجوده، أو يتخلص من عذاب التمزق والازدواج، وما تزال الوجودية تضل الناس عن الحقيقة وتدفعهم إلى أتون التمزق فى الدنيا، بينما يهديهم الإسلام إلى الأمن[٣].

٣- حصر الوجوديون الإنسان فى مرحلة واحدة وهى مرحلة الضعف، وهذا دليل آخر على الحط من قيمة وقدر الإنسان؛ وإلا فالإنسان يمر بثلاث

---

(١) سورة ص: آيات ٧١-٧٢ .
(٢) سورة السجدة، آية ٦ - ٩ .
(٣) راجع: أنور الجندى (معلمة الإسلام) ص ٢٠٨ .

مراحل فى حياته، وهى:

أ- مرحلة الضعف؛ مصداقًا لقوله - تعالى-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[(١)]، فالله - سبحانه وتعالى - يخلق الإنسان من أصل ضعيف وهو النطفة، ويجعله يتقلب فى أطوارها، وهى أطوار فى غاية الضعف.

ب- مرحلة القوة، وتؤخذ من قوله - تعالى-: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[(٢)]، أى: جعل الله من بعد ضعف الطفولة فى الإنسان قوة الشباب.

ج- مرحلة الضعف مرة أخرى؛ مصداقًا لقوله - عز وجل-: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[(٣)]، فجعل الله من بعد قوة الشباب فى الإنسان ضعف الشيخوخة. وهذه المراحل التى يمر بها الإنسان مشاهدة فى الواقع فعلًا، ولا ينكرها إلا مجادل بالباطل كالوجوديين.

٤- ادعى الوجوديون أن الإنسان نهايته العدم ويموت بمحض المصادفة، وهذه دعوى باطلة يدحضها الواقع؛ إذ لو كان الموت يلحق الإنسان بطريق الصدفة لأصاب إنسانًا وترك آخر، وهذا خلاف قوله - تعالى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[(٤)]، وقال - تعالى-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٥)]، ولن يستطيع إنسان أن يهرب من الموت ولو بطريق الصدفة، قال - تعالى-: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[(٦)]، ولذلك جعل الله - عز وجل - ملكًا مختصًا بهذا الأمر، ووكله إليه، قال -

---

(١) سورة الروم، آية ٥٤ .
(٢) نفس الآية السابقة .
(٣) نفس السورة السابقة .
(٤) سورة الرحمن آية ٢٦ .
(٥) سورة القصص، آية ٨٨ .
(٦) سورة النساء، آية ٧٨ .

تعالى-: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[(١)].

أما اعتقاد الوجوديين أن الموت نهاية الإنسان فهذا غير صحيح، وهذا الادعاء نابع من إنكارهم الأمور الغيبية والتى من أهمها البعث، فما من آية ذكر فيها الموت على أنه نهاية هذه الحياة إلا وأتبع بذكر البعث الذى هو حياة ثانية للإنسان، قال - تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[(٢)]، وقال - تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[(٣)]، وقال - تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[(٤)]، وقال - تعالى-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٥)]، ولو كان الموت هو نهاية الإنسان لما كان للابتلاء والاختبار المستلزم للجزاء العادل معنى؛ فاقتضى المنطق واقتضى العدل أن يرجع كل إنسان إلى الله لاستيفاء الجزاء من ثواب على الطاعة أو عقاب على المعصية، قال - تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[(٦)]، وقال - تعالى-: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[(٧)].

٥- الإنسان لدى الوجوديين متعال مغرور، غرته الحضارة المادية المعاصرة؛ فأخذ يمارس شهواته ولذاته، ويعيش حسب هواه وشرعته، قال - تعالى-: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[(٨)]، وقال - تعالى-:

---

(١) سورة السجدة، آية ١١ .
(٢) سورة المؤمنون، آية ١٥ - ١٦ .
(٣) سورة العنكبوت، آية ٥٧ .
(٤) سورة الأنبياء، آية ٣٥ .
(٥) سورة القصص، آية ٨٨ .
(٦) سورة المؤمنون، آية ١١٥ - ١١٦ .
(٧) سورة آل عمران، آية ١٨٥ .
(٨) سورة الفرقان، آية ٤٣ .

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(١)، وقال - تعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢)؛ ولذلك كان أمر الله العلى القدير لنا بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾(٣).

٦- ادعى الوجوديون أنهم بمقولاتهم السابقة يهدفون إلى تحقيق الوجود الفردى الذاتى للإنسان، ومعنى هذا: أن يكون الإنسان مستقلًا فى كل شىء، منقطعًا عن غيره فى كل شىء، طالبًا لنفسه كل شىء يريده، دون أن يقيم اعتبارًا لسواه، مع العلم أن الرغبات فى الأفراد مختلفة، وأحيانًا تتعارض وتتصادم، والذوات متعددة والأهواء متضاربة الاتجاهات، فماذا يحدث إذا تعارض تحقيق الوجود لإنسان مع تحقيق الوجود لإنسان آخر؟ أيتعارضان فيسقطان ويزهقان معًا وهذا طريق الفناء، أم يدحر أحدهما الآخر وفى هذا ظلم واعتداء؟! ألا ساء ما يحكمون، وأما الإسلام فإنه يعطى الإنسان حقوقًا، ويطالبه بواجبات، ويهيئ له ما يصلحه وينفعه، ويحول بينه وبين ما يضر سواه؛ فيتحقق الوجود السليم للإنسان من جهة، ولا تتصادم الأهواء أو تتعارض الرغبات من جهة ثانية، فالحمد لله الذى من علينا بنعمة الإسلام.

رابعًا - مكانة الإنسان فى الإسلام:

الإنسان فى الإسلام مخلوق مكرم فريد مسئول، لا يقوم وحده فى هذا العالم كما زعم الملحدون؛ بل يقوم بإرادة رب أوجده وقدره، إله خلقه فى أحسن تقويم، وعلمه البيان، ووهب له السمع والبصر والفؤاد، ليس الإنسان عبدًا ولا مقهورًا لشىء فى هذا الكون إلا أنه عبد لله وحده.

وتبرز مظاهر تكريم الله للإنسان فى النقاط الآتية:

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٧٦ .
(٢) سورة القصص، آية ٥٠ .
(٣) سورة الكهف، آية ٢٨ .

١- استخلافه فى الأرض:

أطلق بعض الباحثين على الإنسان عبارة أنه خليفة الله فى أرضه، وهذا التعبير غير صحيح من جهة معناه؛ لأن الله - تعالى - هو الخالق لكل شيء المالك له، ولم يغب عن خلقه وملكه حتى يتخذ خليفة عنه فى أرضه، وإنما يجعل الله بعض الناس خلفاء لبعض فى الأرض، فكلما هلك فرد أو جماعة أو أمة جعل غيرها خليفة يخلفها فى عمارة الأرض، كما قال - تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1]، وقال - تعالى-: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[2] أى: نوعًا من الخلق يخلف من كان قبلهم من مخلوقاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقًا على جعل الإنسان خليفة لله: «وكل من وصفه الله بالخلافة فى القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله، وعليه فإن وصف الإنسان بأنه خليفة عن الله غلط؛ من وجوه:

١- أن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، ولم يقل: خليفة عنى؛ فمن قال: إن الإنسان خليفة عن الله، فعليه الدليل، ونصوص القرآن تدل على أن البشر يخلف بعضهم بعضًا.

٢- هناك نصوص تدل على أن الله - سبحانه - يخلف العبد كقوله - ﷺ - عن الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتى على كل مسلم» أخرجه الإمام مسلم من حديث النواس بن سمعان، رضى الله عنه.

وصح عنه ﷺ فى دعاء السفر قوله: «اللهم أنت الصاحب فى السفر،

(١) سورة الأنعام آية ١٦٥ .
(٢) سورة الأعراف: آية ١٢٩ .
(٣) سورة البقرة: آية ٣٠ .

والخليفة فى الأهل».

٣- وصف الإنسان بأنه خليفة عن الله فيه شيء من الإبهام؛ حيث يشعر بأن الله - سبحانه وتعالى - محتاج لخليفة يقوم بأمره، والله - سبحانه وتعالى - غنى عن العالمين.

٤- أنّ العبادة التى يقوم بها الإنسان فى الأرض ليست استخلافًا عن الله؛ بل هى وظيفة الإنسان الأساسية، قال - تعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]؛ ولهذا لما قيل لأبى بكر - رضى الله عنه-: (يا خليفة الله) أنكر ذلك، وقال: بل (خليفة رسول الله)[٢].

وعلى هذا، فمعنى: أن الإنسان خليفة فى الأرض، أن كل جيل يخلف الجيل الذى يسبقه فى عبادة الله، وعمارة الأرض، وفى هذا تكريم للإنسان من ناحية: بقاء النوع الإنسانى متواصلاً، وجعله السيد فى الأرض الذى يقوم بعمارتها وعبادته فيها، ولم يجعل ذلك لغيره من المخلوقات.

٢- خلقه فى أحسن تقويم:

فقد كرمه الله فأحسن صورته وخلقه، قال - تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: «هذا هو المقسم عليه، وهو أنه - تعالى - خلق الإنسان فى أحسن صورة، وشكل منتصب سوى الأعضاء حسنها»[٤].

وقال - تعالى-: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٥]أى: أحسن أشكالكم.

٣- تميزه بالعنصر الروحى:

فقد كرم الله الإنسان بهذه النفخة التى نفخها الله إياه من روحه، قال الله

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦ .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ١٠).
(٣) سورة التين، آية ٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم (طبعة دار التراث) ج٤، ص ٥٢٧ .
(٥) سورة التغابن، آية ٣ .

- تعالى-: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[(١)]، وهذا أكبر دليل على أن الإنسان نوع متفرد متميز عن سائر الحيوانات، فهى تخالفه ويخالفها فى التكوين؛ إذ لم يكرمها الله بما كرمه به من الروح والعقل.

٤- تسخير الكون لخدمة الإنسان:

سخر الله - سبحانه وتعالى - العوالم الكونية كلها: السماء والأرض، الشمس والقمر، النجوم والليل والنهار، الماء واليابس، البحار والأنهار، النبات والحيوان والجماد - لمصلحة الإنسان وسعادته؛ كرامة منه ونعمة، قال - تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[(٢)]، وقال - تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[(٣)]، وقال - تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)]، ويتضمن التسخير معنيين، هما:

أ- أن هذه العوالم الكونية مهيأة ومبذولة للإنسان؛ فعليه استخدامها فيما يعود بالخير والسعادة.

ب- أنه لا يجوز للإنسان ولا لغيره أن يؤله شيئًا فى هذا العالم، أو يتعبد له رغبًا ورهبًا، والذين عبدوا الأشياء أو المظاهر حولوا الإنسان عما

(١) سورة ص: ٧١، ٧٢.
(٢) سورة لقمان، آية ٢٠.
(٣) سورة إبراهيم، آية ٣٢ - ٣٤.
(٤) سورة الجاثية، آية ١٢ - ١٣.

أراده الله له من سيد سخر له الكون إلى عبد ذليل. قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: «اعلم أن الله - سبحانه وتعالى - اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه وخلقه لنفسه، وخلق له كل شىء، وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره، وسخر له ما فى سمواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته - الذين هم أهل قربه - استخدمهم له، وجعلهم حفظة له فى منامه ويقظته، وظعنه وإقامته، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه رسله، وخاطبه وكلمه منه وإليه؛ فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات[١].

وبعد أن أكرم الله الإنسان بأنواع كثيرة - كما مر سابقًا - نجد أن الله سبحانه وتعالى:

أ- أمره بعبادته وحده، والتقرب إليه بأنواع الطاعات من صلاة وصيام وصدقة وزكاة وحج وعمرة، إلى غير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة.

ب- أمره بالسعى فى الأرض، والمشى فى مناكبها، والأكل من طيباتها، والاستمتاع بزينة الله التى أخرج لعباده فيها، ونهاه عن المسكرات والمخدرات.

ج- أمره بالتفكر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض وفى مصائر الأمم، وأمره بطلب العلم والتماس الحكمة، وأنكر عليه الجمود والتقليد.

د- أباح له التمتع بالنظر إلى جمال الكون: أرضه وسمائه، ونباته وحيوانه، وما فيه من مظاهر الحسن والبهجة وترويح النفس؛ دفعًا للسآمة عنها[٢].

---

(١) ابن القيم (مدارج السالكين) مطبعة السنة المحمدية، ج١، ص ٢١٠ .

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوى (الخصائص العامة للإسلام) مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ص ٧٤ - ٨٢ .

هذا هو الإنسان فى نظر الإسلام، مخلوق مكرم خلقه الله فى أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفة فى الأرض، ومحور النشاط فى الكون، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة؛ فكل ما فى الكون له ولخدمته.

وكما قيل: وبضدها تتميز الأشياء، فالإنسان لدى الوجوديين يدور حول نفسه فقط، أى: حول هواه وشهوته، حول جسده ومتطلباته، حول الجزء الحيوانى فيه، وبذلك ينمو ويتضخم الجانب الحيوانى المادى فى الإنسان على حساب الجوانب الأخرى التى تضمر وتنكمش أو تذبل وتموت.

يسعى الإنسان الوجودى بدون هدف يتطلع إليه غير نفسه وهواها فقط، والآخرون هم الجحيم كما مر سابقًا، وقد قال أحد الكتاب الغربيين فى وصف الوجوديين الذين تدور فلسفتهم حول تحقيق الإنسان وجوده وذاته؛ فحسب: «إن الوجودى مثله كمثل الكلب الذى يجرى دائمًا حول نفسه ليمسك بذنبه فلا هو يدرك ذنبه؛ ولا هو يقف عن الجرى، وهى لعبة تلعبها الكلاب حينما تجد الفراغ فتلهو بما لا نتيجة له»، وهذا التشبيه يذكرنا بالمثل الذى ضربه القرآن لكل من انسلخ من آيات الله وأخلد إلى الأرض واتبع هواه[١]، قال - تعالى-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

* * *

(١) راجع: د. يوسف القرضاوى (الإيمان والحياة) مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ص ٨٢.
(٢) سورة الأعراف، آية ١٧٥ - ١٧٧.

الفصل السادس

استغلال الوجوديين مجالات الأدب والتربية لنشر أفكارهم

ويشتمل على القضايا الآتية :

أولاً: الأدب.

ثانياً: التربية.

ثالثا: علم النفس العام والطب النفسى.

رابعا: الفنون البصرية.

الفصل السادس
استغلال الوجوديين
مجالات الثقافة والعلوم والأدب والتربية
لنشر أفكارهم

هناك علاقة متبادلة بين الوجودية والثقافة؛ حيث سرت تياراتها فى أعماق الثقافة المعاصرة، فأثر الوجودية بارز جدًا فى الكثير من أفرع المعرفة، وفى العديد من الفنون، على أن هذا لا يعنى فى كل الأحوال: أن عالم النفس أو الروائى - مثلاً - قد درس الفلسفة الوجودية عن وعى، ثم راح يطبقها بعد ذلك فى عمله، فوجودية الروائى أو التربوى قد نشأت فى بعض الحالات مستقلة عن البحث الفلسفى الرسمى، وكانت تعبيرًا موازيًا عن نفس المواقف التى ظهرت فى الأزمنة الحديثة.

وسنحاول التعرف على أهم المجالات التى استغلها الوجوديون وظهر فيها أثرهم، وهى: مجال الأدب، والتربية، وعلم النفس العام، والفنون البصرية.

ولا شك أن المرء يستطيع أن يمد المسح إلى مجالات أخرى، لكن ربما كانت المجالات التى سنخوض فيها هى أكثرها وضوحًا، ولقد تسربت الأفكار الوجودية - بصفة خاصة - إلى علم النفس والأدب واللاهوت، وأبرز المجالات التى أثرت فيها الوجودية واستغلتها فى الترويج لتيارها، ما يلى:

أولاً: الوجودية والأدب:

تأثير الوجودية فى الأدب واسع جدًا لا يمكن الوقوف عليه تفصيلاً، وهذا التأثير يظهر جليًا فى المسرحيات والروايات، وهى أقوى من البحوث الفلسفية أثرًا، «ولقد أدرك بعض أقطاب هذه المدرسة - عن وعى - هذه

الحقيقة، وأبرزوا قدراتهم بوصفهم كتابًا مبدعين على نحو ما أبرزوها بوصفهم فلاسفة، وربما كان (كامى) و(سارتر) و(مارسيل) أمثلة شهيرة على ذلك، ولابد أن تكون مؤلفات أدبية مثل (الطاعون) و(الغثيان) و(جلسة سرية) قد حملت تعاليم الوجودية إلى آلاف مؤلفة من البشر لا يقرءون بحوثًا فلسفية متخصصة قط»[١].

لقد كان هناك إنتاج أدبى كبير يستقل عن أى أثر فلسفى مباشر أو غير مباشر للوجوديين، لكنه كان مع ذلك وجوديًا فى اتجاهاته، وكان أحيانًا يؤثر فى الفلاسفة، ولنذكر على سبيل المثال تأثير شعر (هولدرلين) فى هيدجر.

ولا ينبغى فى هذا الشأن أن نجمع بين أدب تصادف أن نفذ إلى أعماق مشكلات الوجود البشرى ونصفه بأنه وجودى، وبين أدب يبغى ترسيخ مبادئ الوجودية المعاصرة بما فيها من انحرافات.

ولقد استغل الوجوديون الأدب لترويج ونشر مبادئ ومفاهيم الوجودية؛ لأنه أفضل الأدوات الفكرية والفنية للوصول إلى الناس والتأثير على أفكارهم ومعتقداتهم، وهو خير أداة قادرة على تجسيد انفعالات الناس، بل إن هذه الانفعالات هى المادة الوحيدة التى يشكل الأدب أشكالها المتعددة.

وتعتبر القصة أبرز ما استحدث من فنون الأدب بعد الحرب العالمية الأولى، وخلال مدة وجيزة طغت على سائر فنون الأدب حتى أخملت الشعر أو كادت، ورحبت بها الصحف على اختلاف ألوانها، حتى إن بعض الصحف وضعت لها صفحة كاملة من صفحاتها الثابتة؛ استجابة لرغبات القراء الذين أقبلوا عليها إقبالاً شديدًا، وساعد على رواجها بروز المسرح، ثم ظهور السنيما وتقدم صناعتها، وأعان على ذلك سهولة تذوق القصة،

---

(١) جون ماكورى: الوجودية ص ٣٧٦ .

وهى مع ذلك أكثر ملاءمة للشباب؛ لأنها أقدر على توفير الأجواء الحالمة التى تلائم سن المراهقة خاصة؛ مما يجعلها أقوى الفنون الأدبية تأثيرًا عليه وأخطرها فى توجيهه.

وبذلك أصبحت القصة معرضًا للنماذج المنحرفة الشاذة المثيرة لأحط الغرائز، وتعبيرًا عن أمراض النفوس، وانعكاس المعايير والتنفيس عن الشهوات.

وقد اعتمد سارتر وكامى على القصة لترويج معتقدات الوجودية ونشر الأفكار الإلحادية؛ لأنها أخطر الأدوات تأثيرًا فى المجتمع؛ مما يدل على مكرهما وخبثهما.

وقد سمى الأدب الوجودى (أدب الالتزام)[١]، أى: الالتزام بعرض أفكار ومفاهيم الوجودية وخدمتها، وبناء على ذلك فرقوا بين النثر والشعر، من حيث إن النثر أكثر قدرة على الالتزام من الشعر؛ لأنه ينتزع الكاتب من حدود ذاته الضيقة ويربطه بالعالم الخارجى، بينما يلتزم الشعر بانعكاس الصورة الذاتية للشاعر؛ ولذلك من الصعب أن يكون الشاعر ملتزما، يقول الدكتور محمد محمد حسين: «إن أكثر ما يذاع من هذا الأدب الهدام - إن جاز لنا أن نسميه أدبًا - يتستر تحت اسم مذاهب هدامة، أو دراسات علمية، فباسم الرومانتيكية[٢]والوجودية كتبت ألوان من الأدب - شعره ونثره - يطبعها طابع الأنانية والانطواء على النفس الذى يورث الهم القاتل لكل همة حينًا - فتجد النفوس السقيمة لذتها فى الشكوى والبكاء، وأن تحيا كالبوم والخفافيش فى الظلام، أو العكوف على الشهوات الصارفة عن كل خير حينًا آخر، وباسم الواقعية وباسم التحليل النفسى ظهرت ألوان من

(١) راجع: د. نبيل راغب (المذاهب الأدبية) مكتبة مصر، ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) تيار أدبى استحوذ على فنون الأدب الغربى فى القرن الثامن عشر، وهو مضاد للكلاسيكية. راجع: د. كمال العيد (فلسفة الأدب والفن) الدار العربية للكتاب، ص ١٥٨ .

الأدب ومن القصص الخاصة تخوض فى أوحال الرذيلة، وتعرض خفايا العورات وتجرح كثيرًا من الفضائل، بزعم أنها تورث الكبت، وتبرر كثيرًا من الرذائل باسم التنفيس، وتسقط التبعية فى كثير من الجرائم بزعم أن أصحابها مصابون بأمراض نفسية، وباسم التحرر واستغلال الشخصية شاعت دعوة إلى إعادة النظر فى كل مواريثنا الخلقية ومعاييرنا الاجتماعية، وإلى الخروج على كل ثابت مقرر مما توقره التقاليد، ويقدسه الدين، وإلى أن يبنى كل فرد لنفسه عالمًا مستقلًا من القيم، تصبح معه مقاييس الخير والشر فردية؛ فلا يكون هناك خير هو خير عند كل الناس، ولا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر، وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع؛ لأن الروح الجماعية هى أساس كل تماسك اجتماعى، لا يكون هناك إلا الفوضى والخراب»[(١)].

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام لم يحرم الآداب أو الفنون؛ بل إنه حضَّ على إبداع الشعر ومدح الشعراء، ودعا إلى الفن الجميل، لكنه الفن الملتزم بالفضائل الداعى إليها، الفن الذى يمتع لا الذى يقزز النفس، الفن الذى يرسخ قيمة ويؤدى وظيفة؛ لأن الفن إذا كان يؤدى إلى الإضرار بالإنسان خلقيًا ونفسيًا وجسديًا فلا قيمة له، وتعاطيه إثم وجريمة، والفن إذا كان لغوًا لا ينفع ولا يضر فتركه أولى.

إن الأدب القائم على التبجح والتضليل، واختراق الثوابت، والمساس بالدين والمعتقدات والأعراف الثابتة - لا يعد أدبًا؛ لأن وظيفة أى فن وأى أدب هى التطهير والارتقاء بالذوق والمتعة الفنية والنشوة الروحية، فالأدب الذى يهاجم الفضائل والأديان ويفترى على المقدسات أدب يجرح ويخدش ويثير التقزز، ولا يحقق المتعة، وهو ساقط حتى فنيًا، وليس ساقطًا دينيًا وخلقيًا فحسب.

---

(١) راجع: د. محمد محمد حسين (اتجاهات هدامة فى الفكر الغربى المعاصر) ص ١١٦ .

التأثيرات الوجودية فى الأدب :

إذا أردنا تعرف التأثيرات الوجودية فى الأدب فلابد أن نشير إلى شيء محدد بدلاً من أوجه التشابه الغامضة التى تقع مصادفة بين فهم الأدباء للإنسان، وفهم فلاسفة الوجودية له، وينبغى أن نحصر أنفسنا فى ذلك الإنتاج الأدبى الذى يسوده ما يمكن تسميته بـ (الموضوعات المتكررة) فى الوجودية، أعنى موضوعات مثل: الحرية والقرار والمسئولية، والأهم من ذلك موضوعات مثل التناهى والاغتراب والموت.

فمثلاً: يوهان كريستيان فردريش هولدرلين، الذى يمكن أن ينظر إليه على أنه رائد المزاج الوجودى الحديث فى الأدب فى بداية القرن التاسع عشر - يعبر عن التغير المزاجى الذى عبر عنه نيتشه تعبيرًا فلسفيًا بـ (زيادة الإحساس بالاغتراب، والضياع فى الكون)، فيقول فى قصيدته (خبز وخمر):

لقد جئنا، يا صديقى، هنا متأخرين.

صحيح أن الأرباب تعيش، لكن فى عالم آخر فوق رءوسنا، وهى تعمل بلا انقطاع، لكنها - فيما يبدو - لا تحفل بما إذا كنا نعيش، هذا هو مدى اهتمام الموجودات السماوية؛ ألا ترى أنه منذ مدة، وهى تبدو لنا أمدًا طويلاً، تسحب كل أولئك المفضلين فى حياتنا إلى أعلى؟!

عندما أشاح الأب بوجهه عن الإنسان وخيم الحزن على الأرض كلها.

هذه الكلمات لا تقول حقًا بموت الرب، وإنما تقول: إنه غائب وصامت، وتبرز وحشة الإنسان الحادة، وحزنه المخيم؛ وذلك لرحيل من أشاعوا الفرح والمرح[1].

---

(١) راجع جون ماكورى ص ٣٧٦،٣٧٨ .

أسباب ذيوع وانتشار الأدب الوجودى :

راج الأدب الوجودى وذاع وانتشر؛ للأسباب التالية[١] :

١- الأدب له قابلية وقدرة فائقة على الانتشار والانتقال من أمة إلى أخرى، دون اعتبار لطبيعة العلاقات بينهما، فقد حصل تأثر وتأثير بين الأدبين الإنجليزى والفرنسى وبين الألمانى والإيطالى مثلاً، وكانت العلاقة بينهما ممتازة، وينتقل - أيضًا - فى حالة توتر العلاقات والحروب المستمرة، فعندما جهزت أوربا الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامى، وشحنتها بمشاعر الحقد والغضب هيأت من حيث لا تدرى فرصة لانتقال آثار كثيرة من الأدب العربى الإسلامى إلى آداب الشعوب الأوربية.

٢- طبيعة الأدب: لأنه ملتصق بالأمة التى تنتجه يحمل خصائصها وعقائدها، وعند الانتقال فلا شك أنه سيحمل معه الخصائص والعقائد، وإذا استوطن فى مجتمع جديد أسكنها معه فى نفوس متذوقيه والمعجبين به، فالقصة الوجودية تدخر تصورات الوجودى الغربى وتحمل غربته، وتمزقه وإلحاده؛ لأنها حصيلة ظروفه العقائدية والاجتماعية والسياسية، وعندما يكتبها ويترجمها قصاص عربى فسوف تتلون قصصه - لا محالة - بالظروف والمواقف العقائدية السابقة.

٣- الظروف المناسبة لانتشار القيم الفكرية والمذاهب الجديدة، فالوجودية انتشرت بعد الحربين العالميتين؛ فالآثار خطيرة والنتائج ضخمة، ولم يعد بيت فى أوربا بدون قتيل ولا جريح؛ ومن ثم علت الصيحة إلى الفزع من الخطر الذى فرضه صراع الدول على المجتمعات الآمنة بما هدد حياتها، وجعل أهلها يعيشون فى خطر الحرب الدائم، وهواجس القنابل الذرية؛ فاستجاشت النفس الغربية بالكتابة والدعوة عن طريق الأدب إلى

---

(١) راجع: د. عبد الباسط بدر (مذاهب الأدب الغربى) شركة الشعاع بالكويت، ص ١٢٧ - ١٤٢ .

تأكيد الذات وتحريرها، وإشباع رغباتها؛ ما دام أنه ليست للحياة غاية واضحة إلا هذا المتاع السريع الذى قد يزول ويتلاشى فى أية لحظة بسبب الحروب والقنابل الذرية.

٤- وجود أدباء يعتنقون هذه الفلسفة ويستمدون تصوراتهم منها، وينتجون أدبًا يتأثر بها - فمثلاً - سارتر أحد أقطاب الفكر الوجودى استطاع بث أفكاره عن طريق الأدب.

٥- ترجمة المسرحيات والقصص الفرنسية الإباحية، وتقديمها بأسعار زهيدة، وإلقاؤها بين أيدى الشباب والفتيات، وقد حفلت هذه الكتابات بالاستخفاف بالقيم الأخلاقية، والسخرية بالعقائد الدينية والفضائل والبطولات، والدعوة إلى الانطلاق بدون حرج، والجرأة على المقدسات. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

أ- مسرحية الذباب لسارتر، والتى ترجمها د. محمد القصاص وفؤاد كامل، وتهدف إلى إنكار الإله، وإبرازه كخرافة ضارة أخذت الإنسانية - فى زعمه - تتخلص منه، وقد استقى سارتر موضوعها من الأساطير اليونانية القديمة، وقد ورد فيها:

جوبيتر: إن لم أكن إلهك أيتها الدودة المنكودة، فمن الذى خلقك؟

أورست: أنت، ولكن كان يجب ألا تخلقنى حرًا.

جوبيتر: لقد وهبتك الحرية لكى تعبدنى.

أورست: قد يكون هذا ممكنًا ولكنها ردت إلى نحرك؛ فلا أنت تستطيع أن تصلح ما كان ولا أنا بمستطيعه.

جوبيتر: وأخيرًا فهذا هو عذرك.

أورست: إنى لا أعتذر.

جويبتر: حقًا ألا تعلم أن هذه الحرية التى أصبحت لها عبدًا تشبه كثيرًا أن تكون عذرًا.

أورست: إننى لست عبدًا ولست سيدًا آى جويبتر، وإنما أنا حريتى، وما أن خلقتنى حتى أصبحت لا أنتسب إليك فى شيء...

ويقول أورست أيضًا لجويبتر: (ما شأنى بك؟ كلانا ينزلق بجانب الآخر دون أن نتلامس وكأننا سفينتان... أنت إله وأنا حر... أنت فى وحدتك وأنا الآخر فى وحدتى... وكلانا له من القلق ما للآخر)[١].

ب- مسرحية (الغثيان) التى ألفها سارتر سنة ١٩٣٨م، فقد ترجمها إلى العربية الدكتور سهيل إدريس، وتدور أحداثها حول إحدى مقولات الوجوديين: (الوجود سابق على الماهية)[٢].

ج- مسرحية (الأيدى القذرة)، فقد ألفها سارتر سنة ١٩٤٨م، وترجمها إلى العربية كل من الأستاذ سهيل إدريس والأستاذ إميل شويرى، وهى تصوير لشخصيات مختلفة، منها على سبيل المثال: شخصيتا «هودرر» و«هوجو»، أما الأول فيمثل الشخصية الوجودية التى تحررت تحررًا كاملاً ثم تحملت مسئوليتها كاملة نحو نفسها ونحو المجتمع البشرى الذى تريد إسعاده - على حد زعمه - بينما لا يزال هوجو - الشخصية الثانية - مستعبدًا للقيم التى يلقنها له الحزب الشيوعى برياسة «لويس»، والذى يمثل (هوجو) كالآلة الصماء فى يد (لويس) الذى يحرضه على اغتيال (هودرر)، ولكنه لما كان (هوجو) لا يصدر عن حريته الكاملة ولا يلتزم بوحى هذه الحرية، وإنما يتلقى الأوامر من الخارج - فإنه يبدو شخصية ضعيفة مترددة؛ لأنها منقادة، بينما يفوز (هودرر) بكل إعجاب؛ لأنه شخصية

(١) مسرحية (الذباب) لسارتر، ترجمة فؤاد كامل. الدار القومية، العدد ١٥١، ص ٨٧ .
(٢) راجع: مسرحية (الغثيان) لسارتر، ترجمة سهيل إدريس، ص ٥٢ .

وجودية متحررة لا تلتزم إلا بوحى من نفسها[١]... إلخ.

د- مسرحية (الجحيم) التى ألفها سارتر سنة ١٩٤٥م، وترجمها هاشم الحسينى، وتدور أحداثها حول علاقة الإنسان بالغير، فيدخل رجل اسمه (غارسين) الجحيم، ويصيح فى آخر المسرحية:

«لا حاجة إلى التعذيب بالنار؛ فالجحيم هم الآخرون»[٢].

هـ- مسرحية (الجدار) التى ألفها سارتر سنة ١٩٣٨م، وترجمها إلى العربية الدكتور سهيل إدريس وهاشم الحسينى. وتحكى قصة ثلاثة أشخاص (جوان) و(ستيوك) و(إياتا) ينتظرون ساعة إعدامهم رميًا بالرصاص صبيحة الغد، يحلل فيها سارتر مشاعر كل منهم، فهم - على حد زعمه - حيال خطر واحد يحيط بهم، ولكن لكل منهم موقفه الخاص يواجهه من زاوية بيئته وثقافته ونوعية تفكيره[٣].

٦- أدب (كامى) الذى يعبر عن وجودية العبث، وعنده: أن الإنسان فى هذه الدنيا شبيه ببطل الأسطورة الإغريقية (سيسوفوس) أو (سيزيف)، وهو رجل عصى مشيئة الأرباب - على حد زعمه - فالتمس منهم العودة إلى الدنيا؛ لكى يؤدب زوجته على خيانتها، فسمحوا له بالعودة إلى أجل محدود، فجاوز الأجل المحدد غير مكترث بنذير القضاء؛ فحكموا عليه بأن يتردى إلى الجحيم مسخرًا فى عمل لا طائل تحته وليس له انتهاء، وهو أن يقوم برفع صخرة عظيمة من أسفل الجبل إلى قمته العليا، ثم تنحدر الصخرة فيعود إلى رفعها مرة بعد مرة، إلى غير نهاية معلومة ولغير هدف

---

(١) راجع: مسرحية (الأيدى القذرة) تأليف سارتر، ترجمة سهيل إدريس، إميل شويرى. دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٢) راجع: مسرحية (الجحيم) لسارتر، ترجمة هاشم الحسينى. دار مكتبة الحياة.

(٣) راجع: مسرحية (الجدار) لسارتر ترجمة سهيل إدريس وهاشم الحسينى. دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٧٥م.

معروف، فعلى تصوره هذا: كل إنسان فى هذه الحياة هو سيسوفوس مسخر فى مثل هذا الجهد الضائع والعبث العقيم - كما يدعى - يقول كامى: «إن التمرد هو الحل الوحيد لكل ما فى الوجود من لا معقولية، ويترتب على التمرد - كحل للتجربة العبثية - رفض كل التصورات الميتافيزيقية - ما وراء الطبيعة أو الغيب - خاصة فيما يتصل بقضية الحرية»[١].

وتعكس مسرحيات ألبير كامى: (الغريب)، (الطاعون)، (الحصار) ...إلخ مفاهيم الوجودية من الإحساس بالعدم والسأم والقلق والعبث واللامعقول... فنجد البطل فى رواية (الغريب) يعيش وحدة وغربة، ويحس بالانفصال حتى عن أمه التى ماتت فلم تدمع له عين، ويقتل شخصًا بالمصادفة فيزج به فى السجن، ويحكم عليه بالإعدام، إذن الغريب فى هذه الرواية هو الإنسان الوجودى أو الإنسان المعاصر فى الغرب.

ويصور كامى أيضًا فى مسرحيته (كاليجولا) الإنسان الوجودى إنسان هذا العصر - على حد زعمه - الذى يحس بالفراغ والضياع والوحدة وشبح الموت الرهيب - كما يزعم - قائلاً: «آه يا عزيزى، إن عبء الأيام مخيف بالنسبة لمن هو وحيد بدون إله - نعوذ بالله - بدون سيد؛ ولهذا يجب على المرء أن يختار سيدًا، إلهًا بدون مميزاته المألوفة، ثم إن تلك الكلمة قد فقدت معناها، ولم تعد تستحق أن يجازف المرء بصدم أحد بها»[٢].

بعد هذا العرض الموجز للأدب الوجودى أرى أن ألفت النظر إلى بعض الملاحظات الهامة.

---

(١) ألبيركامى (السقطة) ترجمة أنيس زكى حسن، بيروت ١٩٧١م، ص ٣٠ - ٣١ .
(٢) ألبيركامى (السقطة)، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

نقد مجالات الأدب الوجودى :

يؤخذ على مجالات الأدب الوجودى مآخذ كثيرة، منها:

١- شخصيات المسرحيات الوجودية هى نتاج خيالى لا واقعى، هى أفكار مشخصة أكثر مما هى وقائع فعلية، فتحول الأبطال - كما يدعون - إلى صفات مجردة بلا روابط واقعية.

٢- أبطال المسرحيات الوجودية لا يعرفون شيئًا سوى قرفهم وسأمهم ورؤيتهم وإحساسهم لزوجة الأشياء، وهم دائمًا فى فراغ قاتل، لا يصادفون مطلقًا حماسة تحررهم، الحب عندهم فشل، علاقتهم بغيرهم مخيبة للآمال، وجهنم هى الآخرون، وحينما يلتقون ماذا يريدون؟ لا شىء سوى أن يشربوا أنفسهم دون عطش.

٣- الشخصيات الوجودية فى كثير من الأعمال المسرحية تتشابه، (هودرر) فى «الأيدى القذرة» لا يختلف كثيرًا عن (جان) فى «الدوامة»، كلاهما يريدان الهدف نفسه، لكن الظروف ليست مثالية؛ فيضطران للقيام بإجراءات مريبة وتقديم تنازلات تبدو فى معيار معارضيهم خيانة، ولا حل (لفرانسوا) فى نهاية «الدوامة» إلا: «أعطنى كأسًا من الويسكى، وتابع الشراب»، كما تنتهى (الغثيان) بينما «روكنتان» على أبواب عمل ينوى إنجازه، أو كما تنتهى (الأبواب المقفلة) مع «غارسان». «هوجر» قتل «هودرر» فى (الأيدى القذرة)، و«جان» يقتل «لوسيان» فى (الدوامة)، ما هى الأسباب؟ الإجابة غير معروفة، مجرد إثارة قضايا ومشاكل دون تقديم حلول لها[١].

٤- فقدان المذهب العام الشامل، الذى يمكن الرجوع إليه والاحتكام إليه من خلال المسرحيات الوجودية؛ ولهذا نجد سارتر مثلاً فى مسرحية

(١) راجع: د. عبد القادر محمود (الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة) الهيئة المصرية للكتاب، ص ٢١٤ - ٢٣٣ .

(الأيدى القذرة) يتقمص شخصية «هودرر» الشيوعى المتحرر الثائر على مجتمع القيم التقليدية المتوارثة، كما يزعم.

٥- أبطال المسرحيات الوجودية مصابون بمرض الانفصام، وليسوا أناسا أسوياء؛ بدليل استباحتهم الإجرام، والشذوذ أو التبذل والخيانة[١]؛ ولذلك سمى أدبهم بأدب الانحلال والضياع.

٦- الشخصيات الوجودية فى المسرحيات فردية ضد المجتمع تتحكم فيها العزلة، تخاف من الجماعة أيًا كان عددها أو حجمها أو اسمها، بينها علاقات قمع مستمرة يعجز الفرد عن تبديلها ولو حاول: الحزب فى (الدوامة) و(الأيدى القذرة) ضد «جان»، و«هوغر» و«آهل آرغوس» فى (الذباب) ضد «أورست»، وليست الجماعة فحسب، بل إن كل آخر هو خارجى ضدى، الآخر هو جهنم.

هذا هو الاعتقاد السارترى الذى يجد شكله الأفضل فى (الأبواب المقفلة) حيث «غارسان» و«آستيل» و«دانيتيز» سجناء الآخر، ومع ذلك يستمرون فى تعذيب واحدهم هم للآخر، كما يقول سارتر: «إن احترام حرية الغير كلمة باطلة، كل موقف تجاه الآخر سيكون اغتصابًا لهذه الحرية التى نزعم أننا نحترمها»[٢].

٧- ركز الأدب الوجودى على قضية الاغتراب، والتى تعنى أن الاغتراب متعلق بانفصال الإنسان عن الله، أى: (الخطيئة)، يقول الدكتور مجاهد عبد المنعم مجاهد: «يغتربون: يفقدون ذواتهم، ينفصلون، لكنهم لا يظلون فى اعتزالهم... لا يصبحون خوارج، بل يكتسبون ذوات جديدة، ويرتدون إلى ذواتهم بعمق فى ضوء جديد، ويكتسبون نفسًا أصيلة كلية

---

(١) راجع الأستاذ: على لبن (الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية) ص ٨١ .
(٢) سارتر (الوجود والعدم) ص ١٩٤٢ .

توصف بأنها النفس المطمئنة، من خلالهم يتحقق وجود جديد. . . إنهم مثل: زرادشت، ونيتشه، بعد صعودهم إلى الجبل وتطهرهم النفسى يعودون ليقيموا عالمًا أكثر جمالاً»[1].

وقضية الانفصال عن الله يرفضها الإسلام شكلًا وموضوعًا، وهذا المفهوم بعيد عن المسلم؛ لأن المسلم ليس بينه وبين الله واسطة، ويتصل به مباشرة عبر العبادة.

٨- ركز الأدب الوجودى على قضايا: الحرية المسئولية، الالتزام، على حد تعبير الوجوديين لها ومفهومهم عنها؛ فنتج عن هذه القضايا نتائج أو مشاعر خطيرة يحسها الفرد فى سلوكه عبر الحياة، وهذه المشاعر لم يغفل عنها سارتر؛ بل واجهها كعادته فى الغى والضلال والمكر والخداع، وبلورها فى ثلاثة هى: القلق والهجران واليأس:

أما القلق: فليس هناك غرابة أن يستشعره الوجودى؛ ما دام لا يريد أن يستند فى حياته وتصرفاته وأحكامه إلى إله أو قضاء أو قدر، ويأبى إلا أن يعتبر نفسه حرًا حرية مطلقة.

ولما كانت هذه الحرية تستتبع - بالضرورة - المسئولية عند الوجودى، فإنه لابد أن يستشعر القلق من هذه المسئولية، وما يستتبعه من التزام وتخير لما يريد أن يلتزم به.

ونفس هذه الحرية، والتخلص من كافة القيم المتوارثة - هى التى تولد - أيضًا - فى نفس الوجودى الشعور بالهجران، أى: الشعور بأنه مهجور لا عون له ولا سند خارج نفسه التى تتحمل بحكم حريتها أفدح المسئوليات، وبعد ذلك يستشعر الوجودى اليأس - نعوذ بالله - ويزيد اغترابًا وإلحادًا

---

(١) مجاهد عبد المنعم مجاهد (المغتربون) هيدجر. دار الثقافة للنشر. القاهرة ص هـ .

وإجرامًا، نسأل الله العافية.

وقد بينت فى الموضوعات السابقة كيف عالج الإسلام الحرية والمسئولية والالتزام، فحين نرى الحرية التى يدعو إليها الأدب الوجودى تبدأ بالانسلاخ من العقيدة، فإن الحرية فى الإسلام ترتكز على العقيدة، وتبدأ من فهم الإنسان لموقفه من الله أولاً، وأما المسئولية لدى الوجوديين فهى مرتبطة بمفهوم الحرية، وعند الإسلام هى مسئولية الأمانة فى الأرض وفق التشريعات الربانية، يحاسب عليها أمام الله أولاً وآخرًا.

وأما الالتزام فى الأدب الوجودى فهو الالتزام بمفاهيم ومبادئ الوجودية، فى حين نرى الالتزام فى الأدب الإسلامى يختلف مضمونه؛ لأن الأدب الإسلامى يدعو إلى الالتزام بالدعوة إلى الله، والالتزام - أيضًا - بالوسيلة الأدبية المناسبة، قال - تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[(١)].

وبهذا أؤكد أنه قد يحصل اتفاق بين الأدب الوجودى والأدب الإسلامى فى العناوين، ولكن الاختلاف فى المضمون والدلالة والهدف كبير؛ لأن الوجودية تبدأ بالكفر وقطع الإنسان عن خالقه، والإسلام يبدأ بالإيمان وصلة الإنسان بخالقه، وليس هناك أى التقاء بينهما فى أى من القضايا السابقة ولو اتفقت الأسماء.

٩- أن القضايا التى يزرعها المذهب الأدبى الوجودى مرفوضة إسلاميًّا؛ لأنها تستمد مبادئها من التصور النصرانى المحرف، وهو تصور يصف الإنسان ويجعله حاملاً للخطيئة الأبدية، زاعمًا أن آدم أورث أبناءه خطيئته، فقد اعتقدت الكنيسة أن المسيح - عليه السلام - قد صلب ومات، ثم قام بعد موته، ويعللون واقعة صلبه بأنه كفارة لبنى الإنسان عن الخطيئة

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

الموروثة التى ورثها بنو آدم عن أبيهم آدم الذى خالف أمر ربه وأكل من الشجرة المحرمة (شجرة المعرفة)، كما يدعون.

وللمسيحيين عدة تصورات خاطئة حيال ذلك، وهى[١]:

١- أن آدم - عليه السلام - حين أخطأ ظلت خطيئته فى عنقه وفى أعناق ذريته إلى أن وقع التكفير بصلب المسيح كما يدعون.

٢- أن المسيح - عليه السلام - قد صلب فعلاً، وهو ابن الله، على حد زعمهم.

٣- أن الله قدم ابنه الوحيد (على حد زعمهم) للصلب؛ محبة منه لعباده، وليكفر عنهم خطيئتهم الموروثة.

أما الإسلام فله موقف محدد من هذه التصورات الخاطئة ينفيها بشكل قاطع؛ فقد صرح القرآن الكريم فى أكثر من موضع بأن آدم - عليه السلام - قد وقع منه ما أخذه الله عليه وعده معصية، حيث نهى الله - سبحانه

---

(١) القرآن الكريم دحض شبهات المسيحيين، و فندها كالتالى:

أ - دحض شبهة البنوة الإلهية بقوله - تعالى -: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٦ - ١١٧]، وقوله - تعالى -: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد﴾ [سورة الإخلاص].

ب - دحض شبهة التثليث بقوله - تعالى -: ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرًا لكم﴾ [سورة النساء: ١٧١]، وقوله - تعالى -: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة: ٧٣].

ج - دحض شبهة الخطيئة الأصلية بقوله - تعالى -: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الإسراء: ١٥].

د - دحض شبهة الصلب بقوله - تعالى -: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزًا حكيما﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

وتعالى - آدم وحواء عن الأكل من الشجرة المعينة والمحددة لهما عن طريق الإشارة الحسية الواضحة، قال - تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)]، ثم تحايل الشيطان - نعوذ بالله منه - فزين لهما الأكل منها، قال - تعالى-: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[(٢)]، وانطلت هذه الحيلة على آدم فوقع فى المحظور، قال - تعالى-: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[(٣)].

هذه هى معصية آدم - عليه السلام - ومن المعلوم أن المعاصى أنماط ودرجات، فليست على درجة واحدة، ولكنها متفاوتة منها الصغيرة، ومنها الكبيرة، ومنها ما يقع عن قصد ووعى تام وتعمد وعزم، ومنها ما يقع على سبيل السهو والنسيان، ومنها ما يقع عن طريق الإكراه؛ لذلك نقول: من أى نوع كانت معصية آدم، عليه السلام؟ يجيب على هذا السؤال القرآن الكريم نفسه، قال - تعالى-: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[(٤)]، وبهذا حدد القرآن الكريم نوع معصية آدم - عليه السلام - لربه تحديدًا دقيقًا كل الدقة، واضحًا كل الوضوح، فبين أنها معصية وقعت بسبب النسيان والسهو والغفلة، فليست هى مقصودة قصدًا ولا متعمدة عمدًا، إن آدم - عليه السلام - قد نسى عهد ربه فأكل من الشجرة المحرمة، ولو فطن لذلك وتذكر لقاوم إغراء الشيطان، ومع ذلك فهى معصية ليست مؤبدة عليه، بل لم تصاحبه حين أنجب باكورة بنيه؛ فقد غفرها الله له وتاب عليه وهداه، وبرأه منها بمنه وفضله وكرمه، قال الله -

---

(١) سورة البقرة، آية ٣٥ .
(٢) سورة طه، آية ١٢٠ .
(٣) سورة طه، آية ١٢١ .
(٤) سورة طه، آية ١١٥ .

تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾(١)؛ ولهذا لم يتحدث القرآن الكريم عن أية معصية وقعت من آدم بعد هبوطه إلى الأرض، وبعد أن اجتباه ربه وتاب عليه وهداه، وحين أنجب آدم كان طاهرًا مطهرًا متوبًا عليه مهديًا للعمل الصالح.

إذن فكيف يورث آدم بنيه خطيئة كان هو قد برئ منها؟! وإذا كان قد غفر لآدم - وهو الجانى الحقيقى للمعصية - فكيف يؤاخذ عليها بنوه، وهم لم يجنوا تلك المعصية، ولا كانوا موجودين ساعة وقوعها، وإنما كانوا ذرية من بعده؟! وعقيدة الخطيئة الموروثة كانت معول هدم فى صرح الكنيسة وقت عصر التنوير فى أوربا (النصف الثانى من القرن الثامن عشر)؛ فصارت منفذًا واسعًا للطعن فى سلطان الكنيسة والتمرد عليها، وانصراف الناس عنها.

ولدحض هذه الفرية أعود إلى كتاب الله العظيم الذى يقرر الحق المتسق والمناسب مع العدل والعقل والفطرة، وهى سنة الله التى لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، قال - تعالى-: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾(٢)، وقال الله - تعالى-: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ﴾(٣)، وقال - تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۙ﴾(٤)وقال تعالى-: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾(٥)، وقال - تعالى-: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٦)، وبنظرة ثاقبة لما تدل عليه هذه الآيات الكريمات نجد أنها دلت على مبادئ تشريعية محددة،

---

(١) سورة طه، آية ١٢٢ .
(٢) سورة الأنعام، آية ١٦٤ .
(٣) سورة النور، آية ١١ .
(٤) سورة المدثر، آية ٣٨ .
(٥) سورة النجم، آية ٣٩ .
(٦) سورة فصلت، آية ٤٦ .

منها: أن الذى يعمل عملاً صالحًا فثمرة عمله له دون غيره، وأن الذى يقترف إثمًا أو جرمًا فعلى عاتقه هو تقع المسئولية، ولن يسأل برىء عن ذنب عاص أو مجرم؛ مصداقًا لقوله - تعالى-: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال - تعالى-: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْـًٔا﴾[2]، هذا هو العدل والحق والإنصاف، وهذا هو المبدأ الإسلامى العادل، والذى قرره قبل أربعة عشر قرنًا هو الذى تأخذ به كل نظم العالم مسلمين وغير مسلمين، فإذا أجرم أب فلا يعاقب معه بنوه، بهذا تقضى كل محاكم العالم ونظمه وقوانينه على اختلاف منازعها وأحوالها، وهو ما قررته وأخذت به لجنة حقوق الإنسان، حيث جعلت من حق الإنسان ألا يساء إليه بسبب عمل ارتكبه غيره، وإذا حدث وأضير إنسان بذنب لم يجنه هو بل جناه غيره عد هذا خروجًا عن العدالة واعتداء على برىء.

وهذا المبدأ الذى قرره الإسلام من المبادئ والقيم التى صار بها عالميًا صالحًا لقيادة كل البشر وإظلالهم بظله الوارف.

وبهذا تصبح عقيدة الخطيئة الموروثة - كما يدعون - واقعة شاذة كل الشذوذ، وليس لها سند - أيضًا - من الفطرة ولا من الواقع.

وليس هناك خطيئة موروثة فى الحقيقة والواقع، ولكن الخطيئة الموروثة الجديدة هى بدعة القول بهذه الخطيئة الموروثة[3] وقد دحض القرآن شبهة الإله المتجسد بقوله - تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ

---

(١) سورة البقرة، آية ١٤١ .
(٢) سورة لقمان، آية ٣٣ .
(٣) راجع: د. عبد العظيم المطعنى (الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة) مكتبة وهبة، ص ٤٢ - ٤٧ .

ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(1) [المائدة: ١٧]، وقال - تعالى-: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(2)، إذن تأثيرات الوجودية انداحت إلى الأدب، وكان هناك أدباء وجوديون استغلوا الأدب لترويج الأفكار الوجودية، إن كانت - بحق - أفكارًا، فلا نجد عرضًا لهذه الأفكار أشد حيوية مما نجده فى المسرحيات والقصص التى كتبها الوجوديون.

وتجدر الإشارة إلى أن أنصار التكنولوجيا والوفرة قد ضاقوا ذرعًا بأدب الاغتراب والعبث واليأس، أدب الوجوديين؛ فهم يقولون: إن أولئك الكتاب متشائمون لا يستطيعون رؤية الخير فى عالمنا، ومن المسلم به أن الكُتّاب الوجوديين كانوا أحاديى الجانب.

ونقول: إن أنصار التكنولوجيا تطرفوا فى اتجاههم، كما تطرف الوجوديون فى اتجاههم، وتبقى نظرة الإسلام هى النظرة المعتدلة المتوازنة المتوسطة التى تراعى كل الجوانب فى الإنسان، الجوانب المادية والجوانب الروحية معًا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾(3) .

ثانيًا: مجالات التربية:

بنى الوجوديون نظامهم التربوى على الأسس والمفاهيم الوجودية، ومن أهم أهداف المنهج التربوى لديهم ما يلى:

---

(١) سورة المائدة، آية ١٧ .

(٢) سورة المائدة، آية ٧٢ .

(٣) سورة البقرة: آية ١٤٣ .

١- الإيمان بالذاتية.

٢- الرفض التام للمبادئ والقيم الخلقية.

٣- التركيز على العلوم الإنسانية: كالأدب والفلسفة والفن، فهى برأيهم مصادر هامة تبرز حالات الاختيار، وتكشف عن طبيعة الإنسان وصراعه مع الحياة، وتعبر عن ذاته وتجسد عواطفه ومشاعره.

٤- المنهج الوجودى لا يفضل الدراسة المهنية؛ لأنها - بزعمهم - تهدف إلى خلق شخص محدد ومصبوب صبًا فى قالب معين[١]، وإذا كان لابد من مزاولة الدراسة المهنية فلتكن المهنة وسيلة لا غاية، وسيلة لممارسة الحرية وصنع الذات الفردية؛ وبناء على ذلك ظهرت النزعة الفردية فى التربية الوجودية فى الغرب، واصطبغ التعليم بهذه الصبغة، وأصبحت مهمة التربية غرس التفكير الذاتى فى أذهان التلاميذ، والدعوة إلى الإباحية التى لا تعترف بشىء غير شهوات الفرد ودوافع الأثرة والأنانية؛ فأدت إلى وجود إباحية جنسية لدى الشباب فى الغرب بعيدة كل البعد عن قيم الخير والجمال. يقول الأستاذ كمال أحمد عون: «ومن المؤسف حقًا: أن يكون ما يشيع بين بعض شباب الجامعة المخدوع بكل جديد، هو هذا اللون الأخير بما فيه من سوءات، ولقد استفاضت العبارة المأثورة كتابة عن الطالب الجامعى وفيها يتبجح بأنه سينشئ ولده بلطجيًا إن كان، وبنته عاهرة إن شاءت، وقريب من ذلك عن زميلات له وزملاء.

ثم هذه كتابات أولئك الإباحيين، تحمل وزرها، وتتولى كبرها صحافة متعددة الألوان والأسماء، تقدم سمومها جرعة بعد جرعة لتسرى بطيئة خبيثة فى الأوصال، مع ما فيها من تناقض وإسفاف وبذاءة.

---

(١) راجع: د. محروس سيد مرسى (التربية والطبيعة الإنسانية) دار المعارف. مصر، ص ٢٠٩ - ٢١٨.

ومن خبث منهج هذه الكتابات: أنها لا تحمل طابع الجحود الصريح دائمًا، وإن دلفت إليه فى دروب ومنعطفات، فقد تعمد إلى الرواية عن آخرين؛ تهربًا من عهدة ما تقول من كفر وضلال مبين، وقد تلجأ إلى الأقاصيص الماجنة التى تغرى الناشئة بالانطلاق فى الشهوات والانتقاض على ما تعارف عليه الناس من عرف وأخلاق، أو المقالات التى تجنح إلى الشك والتشكيك فيما يتصل بالدين من عقائد وفضائل وآداب»(١).

المنظور الإسلامى للتربية :(٢)

غاية العملية التربوية فى كل زمان وفى كل مكان: أن نربى شخصية إنسانية تتمثل فى كل أو معظم ما تأمله الأمة لغدها.

والتربية الإسلامية هى أولى بذلك، فهذا الإنسان هو الذى كرمه الله على سائر خلقه، وهو الذى خلقه فى أحسن تقويم وأجمل صورة، وأودعه من المقومات ما يعينه على أن يتسيد كل ما سخره الله له من خلقه فى هذا الكون ، وجماع مقومات الإنسان المنشودة هى التى تمكنه من أن يواجه الغد بفاعلية واقتدار، ويحسن التعامل مع متغيرات المستقبل.

ويمكن أن نوجز مقترحًا لهذه المقومات فيما يلى:

١- الإيمان:

نقطة البداية لابد أن تكون الإيمان بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر، صحيح: أن موضوع التربية الإسلامية هو الإنسان المسلم، ولا يكون الإنسان مسلمًا إلا بهذا الإيمان، فلماذا النص عليه هنا؟ ننص عليه ونبرزه

---

(١) كمال أحمد عون (قبس من الإيمان وحساب للملاحدة والوجوديين) دار العلوم للطباعة والنشر، ط٢ ١٩٨٣م، ص ٤٧ .

(٢) راجع فى هذا المنظور: د. سعيد إسماعيل على: التربية الإسلامية و تحديات القرن الحادى و العشرين بحث منشور ضمن مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٥، السنة الثانية والعشرون) ص ٦٩ و ما بعدها .

ونقدمه؛ لأن التربية الإسلامية تسعى إلى إقامة هذا الإيمان على وعى، إيمان لا يقف عند حد التلفظ به، وإنما يتعدى ذلك إلى القدرة على الدفاع عن عقيدته وسوق الأدلة والبراهين التى يقوم عليها الإيمان بالعقيدة، إيمان يمثل طاقة نور تبث إشعاعها فى التفكير وفى السلوك، ولا تكون حبيسة العقل والفكر.

٢- التقوى: وهى القيمة المركزية فى سلوك الإنسان المسلم.. إنه فى كل ما يسلك يتقى الله، ويضع نصب عينيه أنه يرى الله، فإن لم يكن يراه فالله يراه، وهكذا يكون - سبحانه - هو الموجه وهو المرشد وهو الحسيب.

٣- والتربية الإسلامية إذا كانت تركز على التوجيه السلوكى، فهى بحكم طبيعتها تسعى إلى أن تزود إنسانها بزاد معرفى فى العلوم الدينية يشكل البنية التحتية لسلوكه، فهو عندما يحرص على استقامة السلوك لابد أن يكون على علم بميادين هذا السلوك المستقيم وفقًا للعقيدة الإسلامية، وهو إذ يستقبل كل يوم جديدًا من المعارف والعلوم والاختراعات المتعددة يكون بحاجة إلى ميزان يزن به ما يستقبله، فهذا - مثلاً - من شأنه أن يوسع دائرة المنفعة لعموم المسلمين فيرحب به، وهذا قد يفعل العكس فيقصيه جانبًا، وربما عمل على محاربته، ولن يكون الميزان ذا وظيفة فعالة إلا بثقافة دينية ترتكز على الأصول والقواعد الأساسية والمفاهيم والأركان.

٤- التربية الإسلامية تقوم على تغذية متطلبات الجسد والروح جميعًا؛ فلا هى تهمل الجسد لحساب الروح، ولا هى تهمل الروح لحساب الجسد، فالعقائد والعبادات والأخلاق فى الإسلام تغذى جانب الروح، وفيها نصيب للجسد، وأباح الإسلام للإنسان الطيبات من المآكل والمشارب وإشباع الرغبة الجنسية عن طريق الزواج، بما يكفل للجسد متطلباته دون فوضوية أو حرية زائفة، بل حرية حقيقية مقننة.

فالإسلام دين يقوم على التوازن والاعتدال، وفى الحديث «إن لربك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لبدنك عليك حقًا»[١].

وحديث الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت رسول الله، وسألوا عن عبادته ﷺ فكأنهم تقالوها، فقال أحدهم: فأما أنا فأصوم النهار ولا أفطر، وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وأما الثالث فقال: وأما أنا فلا أتزوج النساء.. فلما علم رسول الله - ﷺ - بما حدث منهم قال: «أنتم النفر الذين قالوا كذا وكذا، فأما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٢].

فالإسلام - كما هو بين من الحديث - يقيم توازنًا بين جانبى الإنسان الروح والجسد.

ونرى أن النظرة الإسلامية للتربية تخالف تمام المخالفة رؤية الوجوديين لها، والقائمة على إنكار الله والإباحية والحرية المطلقة من كل قيد ومن كل رقيب، وإشاعة الرذائل والقبائح، وصاحب العقل السليم يفرق بين الغث والثمين، والحق والباطل، والحق والخير - لا شك - هو ما جاء به الإسلام؛ لأنه دين الله ومنهجه القويم الذى يناسب خَلْقه وعباده.

ثالثًا: الوجودية وعلم النفس العام والطب النفسى:

من أهم التأثيرات التى مارستها الوجودية على فروع المعرفة الأخرى، تأثيرها على علم النفس العام وتطبيقه فى الطب النفسى؛ فلقد نشأت مدرسة جديدة تمامًا فى الطب النفسى الوجودى، واستغل الوجوديون ذلك استغلالاً كبيرًا فى نشر تيارهم وفكرهم.

فلقد اهتم بعض الفلاسفة الوجوديين أنفسهم اهتمامًا شديدًا بعلم النفس

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٧٥) ومسلم (١٨٢/ ١١٥٩) عن عبد الله عمرو .

(٢) أخرجه البخارى (٥٠٦٣) ومسلم (٥/ ١٤٠١) عن انس بن مالك .

العام والطب النفسى، فكارل ياسبرز بدأ حياته طبيبًا نفسيًا، وأول كتاب له كان (علم النفس المرضى العام)، ولقد ذهب فيه إلى أن الوجود البشرى لا يمكن أن يتموضع وأن يتحول إلى معطيات علمية، بل إن ما ينبغى علينا أن ندرسه فى هذا الوجود هو شكل السلوك الداخلى، وفهم الذات، وانتقاء الذات، واستملاك الذات.

ولقد كان لسارتر اهتمام شديد كذلك بعلم النفس، وكتب فى هذا الموضوع عدة دراسات، ووضع فى نهاية كتابه (الوجود والعدم) الخطوط العامة لتحليل نفسى وجودى، وذهب إلى أن الرغبة فى الوجود تنشأ من افتقار ما هو لذاته Eoi-Pour لوجود أهم من اللبيدو Libido الذى تركز عليه تحليلات فرويد.

وإضافة إلى فلاسفة الوجودية وجدت طائفة من العلماء انصب اهتمامها الأول على علم النفس والطب النفسى، واستمدت أفكارها من فلسفة الوجودية، من أبرز هؤلاء الأطباء النفسيين السويسريون: لودفيج بنز فانجر، ومدارد بوس، وغيرهما.

وأبرز الأفكار التى يمكن استخلاصها من أفكار هؤلاء وهؤلاء ما يأتى:

١- أن الوجود البشرى لا يمكن أن يكون موضوعًا علميًا، أو أن يؤدى إلى معطيات علمية.

٢- أن الرغبة فى الوجود البشرى ناشئة عن افتقار الإنسان لذاته هو.

٣- وفيما يتعلق باللغة التقليدية التى يتعامل بها مع المرضى النفسيين، فيرى بعض المتأثرين بالوجودية، أن فيها عيبين (ومن ثم مجموعة المفاهيم):

الأول: أن المصطلحات الفنية تمزق المرضى النفسيين أشلاء؛ حتى ليصبح من الصعوبة بمكان أن يستعيد الطبيب النفسى الذات بتمامها

وكمالها، وهو ما كان ينشده.

والعيب الثانى: هو أن هذه اللغة تسير على افتراض ضمنى هو أن المريض لابد أن يوصف وكأنه (آلة) من نوع ما (ميكانيزم).

٤- يسعى هؤلاء الأطباء إلى إقامة علم أصيل للأشخاص، أو علم نفس حقيقى.

٥- برزت عند علماء النفس المتأثرين بالوجودية فكرة (عدم الأمان الأنطولوجى) التى تمثل أداة للربط بين تحليلات الوجود اليومى التى صادفناها فيما سبق، بدءًا من الحالات الغريبة التى وجدت عند شخصيات مثل: كيرك جورد، وكفكا، حتى الاضطرابات المرضية للذات المنقسمة.[١]

هذه الأفكار، رغم إيجازها، توضح التأثير الخصب الذى كان لمذهب الوجودية فى علم النفس والطب النفسى، واستغلال الوجوديين لهذين المجالين فى نشر أفكارهم، وهى أفكار ما من شك فى أنها كانت لها تأثيراتها الخطيرة، وتطبيقها فى هذا المجال أضر كثيرًا بالمرضى النفسيين، حتى إن الغربيين أنفسهم اعترفوا بذلك.

يقول جون ماكورى: «هناك أخطار، بالطبع، وقد أشار رولماى Rollmay - عن حق - إلى بعضها، لا سيما النزعة المعارضة للعلم عند بعض الأطباء النفسيين الوجوديين، فليس هناك طريق واحد للمعرفة، وكل نظرية جديدة محفوفة بمخاطر التشويه والمبالغة، لكن لابد لكل علم أن يتعرف خصوصيات الموضوع الذى يدرسه، وعلماء النفس الوجوديون يناضلون لحل أعقد المشكلات جميعًا: المعرفة العلمية بالناس»[٢].

---

(١) راجع فيما سبق: جون ماكورى: الوجودية ص ٣٦٩ - ٣٧٣ .
(٢) الوجودية ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

وأقول: إن عدم جعل الوجود البشرى موضوعًا للعلم فى نظر علماء النفس الوجوديين، أمر يخطئه الإسلام؛ إذ الوجود البشرى هو أساس الكون، ومن أجله خلق الله هذا الكون، وقد جعل الله من عناصر الكون المختلفة موضوعًا للعلم، فكيف لا يكون الوجود البشرى موضوعًا للعلم؟! ثم إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] فهذه دعوة إلى التفكر فى مكنونات النفس وخلق الإنسان ووجوده؛ للتوصل إلى معرفته، ومعرفة بديع صنعة الله فيه.

ثم إن هؤلاء العلماء النفسيين يناقضون مبدأ أساسيًا تنطلق منه الفلسفة الوجودية، وهو أن الوجود البشرى أساس كل شىء، فقولهم هذا ينطوى على تناقض بين مع هذا المبدأ.

وأود التأكيد على أن الإسلام - ذلك المنهج الربانى - سبر أغوار الإنسان، فأتى بما يصلحه وينفعه، فواءم بين عنصريه: الروح والجسد، فأقام بينهما توازنًا: فراعى النزوع الروحى إلى العلو والسمو، وراعى نزوع الجسد ومتطلبات الغرائز وهذا المنهج يكفل للإنسان حياة مستقرة، وليس ما ينادى به علماء النفس الوجوديون أو من نحا نحوهم وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2] .

رابعًا: الوجودية والفنون البصرية:

لقد استغل الوجوديون كذلك الفنون البصرية؛ فانسربت تأثيرات الوجودية إلى هذه الفنون، فنحن يمكننا أن «نرى فى مختلف أشكال الفن الحديث - التكعيبية Cubism والسريالية surrealism، وبقية المذاهب الفنية - صورًا موازية للوجودية؛ إذ إن أشكال الفن هذه تعبر بوسائطها

---

(١) سورة الذاريات: آية ٢١ .

(٢) سورة الملك: آية ١٤ .

الخاصة عن أفكار وضع الوجوديون صياغتها الفلسفية»[١].

ويمكن استخلاص أهم هذه الأفكار فيما يأتى:

١- العمل الفنى - كما يقول هيدجر - ينبغى ألا يفهم بوصفه تعبيرًا عن مشاعر الفنان، بل هو يجلب الوجود نفسه إلى ضوء الحقيقة.

والفنان وعمله يشتركان فى أصل واحد: فالفنان هو أصل العمل، والعمل هو أصل الفنان، ولا وجود لأحدهما بدون الآخر.

٢- الفن الوجودى يعبر بطرق مختلفة عن عواطف الفنان الشخصية، ويمسك بالجوانب الرَّوَّاغة فى الطبيعة.. ولكنه مع ذلك لا يعبر عن العاطفة من أجل العاطفة؛ فالعاطفة عند الوجودى طريق ينير العالم.

٣- والتخلى فى الفن الوجودى عن تصور ما لشكل معين لا يعنى التخلى عن كل شكل، فمثلاً: (جورنيكا Guernica) لبيكاسو التى تتألف من أشخاص وأشياء وموضوعات من بلدة (جورنيكا) الأسبانية التى دمرتها الحرب الأهلية الأسبانية، يصورها الفنان فى علاقات من الواضح تمامًا أنها غير واقعية.[٢].

والحق أن الفن الوجودى فن غامض، وأية فائدة لشىء غامض؟! ثم إنه مع غموضه يروج للفاحشة والانحراف، فالوجوديون استغلوا الفن فى الترويج لأفكارهم عن الإله والإنسان والوجود وغير ذلك.

ثم إن أفكار الوجوديين حول الفن يظهر عليها الاضطراب والمبالغة؛ فالفن فى حقيقته تعبير عن المشاعر والوجود عمومًا، وليس الوجود البشرى خاصة. والفن يحاكى الطبيعة الواضحة والروّاغة معًا، والمفترض فيه أن يسمو بالإنسان لا أن يخفضه.

---

(١) جون ماكورى: الوجودية ص ٣٨١.
(٢) راجع: جون ماكورى: الوجودية ص ٣٨١ - ٣٨٤.

والإسلام فى نظرته إلى الأشياء يدعو إلى تأمل الجمال فى الكون والإفادة منه، وإلى النظام والتنظيم لا التشتيت وإدخال الأشياء فى بعضها، وإلى الوضوح لا الإغماض والإبهام ومن ثم دعا القرآن الكريم إلى التأمل فى بديع صنع الله فى كثير من آياته.

والآن بعد أن عرفنا اعتقادات الوجوديين، وكيف استغلوا الأدب والتربية والثقافة والعلوم فى الترويج لهذه المعتقدات نرى آثار هذه المعتقدات على المجتمعات الغربية على الفرد والمجتمع.

* * *

الباب الثالث

آثار الوجودية على الفرد والمجتمع
وموقف الإسلام منها

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الآثار العقدية والفكرية.

الفصل الثانى: الآثار النفسية والجسدية.

الفصل الثالث: الآثار الأخلاقية والاجتماعية.



الفصل الأول

الآثار العقدية والفكرية.

ويشتمل على خمسة مباحث:

أولاً: الكفران بالعقائد.

ثانيًا: التنكر للحقائق.

ثالثا: فتح الباب للشيوعية.

رابعًا: واجهة من واجهات الصهيونية.

خامسًا: فتح باب الإلحاد على مصراعيه.



الفصل الأول
الآثار العقدية والفكرية

للوجودية آثار عقدية وفكرية على الفرد والمجتمع تتمثل بما يلى:

أولاً: الكفران بالعقائد:

يقول سارتر: «أما الوجودية الملحدة التى أمثلها أنا، فهى أكثر تماسكًا؛ إذ تصرح بأنه حتى فى حالة أن لا إله خالق، هناك كائن واحد أعلى وجوده سابق لماهيته، كائن يوجد قبل أن نستطيع بأية فكرة، وهذا الكائن هو الإنسان، أو كما يقول هيدجر: الواقع الإنسانى.

وماذا تعنى هنا أسبقية الوجود على الماهية؟ المقصود بذلك: أن الإنسان يوجد قبل كل شىء، وأنه يلقى ذاته، ويبرز إلى العالم، ثم يُعرف بعد ذلك.

وإذا كان الإنسان - كما يتصوره الفيلسوف الوجودى - غير قابل للتعريف؛ فلأنه ليس شيئًا فى البدء، بل سيكون بعدئذ كما يصنع ذاته، فلا وجود إذن للطبيعة الإنسانية؛ لأنه لا وجود لتصور إلهى لها، الإنسان موجود فقط، ليس كما يتصور ذاته، بل كما يريدها، وكما يتصورها بعد الوجود، بل أيضًا كما يريدها فى اندفاعه نحو الوجود»[١].

وهذا النص ينطوى على فكرتين خطيرتين:

الأولى: إنكار وجود الله، بل إنكار وجود إله أصلاً.

الثانية: أن الوجود يسبق الماهية، أى: أن الإنسان يوجد قبل كل شىء.

وفى النص إغماض واضطراب يجعل الإنسان يحار عند قراءته، لكن

---

(١) الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة حنا دميان (دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٥٤م) ص ١٦ - ١٧.

يبقى أن نقول: إن صاحبه يدعو إلى الكفر والإلحاد.

وقد يقول قائل: إن سارتر أعلن عن نفسه صراحة فى بداية هذا النص، أنه فيلسوف ملحد ينكر وجود الإله، وهناك - كما عرفنا - وجودية مؤمنة، أو وجودية مسيحية لا تنكر وجود الإله، فكيف تتهم مثل هذه الوجودية بالكفر والخروج على العقائد؟

وأقول: إن كيرك جورد زعيم الوجودية وأبوها الشرعى - كما يقال - ماذا يعنى عنده الإيمان؟

إن الإيمان عنده هو الإيمان بالمفارقة الكبرى، أعنى بالتجسيد، ونحن هنا نجد أنفسنا أمام جانبين مهمين فى الفهم المسيحى للوجود، أو لحظتين أساسيتين فى تكوين وجود الفرد المسيحى المؤمن: فأما الجانب الأول فهو لحظة التجسيد؛ حيث تجلى الله فى التاريخ وأصبح إنسانًا، وهنا يلتقى الأزلى بالزمانى على صعيد واحد، وتتم وحدتهما معًا فى هوية واحدة.

أما الجانب الثانى فهو لحظة الإيمان، وهى اللحظة التى يتحول فيها الفرد الزمانى - أى الإنسان - إلى فرد خالد والأزلى إلى تاريخى، وفى هذا يقول كيرك جورد فى عبارة واضحة: «إن المفارقة توحد بين المتناقضات، بحيث يصبح التاريخى أزليًا، والأزلى تاريخيًا»[(١)].

أليس هذا الذى يقوله كيرك جورد - زعيم الوجودية المؤمنة، كما يقال - هو عين الكفر؛ لقد جعل الإنسان الفانى الزائل أزليًا، وجعل الله الباقى الخالد تاريخيًا أو زمنيًا، أى: فانيًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

هذا بالإضافة إلى ما تنطوى عليه فكرة التجسيد والاتحاد والحلول من كفر بين، وفساد كبير فى منظور الإسلام والعقلاء.

---

(١) راجع: د. إمام عبد الفتاح إمام: كيرك جورد - رائد الوجودية ص ٤٣٤، ٤٣٥ .

ثم إن كيرك جورد نفسه - والكلام السابق يؤكد ذلك - حمل فى مؤلفاته على معتقدات مجتمعه الدينى حملة عنيفة، وهاجم الكنيسة، ودعا الناس إلى الإيمان بأنفسهم ومن هنا كانت الوجودية دعوة صريحة ضد المسيحية، ومحاولة لهدمها، وحربًا سافرة على الأديان كلها.

ويربط بعض الباحثين الدعوة الوجودية أساسًا منذ أعلنها كيرك جورد بمجموعة التحديات التى واجهت المسيحية الغربية والكنيسة، فيقول: «إن الحياة ليست بذات قيمة فى النظر المسيحى، وعلى حساب الطبيعة البشرية ضحى المسيح بحياته الأرضية ليكسب الخلود الإلهى، واعتبر كل ما هو مادى خطيئة يجب بترها، وأول هذه الخطايا: الجسد الإنسانى، هذا جسمنا المجنون الشيطانى ذو الألف شهوة.

إن مملكة المسيحى ليست فى هذا العالم، والحياة الحقيقية هى الحياة الخالدة، وهى تبدأ بعيدًا عن الأرض، فى السماء انزوى، وأصبح مثاله الأعلى هو التصوف ذلك الرجل الذى نفى غرائزه فى سقف ديره المنعزل، وأقام من نفسه فى قلب الصحراء شاهدًا على سخف فكرة الإنسان»[١].

ومعنى هذا: أن الوجودية إنما جاءت بمثابة رد على الزهادة المسيحية التى قاومها الفكر الغربى ذو الجذور الإغريقية، ثم كان خروج سارتر السافر على الأديان وعلى المسيحية، ومعارضته الكلية لكل فكرة تتصل بالعقائد، كما سبق أن أسلفنا.

وبالرغم من تهافت التصور المسيحى، فإن الوجودية تمثل خروجًا وانحرافًا عن العقائد الدينية، خروجًا لا هوادة فيه، وانحرافًا لا رجعة عنه.

ثم إن قيام الوجودية على تلك الفرية التى يعدونها مسلمتهم الأولى،

(١) أنور الجندى: مقدمات العلوم والمناهج - طابع الإسلام بين الأديان والأيديولوجيات - المجلد الثامن، ص ٤١٨ .

وهى: (الوجود أسبق من الماهية) - الهدف منها القضاء على القيم الروحية، وإلغاء الدين ومبادئه، والانطلاق فى الشهوات دون مبالاة، وبلا وازع، وهذه الأهداف مبنية على نظرتهم التشاؤمية؛ حيث يرون أن الحياة مجرد فخ أو شرك وقع فيه الإنسان، فلا عون ولا سند له سوى نفسه. فالإنسان فى هذه الحياة هو الماء والطين والجسد، وليس وراء ذلك من شىء. والواقع ليس فيه سوى الهموم والقلق والضيق واليأس[١].

وقد أدت هذه الأهداف السيئة والدعاوى الباطلة إلى الكفران بالمعتقدات الحقة التى تنزل بها الوحى وحملها رسل الله الذين توافدوا إلى هذه الدنيا ليربطوا البشرية الحائرة بربها، فتصلها برب غفور رحيم لطيف كريم.

لقد أعلنت الوجودية أن الله غير موجود، ومع أنه لا يجوز توجيه النفى إلا إلى الموجود، فقد زعم بعض رجالها الملاحدة أن الله - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا - قد مات، وبناءً على إنكارها وجحودها رب العزة والجلال والكبرياء، كفرت بالأنبياء والرسل والكتب المنزلة، كما كفرت بالإيمان بالقدر الذى خطته الإرادة العليا ليكون السبيل الذى لا سبيل سواه فى رسم ما كان وما هو كائن وما سيكون. كما كفرت بعقيدة (البعث)؛ فأنكرت قيام الناس لرب العالمين فى يوم يجتمع فيه الناس فى ساحة الحق والعدل، للسؤال والحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار.

وهى بهذا أحد التيارات التى تكفر كفرًا بينًا بكل ما تحمل الرسالات من عقائد إيمانية، فحين نأت بالإنسان أن يكون عبدًا لكائن فى الأرض أو لعنصر فى السماء، فحررته من العبودية لله رب العالمين - فإذا بها تجعله عبدًا ذليلاً لشهواته ورغباته مضطربًا خائفًا من نفسه، وولده، وزوجته، ومن الرقم ١٣، ومن القطة السوداء.

---

(١) راجع: د. عبد المقصود عبد الغنى، (الاتجاهات المعاصرة فى الفكر الإسلامى)، ص ٤٠٦.

لقد قطعت الوجودية صلتها بالله - سبحانه وتعالى - وذلك بكفرها به وبالعقائد السماوية؛ فأصبح الإنسان الوجودى يمشى بغير هدف، ويمضى لغير غاية؛ لأن العالم كله خداع، وأن الإنسان موجود بلا سبب، والحياة بهذا المفهوم وهم كبير، وظلام أكبر؛ فعاش الإنسان الوجودى مرارة اليأس والظلام ومدافعة المصير المحتوم، والجرى وراء متاع الدنيا ومفاتنها، والاستسلام لعواصف القلق والحيرة والشك والوساوس والهموم(١).

لقد عزلت الوجودية الإنسان عن كل ركيزة يمكن أن تحميه أو تملأه بالثقة، هذه الركيزة لا تأتى إلا من مصدر واحد هو الدين؛ ومن ثم كان إنكار الدين وما جاء به منطلقًا للعدمية التى تفجر كل أنواع الخوف والرعب، وهذا هو مصير جميع النظريات المهمومة التى تتحرك من فراغ، ولا تجرى فى دائرة التوحيد والإيمان بالله، والتماس منهجه فى الحياة والعبادة، وأنها لا تصل بالإنسان إلا إلى مزيد من القلق والاضطراب؛ لأنها لم تجد طريقها الصحيح.

موقف الإسلام :

بعد أن عرفنا أثر الكفران بالعقائد، نشير إلى أن الدين الإسلامى قد جعل للوجود الإنسانى رسالة وغاية وهدفًا وأمانة ومسئولية، وأن الحياة ليست عبثًا، وليست لعبة، وليست مصادفة بحال.

قال الله - تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(٢).

ولو كانت الحياة عبثًا لما قامت للإنسان فيها قائمة، بل لفسد الكون

(١) راجع: الأستاذ/ على لبن، (الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية)، دار الوفاء بالمنصورة، ص ٨١ .

(٢) سورة المؤمنون: آية ١١٥ .

بأكمله؛ فأكل القوى الضعيف، واتبع كل ذى هوى هواه، ولم يبق للحياة معنى ولا قيمة.

والإيمان بالله الواحد الخالق المدبر الذى يرجع إليه الأمر كله، هو المصدر الوحيد للأمن والسكينة، وسوف تفشل كل الحلول التى تستمد مصادرها من فلسفات باطنية أو غيرها.

فالدين الإسلامى يجعل الإنسان يسلم وجهه لله أولاً، ويعتقد بأنه الخالق، وبأنه صاحب الإرادة العليا، وأنه خلق الإنسان لغاية، ورسم له منهجًا، فإذا ما التمس الإنسان غايته ومنهجه طابت نفسه واستقرت، وإذا ادعى الإنسان أنه سيد نفسه، وأنه القادر على إدارة الحياة ساخرًا من المنهج الربانى - فإنه سوف يلقى هذا الألم الذى يسحق نفسه سحقًا دون أن يقر له قرار.

إن الإيمان بالله إذا حل فى النفس، حلت معه الثقة والتفاؤل؛ فالإيمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل، وتحول دون اليأس، وتبعث الثقة، وتحدد الهدف من هذه الحياة، والرسالة الحقة التى جاء إلى هذه الأرض من أجلها؛ ولذلك دعا الإسلام إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض، ذاكرًا عظمة صنع الله وجلال قدرته، وهذه وحدها هى القوة التى تملأ النفس باليقين.

إن الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - سلوك كامل فى كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان، يرضى بها الله، ويبتعد بها عن محرماته.

والإيمان بالله لا يتجزأ، فهو الإيمان بالحق كله: الإيمان بوجود الله خالق هذا العالم، وبكل ما له من صفات الكمال من الوحدانية والخلق والتدبير والرحمة، هو عالم الغيب، والإيمان بالرسالات الإلهية، وبجميع الرسل والأنبياء، وجميع ما أنزل إليهم، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من

حساب وجزاء، وبالتدبير الإلهى المحيط بكل شىء.

ومن شأن هذا الإيمان أن تتحقق معه محبة الله والخشوع لجلاله، والعمل بحسب أوامره ومراقبته[١].

وسنرى فى الباب القادم-: إن شاء الله تعالى - أثر العقيدة فى نهوض الفرد والأمة.

ثانيًا : التنكر للحقائق :

لقد أرجفت الوجودية فى العالم بأسره بأباطيل أرادوا بها تغيير ميزان الحق الذى قامت عليه الأرض والسماء، يوم أن روجت لأباطيل كاذبة، وأوهام ساذجة، وزعمت أنها السبيل الأقوم فى هذه الحياة، ودعت أتباعها إليها، ومن ذلك: تنكرها للحقائق التى اصطلح عليها عقلاء الناس، فأصبحت ميزانًا توزن به تحركاتهم، من ذلك:

١ - دعواهم إلى أن الوجود أسبق من الماهية.

وهذه فرية انفردوا بها فى عصرهم مجاراة لأسلاف لهم شاركوهم نفس القول، وأشاعوا مثل هذا القول فى عصر ما قبل سقراط.

وهذه الفرية تنكر لحقيقة لا يجادل فيها إلا مكابر، وهى أن للإنسان وجودًا قبل هذا الوجود، وهو وجوده فى عالم الذر، يوم جمع الله الإنسانية فى هذا العالم الغيبى، وأشهدها على أنفسها بأنه ربها، فشهدت بذلك.

كما أنها تنكر أن وجود الإنسان المادى غير مسبوق بهذا الوجود الذى خطّ للإنسان مسيره فى هذه الحياة، وبين أجله ورزقه وشقاوته وسعادته، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[٢].

(١) راجع أنور الجندى، (معلمة الإسلام)، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٣٦٩ - ٤١٠ .

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢ .

٢ - إنكار القيم والعادات والتقاليد التى أتى بها الدين، واصطلح عليها عقلاء الناس؛ فقد تنكرت الوجودية لكثير من القيم والمبادئ الإنسانية التى أقرها المجتمع الإنسانى، وعد الخروج عليها خروجًا على المألوف المتعارف بين الناس، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

(أ) دعواهم أن قيم الإنسان صنيعة نفسه؛ فليس على الإنسان ضير فى مخالفة ما التزم به المجتمع، ويعتبرون ذلك تحقيقًا للوجود الإنسانى، فللإنسان أن يفعل ما يشاء، ويترك ما يشاء، رائده فى ذلك نفسه، وإن أنكر عليه المجتمع فعله، فالحسن هو ما يراه الإنسان الوجودى حسنًا، وإن استقبحه العالم بأسره، ولقد سبقهم إلى ذلك (السوفسطائيون)[1]: فأشاعوا الفساد والضلال فى هذا المجتمع بفريتهم الآثمة حين روجوا فى البلاد أن الإنسان مقياس الخير والشر فى نفسه، فأنشئوا بهذا الهراء جيلاً عمّ به الظلام فى بلاد اليونان، كما أفقدوا المعايير الخلقية هويتها.

(ب) دعواهم أن التمسك بالقيم حَجْر على الحرية المطلقة التى نادوا بها، فاعتبروا أن التمسك بالقيم سجن لحياة يلاحقها الموت فى أية لحظة، حتى وصل بهم القنوط واليأس من هذه الحياة إلى رؤيتهم أن الحياة ستنتهى بقنبلة ذرية فى أية لحظة؛ وبناء على ذلك فقد دعوا إلى الاستمتاع بالحياة بأية صورة وعلى أى شكل، وبالتالى فلا مكان لقيم عامة يلتزمون بها.

وهذه دعوة ماجنة يبرأ منها الذوق والعقل، ولا يستقيم بها أمر الحياة؛ إذ إن الإنسان لبنة فى بناء المجتمع، تحكمه شريعة صالحة لكل زمان، وبكل

---

(١) جماعة ظهرت فى القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد، ويعدون من الحكماء، وهم المكشوف عنهم الغيب - بزعمهم - أصحاب الرؤى والدعاوى - على حد زعمهم - فشنّ أفلاطون وأرسطو حربًا ضدهم؛ فأصبح السوفسطائى عنوانًا على المغالطة والجدل العقيم وإخفاء الحقيقة. راجع: موسوعة الفلسفة، د. عبد المنعم الحفنى، ص٢٤٩ .

مكان، ولا يشك من فى قلبه ذرة من إيمان وعقل أن دعوى الوجودية هذه قد قامت على الكفر والإلحاد، وعدم الاعتراف بوجود الله - أستغفر الله العظيم - فى حين أننا نجد ديننا الإسلامى يقوم أساسًا على الإيمان بوجود الله ومعرفته، واحدًا أحدًا، فردًا صمدًا، منزها عن الشريك والولد.

ولقد فطر الله - عز وجل - الإنسان على ذلك - كما بينت سابقًا - بل إنه أشهد كل إنسان على نفسه، أنه ربه وخالقه؛ حتى يسد الطريق على الوجوديين وأمثالهم يوم القيامة، حين يتنكرون للحقائق ويقولون كما حكى الله عن أمثالهم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[(١)].

ثالثًا: فتح الباب للشيوعية[(٢)]:

الشيوعية مذهب مادى لا يعترف إلا بكل ما هو مادى محسوس، ويجحد كل ما وراء المادة، فلا يؤمن بالوحى ولا بالآخرة، ولا يؤمن بأى نوع من أنواع الغيب، وبهذا ينكر الأديان جملة وتفصيلاً، ويعتبرها خرافة من بقايا عصور الجهل والانحطاط والاستغلال، وفى هذا قال مؤسس الشيوعية (كارل ماركس) كلمته المعروفة: (الدين أفيون الشعوب)[(٣)].

والوجوديون يؤمنون إيمانًا مطلقًا بأفكار الشيوعية السالفة الذكر، ويتفقون معها فى الدعوة إلى الانحلال الفكرى، وما يترتب عليه من تفكك الأواصر، وانعدام الثقة، واختلال الأمن، وفى دعوة الشباب - أيضًا - بأن يعيش فى حيرة وقلق واضطراب، وفى الدعوة - أيضًا - إلى إطلاق عنان

---

(١) الأعراف، آية ١٧٢ .

(٢) الوجودية أسبق من الشيوعية فى غالب رأى الباحثين، حيث إن جذورها تمتد إلى سقراط (٤٧٠ - ٣٨٩ ق. م)، أما الشيوعية فتمتد جذورها إلى مزدك (٤٨٧ - ٥٢٣ م). راجع الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى ص٢٤٤، ص٤٣٨ .

(٣) راجع: د. عبد الرحمن عميرة، (المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها)، ص١٤٤ .

الشهوة وروح المغامرة.

ولا يخفى أن الصلة وثيقة بين الشيوعية والوجودية: فالشيوعية تبتدئ من نقطة الإباحة والثورة على الأديان، والانطلاق من كل القيود الخلقية، ويقرر الوجوديون أن الأديان ليست إلا اتفاقات اجتماعية لتقييد الإنسان، والأخلاق ليست إلا اعترافات وهمية لهدم الحرية الإنسانية، فإذا وصل الوجوديون إلى تثبيت هذه الحقائق فى الشباب، وفرغت نفوسهم من الحقائق الدينية والضوابط الخلقية - أصبحت محتاجة إلى ما يملأ هذا الفراغ وهو الشيوعية.

ورغم أن الشيوعية قد انهارت فى عقر دارها - ولله الحمد والمنة - إلا أننى أقول: إن من أهم الطرق لمحاربة الشيوعية هو هدم الوجودية ومنعها من البقاء، فهى حين أوجدت فراغًا فى الدين والأخلاق، فتحت الباب للشيوعية لملء الفراغ النفسى الذى يشعر به معتنقوها.

ولا خلاص من هذه المبادئ الهدامة، إلا بالعودة إلى حبل الإسلام المتين؛ مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»(١).

فالاعتصام بالإسلام وتنفيذ تعاليمه هو الطريق الوحيد للقضاء على هذه المبادئ الهدامة، أعاذنا الله من البلاء، إنه سميع مجيب.

رابعًا: الوجودية واجهة من واجهات الصهيونية:

الوجودية حلقة من حلقات الفلسفة اليهودية التلمودية، وتسعى الصهيونية

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ، كتاب القدر (٤٦) باب (١) النهى عن القول بالقدر ص (٥٦٠) حديث (٣)، وقال: كتاب الله وسنة نبيه. مسلم: فضائل الصحابة (٤٤) باب (٤) من فضائل على (٤/ ١٨٧٣) حديث (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم، وفيه: كتاب الله وأهل بيتى.. إلخ. وأخرجه الترمذى فى (المناقب) باب (٣٢) مناقب أهل البيت (٥/ ٦٦٣) حديث (٣٧٨٨) مثل مسلم .

العالمية للسيطرة على النظم الدينية والأخلاقية؛ وذلك لهدف كبير هو السيادة على العالم، والسيطرة عليه وتسخيره.

وقد اتخذت الصهيونية طرقًا كثيرة لتحقيق مآربها، وتنفيذ أهدافها، من أهمها[١]:

١ - محاربة الأديان جميعًا.

٢ - زرع الجمعيات السرية.

٣ - بث روح الإلحاد فى العالم.

٤ - السيطرة على مجالات العلوم والفكر.

٥ - تدمير القيم الأخلاقية، واحتواء الفكر الغربى والسيطرة عليه.

٦ - الدعوة إلى سيطرة الفكر اليهودى والادعاء بأنه سيد العالم وسيسيطر عليه ويحكمه.

٧ - اختلاق فلسفات التشكيك والإلحاد واحتضانها والترويج لها: كفلسفة دارون، وفرويد، ونيتشه، وسارتر ... إلخ.

٨ - عزل الدين عن كل عناصر الفكر والحياة.

يقول الأستاذ/ عباس العقاد فى مقال عن الوجودية: (لن تفهم المدارس الحديثة فى أوربا ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها، وهى أن إصبعًا من أصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم، وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان: فاليهودى (كارل ماركس) وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان، واليهودى (دور كايم)[٢] وراء علم الاجتماع الذى يلحق الأسرة بالأوضاع

---

(١) لمزيد من الإيضاح راجع كتاب العقاد (الصهيونية العالمية).

(٢) إميل دور كايم (١٨٥٨ - ١٩١٧ م) يهودى فرنسى يعد واضع علم الاجتماع، راجع: =

المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب.

واليهودى - أو نصف اليهودى - (سارتر) وراء الوجودية التى نشأت معززة لكرامة الفرد، فجنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال(١).

إن الوجودية واجهة من واجهات الصهيونية، وأكبر شاهد على ذلك هو زعيم الوجودية (سارتر) الذى زار إسرائيل سنة ١٩٦٧م، ومنحته شهادة الدكتوراة الفخرية، وكتب سارتر المسألة اليهودية، وشارك فى المظاهرات، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل، وبهذا اتضح لنا أحد الآثار السيئة لهذا الفكر الوجودى.

وصهاينة هذا العصر هم اليهود، الذين عرف عنهم العهر والفجور والفسق والدعارة وإباحة كافة أشكال الانحلال وتشجيعه، كما عرف عنهم قتل الأبرياء والغش والسرقة والطمع والحقد والغدر والمكر والنفاق ونكران الجميل والاستغلال والكذب والاعتداد بالجنسية وعدم الاندماج مع الغير؛ لأنهم - كما يدعون - (شعب الله المختار).

قال - تعالى -: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾(٢)، وقال - جل شأنه -: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾(٣).

موقف الإسلام من الصهاينة اليهود:

الصهاينة اليهود هم أعداء الإسلام، بالأمس واليوم، وقد سجل الله - سبحانه وتعالى - عداوتهم للمؤمنين فى كتابه العزيز، قال - تعالى -:

= الموسوعة الفلسفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٨٣

(١) العقاد، الصهيونية العالمية، مجلد ١٤، دار الكتاب اللبنانى، ص١٤١ .

(٢) آل عمران، آية ١١٢ .

(٣) الأعراف، آية ١٦٧ .

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾(١)، والأمثلة على ذلك فى التاريخ كثيرة؛ فعندما انتصر المسلمون فى معركة بدر الكبرى، أكل الحقد قلوب اليهود، فاتجهوا إلى سلاحهم التقليدى، وعمدوا إلى التفرقة بين صفوف المسلمين بالمدينة، وأخذوا يحيكون المؤامرات والدسائس، ويعملون على إيقاد نار العداوة والبغضاء بين قبيلتى الأوس والخزرج، فقد مر أحد زعمائهم على شباب من الأوس والخزرج، قد جمع الإسلام شتاتهم، ووحد تحت راية التوحيد صفوفهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا، بعد حروب مريرة وطويلة دارت رحاها بينهم فى الجاهلية، سفكت فيها الدماء، وقتل فيها من قتل؛ فغاظه ذلك فأرسل إليهم من شباب اليهود من ذكّرهم بالحروب التى دارت رحاها بينهم، وبخاصة موقعة (بعاث) التى انتصرت فيها قبيلة الأوس على الخزرج؛ فحميت نفوس القوم، وعلم الرسول ﷺ بأمر هذه الفتنة؛ فذهب إليهم وأمرهم بإلقاء السلاح وعانق بعضهم بعضا، وأيقنوا أنها كيد من عدوهم، ونزغة من الشيطان، وانصرفوا مع النبى ﷺ سامعين مطيعين، قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾(٢).

ومن أجل هذه المؤامرات أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة؛ فأجلى بنى قينقاع إلى الشام، وأجلى بنى النضير إلى خيبر، وذهب بعضهم إلى

---

(١) المائدة، آية ٨٢ .

(٢) آل عمران، آيات ١٠٠ - ١٠٣

الشام، وأجلى قبائل بنى قريظة؛ جزاء غدرهم وخيانتهم ونقضهم العهد مع الرسول ﷺ وانضمامهم سرًا إلى الأعداء فى غزوة الأحزاب، ثم جاء عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - فأجلى بنى النضير عن خيبر وطهّر جزيرة العرب من شرهم ورجسهم؛ فهم قتلة الأنبياء، وأكلة السحت، وعبدة العجل، وإخوان القردة والخنازير.

أما عداؤهم للدعوة الإسلامية، فقد تجلى فى أمور كثيرة، منها:

(أ) إنكارهم أن تكون هناك رسالة فى غير بنى إسرائيل، ولا ينبغى أن يكون الرسول من الأميين (والأميون: هم مَنْ عداهم).

(ب) إنكارهم البشارة بالنبى الأمى محمد ﷺ فى التوراة، بعد أن غيروا صفاته الموجودة عندهم فى التوراة، والتى تنطبق عليه تمام الانطباق؛ فحرفوا وبدلوا.

(ج) ظهر عداؤهم للنبى ﷺ والمسلمين فى صور شتى، ومظاهر متعددة فى الاستهزاء، قال - تعالى -: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[1].

وتجلى هذا العداء فى أبشع مظاهره فى محاولتهم اغتيال النبى ﷺ وهو فى ديارهم بإلقاء الحجر عليه، أو دسّ السمّ له، وعدم تعاونهم مع المسلمين فى تنفيذ المعاهدة التى أبرمها الرسول معهم بعد الهجرة، وفى نقضهم للعهد، وتحرشهم بإحدى نساء الأنصار فى السوق، وفى إيذاء المسلمين اقتصاديًا باحتكار السلع والثروة، وفى تآمرهم مع المشركين الذى أدى الى غزوة أحد، وفى تأليبهم الأحزاب حتى حاصروا المدينة فى غزوة الأحزاب، وفى حرصهم على إنشاء جبهة ثالثة لمحاربة المسلمين، وهى

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٨٦ .

جبهة المنافقين بقيادة عبد الله بن أبى بن سلول[١].

كما تجلى عداؤهم كذلك فى توجيه الأسئلة المتعنتة إلى رسول الله ﷺ؛ فمن ذلك ما حكاه القرآن الكريم عنهم فى قوله - تعالى -: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾[٢]، وقد روى فى سبب النزول أنه (جاء أناس من اليهود إلى رسول ﷺ، فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله، فأتنا أنت بالألواح من عند الله حتى نصدّقك؛ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ﴾[٣].

ومن قبيل أسئلتهم المتعنتة التى وُجِّهت إلى النبى ﷺ: سؤالهم إياه عن الروح، وعن طعام أهل الجنة، وغير ذلك، وقصدهم من وراء ذلك إحراج رسول الله ﷺ وتعجيزه والإساءة إليه.

هذا وقد حرص اليهود على العمل بكتابهم التلمود الذى وضعه حاخاماتهم بدلاً من التوراة المنزلة، وزعموا أنه أفضل من التوراة؛ لأن ما جاء فيه من تعاليم تحقق أغراضهم التوسعية التى تستهدف فى النهاية الاستيلاء على العالم كله، تحت تاج ملك واحد من نسل داود، كما قرروا ذلك فى أول مؤتمر للصهيونية عقد فى شهر أغسطس ١٨٩٧ م فى مدينة (بال) بسويسرا، وحضره ثلاثمائة يمثلون خمسين جمعية يهودية من أعتى عتاة الصهيونية العالمية، برئاسة الصحفى النمساوى الملقب بنبى الصهيونية (تيودور هرتزل).

---

(١) راجع: بسيونى رسلان، محاضرات فى الثقافة الإسلامية، مطابع الأنوار بالرياض، ص٤٥ - ٤٧ .
(٢) النساء: آية ١٥٣ .
(٣) النساء: آية ١٥٣ .

وما زال عداء اليهود مستمرًا إلى يومنا هذا: يقتلون أهل الإسلام، وينتهكون حرماتهم، ويروِّعون أمنهم، ويهلكون الحرث والنسل، ويعتدون على المقدسات.

وهذا العداء السافر ليس له ما يبرره؛ إذ وقف الإسلام منهم - فى بادئ الأمر - موقف الرحمة والسماحة، وأهم مظاهر هذا الموقف السمح ما يلى:

١ - وصف القرآن الكريم إياهم - على الرغم من انحرافهم وتحريفهم - بأنهم أهل كتاب، فقال - سبحانه -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[١] وقال - جل وعلا -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] وقال - سبحانه -: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٣]، فهذا الوصف فيه دلالة كبرى على تمييز القرآن لهم عن غيرهم من الوثنيين، والاعتراف بما جاءهم من الوحى الإلهى الذى كتموه وحرفوه، وكفروا به ألا لعنة الله على الكافرين.

٢- عدالة الإسلام فى أحكامه عليهم، فما وصفهم إلا بما فيهم من صفات سلبية - وهى كثيرة - أو إيجابية، ثم فرَّق - من قبيل العدل - بين فئة وفئة، يقول - تعالى شأنه -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم

(١) البقرة، آية ١٢١ .
(٢) القصص، آية ٥٢ .
(٣) آل عمران، آية ٩٩ .

مُّعْرِضُونَ﴾[١].

ويقول - سبحانه وتعالى -: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٢]، ففى الآية المذكورة تفريق بين فئتين من أهل الكتاب - اليهود والنصارى - فئة تعددت صفاتها السيئة قبل ذكر الآية، وهذه الفئة القائمة لله المؤمنة به.

٣ - دعوة الإسلام إلى مجادلتهم بالحسنى؛ حيث قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[٣].

٤ - إباحة الإسلام طعامهم وإجازة مناكحتهم؛ وذلك ما جاء فى قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[٤].

٥ - التعامل معهم بمقتضى قاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، فقد أجاز الإسلام التعامل مع اليهود والنصارى فى البيع والشراء وكافة المعاملات المشروعة؛ حيث قال - تعالى -: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٥]، وروى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: (اشْتَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إلى أَجَلٍ ثُمَّ رَهَنَ دِرْعًا لَهُ مِنْ

---

(١) البقرة، آية ٨٣ .
(٢) آل عمران، آية ١١٣ .
(٣) العنكبوت، آية ٤٦ .
(٤) المائدة، آية ٥ .
(٥) الممتحنة، آية ٨ .

حَدِيدٍ)[١]، وعنها قالت: «تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»[٢].

ولا شك أن هذه المظاهر تدل - فى وضوح - على قمة الرحمة والتسامح مع أهل الكتاب، ومنهم اليهود بطبيعة الحال، الذين يتوجب عليهم إزاء هذا التسامح العظيم والرحمة الفائقة - إن لم يقبلوا الإسلام دينًا لهم - أن يعاملوا أهله - على أقل تقدير - بمثل معاملتهم، ولكن الذى حدث على مر التاريخ هو العكس، فعاملوا المسلمين أسوأ معاملة، وأساءوا إلى الإسلام، وبخاصة اليهود، كما سبقت الإشارة.

وإزاء هذا العدوان والتعدى ونكران الجميل والجحود كان للإسلام موقف من هؤلاء، وهو موقف يتمثل فيما يلى:

١ - دعوة الإسلام إلى دفع أذاهم ورد كيدهم، ولهذا أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير وبنى قينقاع؛ حذرًا منهم على المسلمين وعلى الدعوة، لما بانت نوايا الغدر منهم بعد بدر وأحد، والقصة معروفة ومنشورة فى كتب السيرة، وقد أشرنا إلى طرف منها من قبل.

٢ - توخى الحذر منهم، خصوصًا وأن أكثرهم يبغى الإضرار بالمسلمين بأية سبيل؛ ولهذا نجد الحق - سبحانه وتعالى - يحذرنا منهم فى أكثر من آية، من مثل قوله - سبحانه -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[٣] ومرادهم هذا يدعونا إلى الحذر منهم، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ

(١) أخرجه البخارى (٢٦٨)، ومسلم (١٢٤/١٦٠٣) .
(٢) أخرجه البخارى (٢٩١٦)، (٤٤٦٧) .
(٣) البقرة، آية ١٠٩ .

﴿يُؤْفَكُونَ﴾[(١)].

٣ - مقاتلتهم إن اقتضى الأمر ذلك؛ فقد قال - تعالى -: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٢)].

فالإسلام ينصفهم إذا سالموا وعاشوا مع المسلمين فى سلام ووئام، أما إذا تعدوا وظلموا فلابد من الوقوف فى وجههم ودفع كيدهم ومقاتلتهم إن اقتضى الأمر ذلك.

خامسًا : فتح باب الإلحاد على مصراعيه :

بعد أن كفرت الوجودية بالعقائد الإيمانية، عشعش الإلحاد فى القارة الأوربية، وانتشر بين الشباب والشيوخ، وأقبلوا على كل دعوة وفلسفة، ضاربين بالإنسانية، وبالقيم الروحية وبالأديان، متحررين من كل قيمة وقيد، متبجحين بإنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - ونفى أن الله - سبحانه - هو الخالق الرزاق المحيى المميت، وأنه خالق الكون ومدبره.

والباحث عن أسباب الإلحاد قديمًا وحديثًا يدرك أن السبب الرئيسى للإلحاد فى كل عصر هو تأليه المحسوس، ونفى وجود الله - سبحانه وتعالى - إلا أن الإلحاد ظاهرة خطيرة غير عادية فى حياة البشر مما نتج عنه الضعف والغفلة والقصور والفراغ النفسى الذى يحيط بالمجتمع، وتجعل الباحث - أيضًا - يبحث عن أسباب أخرى للإلحاد فى أوربا منها[(٣)]:

١ - تحريف الكنيسة الأوربية لدين النصارى المنزَّل من عند الله:

فقد أنزل الله - سبحانه وتعالى - (الإنجيل) على سيدنا عيسى - عليه

---

(١) المنافقون، آية ٤ .

(٢) البقرة، آية ١٩٠ .

(٣) راجع: الشيخ/ محمد أبو زاهرة، محاضرات فى النصرانية، دار الفكر العربى، ص ١٩٠ - ٢٤٠ .

السلام - وأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى، وبين لهم الشرائع التى ينبغى أن تسودهم ويحتكمون إليها بأمر من عند الله - سبحانه وتعالى - قال الله - تعالى -: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[١]، وقال - تعالى -: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٢].

فقامت الكنيسة بالتحريف والتشويه لتعاليم الدين الإلهى من ناحيتين:

(أ) فى العقيدة حيث ألهت المسيح - عليه السلام - وجعلت الله ثلاثة بدلاً من واحد، باسم الأب والابن وروح القدس، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ...﴾[٣] الآية، وقال - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

(ب) فى الشريعة: حيث أبطلت الكنيسة الحكم بما أنزل الله إلا بعض الأحوال الشخصية، أما بقية أمور الحياة فقد سادتها قوانين رومانية، قال - تعالى -: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٥].

٢ : وقوف الكنيسة ضد الحركة العلمية:

وقفت الكنيسة موقفًا ظالمًا ضد الحركة العلمية التى بدأت تنشأ فى أوربا بعد احتكاكهم بالمسلمين فى الأندلس وإفريقيا وصقلية وجنوب إيطاليا الإسلامى، وذلك يرجع لأمرين[٦] هما:

(١) سورة المائدة، آية ٧٢ .
(٢) سورة المائدة، آية ١٧ .
(٣) سورة آل عمران، آية ٥٠ .
(٤) سورة المائدة، آية ٧٢ .
(٥) سورة المائدة، آية ٤٧ .
(٦) راجع: د. توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط٢، مكتبة مصر، =

(أ) خوف الكنيسة على مكانتها المقدسة فى نفوس الجماهير؛ فقد كانت الكنيسة قائمة على تعاليم وخرافات مفادها أن هناك أمورا لا يدركها إلا رجال الدين، ومن ثم على الناس الخضوع والانصياع لهم؛ فهم كفيلون بتقريبهم إلى الله ليغفر لهم ذنوبهم، ومن هذا المنطلق خشيت الكنيسة على مكانتها تلك بعد انتشار العلم وتفتح الناس.

(ب) خوف الكنيسة من انتشار الإسلام فى أوربا؛ فعندما أرسل الأوربيون أبناءهم إلى المدارس والجامعات الإسلامية، قاموا بنقل العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى القيم والمبادئ الإسلامية؛ فخشيت من انتشار الإسلام فقامت بمحاربة العلماء الأوربيين الذين تأثروا بعلوم المسلمين، حتى وصل بهم الأمر إلى التهديد بالقتل والتعذيب بالإحراق بالنار حتى الموت إذا لم يتراجعوا عن الأفكار الإسلامية.

وهذا فى حد ذاته انحراف خطير بالغ الأثر فى الحياة الأوربية؛ حيث نتج عنه ظهور (العلمانية)، التى من أهم نتائجها فصل العلم عن الدين، وإيجاد عداوة بين الدين والعلم، وبين المتعلمين ورجال الدين.

٣ - تسلط الكنيسة ورجالها:

طغت الكنيسة على أرواح الناس وعقولهم وأموالهم وأجسادهم، ففرضت عليهم احتكار الوساطة بين الناس وبين الله، وزعمت أن زعيمها البابا يضمن المغفرة للناس عند الله مقابل دفع مبلغ من المال، ويصدر صكوكًا سماها (صكوك الغفران)، وفرضت عليهم العشور فى أموالهم لتقديمها لرجال الدين، وفرضت عليهم السخرة؛ وهى العمل فى فلاحة الأرض المملوكة للكنيسة يومًا واحدًا فى الأسبوع دون مقابل، كما فرضت عليهم الخضوع المذل لرجال الدين.

= ١٩٥٨م، ص٢٦٧ - ٢٧٥ .

وكان لهذا كله الأثر البالغ فى تنفير الناس من الكنيسة، وبالتالى من الدين.

٤ - دور الصهيونية فى إفساد الحياة الأوروبية :

رغم ما قامت به الكنيسة من دور بالغ فى الإفساد والانحراف، إلا أن اليهود كان لهم الدور الأكبر فى دفع الفساد إلى الأمام، قال - تعالى -: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

ولا يخفى الدور الكامل الذى قام به اليهود فى إفساد الحياة الأوربية توطئة وامتدادا لإفساد الحياة البشرية جمعاء؛ فقد كانوا خلف كل نظرية ومذهب ومبدأ يدعو إلى التحلل من الدين والأخلاق والتقاليد.

وهم الذين نشروا الربا، وأغروا المرأة بالعمل بجانب الرجل فى المصانع، ونشروا المبادئ التى تحطّم كيان الأسر والمجتمعات، تحت شعارات زائفة كالحرية والإخاء والمساواة.

وانتشرت الجماعات الشاذة كجماعة الهيز والخنافس . . . إلخ من المفاسد والرذائل التى صاغها وأوجدها صهاينة العصر الحاضر.

هذه هى بعض الأسباب المؤدية للإلحاد فى أوربا.

والوجودية إحدى الحركات الهدامة التى نشأت فيها، وتنكرت للحقائق، وكفرت بالعقائد الإلهية، وبالقيم الإنسانية؛ ففتحت بذلك الباب على مصراعيه للإلحاد الذى هو ضَرْب من الانحراف الفكرى والميل عن الطريق المستقيم فى العقائد والشرائع الإلهية، وقد فعلتها الوجودية، فقالت فى الله قولاً آثمًا كافرًا فاجرًا، كما افترت على العقائد الإلهية التى تنزَّل بها وحى الله - تعالى - فأنكرتها وتنكرت لها، وقد وضَّحْتُ ذلك سلفًا بما لا

---

(١) المائدة، آية ٦٤ .

يدع مجالاً للتكرار الثقيل على النفس.

ولهذا نؤكد أن من أهم آثار الوجودية الفكرية فتحها الإلحاد على مصراعيه؛ مما أثر هذا الإلحاد فى نفوس الوجوديين تأثيرًا سلبيًا، حوّلهم إلى قطيع من السائمة لا همّ لهم إلا إرضاء شهواتهم، ولا أمل فى يوم أو غد، كما أفقد الإلحاد الإنسان الوجودى حصنه وملاذه، فإذا كان الإيمان حصن المؤمن فإنه لا حصن للوجودى؛ لأنه لا إيمان له.

أما الإسلام فإنه قد دعا أمته إلى البعد عن الكفر والإلحاد، وأقام حياتها على الإيمان بالله حصنًا وملاذًا، فإذا أصاب المسلم ضراء لاذ بحمى الله فوجد فيه أمنه وطمأنينته، وحارب الأوهام والخرافات، وشعر الإنسان المؤمن بمسئوليته أمام الله؛ ليندفع إلى أشرف الأعمال وأنبلها.

إن الوجوديين الذين فتحوا باب الإلحاد هم من المجرمين الشهوانيين، والمستكبرين المغرورين؛ ذلك أنه قد تطغى على الإنسان شهواته وملاذّه وأنانيته، فيحاول الهروب من بعض الحقائق التى يشعر بها فى قرارة نفسه؛ إرضاء لغرائزه وشهواته التى أخذت صبغة الانحراف والشذوذ، أو إرضاء لأنانيته فى كبره واستعلائه وحبه للسيطرة والإجرام؛ لأن الإلحاد بالله وإنكار وجوده - بعد وضوح الدلائل - ليس إلا تهربًا من الفضيلة والحق والخير والجمال؛ لتبرير أعمال الرذيلة والظلم والقبح وقلب الحقائق، وإرضاءً للنزوات والغرائز والشهوات الجانحة الجامحة.

إن الملحد ليلحد بالله الحق، ثم تراه يجرى وراء أوهام تافهة لا حقيقة لها فى الواقع؛ على توهم أن لديها بعض اللذائذ والشهوات النفسية، أو بعض الإصلاح الفردى أو الجماعى.

إننى أتساءل ما هو شعور أى وجودى ملحد إذا تراكبت عليه الهموم والأحزان والمصائب، وصدمته المخاطر من كل جهة، فلم يجد سببًا ماديًا

ينقذه؟.

إن هذه المخاطر والمصائب التى تحصل للوجوديين الملحدين، والتى لا يجدون لها سببا ماديًا، هى من أعظم التجارب التى تكشف عن فطرتهم الأولى السليمة الصافية، والتى دخل إليها - فيما بعد - دخيل الفساد والشذوذ والإجرام.

إن هذه التجارب لتكشف عن فطرتهم، فيعلنون - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - أن الله وراءهم محيط، هو الواحد العليم، القادر المريد، المتصرف بكل شىء.

إنهم ينادون الله بعد إلحاد، ويلتمسون إنقاذه وعونه بعد كفر، ثم إن الله تعالى - كدليل على وجوده وقدرته واستجابته لدعوة المضطر إذا دعاه - ينقذهم وينجيهم، حتى إذا وصلوا إلى شاطئ السلامة، ووضعوا أقدامهم على البر الآمن - فى نظرهم - إذا هم يكفرون ويعودون إلى سيرتهم الأولى.

تلك هى نفوسهم المجرمة، التى لم تلحد بالله لأنها لم تجد الدليل على وجوده، ولكنها ألحدت به لترضى استكبارها وشهواتها، فهى لا تذعن إلى الله إلا فى الشدائد والمآزق، فإذا أنعم عليها وأنجاها ألحدت به.

وقد صور الله حال الكافرين فى قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا﴾[1]، وفى قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

(١) الإسراء - آية ٦٧ .

ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

وحين يلحد الوجوديون ويفتحون باب الإلحاد فإنهم لن يضروا الله شيئًا، ولكنهم يخسرون أنفسهم، ويخسرون سعادتهم، ويخسرون مجدهم وعزتهم وقوتهم فى الحياة الدنيا، وهذا ما اعترف به عقلاء الشعوب التى كفرت بربها.

هذه أهم الآثار العقدية والفكرية لهذا الفكر الهدّام، وننتقل الآن إلى الآثار النفسية والجسدية.

* * *

(١) يونس - آية ٢١ - ٢٣ .

الفصل الثانى

الآثار النفسية والجسدية

ويشتمل على خمسة مباحث :

أولاً: إشاعتها القلق.

ثانيا: إشاعتها الخوف.

ثالثا: إشاعتها الفوضى.

رابعا: دعوتها إلى الانتحار.

خامسا: انتشار الأمراض الفتاكة.



الفصل الثانى
الآثار النفسية والجسدية

للوجودية آثار نفسية وجسدية مدمرة، فهى مرض خطير ينتاب الإنسانية، عليها أن تحاول الخلاص منه، وهى ذات مضار لا يقتصر مداها على الفرد وحده، بل يمتد إليه وإلى المجتمع من حوله. كما لا يقتصر أثرها على المجتمع المعتنق لمبادئها الهدامة، بل إنه ليمتد إلى المجتمعات التى يشاع فيها إفكها. وهذه إشارة موجزة لبعض آثار الوجودية النفسية والجسدية.

أولاً: إشاعتها القلق:

لقد دعت الوجودية إلى القلق واعتبرته حالة طبيعية فى الإنسان، فالذى لا يقلق لا يعتبر - فى منظورهم - طبيعى الوجود أو مستقيم الخلقة.

ومن أهم نتائج قلقهم: التوهم النفسى أو الجسمى، والاستهتار بالحياة، وكلها - على حد زعمهم - أمور طبيعية[١].

ولكن ينبغى أن يكون واضحًا أن كلمة القلق لا تعنى بدقة معنى واحدًا عند كل كاتب يستخدمها؛ فكل من كيرك جورد وهيدجر وسارتر يفهم القلق على نحو مختلف بعض الشىء، ومع ذلك فهناك تقارب وثيق بينهم، وقد اعترف الأخيران صراحة بأن الفكرة مستمدة من كيرك جورد.

ويتفق هؤلاء الكتاب جميعًا على أن القلق يكشف بطريقة خاصة عن الوضع الإنسانى، وجميع تحليلاتهم للقلق ترى فيه مفتاحًا لفهم الوجود الإنسانى، وينكشف هذا الوجود بوصفه ينطوى أساسًا على مفارقة إن لم يكن عبثًا، فهناك توتر فى قلب الوجود البشرى[٢]؛ ولذلك يقول سارتر:

---

(١) راجع: د. خليل أحمد خليل، السارترية تهافت الأخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ص٤٣

(٢) راجع: جون ماكورى: الوجودية، ص٢٣٨ وما بعدها .

(هناك كثير من الناس ليسوا فى الواقع قلقين)، ولكننا نتهمهم بإخفاء القلق وبالهرب منه . . . وليس القلق مما يؤدى إلى السكون والخمول، بل هو قلق بسيط يختبره كل الذين تحملوا مسئوليات . . . إن هذا القلق الذى تصفه الوجودية يفسر بمسئولية مباشرة تجاه بقية الناس الذين يلزمهم القلق ذاته، إنه ليس بحاجز يفصلنا عن العمل، بل هو جزء منه)[١]، وهناك علاقة وثيقة بين القلق والحرية التى نادى بها الوجوديون؛ فالحرية تجعل الإنسان يختار، وهذا الاختيار نفسه لممكن واحد بين عدة ممكنات يصيبه بالدوار، فالقلق دوار الحرية.

ونحن - من غير شك - ينتابنا القلق حينما نصدر قرارًا؛ لأن القرار يتضمن المخاطرة باختيار أحد الممكنات ونبذ كل الممكنات الأخرى والتى تظهر فى موقف ما.

ولكن قلقنا يختلف عن قلق الوجوديين؛ فقلق المسلم ليس قلقا دائمًا، بل قلق منضبط بضابط الإيمان واليقين والتوكل على الله - جل وعلا - الخالق البارئ المدبر.

والمتمعن فى منشأ هذه الدعوة عندهم يدرك أنه راجع إلى:

١ - إنكارهم الإله :

إذ إن الإيمان بالله - تعالى - يربط على القلوب المؤمنة، فيودع فى سويدائها يقينا يبعدها عن القلق والحيرة والاضطراب، حتى لو لم يتبين المؤمن الحكمة مما دعاه ربه إليه، كأم (موسى) - عليه السلام - التى أمرها ربها - خافت على وليدها - أن تلقى به فى اليم حين ربط الإيمان على قلبها، قال - تعالى -: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

---

(١) الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة حنا دميان، ص٢٠ - ٢٣ .

ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[١]، بعد أن ربط الله على قلبها فكانت من المؤمنين بحفظ الله - تعالى - ونصره وتأييده، قال - تعالى -: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

وهكذا يفعل الإيمان فى نفوس المسلمين فيغرس فيها الطمأنينة واليقين والثقة، بل إن الإنسان إذا ذكر ربه وهو فى أحلك الأوقات رشح ذلك عليه اطمئنانًا ويقينًا، قال - تعالى -: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[٣].

٢ - عدم إيمانهم بالأمور الغيبية :

عدم إيمانهم بالأمور الغيبية، وفصلهم الحياة المادية عن الحياة الروحية، فقد أقرت الوجودية عالم الحس والمشاهدة؛ لأنهما واقعان ملموسان، وتنكرت وجحدت عالم الغيب، فأوردها ذلك قلقا وحيرة واضطرابًا؛ ذلك لأن الإيمان بالغيب يؤدى إلى الثقة والاطمئنان والرضا بما قسم الله فى هذه الحياة، حتى وإن كان نزرًا يسيرًا، فإن الإنسان إن لم ينل حظه كاملاً فى الدنيا فأجره موفور فى جنة عرضها السموات والأرض أُعِدّت للمتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذا على نقيض الإسلام تمامًا الذى دعا أمته إلى الإيمان بالغيب فأورثهم أمْنًا واطمئنانًا وقناعة بعدت عن القلق والحيرة والاضطراب.

والإيمان بالغيب يشمل كل ما كان غائبا عن الحواس، ومن أهمها:

(أ) الإيمان بالملائكة: قال - تعالى -: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٤].

(ب) الإيمان بالجن: قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا

(١) سورة القصص، آية ٧ .
(٢) سورة القصص، آية ١٠ .
(٣) سورة الرعد، آية ٢٨ .
(٤) سورة البقرة، آية ٢٨٥ .

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

(ج) الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به من حقائق الموت، وأشراط الساعة، ويوم القيامة وأحداثه.

ثانيًا: إشاعتها الخوف:

الخوف هو اضطراب النفس من شيء معين، وهو يخالف القلق الذى هو اضطراب النفس من كل شيء.

وإذا كان الإيمان هو الأمان، فإن نفى الإيمان نفى للأمان، ونفى الأمان يؤدى إلى الخوف.

والوجودية - بنزعتها الإلحادية - قد أعلنت أنها ضد الإيمان بكل صوره وأشكاله؛ مما أشاع الخوف، ونشره بين الناس المنتسبين إليها.

فإنسان الوجودية يخاف من نفسه ومن يومه، ومن غده؛ لأن الأمر كما يقول الشاعر محمد إقبال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها بديلا

إن المؤمن قد سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ولنا فى قصة إبراهيم - عليه السلام - الدرس الكبير والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة؛ حيث دعا إلى توحيد الله وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦ .

﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، وقد حكم الله بين الفريقين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢].

والظلم هو الشرك، كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وبذلك يكون الجحود بالله أو الشك فيه أو الشرك به أعظم أسبابه إشاعة الخوف والاضطراب والرعب؛ مصداقًا لقوله - تعالى -: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾[٤].

والوجوديون الملحدون أكثر الناس خوفًا وإن أبدوا خلاف ذلك؛ فهم يخافون الزمن والكوارث والفقر والمرض والناس.

ثالثًا - إشاعتها الفوضى :-

الوجودية مذهب يعنى بعدم وضع الضوابط والأنظمة التى تهذب مسار الإنسان فى الحياة، كما أنها مذهب يتنافى تمامًا مع وجود قيم عامة يلتزم بها أفراد البشرية جمعاء، واعتبار كل فرد أمة بذاته هو الفوضى بذاتها، التى تؤدى إلى الهلاك والاضطراب.

يقول الأستاذ العقاد: (أما الوجودية فالاضطراب فى قواعدها أشد من الاضطراب فى قواعد الفوضوية؛ لأنها وجوديات كثيرة، لا وجودية واحدة، وربما تناقض الفيلسوفان الوجوديان فى العصر الواحد والبلد الواحد، كما يتناقض الإيمان العميق والإلحاد السافر، أو كما يتناقض الزهد والإباحية، ولعل الكثيرين لا يفهمون منها إلا اللغط عن الإباحية الأخلاقية

---

(١) سورة الأنعام، آية ٨١ .
(٢) سورة الأنعام، آية ٨٢ .
(٣) سورة لقمان، آية ١٣ .
(٤) سورة آل عمران، آية ١٥١ .

المنطلقة من جميع القيود، فيقبلون عليها؛ لأنها سند فلسفى يسوغون به ضعفهم وانحلالهم، وهم يخجلون - أو ينبغى أن يخجلوا - من الضعف والانحلال بغير سند منسوب إلى الفكر والفلسفة)[١].

والإسلام ضد الفوضى والاضطراب تمامًا، فقد جاء بتشريع حكيم انتظم سلوك الفرد والمجتمع، وتساوى أمامه الوزير والخادم، فسرى حكمه عليهم جميعًا على بساط المساواة.

ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثل الرائع حيث قال: (وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[٢].

بل إن الإسلام ليدعو القاضى المسلم إلى إشاعة الحق حتى لو كان الحق فى جانب عدو لدود للقاضى، قال - تعالى -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٣]، فأدى ذلك بالأمة المسلمة إلى وجود نظام متكامل امتد خيره وبره، فنظم حياة المسلم الفرد فى تعامله مع خالقه، وفى تعامله مع دينه، وفى تعامله مع مجتمعه، وفى تعامله مع أخيه الفرد المسلم، وفى تعامله مع غير المسلم من معاهد وذمى ومستأمن ومحارب.

رابعًا: دعوتها إلى الانتحار:

من أعظم آثار الوجودية النفسية والجسدية المدمرة دعوتها إلى التخلص من الحياة بالانتحار؛ ولذلك يعد الانتحار ظاهرة منتشرة فى المجتمعات الأوربية، فالنظر نحو المادية المفرطة، وتفكك الروابط الأسرية،

---

(١) عباس العقاد، كتاب أفيون الشعوب، دار الكتاب اللبنانى، ص٣٩٥ .

(٢) أخرجه البخارى: الحدود (٨٦) باب (١٢) كراهية الشفاعة فى الحد (٨/ ١٦) عن عائشة. ومسلم: الحدود (٢٩) باب (٢) قطع السارق الشريف (٣/ ١٣١٥) حديث (١٦٨٨) .

(٣) سورة المائدة، آية ٨ .

والعلاقات الاجتماعية، وانتشار الأمراض الفتاكة - أوجد إحساسا بالضياع، وانهيارًا نفسيًا ينتهى بالانتحار، والهروب من جحيم تلك الحضارة وويلاتها.

والوجودية الوجه الاجتماعى الغربى برغم أنها تدعو أبناءها إلى أنه لا حياة لهم سوى هذه الحياة، وأن عليهم أن يعيشوها كما يحلو لهم أن يعيشوها - إلا أنها دفعتهم بمنهجها المعتل إلى اليأس والقنوط والقلق، ثم دعتهم فى النهاية إلى التخلص منها بالانتحار، يقول (كامى) أحد زعماء الوجودية: (ليس ثمة إلا قصة واحدة تتمتع حقًا بصفة الجدّ وهى قصة الانتحار)[١]، ويقول عبد الرحمن بدوى: (... هذه الشخصيات الغريبة الشائقة بأقوالها وأفعالها، وبخاصة فعلها النهائى الحاسم الذى قضت به على حياتها، فكانت فعلة وجودية من الطراز الأول، لابد أن تكون قد قامت على أسس وجودية، ونعنى بذلك انتحاره بقطعه أحد شرايينه، وهو عمل إرادى واعٍ لنفسه لا نكاد نجد له مثيلاً فى تاريخ الفكر العربى)[٢].

وخير شاهد على ما قلته - أيضا - مسرحيات سارتر وكامى اللاتى تنتهى فيها حياة أبطالها بالانتحار تارة، وبالقتل تارة أخرى.

وإذا كانت المسرحيات أقوم الطرق لدى الوجوديين لنشر أفكارهم، تأكد استدلالى بالمسرحيات على دعوة الوجودية إلى الانتحار أو القتل تخلصًا من هذه الحياة.

ولعل الذى دفع الوجودية إلى ذلك هو الهمّ واليأس والقنوط، وما قيمة حياة هكذا شأنها، إن الموت أفضل منها - فى نظر الوجودية - التى تدعو إلى العدم الذى يتزعم الدعوة إليه (مارتن هيدجر) أحد أعمدة الوجوديين، وليس ذلك بمستغرب على الوجودية التى جعلت العدم من مقولاتها

(١) كامى، نقلاً من كتاب (الدعوات الهدامة) أنور الجندى، هامش ص ١٩٤ .
(٢) عبد الرحمن بدوى، الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، ص١٠٣ .

الرئيسية، والتى تتناقض مع نفسها فى كل شىء؛ إذ كان المتبادر إلى الذهن أن الوجودية تدعو إنسانها إلى التكالب على الحياة التى لا حياة له سواها - بزعمها - والتى بمغادرتها يتحول إلى رماد تذروه الرياح، ويفقد ذاته وأناه كما يشيعون، ولكنها تناقضت مع نفسها فأتت بما لا تشتهى السفن.

وللتعرف على ما تعيشه الشعوب الغربية من قلق واضطراب نفسيين وخواء روحى، وضيق أفق نتيجة البعد عن منهج الله، والنظرة المادية القاصرة للكون والحياة، أنشر ما كتبته إحدى المجلات الأمريكية، (فقد أجرت مجلة «المراهق الأمريكية» مسحًا بين عينة من الصبية والفتيات فى فئة السن بين ١٥ و ١٩ عامًا؛ لاستطلاع مشاعرهم تجاه ظاهرة الانتحار المتزايد فى المجتمع الغربى. . . المسح الذى شارك فيه أكثر من ٥٠٠ صبى وفتاة جاء بنتائج مفزعة تقول: إن الثلث ممن وجهت إليهم الأسئلة حاولوا فعلا التخلص من حياتهم بعد أن استسلموا لليأس والقنوط . . . وينتهى المسح - أيضًا - إلى أن ٧٣% من الشباب والمراهقين فكروا فى الإقدام على الانتحار مرة أو أكثر خلال حياتهم.

ويشير الاستطلاع إلى ظاهرة خطيرة أخرى، وهى أن غالبية من حاول الانتحار من الفتيات فى أخطر مراحل العمر وأحوجها إلى الجو النفسى الأسرى.

وفى اليابان - حيث التقدم الصناعى والقفزات المادية السريعة - أفاد تقرير رسمى نشر بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٨٧م أن ٨٠٢ من الشباب اليابانى المراهق قد انتحروا فى العام الماضى مما يشكل زيادة بواقع ٤٤% عن العام الذى سبقه.

وقال تقرير وكالة الشرطة القومية: إن ٢٩٩ فتاة قد انتحرت خلال عام ١٩٨٦م وذلك بزيادة ٦و٩% سجلت أعلى رقم قياسى.

وذكر التقرير أن مشاكل المدارس كانت حافزا لانتحار ٢٠٧ شاب، تليها

المشاكل العائلية التى أودت بحياة ١٠٧ أشخاص، والمشاكل الغرامية التى ذهب ضحيتها أكثر من ٩٠ شخصًا)[١].

موقف الإسلام من الانتحار:

قرر الإسلام أنه ليس للإنسان أن يقدم على الانتحار أو يتسبب فى قطع أحد أعضائه؛ لأن نفس الإنسان فى الإسلام ليست ملكًا له، بل هى ملك لله أودعها فيه أمانة لاستخدامها إلى أجل مسمى، وما أوتيها الإنسان ليعبث بها أو يقضى عليها بيده.

كما بين الإسلام أن للإنسان أجلًا لا يعدوه، وأن الذى يملك حياته هو الذى يملك موته، ويقدر أجله، وبذلك حرم الإسلام على الإنسان قتل نفسه؛ لأنه لا يملكها وهو تصرف فيما لا يملكه، فكانت النار عقوبة له، قال - تعالى - فى الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ: كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فخذ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى «بَادَرَنِى عَبْدِى بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجنَّةَ»[٢].

والإسلام حفظ لأهله الدين والنفس والعقل والنسل والمال؛ لذا جعل حرمة دم المسلم أشد من حرمة الكعبة، قال ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هَذَا . . . إلخ الحديث»[٣].

كما رصد القتل عقوبة زاجرة لردع من تُسَوّل له نفسه القيام بجريمة القتل ليستبقى الحياة التى تدعو الوجودية إلى إنهائها بالانتحار، قال - تعالى -:

(١) مجلة البيان التى تصدر عن المنتدى الإسلامى (لندن، العدد الثامن من صفر ١٤٠٨هـ، ص٩٦ - ٩٧).

(٢) أخرجه البخارى: الأنبياء (٦٠) باب (٥٠) ما ذكر عن بنى إسرائيل (٤/ ١٤٦) عن جندب ابن عبد الله.

(٣) البخارى: العلم (٣) باب (٩) قول النبى ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع (١/ ٢٤) عن أبى بكرة. ومسلم: القسامة (٢٨) باب (٩) تغليظ تحريم الدماء (٣/ ١٣٠٦)، (١٦٧٩) عن أبى بكرة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

كما رصد الإسلام حد الحرابة لمن تسول له نفسه إحداث الفوضى وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث والنسل، قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

بهذه السبل وبغيرها مما غفلتُ عن ذكره مخافة الإطالة، ومما لا يخفى على ذى بصيرة - حافظ الإسلام على النفس وحرم سفك الدماء إلا بحق الله، ودعا أمته إلى عمارة الكون والبعد عن تمنى الموت لضرّ يصيب المؤمن.

لكنها الوجودية التى وصلت إلى أعلى درجات اليأس والقنوط بدعوتها إنهاء الحياة متى استبطئ الموت بهذه الطريقة الفجة المجرمة.

خامسًا: انتشار الأمراض الفتاكة:

من آثار الوجودية النفسية والجسدية انتشار الأمراض الفتاكة التى لم نسمع عنها إلا فى بلاد هى المرتع الخصب للوجوديين أو من نحا نحوهم.

فقد انتشر مرض (الإيدز) الذى أدى إلى تدمير خلايا الجسد بعد فقد مناعتها تدميرًا كاملاً، والذى هو نتيجة واضحة للعلاقة الجسدية المشبوهة.

لقد أصبح هذا المرض الشغل الشاغل لأجهزة الإعلام الغربية، وأصبح يمثل الرعب الجديد الذى ساد حضارة القرن العشرين.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٩ .

(٢) سورة المائدة، آية ٣٣ - ٣٤ .

وأصبح اسم (الإيدز) مماثلا لاسم (الطاعون) الأسود فى القرن الثامن عشر الميلادى والقرون التى قبله، عندما كان الطاعون يقضى على عشرات الملايين من البشر.

وفيما يلى إحصائية توضح مدى انتشار هذا المرض، حيث أكدت تقارير منظمة الصحة العالمية أن هناك ٧٥ قطرا ظهرت فيها حالات الإيدز[١].

يقول الدكتور/ محمد على الباز: (وفى عام ١٩٨٢م بلغ عدد الإصابات ٨٨٣، وفى نهاية عام ١٩٨٣م كان الرقم قد قفز إلى ٣٠٨٣ حالة، وفى العام التالى ١٩٨٤م كان الرقم قد وصل إلى ٦٦٢٠ حالة، وبنهاية عام ١٩٨٢م وصل الرقم إلى ١٧٠٥٠ حالة)[٢].

ونتيجة لهذه الزيادة المطردة على هيئة متواليات هندسية فى حالات الإيدز، فإن الهلع والرعب أخذ يدب فى أوصال المجتمعات الغربية، وأخذت الصحف والمجلات تنشر مظاهرات الشاذين جنسيًا وهم يطالبون حكوماتهم بأن تحميهم من الطاعون الجديد الإيدز[٣].

ولقد أصيب الشاذون جنسيًا بالهلع؛ لأنهم يتوقعون أن يهجم الإيدز عليهم فى أى لحظة، وقد اختلفت ردود أفعالهم نحو هذا المرض الذى يفتك بهم بصورة خاصة: فأصيب الكثير منهم بالكآبة بل وأقدم بعضهم على الانتحار، وأصيب بعضهم باليأس والإحباط وغيرها من الأمراض النفسية، كما انتشرت الأمراض الاجتماعية التى لا علاج لها: كظهور (جماعات

---

(١) راجع: د. محمد على الباز (الأمراض الجنسية)، دار المنار، جدة، ص١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق، ص١٣٥ ، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط فى ٤٧/ ١/ ١٩٨٦م، نقلاً عن منظمة الصحة العالمية .

(٣) بلغ عدد الذين توفوا بسبب الإيدز فى عام ١٩٩٠م ٢٤١٢٠ شخصًا بزيادة ٢٠٣٨ عن الذين توفوا فى عام ١٩٨٩م بسبب هذا المرض والذين بلغ عددهم ٢٢٠٨٢ شخصا. أعلنت ذلك وزارة الصحة الأمريكية. راجع: جريدة عكاظ، العدد ٩٣٠١ فى ٥/ ٧/ ١٤١٢هـ .

الهيبز) الذين سيكونون - بمشيئة الله - مصدر دمار الغرب؛ لنشرها مبادئ هدامة لا يستقيم معها دولاب العمل فى هذه الحياة أبدًا، ولا تنهض بها مجتمعات، ولا يظل بها صالح على صلاحه.

موقف الإسلام من انتشار الأمراض:

عالج الإسلام مسألة انتشار الأمراض علاجًا حاسمًا حكيمًا يتمثل فيما يلى:[١]

١ - أمر بالإحصان، قال الله - تعالى -: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[٣].

وللإحصان وسائل أهمها:

(أ) الإسلام والإيمان: فإذا ما دخل المرء دائرة الإسلام والإيمان فقد تحصن أول حصونه وأهمها ضد الشيطان، وانتقل المؤمن من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن، وإذا ما تقوى إيمانه آتاه الله التقوى، وهى أن يتقى محارم الله، ويتجنب سخطه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٧ - ٤١٢ .

(٢) سورة النساء، آية ٢٤ - ٢٥ .

(٣) سورة التحريم، آية ١٢ .

(ب) الزواج: وقد حث الإسلام على الزواج ورغب فيه أيما ترغيب، ونهى عن كل طريق غير طريق الزواج، قال الله - تعالى -: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾[1]، وقال - تعالى -: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾[2]، وقال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يستطِعْ فَلْيَصُمْ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاء»[3]، وقال ﷺ: «النِّكَاحُ سُنَّتِي وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[4].

فالزواج حصن حصين ضد هذه الأمراض الجنسية المنتشرة فى عالم اليوم.

(ج) العفة ومرجعها تقوى الله وخوفه ومراقبته وإفراغ القلب من وسواس الشهوة إذا هاجت بوضعها فى موضعها الصحيح؛ وذلك بإتيان أهله، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ»[5].

كذلك منْعُ الاختلاط بين الرجال والنساء، وغَضّ البصر وعدم التبرج، وعدم الخضوع بالقول، وقفل باب دواعى الزنى ووسائل الإعلام الفاجرة.

٢ - حارب الإسلام انتشار الأمراض: فأوجب مكافحتها، ونهى عن الفواحش الظاهرة والباطنة، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

---

(١) سورة النور، آية ٣٢ .

(٢) سورة النساء، آية ٣ .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم: البخارى: كتاب الصوم ص١٠١ على فتح البارى. وصحيح مسلم: ٢/ ٨٠٦ كتاب الصيام .

(٤) أخرجه ابن ماجه فى سننه كتاب النكاح، باب ما جاء فى فضل النكاح، م١ ص٥٩٢ ح١٨٤٦، وقد صححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة بشواهده رقم ٢٣٨٣ .

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت فى نفسه إلى أن يأتى امرأته أو جاريته فيواقعها، م٢ / ح١٤٠٣ ص١٠٢١ بنحوه .

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(١).

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾(٢)، وقال - تعالى -: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بها إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا)(٤).

ومنع - سبحانه وتعالى - كل ما يؤدى إلى الفاحشة أو الترويج لها، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

وفرض سبحانه وتعالى عقوبة شديدة على الزناة، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦)، هذا إذا كانا غير محصنين، أما المحصن فعقوبته الرجم.

هذه أهم الآثار النفسية والجسدية المدمرة التى أحدثتها الوجودية فى المجتمعات الغربية، والآن ننتقل إلى الفصل الأخير: وهو الآثار الأخلاقية والاجتماعية.

* * *

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١ .
(٢) سورة الإسراء، آية ٣٢ .
(٣) سورة النور، آية ٣ .
(٤) أخرجه ابن ماجه: الفتن (٣٦) باب (٢٢) العقوبات ٢/١٣٣٢ ح (٤٠١٩) عن ابن عمر .
(٥) سورة النور، آية ١٩ .
(٦) سورة النور، آية ٢ .

الفصل الثالث

الآثار الأخلاقية والاجتماعية

ويشتمل على أربعة مباحث:

أولاً: تدمير الأخلاق.

ثانيا: الصراع بين الفرد والمجتمع.

ثالثا: زرعها الأنانية المفرطة فى الإنسان.

رابعا: تفكك الأسرة.



الفصل الثالث
الآثار الأخلاقية والاجتماعية

للوجودية آثار أخلاقية واجتماعية مدمرة تتمثل فيما يلى:

المبحث الأول: تدمير الأخلاق:

لقد دعت الوجودية إلى الفساد والانحلال الخلقى، فأباحت الجنس، وأشاعت الزنى، وقد تمثل ذلك فى أفكارهم وسلوكهم، والذى مارسه رائد الوجودية (سارتر) عمليا مع عشيقته (سيمون دى بوفوار) اللذين عاشا تحت سقف واحد سنوات عديدة دون زواج أو أى ارتباط شرعى أو قانونى، بل أعلنا - نعوذ بالله - اتصالهما الجنسى مع رفضهما الزواج والعقد الشرعى[(١)].

وكلمة (العيب) ليس لها حساب أو تقدير عند الوجودى؛ لأنه لم يفعل إلا ما دعته إليه نفسه، وهو على استعداد لاحتمال نتائج ذلك بلا حرج، وعليك أنت أن تسمى هذا عيبًا أو إثما أو اتباعًا للهوى، فأنت حر، كما أنه - أيضا - حر، وله شأنه فى انطلاقه الذى يراه، فالوجودى قد وجد ما يأسر لُبَّه، ويثير شهيته لممارسة ما تستنكره الفضائل؛ لأنه وجد فى الوجودية صكًا يبارك له نزواته، يقول سارتر: (إن خير الإنسانية هو ما يراه الإنسان أنه خيرها، فإذا رأى أن الخير الإنسانى يكمن فى الانضمام إلى الكاثوليكية فهو صحيح من الناحية الوجودية المنطقية، وإذا رأى العكس فهو صحيح كذلك، إن كل ما تطلبه منا الأخلاق الوجودية هو أن نقرر فحسب)[(٢)].

---

(١) راجع: د. على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ص١٤٨ .

(٢) سارتر، نقلاً من كتاب (فلسفة الأخلاق فى الإسلام) محمد جواد مغنيه، دار الجواد، بيروت، ص٣٨

إن الأخلاق الوجودية إباحية شيطانية؛ لأن الشيطان قد تعهد بتزيينها وترويجها، فتقتحم قلوب الشباب المتفسخ المتمزق بلا استئذان ومن غير عسر وحرج، حيث الجاذبية فى الشهوات والملذات أقوى منها فى أى شىء آخر، فهو سيقع تحت سيطرة الغرائز والهوى؛ لأنه قد ضرب عرض الحائط بالدين والقدوة والفضيلة.

لقد قال سارتر فى كتاب (الوجود والعدم) ما معناه: أن الإنسان يبرر كل فعل يقدم عليه، أو يحجم عنه، فإذا أراد الانتحار صاغ كلامًا منسقًا يحتمه ويوجبه، ونفس الشىء إذا حرص على حياته، وقد يدمن الخمر والقمار فيخلق لنفسه الأعذار، فإذا أقلع عنهما جمع عشرات الأدلة على خير ما صنع، وإذا عاد إليهما كما كان وزيادة ألبس الأدلة ثوبًا جديدًا يبرر العودة والأوبة!!.

ومن هذا المنطلق نقول: إن الأخلاق الوجودية ضلال وخيال لا أصل لها فى الواقع ولا أساس، ومن العجيب الذى هو أوضح الأمثلة على تدمير الوجوديين للأخلاق أنهم يرون أن (زليخا) امرأة العزيز التى راودت فتاها يوسف هى مخلوقة وجودية بدرجة كاملة؛ لأنها بمنتهى الحرية والصراحة - حسب زعمهم - عبرت عن ذاتها بمحاولة ممارسة أحاسيس وجودها، أما يوسف فليس وجوديا على الإطلاق؛ لأنه لجأ إلى الفرار من نفسه مستنجدًا ومستغيثًا بقوة خارجية منقذة: بالله، سبحانه وتعالى.

هكذا وقع الإنسان الوجودى فى سقوط خلقى فَقَد معه طعم حياته ولذة وجوده، فغاض ماء الحياء من وجهه فأصبح عربيدًا، فاحشًا متفحشًا، وغار معين الكرامة الآدمية فيه فصار لا غيرة له ولا شهامة ولا كرامة ولا مروءة، أَلِفَ الغدر والخيانة، وتعوّد الجريمة، ومرد على التضليل والخداع، فساءت المجتمعات البشرية، وهبطت فيها الحياة إلى أبعد حدود الهبوط والسقوط.

كما أن الأخلاق عندهم نسبية تختلف من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر، فليس لها ضوابط ثابتة، ولا حدود مرسومة، فللإنسان أن يتخلق بما يراه خلقا له حتى وإن كانت رذائل الأخلاق: كالكذب والنفاق والزنى والفساد، وقد لا يوافقه عليها غيره، لكنها فى نظره على صواب، وفى أمثالهم يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

كما أنه لا مصدر للأخلاق عندهم من عرف أو دين أو قانون.

فمصدر أخلاق الفرد هو الفرد نفسه، ومصدر أخلاق الأمة هى الأمة نفسها، ومن هنا تضاربت أخلاق الوجوديين، وتعددت اتجاهاتهم بتعدد المنتسبين إليها، لكن يجمعها كلها الفجور والفسق والعصيان، كما يشهد بذلك اختلاف أخلاق رواد الوجودية قديمًا وحديثًا، ودعوتهم إلى التحلل من القواعد الأخلاقية.

ولقد أثر هذا الاتجاه المعوج للوجودية كثيرًا فى حياة الفرد الوجودى وفى مجتمعه كذلك، وكلها - بلا شك - آثار سلبية تؤدى إلى فساد الحياة وتدميرها. من ذلك ما يلى:

١ - انحلال المجتمع:

فقد أدت دعوات الوجودية إلى رذائل الأخلاق وإلى انحلال الفرد والمجتمع، وأكبر شاهد على ذلك ما عليه أوربا الآن، تلكم القارة التى تزعم لنفسها أنها خير قارات العالم الست، بل إنها تترفع بنفسها أن تكون من الطينة التى خلق الله - تعالى - العالم منها.

هذه القارة هى التى تصدر الفساد الخلقى بشتى صوره إلى العالم بأسره؛

---

(١) سورة فاطر، آية ٨ .

فمنها انطلقت دعوات الإباحية المفرطة، والأنانية البغيضة، واستباحت أموال الآخرين وأنفسهم وأعراضهم، وبسلوكها المعوج انتشرت فيها الأمراض الفتاكة التى لم يعلم العالم بهما إلا حين نشرت بؤرتها الخلقية الفاسدة.

٢ - الإباحية المطلقة:

لقد دعت الوجودية إلى إشاعة الجنس بين الناس، وبلغ من فجورها أنها أقامت دورًا للسنيما متخصصة فى عرض أفلام الجنس، ثم شجعت عرض مسرحيات عليها استباحت ممارسة الجنس أمام الجماهير؛ فهتكت بذلك الأستار، وقضت على العفة والطهر، وانحطَّتْ بفعلتها هذه بالعلاقة الزوجية إلى درك منحط تحولت معه الإنسانية إلى حيوانات بهيمية لا عقل لها ولا فكر.

يقول الأستاذ / محمد قطب: (ولكن الذى لا يمكن الجدال فيه هو الوقائع التى تنشرها الكتب والصحف فى ذلك الغرب الذى يستعبد الأرواح والقلوب ... تقول صحف أمريكا - أرحب بلاد العالم صدرًا بالحرية الجنسية -: إن هناك مشكلة اجتماعية خطيرة يتزايد خطرها كل يوم حتى أصبحت تقلق بال المسئولين فيفزعون إلى المختصين من علماء الاجتماع، يسألونهم العون فى هذه المشكلة التى تنذر بالويل والثبور.

تلك هى مشكلة الاختطاف، فكل يوم تأتى الأخبار المزعجة بأن بعض الفتيان قد اختطفوا فتيات فى سياراتهم فقضوا منهن وطرهم، وتركوهن بعيدًا عن منازلهن بمسافات شاسعة، لا يتيسر لهن الرجوع منها إلا بعد أمد طويل! ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال: فيم الاختطاف والحرية مباحة للجميع إباحة كاملة لا قيد فيها ولا حدود؟ والسؤال على عجبه مردود ببساطة: فلا مناص حين يباح للجميع ليصنعوا ما يشاءون، أن تتعارض الأهواء وتصطدم الرغبات، فيحدث أن يعشق فتى فتاة لا تحبه، وإنما تميل

بمشاعرها إلى غيره، وما دامت النوازع والشهوات قد أطلقت من عقالها، ولم يضبطها ضابط؛ خوفًا من تقييد الحرية، فإن هذا العاشق المتهور لن يضبط عواطفه - أستغفر الله - بل شهوته إلى تلك الفتاة بعينها، فلا يجد سبيلاً إلا استدراجها واختطافها!! وهكذا يحدث هذا الأمر الشنيع فى البلد الذى أباح كل شىء للجميع، بل يحدث نتيجة لهذه الإباحية التى لا تقف عند حد. هذا خطر تعترف به أمريكا وتنذر به الصحف، وتطلب تدخل المسئولين، وإن تزايده لينذر بأنه مقدمة لما هو أخطر منه فى الحياة الاجتماعية الغربية، أى أنه العوارض الأولى للانحلال الذى أشرنا إليه من قبل، والذى ينكره المستعبدون هنا؛ لأنهم ملكيون أكثر من الملك، كما يقال.

وقد ينظر إليها بعض قصار النظر هنا أو هناك على أنها حوادث فردية، ولكن دلالتها واضحة لكل من أوتى حظًّا من التقدير السليم، فهى اليوم تبدأ بالمسألة الجنسية، وغدًا تشمل ميادين أخرى غيرها، كما أثبتت حوادث التاريخ فى كل شعب على ظهر الأرض[(١)].

موقف الإسلام من تدمير الوجودية للأخلاق:

عرفنا الآثار المدمرة لأخلاق الفرد والمجتمع التى قررتها الوجودية ضمن ما قررته من قواعد باطلة، ومبادئ هدامة.

وإنه ليبدو لكل ذى عينين موقف الإسلام الجلى الواضح حيال تفادى هذه الآثار؛ حيث حث على التمسك بالأخلاق والقيم الصالحة لكل زمان ولكل فرد ومجتمع، والتى جاءنا بها ديننا الحنيف الذى دعانا إلى العفة والطهر والصدق مع النفس والناس، وعدم التكالب على شهوات الحياة، فأنشأ بهذه الأخلاق أمة جاءت فى أوانها لتصحيح موازين القوى فى العالم،

---

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص١٤٥ - ١٤٦

ولتقذف بالحق فى وجه المبطلين فتدمغهم، فالإسلام قرر مبادئ وقواعد تحفظ للبيوت حرمتها، وللأعراض صيانتها، وللأخلاق عفتها، وهكذا، إنه تنزيل من حكيم حميد، ومنها:

١ - أهمية الضمير[١] فى البناء الأخلاقى الإسلامى[٢].

فالقرآن الكريم يعتمد فى بنائه الأخلاقى على تنشئة الضمير الحى، الذى يراقب الله ويحاذره، وهذا الضمير هو النفس اللوامة التى أقسم بها رب العزة والجلال حين قال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٣].

ووظيفة هذا الضمير حراسة الإنسان من داخله، بحيث يحول بين النفس الأمّارة وشهواتها كلما حاولت أن ترتكب مخالفة أو تقع على محظور، وهذا الضمير لا يعتمد على قانون وضعى، وإنما على رقابة الله

---

(١) للضمير وضع غامض - إلى حد ما - بين الفلاسفة الوجوديين؛ وسبب ذلك أن لفظ الضمير نفسه يمكن أن يفهم بأكثر من طريقة: فالضمير قد يعنى إدراك الشخص ما للشريعة الأخلاقية المقبولة فى مجتمعه، وكذلك مشاعر الرضا أو السخط التى يشعر بها عندما يخالف القواعد التى تعبر عنها هذه الشريعة أو يلتزم بها. والضمير كذلك قد يستخدم لضرب من الاقتناع الأخلاقى يؤدى بالشخص إلى رفض المعايير الأخلاقية المقبولة فى مجتمعه أحيانًا؛ استجابة لما يؤمن بأنه أمر أخلاقى أعمق من هذه المعايير جذورًا. ويميل الوجوديون إلى نقد الضمير بالمعنى الأول، وإلى القول بأن المعنى الثانى هو وحده المعنى الهام، وفى ظل ميلهم هذا لا يمكن أن يكون هناك قط إبداع أخلاقى، أو تقدم فى التاريخ البشرى، وهذا موقف محفوف بالمخاطر إزاء الأخلاق إلى أقصى حد. ثم إن الخطر يكمن فى اعتبار الوجوديين المقياس هو الضمير الفردى؛ حيث إننا لن نجد ضميرًا فرديا يمكن أن يتحدث بنقاء كامل، وإذا ما زعم كلٌ أن له الحق فى أن يتحلل من الالتزامات الأخلاقية المألوفة من أجل مطالب مطلقة لذاته الحقة الأصيلة، فسرعان ما نجد أنفسنا فى فوضى أخلاقية، راجع: جون ماكورى: الوجودية، ص٣٠٣ وما بعدها

(٢) راجع أنور الجندى (قضايا العصر ومشكلات الفكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت: ص١١٨ - ١٢٨ .

(٣) سورة القيامة، آية ١ - ٢ .

الذى لا يغيب عنه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو عليم بذات الصدور.

والأخلاق التى لم ينشئها هذا الضمير المعتمد على الله هى أخلاق ثابتة تلازم صاحبها فى كل وقت.

فالصدق - مثلاً - صدق فى كل لحظة، حتى فى الشدائد والأزمات عكس ما يزعم الوجوديون.

هذا إلى جانب أن الضمير يضع تماسكًا أخلاقيًا بحيث تصدر عنه كل الفضائل كوحدة رصينة لا انفصام بينها؛ فلا يصدق الإنسان ثم يسرق، ولا يخلص لأسرته ويغش الآخرين.

٢ - أهمية قانون الواجب الأخلاقى الإسلامى وخصائصه(١):

فإذا نظرنا إلى هذا القانون نجد أنه يتميز بطابع الشمول والضرورة والتدرج فى الواجبات الأخلاقية، ويتجلى طابع الشمول فى أن مجموع أوامره تتجه فى جملتها إلى الإنسانية جمعاء.

فالعدالة - مثلاً - أو الفضيلة يجب أن تتم على نسق واحد سواء طبقها الفرد على نفسه أم على الآخرين، وسواء كان هذا التطبيق على أقربائه أم البعداء، على الأغنياء أم على الفقراء، وسواء أكان على الأصدقاء أم على الأعداء، فيظل هذا الواجب الأخلاقى ضروريًا؛ فلا ينحنى أمام حاجتنا الذاتية، ولا أمام مصالحنا الشخصية.

فمن الارتياب أو مرض القلوب ألا نذعن للقانون إلا حين الاستفادة منه، على حين يخضع له المؤمنون دون قيد أو شرط، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ

---

(١) راجع: د. محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق فى القرآن)، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣ هـ، ص٢٥ - ٤٥ .

مُذْعِنِينَ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وأما فيما يتعلق بالتدرج فى الواجبات الأخلاقية: فمن المعروف أن لدى الناس اختلافًا فى استعدادهم الفطرى والمكتسب، والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢].

ويقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٣].

ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة؛ فهو حين يأمرنا فى نطاق الأشياء المادية أن نقنع أنفسنا بما قسم الله لنا ناظرين إلى من هم أدنى منا من إخواننا، وعلى نفس المنوال يوصينا فى النطاق الأخلاقى بعكس ذلك، وفى ذلك يقول ﷺ: «خَصْلَتَانِ مَنْ كَانتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَا شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا: مَنْ نَظَرَ فِى دِينه إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِى دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِى دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِى دُنْيَاه إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُمَا لَمْ يَكْتُبْه اللهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا»[٤].

٣ - أهمية العبادات فى البناء الأخلاقى[٥]:

فالعبادات شرعت لتهذيب النفوس، ومن المعروف أن العبادة التى لا تحقق هذا الهدف لا يقبلها الله؛ وذلك لأن الهدف من العقائد والشعائر

---

(١) النور، آية ٤٨ - ٥١ .

(٢) البقرة، آية ٢٨٦ .

(٣) التغابن، آية ١٦ .

(٤) الترمذى: كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٥٨) ٤/ ٦٦٥ حديث (٢٥١٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال حسن: غريب .

(٥) راجع: د. أحمد عمر هاشم، منهج الإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق، دار المنار، القاهرة، ص٥٩ - ٦٩ .

والعبادات جميعا هو بناء الأخلاق، ولو أنعمنا النظر فى القرآن الكريم نجد أنه لم ترد عبارة إلا وهى مرتبطة بهدفها الأخلاقى فى واقعية واضحة.

فالصلاة - مثلاً - فى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾(١)؛ فالصلاة إذن تنهى عن الفحشاء والمنكر، هذا إلى جانب ما تبثه من روح التعاون والترابط والتكافل بين الجماعات المسلمة.

والصوم - مثلاً - يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

فالصوم خير وسيلة لبلوغ التقوى، وخير وسيلة للتحرر من عبودية الشهوات، وأما إذا أقدم الفرد على أداء هذه الفريضة وهو لا يدرك بعقله ضرورتها فلا فائدة ترجى من وراء امتناعه عن الطعام والشراب، وحظه الجوع والعطش.

والصدقة أيضا، يقول المولى سبحانه - وتعالى - عنها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٣)؛ فالصدقة إذن ذات أثر مزدوج الفائدة؛ لأنها تطهر النفس حين تصرفها عن حرصها الزائد على الكسب، ثم هى بعد ذلك أسمى تعبير ومثال للتعاون الاجتماعى الذى يجعل للفقير حقًّا معلوما من مال الغنى، قال - تعالى -: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾(٤).

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣ .

(٣) سورة التوبة، آيات ١٠٣ .

(٤) سورة الذاريات، آية ١٩ .

إن هذا الحق المقرر لا يذل الفقير، ولا يجعل الغنى يشعر بعزته وقوته، قال - تعالى -: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(١).

أما الحج، فقد قال الله - تعالى -: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾(٢)، فهو موقف تتجسد فيه مبادئ الأخلاق والأخوة والمساواة والكرامة.

وبهذا ندرك أن كل عبادة مما سبق ترتبط بثمرتها الواقعية من تطهير الخلق، وتزكية النفس، وتقوى الله، وفى قيمتها التى تتمثل فى تلك الآثار الواقعية التى تتركها فى حياة العابد، وليست فى كثرتها.

فمن قام بتلك العبادات، وظل بعدها فاسد الخلق، سيئ المعاملة، ضيق الصدر - فلا خير فى عبادته حتى ولو ملأت الأرض.

ولتأكيد مدى العلاقة الوثيقة بين العبادة وحسن الخلق، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٣).

إن المؤمن الحق هو الذى تنعكس عبادته على أخلاقه وسلوكه فى المجتمع: فلا غِلّ، ولا حقد، ولا حسد، ولا غضب، ولا بغضاء، ولا

---

(١) الليل، آية ١٧ - ٢٠ .
(٢) البقرة، آية ١٩٧ .
(٣) البقرة، آية ١٧٧ .

شح، ولا قطيعة، ولا جبن، ولا أثرة.

وفى معاملاتهم: لا غش، ولا خديعة، ولا تلبيس، ولا مخاصمة، ولا احتيال على أكل الأموال بالباطل، ولا كذب فى الحديث، ولا تشويه للحقائق، ولا خيانة للأمانة.

وهكذا نرى الربط الوثيق بين العبادات وآثارها الأخلاقية.

٤ - اهتم الإسلام بالمساواة والكرامة الإنسانية(١)، حيث جعلها أحد المبادئ الأساسية التى تشكل الإطار العام للأخلاق الاجتماعية، فالمساواة فى القيمة الإنسانية بين البشر، والاعتراف بكرامة الإنسان أيًا كان - أهم الأسس الأخلاقية التى تبنى عليها قاعدة التعامل بين البشر، قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

وقد عمل القرآن الكريم على تأكيد معنى المساواة بين البشر؛ ليقر فى خلدهم وحدة أصل الإنسان ونشأته؛ فالجنس من تراب، قال - تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾(٣).

والفرد - كل فرد - من ماء مهين، قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾(٤).

وإن اختلاف الناس شعوبًا وقبائل ليس له علاقة بالتفاضل، وإنما هو سبب ودعوة للالتقاء والتعارف، وهى كلها عند الله سواء، لا تفاضل إلا

---

(١) راجع: د. يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٨٤ - ٩٦ .

(٢) النساء، آية ١ .

(٣) فاطر، آية ١١ .

(٤) المرسلات، آيات ٢٠ - ٢٣ .

بالتقوى التى هى جماع الأخلاق والفضائل التى دعا إليها الإسلام، وإلى جانب هذا، كرم الله الإنسان بالإسلام، واختاره للخلافة فى الأرض، وسخر له كل ما فيها، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

ولتأكيد الاهتمام بالأخلاق قرر الإسلام واجبات على الفرد تجاه نفسه؛ ليحفظ كرامته الشخصية، ويحافظ عليها من الانحطاط، كما قرر واجبات على الفرد؛ ليعبر عن احترامه للكرامة الإنسانية لدى الآخرين:

(أ) ما يجب على الفرد تجاه نفسه:

قرر الإسلام على الفرد واجبات تجاه ذاته؛ يؤديها لترتفع بها نفسه وتتشرف، وتصبح خليقة بالتكريم الذى أسبغه الله عليها، وفى الوقت ذاته تكفل له تحقيق السعادة والفلاح، وفى نفس الوقت تحقيقا للحديث: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[٢].

وواجبات الفرد تجاه نفسه يمكن تقسيمها إلى نوعين:

الأول: معنوى:

ويتمثل فى التزام السلوكيات السديدة فى حياته تجاه ربه، وتجاه الناس، فالإنسان مطالب بالإيمان بالله - عز وجل - والتوكل عليه، ومراقبته، وليس الإشراك به والارتكان إلى غيره، والخوف من مخلوقاته، والإنسان مطالب بعبادة الله حق العبادة، بأداء ما افترضه عليه كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

وهو مطالب - أيضًا - أن يحقق لنفسه طهارة النفس، ونقاء السريرة، وأن يتحلى بالعفة، وأن يتحكم فى أهوائه، وأن يصدق فى قوله، وأن يتسم

(١) الإسراء، آية ٧٠ .
(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٦٨، وأبو داود (١٣٦٩) من حديث عائشة .

بالرقة والتواضع فى سلوكه، متزنًا فى أحكامه، دمثا فى أخلاقه، معتدلاً فى تصرفاته، جادًا فى كسب رزقه بالطرق المشروعة، متمتعًا بما خلق الله له فى الأرض والسماوات من منافع وخيرات، كما يحثه على التعبير بالحسنى؛ لما له من أثر إيجابى فى تفادى النزاع والخصومة بين الناس، ويطالبه بالبر والرحمة والتعاون والإحسان والوفاء، وأداء الأمانة وسلامة القلب، وصدق الطوية، ويحضه على العدل.

كما أن هناك تصرفات أمر بها الإسلام، وحث على الالتزام بها، وهى تعد قمة فى الأدب والذوق الاجتماعى، منها: الاستئذان قبل الدخول على الغير، وحسن الجلسة، وخفض الصوت عند التحدث، والتحية عند الدخول، وردّ التحية بأحسن منها، واستعمال أطيب العبارات عند الحديث، والاستئذان عند الذهاب، والالتزام بآداب الطعام وآداب الطريق، واحترام الصغار للكبار.

وكما كانت هذه الأوامر كلها خيرًا للفرد، فلكى يكمل هذا الخير عليه أن يمتنع عما يؤدى إلى الضرر: كتناول الخمور والمسكرات وغيرهما من الأمور المحرمة، أو المكروهة كراهة تحريم؛ لأن لهذه الأشياء تأثيرا سيئًا فى صحة الإنسان وأخلاقه وقواه العقلية والروحية، ومن ذلك - أيضا - يمنع الإسلام الفرد أن يخضع لشهواته أو نزواته، وينهى الإسلام عن الكذب والنفاق والرياء والبخل والاحتيال والكِبْر والحسد والطمع، والتعلق بالدنيا، وينهى - أيضًا - عن الغيبة والنميمة والبهتان واللمز والإفساد والغدر والخيانة.

والإنسان مطالب فى علاقته بالناس أن يحسن معاملتهم، فكما قال رسول الله ﷺ «الدِّيْن حُسْنُ المُعَامَلَةِ»، فيكون الإنسان متحليا بالفضائل الخلقية كالسماحة والصدق والأمانة فى بيعه وشرائه وكل تعاملاته مع الناس، وكما قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا

اقْتَضَى»[١]، وهناك درجات فى التعامل مع الناس لا يسمح المقام بتفصيلها الآن، فمعاملة الوالدين والأبناء، ثم الرحم، ثم الجار... إلخ.

وهذا النوع الذى يتمثل فى سلوك الإنسان تجاه ربه وتجاه الناس يجر على الإنسان نفعين: النفع الدنيوى، والنفع الأخروى، ففى الدنيا يعيش حياة آمنة مطمئنة خالية من القلق والخوف واليأس والإلحاد الذى ينادى به الوجوديون، ثم إنه سيحقق منافع مادية، لا شك فى ذلك.

وفى الآخرة ينال الملتزم بهذه السلوكيات رضا الله - سبحانه وتعالى - وعفوه ومغفرته والفوز بجناته جنات النعيم.

النوع الثاني: مادي:

يتعلق بحياة الإنسان وصحته وأسلوب معيشته المادى، وفى هذا الإطار يجب عليه أن يلتزم بأمور:

١ - أكل الطيبات وترك الخبائث؛ حفاظًا على الصحة، وبناء النفس القوية، قال الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾[٣].

ولقد عدد القرآن الكريم أصنافا من المطعومات الطيبة وأصنافًا من المطعومات الخبيثة، فأمر بأكل الأولى، ونهى عن أكل الثانية؛ حفاظا على حياة الإنسان.

٢ - شرب الطيبات ونبذ الخبائث: ولهذا حرم الإسلام الخمر، ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخارى (٢٠٧٦)؛ وأحمد ٣/ ٣٤٠، والترمذى (١٣٢٠) وابن ماجه (٢٢٠٣) عن جابر.

(٢) البقرة، آية ١٦٨.

(٣) البقرة، آية ١٧٢.

(٤) المائدة، آية ٩٠.

٣ - التوسط والاعتدال فى المأكل والمشرب، بل وفى كل شىء، قال الله - جل وعلا -: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[١]، فالإسراف مهلكة للنفس مضعفة للصحة، والتقتير كذلك، والاعتدال هو خير سبيل.

٤ - اتباع القوانين الصحية فى المأكل والمشرب، كما جاء بها الإسلام، من ذلك ما نبه عليه رسول الله ﷺ من غسل اليدين قبل الأكل، ومنه عدم الأكل مع الشبع، ومنه عدم الشبع حتى الامتلاء، فقد قال ﷺ: «نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ»، وفى المشرب واجب على المرء اتباع الإرشادات الصحية التى جاء بها الإسلام، وهى مبثوثة فى أحاديث المصطفى ﷺ.

٥ - الاعتناء بالملبس والمسكن: فالملبس لابد أن يكون نظيفًا، والمسكن كذلك؛ حفظًا لنفس الإنسان.

٦ - اجتناب الفواحش المهلكة - وبخاصة الزنى - والإباحية التى تمثل مصدرا رئيسيًا لأعتى الأمراض وأفتكها كالزهرى والسيلان والإيدز (مرض نقص المناعة).

وقد رأينا كيف أن الوجوديين يروّجون للإباحية والزنى فى تصوراتهم وآدابهم، وهم بهذا يهدمون الإنسان ويقضون عليه.

٧ - بناء النفس - وهذا هو الأهم - معنويًا، بترسيخ إيمانها ويقينها بربها، وإلزامها ذكر الله الذى تأنس به وتطمئن، وتعميق إيمانها بالقضاء والقدر، وأن ما قدر على الإنسان سوف يقع، فما أخطأ المرء لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وحمل النفس على العلم، وبخاصة العلوم الإسلامية التى تعطى النفس وتمدها بزادٍ روحى يعينها على الوقوف

---

(١) الأعراف، آية ٣١ .

أمام صدمات الحياة وعوائقها.

ونظرة الإسلام فى هذه النقطة الأخيرة تخالف - تمام المخالفة - نظرة الوجوديين الذين يرسخون قيم القلق والخوف واليأس والانحراف والإلحاد، بل ويدعون إلى الانتحار كما سبقت الإشارة - وهى نظرة تهدم ولا تبنى.

(ب) ما يجب على الفرد تجاه المجتمع:

وكما أمر الإسلام بالتزام الواجبات المنوطة بالإنسان تجاه نفسه، أمره - أيضًا - بالتزام واجبات أخرى تجاه الآخرين، «وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[١]، والقرآن والسنة يغصان بهذه الواجبات وبيانها والحث عليها، فقد أمر الدين الإسلامى الفرد بالاهتمام والالتزام تجاه مجتمعه، بدءًا من والديه؛ حيث أمر بالإحسان إليهما، وخفض جناح الرحمة لهما، وطاعتهما، واحترام الأولاد، وأداء حقوقهم كاملة، ثم أمر الإسلام بصلة الرحم، وإصلاح ذات البين، والتراحم، والإحسان إلى الفقراء، وفك الرقاب، والاهتمام بأموال اليتامى، والعفو، ودفع السيئة بالحسنة، والدعوة إلى الخير، والنهى عن الشر، ونشر العلم والأخوة والكرم، والحب لأخيك ما تحب لنفسك، والعدل، والرحمة، وحفظ حق الجار، ومراعاة حرمات الغير، وأداء الأمانات، والوفاء بالعهد، وأداء الشهادة.

كذلك من احترام حقوق الغير: النهى عن النهب والسرقة والرشوة والغش والاختلاس، وأكل مال اليتيم، وخيانة الأمانة، والإيذاء، والظلم، والتواطؤ على الشر، وشهادة الزور، وكتمان الحق، وقول السوء، وسوء معاملة اليتيم أو الفقير، والسخرية واحتقار الناس، والتجسس والافتراء،

---

(١) تقدم من حديث عائشة، وأخرجه البخارى (١١٥٣) ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله ابن عمرو .

والتزوير والغدر وأكل الربا.

كذلك حرّم على الفرد الفساد فى الأرض وعمل الفواحش؛ لأن هذه الأعمال تفسد الصحة والأخلاق، وتفسد المجتمع فى الجانب الآخر، بالإضافة إلى ما تحدثه من الفتنة والإخلال بالعلائق الإنسانية.

كما أمر الإسلام بالتعاون على الخير؛ مصداقا لقوله - تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[١].

وبهذه الأمور وغيرها مما قرره الإسلام احتل ديننا الإسلامى مكان الصدارة بين الديانات التى تدعو إلى الأخلاق والتعاون، وتحارب العزلة والانكماش، وتقوى صلة الفرد بالمحيط الذى يعيش فيه عن طريق العبادة والتربية والتشريع.

المبحث الثانى : الصراع بين الفرد والمجتمع:

من آثار الوجودية الأخلاقية والاجتماعية دعوتها إلى الفردية؛ مما أدى إلى وجود صراع مرير بين الفرد والمجتمع، وأكبر شاهد على ذلك مسرحية سارتر (الغثيان)، ومضمونها: أن المجتمع بغيض، وأن وجود الناس حولنا هو الجحيم، وأن الأخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون، وأن الحياة خواء فارغ؛ فلا يستحق الاهتمام فيه إلا الجسد والجنس، فسيطرت بذلك روح الفرد على كيان الجماعة؛ فكل فرد يعمل لنفسه، ويسعى لثروته وكسبه ومنفعته فقط، والآخرون هم الجحيم؛ فنشأ الصراع بين الفرد والمجتمع[٢].

موقف الإسلام من الصراع بين الفرد والمجتمع:

الإسلام لا يقر ذلك تمامًا؛ حيث قرر ارتباط الفرد بالمجتمع ارتباطًا

---

(١) سورة المائدة، آية ٢ .

(٢) راجع د. السيد محمد نوح، (شخصية المسلم بين الفردية والجماعية)، دار الوفاء، المنصورة، ص٤٤ .

وثيقًا، ومنح الفرد شخصيته المستقلة، وأعطاه كل ما يتعلق بذاته من حقوق، وفى الوقت نفسه فرض عليه واجبات نحو مجتمعه، قال الله - تعالى-: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[1]، وقال - تعالى-: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2]، وقال - جل شأنه-: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[3].

وانطلاقًا من هذا المعنى دعا الإسلام إلى التعاون والتضامن، والتكافل والعمل المشترك، قال - تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[4]، وقال - تعالى-: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[5]، وقال - تعالى-: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[6]، وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ بَاقِى الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[7]، وقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بعْضًا»[8].

وبهذا ندرك مدى العلاقة المستمرة والمتوازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع: فالفرد فى الإسلام يعمل لصالح المجتمع، والمجتمع يكفل للفرد كل شىء فى ظل هذا الدين الإسلامى الصالح لكل زمان ومكان، الداعى إلى سعادة البشرية جمعاء.

---

(١) القيامة، آية ١٤ .
(٢) النجم، آية ٣٩ .
(٣) الطور، آية ٢١ .
(٤) المائدة، آية ٢ .
(٥) العصر، آيات ١ - ٣ .
(٦) آل عمران، آية ١٠٤ .
(٧) حديث للنعمان بن بشير، أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ٧٨ باب ٢٧ ج٢ ص٧٧، وأخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة (٤٥) باب ٧ ج٤ ص ١٩٩٩ ح ٢٥٨٦ .
(٨) حديث لأبى موسى، أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (٨) باب ٨٨ ج١ ص ١٢٣، وأخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة (٤٥) باب ١٧ ج١ ص ١٩٩٩ ح ٢٥٨٥ .

يقول الأستاذ/ محمد قطب: (الإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معا، ويجعلهما متساندتين بدلا من أن تكونا متنازعتين.

إنه يحتاج إليهما معًا؛ لأن الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى، ولذلك لا يكبت أيًا منهما ولا يزيلها عن الوجود، إن كان فى استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود)[١].

المبحث الثالث: زرعها الأنانية المفرطة فى الإنسان:

من آثار الوجودية الأخلاقية والاجتماعية زرعها الأنانية المفرطة فى الإنسان، والأنانية هى أن تكون أفعال الإنسان وأقواله خاصة له وحده، فلا تتعدى عالمه الخاص به، فطغت الأنانية على الفرد والمجتمع، وأصبحت طاغية على كل شيء: فأنانية الأب تطغى على علاقته مع أولاده، وأنانية الزوج تطغى على علاقته مع زوجته، وأنانية الأمير أو الوزير تطبع كل علاقاته مع الجمهور، وأنانية الأغنياء والموسرين واضحة فى موقفهم من الفقراء والمساكين.

أنانية طغت على كل فئة فى المجتمع: فالتاجر لا يفكر إلا فى تجارته، والزارع لا يهتم إلا بزراعته، والموظف لا يبالى إلا بوظيفته.

هذه الأنانية دعت الإنسان الوجودى إلى عبادة ذاته فقط، وإلى نبذ الآخرين؛ فانتزعت الثقة بين أفراد المجتمع، وقطعت وشائج الرحم بين ذوى القربى، وضعفت الروابط الإنسانية بين الناس بعضهم مع بعض، حتى تنكر الجار لجاره، والصديق لصديقه، ولعل الذى دفع الوجودية إلى هذه الدعوة المنافية لما تعارفت عليه المجتمعات البشرية، ما يلى:

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٦٤ .

(١) نظرتها الفردية المتطرفة التى دفعتها - بكل قوة - إلى عدم التفكر فيما سوى الذات، بقدر ما دفعت الذات إلى التكالب على الحياة، والعبّ من شهواتها دون رادع أو زاجر، فإنسان الوجودية عبد لحياة لا يخدم فيها إلا ذاته[١].

(٢) نظرة الوجودى إلى الآخرين على أنهم الجحيم، فكيف يعمل لإنسانية هكذا شأنها فى رؤيته؟! إنهم ينغصون عليه حياته التى لا حياة له سواها - بزعمه - ويكوونه بنار لا يقوى على احتمال لسعها، وإذا كان الآخرون بهذا الشأن فإنه لا ينبغى للإنسان أن يعمل إلا لنفسه فقط[٢].

(٣) توهم أن الحب الذى هو أسمى الروابط الاجتماعية فى الحياة من قبيل سلب المحب لذاتية محبوبه[٣].

وقد أدت أفكارهم الآنفة الذكر إلى قتل الود بين الوجوديين وتفتيت المجتمعات الإنسانية، حتى لا تبقى فيها كتلة مترابطة متماسكة، وإلى تحويل حياتهم إلى مذأبة يسودها الفتك والاغتيال، ويفقد فيها الإنسان عون أخيه الإنسان، فلا تراحم ولا تواصل ولا ترابط فى المجتمع الوجودى، مما حوّل دنياهم إلى جحيم لا يطاق، وما بهذا التفتت والتفكك تعمر الدنيا أو يرتقى الكون.

موقف الإسلام من الأنانية:

الإسلام على نقيض هذه الدعوة الهدامة؛ فقد دعا إلى الخير، وحث على الإيثار، ولو أنعم الإنسان النظر فى الإيمان بالله لوجد أن هذا الإيمان

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص ٢١٣ .

(٢) راجع مسرحية (الغثيان) لسارتر .

(٣) راجع: د. عبد الرحمن حسن حبنكه، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ص ٣٧٥ .

يهون على الإنسان مطالب حياته، وقساوة الدنيا ومصائبها، ويذعن ببذل المال عن طيب خاطر، وبذل الروح عند الضرورة، ويضحى بمصلحته الخاصة فى سبيل المصلحة العامة[١]، ويرحب بالموت فى سبيل الله، ويستقبله بارتياح وسرور؛ لأنه مؤمن أن خلفه جنة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله أكبر، كما أن الإيمان بالله يؤدى إلى التواصل والتراحم، والتلاحم، وبر الوالدين.

وقد سلك الإسلام سبلا كثيرة للقضاء على الأنانية، فدعا إلى صلة الرحم التى هى القرابة، قال الله - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[٢]، وقال الرسول ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِى رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِى أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٣]، وقال الرسول ﷺ: «الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ اللهُ»[٤].

كما دعا إلى التآخى والتعاطف والتواصل بين المسلمين جميعًا؛ حيث جعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، كما نعت أصحاب محمد ﷺ بأجمل النعوت حين قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٥].

---

(١) راجع: د. يوسف القرضاوى، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص٢٥٩ .

(٢) الرعد، آية ٢١ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب الأدب (٧٨) باب (١٢) من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ٧/ ٧٢ عن أبى هريرة. ومسلم: البر (٤٥) باب (٦) صلة الرحم ٤/ ١٩٨٢ حديث (٢٥٥٧) عن أنس بن مالك .

(٤) أخرجه البخارى: الأدب (٧٨) باب (١٣) من وصل وصله الله ٧/ ٧٢ عن أبى هريرة. ومسلم: البر (٤٥) باب (٦) صلة الرحم ٤/ ١٩٨١ عن أبى هريرة وعائشة ح (٢٥٥٥ - ٢٥٥٦) .

(٥) الفتح، آية ٢٩ .

في حين وصف جماعة اليهود بقوله: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(١).

كما حث على احترام الجار والإحسان إليه ومشاركة آماله وآلامه، ووضع حق الجار مع حق الله وحق الوالدين والأرحام.

والسنة بينت أن جبريل ما زال يوصى رسول البشرية جمعاء بحقوق الجار حتى ظن الرسول ﷺ أن الله سيجعل الجار وارثا من شدة التأكيد على حقوقه، قال - تعالى-: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٢).

كما حث على الإحسان إلى الفقراء والمساكين، فضرب بذلك أروع الأمثلة في التكاتف والتآلف والوحدة، قال - تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣)، وقال ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ»(٤).

كما وصف الله عباده الذين يعملون الخير - لا رغبة في ثناء ولا طمعا في مكافأة - بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾(٥).

وحث الرسول ﷺ - أيضًا - على محبة الخير بقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) الحشر، آية ١٤ .
(٢) النساء، آية ٣٦ .
(٣) الحجرات، آية ١٠ .
(٤) أخرجه البخاري: المظالم (٤٦) باب (٣) لا يظلم المسلم المسلم ٣/ ٩٨ عن ابن عمر.
ومسلم: البر (٤٥) باب (١٥) تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٦ ح (٢٥٨٠) عن ابن عمر .
(٥) الإنسان، آية ٨ - ٩ .

لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

كما حثّ على نصرة المظلومين والمستضعفين بقوله: «أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أوْ مَظْلُومًا...»[٢].

وكذلك حثّ على العدل المطلق، ونهى عن أى نوع من الظلم، فقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»[٣].

ولتأكيد عالمية الدين الإسلامى وأنه دين البشرية جمعاء، جعل الشفاعة الصادرة من كبار القوم وأصحاب المكانة والوجاهة والكلمة زكاة مقبولة، عليهم أن يؤدوها لإخوانهم أصحاب الحاجة، قال - تعالى-: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾[٤].

كما حث الإسلام على مواساة المصابين وزيارة المرضى؛ حتى يشعر المسلم عند مرضه بروح الأخوة التى قد تخفف آلامه، وتعوضه بعض ما حرمه من القوة والصحة، قال ﷺ: «عُودُوا الْمَرِيضَ وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِى»[٥].

ولو استعرضنا مبادئ الإيثار فى عقائدنا، وآثاره فى تاريخنا، لطال بنا

---

(١) أخرجه البخارى: الإيمان (٢) باب (٧) من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٩ عن أنس. ومسلم: الإيمان (١) باب (١٧) من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١/ ٦٧ م (٤٥) عن أنس.

(٢) أخرجه البخارى: المظالم (٤٦) باب (٤) أعن أخاك ظالما أو مظلوما ٣/ ٩٨ عن أنس. ومسلم: البر (٤٥) باب (١٦) نصر الأخ ظالما أو مظلوما ٤/ ١٩٩٨ عن جابر.

(٣) أخرجه البخارى: المظالم (٤٦) باب (٣) لا يظلم المسلم المسلم ٣/ ٩٨ عن ابن عمر. ومسلم: البر (٤٥) باب (١٥) تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٦ ح (٢٥٨٠) عن ابن عمر.

(٤) النساء، آية ٨٥.

(٥) أخرجه البخارى: الجهاد (٥٦) باب (١٧١) فكاك الأسير ٤/ ٣٠ عن أبى موسى الأشعرى

المقام، ولكن نضرب بعض الأمثلة التى نستنشق منها روائح الإنسانية الكريمة التى غمرتها مطامع الأهواء والشهوات فى العصر الحاضر، ومنها[١]:

(أ) موقف الأنصار من المهاجرين :

لما هاجر رسول الله ﷺ هو وصحابته من مكة إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، إذ جعل لكل أخ أنصارى أخًا مهاجرًا، فكان الأنصارى يأتى بأخيه المهاجر إلى بيته فيقسم كل ما فيه بينه وبين أخيه، يقسم له ماله وثيابه وطعامه ودوابه، وينزله من نفسه وأهله منزلة الحبيب من الحبيب، لا يضن عليه بمساعدة، ولا يقصر دونه فى نصح أو معونة، حتى نسى المهاجرون غربة الوطن، وفقد الأهل، وفوات الثروة، مما جعل القرآن الكريم يسجل هذه الظاهرة البارزة من الإيثار الكريم؛ ليكون الدرس الباقى للأجيال القادمة، فيقول الله - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

(ب) نوم على رضى الله عنه فى فراش النبى ﷺ:

لما قرر الرسول ﷺ الهجرة من بيته الذى أحاط به المشركون ليقتلوه، وضع مكانه فى فراشه ابن عمه عليًا - رضى الله عنه - وآثر عَلِيٌ أن يكون الفداء لرسول الله ﷺ، وأن يعرّض نفسه لسيوف المشركين تقطع لحمه وتزهق روحه، وبذلك فدى بنفسه رسول الهداية للناس أجمعين.

وبهذا المنهج المتكامل أوجد الإسلام أمة يسودها الود وينتشر بين

(١) راجع: د. يوسف القرضاوى، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٦٢ - ٢٦٦.

(٢) الحشر، آية ٩.

ربوعها المحبة والوئام والصفاء والتعاون على البر والتقوى، هذه الخلال التى افتقدها الإنسان الوجودى؛ فتحولت حياته إلى جحيم لا يطاق.

وبهذا المنهج المستقيم الأركان أقام الإسلام مجتمعًا لا أنانية فيه ولا عزلة ولا فردية، بعكس الوجودية التى دعت إلى الفردية وروجت لها حتى جعلتها إحدى مقولاتها الأساسية.

المبحث الرابع: تفكك الأسرة:

أثرت دعوات الوجودية الخلقية والاجتماعية تأثيرًا سيئًا فى الأسرة، صدّع بنيانها القوى، وقضى على مقومات الحياة فيها، حتى أصبحت المخادنة والزنى - نعوذ بالله - أمرًا طبيعيًا، بل حقًّا مكتسبًا لكل من الزوجين - بزعمهم - ففقدت بذلك الأسرة أغلى ما تملك وهو التماسك الأسرى؛ فوهى الرباط الزوجى بين الزوج وزوجته، وفقدت محبة الأب لأولاده؛ وذلك لعدم الثقة فى بيوتهم؛ لضياع العفة والأمانة الزوجية فى الأسرة، وضاع حنان الأم وسط ضجيج حياة تبحث فيه عن عشيق أو خدين، ونسى الولد أباه وأمه فلا يراهما متحابين متآلفين[١]؛ فأدى ذلك إلى انهيار الأسرة فى المجتمعات الأوربية[٢]، وما بهذا يعمر الكون.

موقف الإسلام من تفكك الأسرة:

اهتم الإسلام بالأسرة اهتمامًا كبيرًا، بما يضمن لها تكوينها وأسباب دوام ترابطها وأدائها لوظيفتها على خير وجه وأكمله، فما ترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة تكون فيها سعادة الأسرة واستقرارها إلا وبينها وأعطاها من العناية ورعاية الحقوق والحرص على حمايتها من التفكك والانحلال ما تتطلبه،

---

(١) ونتيجة لانتشار الخيانة الزوجية تقول الإحصائيات الحديثة: إن هناك حالة طلاق بين كل حالتى زواج فى بريطانيا، راجع: جريدة المدينة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٤٠٠ هـ .

(٢) راجع: د. على جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص ١٤٨ .

موضحًا دورها الفعال فى بناء المجتمع السليم.

فالأسرة - فى نظر الإسلام -أصل من أصول الحياة الاجتماعية لا يمكن للمجتمع أن يقوم قيامًا صالحًا إلا عليها؛ فانتظامها واستقرارها مصدر من مصادر الأمن والبهجة والحياة السعيدة.

ويتمثل اهتمام الإسلام بالأسرة بمظاهر كثيرة، من أهمها[١]:

(١) هدم الأنكحة غير المشروعة التى كانت فى الجاهلية قبل الإسلام: كنكاح الخدن[٢]، ونكاح البدل[٣]، وأبقى على النظام الذى ارتضاه؛ ليكون به استمرار الحياة واستقرارها.

(٢) رغب الإسلام فى الزواج بصور متعددة، وجعله سبيلاً إلى الغنى، قال الله - تعالى-: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وجعله - أيضًا - عبادة يستكمل به الإنسان نصف دينه.

(٣) اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغى التطلع إليه والحرص عليه، فهى شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده، يقول الرسول ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَع: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِها، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٥].

---

(١) راجع: د. عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ. ص٢٥٩ - ٢٧٤ .

(٢) الخدن: هو الصديق للمرأة يزنى بها سرا؛ فنهى الله عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

(٣) نكاح البدل: هو أن يقول الرجل للرجل: انزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك .

(٤) النور، آية ٣٢ .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم: والبخارى: النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكفاء فى الدين ٦/ ١٢٣ . ومسلم: الرضاع (١٧) باب (١٥) استحباب نكاح ذات الدين ٢/ ١٠٨٦ حديث (١٤٦٦) .

كما اهتم - أيضًا - باختيار الزوج الصالح؛ حرصًا على دوام العشرة الزوجية؛ حيث قال الله - تعالى-: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[(١)]، قال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوه، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»[(٢)].

(٤) وضع الإسلام حقوقا للزوجة على زوجها؛ مما يدل على اهتمام الإسلام بأمر المرأة ومراعاة ظروفها وأحوالها، وأنها الجانب الأحوج إلى العطف والرحمة وحسن الرعاية، وهى ما يلى:

(أ) حسن العشرة؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[(٣)]، وقول الرسول ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[(٤)].

(ب) تعليمها ما تحتاجه من أمور دينها، فالرجل راع وكل راع مسئول عن رعيته، فيعلمها ما تحتاجه مما لم تتعلمه من الطهارة والوضوء وأحكام الحيض والنفاس والاستحاضة، وأمور الصلاة والصيام وقراءة القرآن وذكر الله . . . إلخ مما يجب على الرجل أن يوضحه للمرأة.

(ج) أمر الزوجة بالمعروف، ونهيها عن المنكر؛ إنفاذًا لقوله - تعالى-: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٥)].

---

(١) النور: آية ٣٢ .

(٢) أخرجه الترمذى (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبى هريرة .

(٣) النساء، آية ١٩ .

(٤) أخرجه ابن حبان فى صحيحه، الزوائد، كتاب النكاح (١٧) باب (٣٠) فى عشرة النساء، ص٣١٨ حديث (١٣١٢). والترمذى، المناقب (٥٠) باب (٦٤) فضل أزواج النبى ﷺ ٥/٧٠٩ حديث ٣٨٩٥ عن عائشة، وقال: حسن صحيح غريب. والدارمى، النكاح باب فى حسن معاشرة النساء ٢/١٥٩ .

(٥) سورة طه، آية ١٣٢ .

(د) الصداق والنفقة: فالصداق حق خالص للزوجة لا يحل لزوج أو أب أو أخ أن يتحكم فيه أو يأخذ منه شيئا إلا بإذنها، قال - تعالى-: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[1]، وقال - تعالى - فى شأن النفقة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾[2].

(هـ) العدل والقسمة بين أكثر من زوجة، قال - تعالى-: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾[3].

(و) كفّ الأذى عنها، ومراعاة شعورها؛ فلا يجوز أن يبدو من الرجل أمور مشينة إلى الزوجة كالسب والشتائم والسخرية والاحتقار؛ فهى أم أبنائه، وسكن نفسه، وشريكة حياته، وحارسة ماله، ومربية أولاده، وملبية رغباته، وهو زوج وحامٍ وسند وأمل وملاذ لها بعد الله.

(٥) وضع الإسلام حقوقًا للرجل على المرأة تناسب وضعها كامرأة ووضعه كرجل قيِّم، منها:

(أ) أن تعيش المرأة لزوجها سكنًا ورحمة وودًا؛ حتى يجد بجانبها السعادة والاستقرار.

(ب) أن تقوم المرأة بدور الأم مع أولادها؛ حتى تنشئهم أفرادًا صالحين يسيرون بالحياة إلى التقدم والازدهار.

(ج) على المرأة الطاعة وحسن العشرة، قال - تعالى-: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾[4]وقال ﷺ: «إذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ

(١) النساء، آية ٤ .
(٢) النساء، آية ٣٤ .
(٣) النساء، آية ١٢٩ .
(٤) النساء، آية ٣٤ .

إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيهاَ، لَعَنَتْهَا الملائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»[١].

(د) أن تتزين المرأة لزوجها، فيرى الرجل زوجته متزينة له متعطرة من أجله، منظفة بيتها ودارها، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[٢].

(٦) وضع الإسلام حقوقًا للأبناء على الآباء؛ لأنهم ثمرة الحياة الزوجية، وأملها المرتجى، وعطرها الفواح، من أهمها:

(أ) الأذان فى أذن المولود، فعن أبى رافع - رضى الله عنه - مولى رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ»، يعنى: بأذان الصلاة[٣].

(ب) التسمية باسم حسن، فعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ؛ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ»[٤].

(ج) العقيقة، وهى ذبح شاتين عن المولود الذكر وشاة عن المولود الأنثى؛ لما روى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ»[٥]، رواه أحمد والترمذى وصححه.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم: البخارى: النكاح (٦٧) باب (٨٥) إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها ٦/ ١٥٠. ومسلم: النكاح (١٦) باب (٢٠) تحريم امتناعها من فراش زوجها ٢/ ١٠٥٩ حديث (١٤٣٦).

(٢) أخرجه مسلم: الرضاع (١٧) باب (١٧) خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٢/ ١٠٩٠ حديث (١٤٦٧).

(٣) أخرجه الترمذى: الأضاحى (٢٠) باب (١٧) الأذان فى أذن المولود ٤/ ٩٧ حديث (١٥١٤) وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، وأبو داود: الأدب (٤٠) فى الصبى يؤذن فى أذنه ٤/ ٣٢٨ حديث (٥١٠٥). وأحمد: ٦/ ٩.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه: الأدب (٤٠) باب فى تغيير الأسماء ٤/ ٢٨٧ حديث (٤٩٤٨)، وأحمد: ٥/ ١٩٤.

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ٤٢٢، والترمذى (١٥١٦)، وأبو داود (٢٨٣٥ و ٢٨٣٦) وابن ماجه (٣١٦٢)، والنسائى ٧/ ١٦٥.

(د) على الآباء النفقة على الأولاد، قال الرسول ﷺ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعولُ»[(١)].

(هـ) التربية والتعليم، فعلى الآباء مسئولية ذلك، قال - تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(٣)].

(و) الرحمة بالأولاد والتلطف معهم؛ وذلك لينشئوا نشأة سوية خالية من العقد والكبت والضغط، ولكى يشعروا بالرحمة والسعادة والاستقرار وهم بين آبائهم وأمهاتهم.

(ز) التسوية والعدل بين الأولاد؛ لحديث النعمان بن بشير، قال: إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إنى نحلت ابنى هذا غلامًا كان لى، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ»، وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال له: «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قال: لا، قال: «اتقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ ...» إلخ الحديث[(٤)].

(٧) أوجب الإسلام حقوقًا للآباء على الأبناء كثيرة وكبيرة؛ فهما سبب

---

(١) أخرجه البخارى: النفقات (٦٩) باب (٢) وجوب النفقة على الأهل والعيال ٦/ ١٨٩ عن أبى هريرة. ومسلم: الزكاة (١٢) باب (٣٢) بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ٢/ ٧١٧ ح (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام .

(٢) سورة التحريم، آية ٦ .

(٣) أخرجه البخارى: الجمعة (١١) باب (١١) الجمعة فى القرى والمدن ١/ ٢١٥ من حديث ابن عمر مرفوعا، ومسلم: الإمارة (٣٣) باب (٥) فضيلة الإمام العادل ٣/ ١٤٥٩ حديث (١٨٢٩) .

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى: الهبة (٥١) باب (١٣) الإشهاد فى الهبة ٣/ ١٣٤، ومسلم: الهبات (٢٤) باب (٣) كراهية تفضيل بعض الأولاد فى الهبة ٣/ ١٢٤٣ حديث (١٦٢٣) من حديث النعمان بن بشير .

وجودهم فى هذه الحياة، وتحملا العناء والتعب والسهر، فأوجب برهما، وحذر من عقوقهما، ومن أرضاهما أرضى الله، ومن أسخطهما فقد أسخطه، ومن برهما وأحسن إليهما فقد شكر ربه، ومن أساء إليهما فقد كفر بنعمته، وهما الباب الموصل إلى الجنة، فمن بَرَّهما وَصل، ومن عقّهما مُنع.

وقد قرن الله - سبحانه وتعالى - برهما بعبادته وحده.

وبهذا ندرك مدى عناية الإسلام بالأسرة عناية خاصة - من خلال ما سبق ذكره - مما جعلها أساس المجتمع.

والآن، وبعد معرفة هذه الآثار المدمرة التى أدت إلى الإلحاد والانحلال النفسى والخلقى، وتدمير الحياة ذاتها، والقلق العصبى، والشذوذ الجنسى، وانفصام الشخصية، واليأس، والقنوط، والصراع والأنانية والانتحار - وكلها أصبحت ظاهرة خطيرة فى المجتمعات الغربية - يظهر لنا مدى الحاجة إلى العقيدة الإسلامية؛ لدرء هذه الآثار المدمرة، ويتأكد لنا أن الإسلام هو الحل الوحيد لإنقاذ المجتمعات البشرية، كما سنرى ذلك - إن شاء الله - فى الباب القادم.

* * *



الباب الرابع

الإسلام هو الحل
لإنقاذ المجتمعات البشرية

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها.

الفصل الثاني: أثر العقيدة فى نهوض الفرد والأمة.

الفصل الثالث: أثر الشريعة فى رقى الفرد والأمة.



الباب الرابع
الإسلام هو الحل
لإنقاذ المجتمعات البشرية

مدخـــل:

المجتمعات البشرية التى انغمست فى المتع الحسية، وانصرفت للمادة وابتعدت عن منهج الله، وانحرفت وراء الشهوات والأهواء، وانحرفت وراء الإباحية والإلحاد، وأطلقت عنان الحرية - أصبح الإنسان فيها إنسانًا قلقًا معذبًا يائسًا، مستسلمًا لعالم الرعب والموت، عالم المجاعات والفقر، عالم الحروب المدمرة، عالم الأمراض والقهر والحرمان.

ولكى تتضح صورة المجتمعات المعاصرة القائمة أكثر أشير لما أصابها، فقد سجلت الإحصائيات والدراسات أرقامًا مفزعة عن حوادث السقوط والانهيار الفردى والجماعى فى المجتمعات المادية وجودية وغيرها، ندون منها ما يلى:

جريمة كل ثلاثين ثانية فى نيويورك، تتعرض تسع فتيات للغصب والاختطاف من أصل كل اثنتى عشرة فتاة فى بريطانيا، وأن رجال الأمن تمكنوا من القبض على ١٣٪ من الجناة فقط، الجرائم ارتفعت بنسبة ٨٤٪ خلال سنوات قليلة، بينما ارتفعت جرائم المراهقين إلى خمسة أضعاف خلال النصف الأول من سنة ١٩٧٥م، مجموعة من الشباب والفتيات - دون العشرين - يقفون يوميًا أمام المحاكم بتهمة ارتكاب أبشع الجرائم: مثل الاعتداء الخلقى والاغتصاب والنهب والقتل[١]، ٢٥٪ من السويديين مصابون بالأمراض العصبية والنفسية، ٤٠٪ من الدخل فى

(١) راجع: مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٨٢ ص ٥٠٤ ذى القعدة ١٣٩٦ .

السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض؛ وذلك سببه الحرية التى نالتها المرأة فى السويد بالشكل الذى تمارسه.

يقول الاتحاد الأمريكى للخدمات الأسرية: أصبح انهيار الأسرة - والذى وصل الآن درجة وبائية - المشكلة الاجتماعية الأولى؛ فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص، والمعدل الحالى هو سبعة أضعاف ما كان قبل مائة سنة، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨م، ويولد سنويا ٤ ملايين طفل غير شرعى فى الولايات المتحدة الأمريكية، مشكلة جنوح الأحداث والتى ترتبط بمشكلة الطلاق ارتباطًا وثيقا؛ فقد تضاعفت بدورها ثلاث مرات عما كانت عليه فى إحصائية ١٩٤٠م، وأغلبية جرائم القتل يرتكبها أصدقاء وأقارب، و ١٥% من جرائم الأسرة هى حالة قتل أبوين لأبنائهما.

وفى استفتاء جرى مؤخرًا تحت إدارة اليونسكو كانت النتيجة أن ٦٠% من الزوجات الأمريكيات والزوجات الأوربيات يشعرن بالخيبة والشقاء وعدم الرضا[١].

وجاء فى تقرير الدكتور (لبيريت) - وهو طبيب فرنسى-: أنه يموت فى فرنسا ٣٠ ألف نسمة بأمراض الزهرى المختلفة فى كل عام، ويموت فى أمريكا ٣٠-٤٠ ألف طفل بمرض الزهرى كل سنة، والجدير بالذكر: أن هذا المرض سببه انتشار الزنى[٢].

وجاء فى تقرير آخر أنه بلغت حالات الطلاق فى بريطانيا بسبب الخيانة الزوجية من كلا الزوجين - وذلك فى عام ١٩٧٣م - (١١٥٥٠٤٨) حالة طلاق، والمشكلة الخطيرة فى المجتمع الشيوعى الروسى هى أن كل حالتى زواج تحدث حالة طلاق فى معظم المدن الروسية الغربية، ففى موسكو

(١) راجع كتاب (الإنسان والدين) ص ٩٨ - ١٠٠، من منشورات دار التوحيد بالكويت.
(٢) المرجع السابق ص١٠٠ - ١٠١.

يحدث تسع وأربعون حالة طلاق من كل مائة حالة زواج(١).

أرقام مفزعة، حقائق مذهلة، مجتمعات ضائعة متمزقة، انتحار ومجون وشذوذ(٢).

إذن، ما هو الحل لإنقاذ هذه المجتمعات البشرية؟ الحل هو الإسلام، المنقذ الوحيد؛ لأنه:

١- الدين الذى يزكى النفس ويطهرها ويقيم فى حناياها الوازع القوى الذى يحول دائما بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال.

٢- الدين الذى يبين الشر والفساد والرذيلة؛ ليتقى أتباعه شرَّها وينتهوا عن اقترافها، كما يبين الخير والإصلاح والفضيلة؛ ليقتفى الناس أثرها، فهو يقيم لأتباعه نظامًا كونيًا نظيفًا ويدعوهم إلى اعتناقه، والتمسك به، كما يقيم لهم دستورًا حكيمًا يحفظ للإنسان إنسانيته كما يحفظ له نفسه وعرضه وماله.

٣- الدين الذى يكون خير معزٍّ إن ألمت به نوازع الدهر أو أصابه ما يوجب العزاء، كما أنه طاقة كبرى تدفع إلى الأمل والرجاء.

٤- الدين الذى كرّم الإنسان وعلّمه ما لم يكن يعلم.

٥- الدين الذى لم يهمل الدنيا؛ فهى فى نظره مزرعة للآخرة لا يصح الانصراف عنها، قال - تعالى-: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾(٣)، ولم يهمل العلم والعمل، بل دعا إليهما وحث عليهما، ووعد

---

(١) راجع كتاب (الإنسان والدين)، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) أثناء طبع الرسالة صدر فى جريدة الرياض عدد ٨٦٠٧ فى ١٣/٧/١٤١٢هـ آخر تقرير عن الجرائم فى أمريكا وبريطانيا مفاده: أن عدد جرائم القتل التى ارتكبت على الأراضى الأمريكية فى ١٩٩١م تقدر بأربع وعشرين ألفا وعشرين جريمة، أى: أكثر بخمسمائة جريمة عن العام ١٩٩٠م، وفى بريطانيا أن شخصًا واحدًا تقريبًا قتل كل ١٢ ساعة خلال عام ١٩٩١م .

(٣) الملك، آية ١٥ .

بالأجر والثواب جزاء لهما.

٦- الدين الذى عرف الناس العقيدة الحقة فى الله ذاتًا وصفاتًا، وفى الرسل الكرام وفى الأمور الغيبية، ولولا الدين ما استطاع الإنسان - مهما أوتى من حدة فى الذكاء واستقامة فى التفكير - أن يدرك ذلك إدراكا صحيحا وبجلاء ووضوح، كما جاء به الدين.

٧- الدين الذى عرفنا الشريعة الحقة، والعبادات وطرق المعاملات، كما حد الحدود التى تصون النفس والعرض والمال، وأنه لولا الدين لما كان هذا.

٨- الدين الذى أقام الحضارات الأولى وأقعدها، وباسمه أسست حضارة الإسلام التى كانت أعظم حضارة شهدتها القرون الوسطى[1].

إذن الإنسانية بحاجة إلى الدين الذى يقوم على عقيدة وشريعة، وسنرى فى الفصول المقبلة أهمية العقيدة ومدى الحاجة إليها وأثرها فى نهوض الفرد والأمة، كما سنرى أهمية الشريعة وأثرها فى رقى الفرد والأمة.

* * *

(١) راجع: د. عبد السلام عبده (العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل)، مطبعة الفجر الجديد، مصر، ج١، ص ٥٢ - ٥٩ .

الفصل الأول

أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها

ويشتمل على سبعة مباحث:

أولاً: أهمية العقيدة فى مجال السلوك.

ثانيًا: أهمية العقيدة فى مجال الاقتصاد.

ثالثًا: أهمية العقيدة فى المجالات الاجتماعية.

رابعًا: أهمية العقيدة فى مجال السياسة.

خامسًا: أهمية العقيدة فى المجالات العلمية.

سادسًا: أهمية العقيدة فى مجال الجسم.

سابعًا: أهمية العقيدة فى مجال النفس.



الفصل الأول
أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها

للعقيدة الإسلامية أهمية كبرى ومكانة عظيمة فى حياة الإنسان؛ فهى تزكى النفس وتطهرها، وبذلك حملت العقيدة الإسلامية الإنسان على العمل الصالح، والانتفاع من هذا الكون وهذه الحياة على الوجه المشروع، والارتقاء إلى قمة السعادة والسير فى طريق الخير والبناء، كما حاربت العقيدة الإسلامية الأوهام والخرافات، وحررت الإنسان من هذه الخرافات عندما أفهمته أن الإنسان لا يذل ولا يخضع ولا يعبد إلا الله - سبحانه وتعالى - فارتقى التفكير الإنسانى من مجال الخرافة والأساطير إلى التأمل العلمى والمشاهدة الصحيحة، وبهذه العبودية والخضوع لله - سبحانه وتعالى - لبّت العقيدة الإسلامية داعى الفطرة، ودلت الإنسان على خالقه ورازقه الذى بيده ملكوت كل شيء؛ فأخرجته من الانحراف والتخبط، وأشعرته بمسئوليته أمام الله فى الدنيا والآخرة، فاندفع إلى أشرف وأنبل الأعمال، كما أن العقيدة الإسلامية أنقذت الإنسان من استعباد الإنسان؛ إذ إنها جعلت البشر جميعا عبادا لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وهم مخلوقون له وحده، وهم سواسية أمامه حاكمين ومحكومين، والله رب العالمين[١].

وبهذا أستطيع أن أقول: إن الإنسان بلا عقيدة هو إنسان ميت القلب والضمير والمشاعر والأحاسيس، وميت العقل والفكر والبصر، ومثل هذا الإنسان لا قيمة له فى الوجود، بل إن الحيوان أفضل منه؛ لأن الحيوان لم يخرج عن طبعه ولم يعهد إليه بحمل رسالة، أما الإنسان فهو حامل للأمانة، فإذا لم يؤد الأمانة، ولم يرع حق الله فقد خرج عن مهمة وجوده: وهى

---

(١) راجع: د. آمنة محمد نصير (إنسانية الإنسان فى الإسلام)، دار الشروق، القاهرة، ص ٣٣ - ٣٨.

العبادة وأداء الرسالة، وانحرف عن سلوكه ورسالته ووظيفته الأساسية فى الحياة، وبالتالى خرج عن هذه المهمة العظيمة فصار مثل الحيوان، بل إن الحيوان أهدى منه، قال - تعالى-: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١].

وعقيدة تكمن أهميتها فى كل هذا نحن بأمسّ الحاجة لها فى جميع أوجه حياتنا وفى جميع المجالات الآتية:

١ - فى مجال السلوك:

السلوك هو الصورة الظاهرية للأخلاق، والأخلاق لها ارتباط وثيق بالعقيدة، العقيدة التى تعنى الإيمان بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً؛ فلا أخلاق بدون إيمان، ولا إيمان حقيقيًا بدون أخلاق، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»[٢]، ويقول: «مَا آمَنَ مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ»[٣]، ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٤]، ويقول: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[٥]، ويقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٦]، فواضح أن ارتباطًا وثيقًا بين الإيمان والأخلاق؛ فالإيمان إن لم يترجم إلى أخلاق فهو إيمان فارغ من مضمونه.

---

(١) الفرقان، آية ٤٤ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٤، والبغوى فى شرح السنة ١/ ٢١٠٠ والبيهقى فى السنن الكبرى ٦/ ٢٨٨ عن أنس بن مالك .

(٣) أخرجه البزار والطبرانى فى الكبير عن أنس، كما فى كنز العمال للهندى (٢٤٩٠٦) .

(٤) أخرجه البخارى (١٣)، ومسلم (٧١/ ٤٥)، والنسائى ٨/ ١١٥ من حديث أنس .

(٥) أخرجه البخارى (٦٠١٦)، وأحمد ٤/ ٣١، ٦/ ٣٨٥ من حديث أبى شريح الكعبى .

(٦) أخرجه البخارى (٦٤٧٥)، ومسلم (٧٥/ ٤٧) من حديث أبى هريرة .

والعقيدة الإسلامية تجعل حاملها يتحمل الناس، ويتعامل معهم بسلوك مستقيم، ويبتعد عن الغيبة والنميمة، والتجسس وتتبع الهفوات، ويكبح جماح الشهوة حتى يغنيه الله بالحلال، ويصلح بين الناس، ويميط الأذى عن الطريق، ويقوم بهذه الأعمال عن قناعة طاعة لله، وابتغاء رضوانه، ويمتنع عن المخدرات والمسكرات والفواحش، التى تجلب لصاحبها أعتى الأمراض ويبتعد عن الفتن والزلّات والمذاهب الهدامة التى تُذْهِب دينه ودنياه.

٢ - فى مجال الاقتصاد :

فى المجالات الاقتصادية تبقى العقيدة الصحيحة عنصرًا لازمًا فيها، والمجالات الاقتصادية تتعلق - فى الأساس - باكتساب المال وحفظه وإنفاقه، وفى كل هذه المراحل نجد الإسلام يربط برباط وثيق بينها وبين الإيمان؛ ففى مجال الكسب حينما نهى الحق - تبارك وتعالى - عن الربا وجه النداء للمؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فهنا ربط وثيق بين الإيمان ومجال من المجالات الاقتصادية.

وفى جميع المعاملات وضع رسول الله ﷺ قاعدة واجبة الاتباع، هذه القاعدة هى أن الغش منهى عنه نهيًا قطعيًا، وربط رسول الله ﷺ هذا النهى بالعقيدة، فقال: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[2]، أى: ليس من جماعة المؤمنين.

ولذلك تربى السلف الصالح بهذه التربية عند عملية الكسب؛ فلم يتجاوزوا فيها الحدّ، وقصة بنت بائعة اللبن التى قالت لها أمها: قومى فاخلطى اللبن بالماء حتى نبيعه، فقالت: يا أماه: ألم ينه عمر عن خلط

(١) البقرة، آية ٢٧٨ .

(٢) أخرجه مسلم (١٠١/١٥٤) والبخارى فى الأدب المفرد (١٢٨٠)، وأحمد ٤١٧/٢ من حديث أبى هريرة .

اللبن بالماء؟! فقالت الأم: إن عمر لا يرانا، فقالت البنت - صاحبة العقيدة - الراسخة والإيمان الصحيح-: إذا كان عمر لا يرانا، فرَبُّ عمر يرانا.

وفى حفظ المال وعدم إنفاقه فيما لا يفيد دلالة على الإيمان الصحيح؛ فقد قال الله - جل وعلا-: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾(١).

فتضييع المال وتبذيره دليل على تضعضع العقيدة وضعفها؛ إذ كيف يكون المرء ذا إيمان وهو من إخوان الشياطين؟!

وفى الإنفاق يتوجه القرآن بالنداء للمؤمنين فى توجيه المال إلى طرق الخير، فيربط بين العقيدة الصحيحة والإنفاق المشروع، فقال - جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ﴾(٢)، وقال ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣).

فالعقيدة الإسلامية تدفع حاملها إلى العمل والكسب الشريف، وتمنعه من الاعتداء على أموال الناس، وقبول الرشاوى، والمعاملات الربوية، وعن الاحتكار؛ لأنه يعلم أن الله هو الرزاق، كما أن العقيدة تدفع حاملها إلى الحفاظ على الثروات المادية العاملة للدولة.

٣ - فى المجالات الاجتماعية :

المجتمع المؤمن يقوم على التكافل الاجتماعى والتواصل والتراحم فيما بين أفراده، فبغير ذلك لا يكون المجتمع مؤمنًا، فالقرآن الكريم يجعل من

---

(١) الاسراء، آية ٢٦ - ٢٧ .
(٢) البقرة، آية ٢٦٧ .
(٣) المنافقون، آية ١٠ .

المؤمنين جميعًا إخوة؛ فقال - جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(١)]، والسنة المطهرة تجعلهم كالجسد الواحد، فقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٢)].

وفى كل المجالات الاجتماعية نجد ربطًا واضحًا جليًا بين الإيمان وهذه المجالات على تنوعها؛ فالعقيدة الإسلامية تلزم المؤمن بها بكل الإيجابيات التى تخدم وحدة المجتمع وتكافله من: صدق وإيثار، وجهاد وتعاون، وصدقة وتعاضد، كما تبعده عن كل ما يؤذى المجتمع وأمنه من رذائل وخيانات واستهتار وتزييف، ويسلك حامل العقيدة فى المجتمع سلوكًا صادقًا لا نفاق فيه ولا مداهنة ولا رياء.

٤ - فى مجال السياسة :

فى مجال السياسة نجد أنه فى كل فروعها - سواء فيما يتعلق بالحكم أو الشورى أو غيرهما - ارتباطًا بينها وبين الإيمان، فالحكم الإسلامى قائم على مسلمة أنه لا حكم مطلقًا لمخلوق؛ إذ الحكم المطلق لله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[(٣)]، ومن ثم فالحاكم بين الناس يستمد حكمه من الله الحاكم الحقيقى، وهذا يدل على العروة الوثيقة بين الحكم السياسى والعقيدة الصحيحة.

والشورى - ذلك المبدأ البارز فى الإسلام - صفة من صفات المؤمنين؛ حيث مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا

(١) الحجرات، آية ١٠ .
(٢) أخرجه البخارى (٦٠١١) ومسلم (٦٦/٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير .
(٣) يوسف، آية ٤٠ .

مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١).

فالعقيدة الإسلامية تلزم حاملها بطاعة أولى الأمر من المسلمين، ما أقاموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا هجروا كتاب الله وسنة رسوله حذرهم من مغبّة ذلك بالحكمة والنصيحة، وإذا جاهروا بعداء الدين، واستحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحله الله - فإنه لا سمع ولا طاعة حينئذ، وإذا دعا داعى الجهاد فى الإسلام فلا يتقاعس ولا يتأبى لداعى الجهاد، ولا يخاف فى الله لومة لائم.

٥ - فى المجالات العلمية :

العقيدة الإسلامية تدفع حاملها إلى طلب العلم، واستخدام الفكر، فكلما ازداد علمًا ازداد إيمانا ويقينا، والعلماء ورثة الأنبياء، والعلم خير وعز وشرف لحامله، قال - تعالى-: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(٢).

٦ - فى مجال الجسم :

العقيدة الإسلامية تدعو إلى العناية بالجسم؛ فإن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وتدعو إلى المحافظة على الجسم وعدم تقويضه، والإضرار به باستعمال ما حرّم الله من المشروبات والمخدرات التى ثبت ضررها عليه.

٧ - فى مجال النفس :

العقيدة الإسلامية تهذب النفس، وتجلب النور والسعادة، وتبعد عن السفاسف، وتحفظ من كل شر، وتدعو إلى كل خير، فإذا بالمؤمن راضى

---

(١) الشورى، آية ٣٦ - ٣٨ .
(٢) المجادلة، آية ١١ .

النفس لا يقلقه حب شيء، ولا يحزنه فقد شيء من الدنيا.

ونخلص إلى أن الإنسان فى أمسّ الحاجة إلى العقيدة الإسلامية؛ وذلك للأسباب الآتية:

للحفاظ على العقل والنفس، وللحفاظ على الروح والمعتقد، وللحفاظ على الجسد والعرض، وللحفاظ على المال والأبناء والأهل، وللمحافظة على الدنيا والآخرة.

والإسلام فى ربطه كل هذه المجالات بالعقيدة يجعل - أولاً - من العقيدة والإيمان تجسيدًا واقعيًا ملموسًا لا مجرد أقوال واعتقادات لا تقدم نفعًا ولا تجدى فتيلاً، ولا تبعث على تقدم الحياة واستمرارها.

ويجعل - ثانيًا - من العقيدة سياجًا يحمى حياة الناس واستقرارهم؛ إذ بناء الحياة على عقيدة الإسلام الصحيحة لا يؤدى إلا إلى الخير والفلاح، وهذا ما لا نجده عند الوجودية ولا غيرها بعقائدها الهدامة المدمرة للنسل والحرث.

* * *



الفصل الثانى

أثر العقيدة فى نهوض الفرد والأمة

ويشتمل على ستة مباحث

أولاً: أثر الإيمان بالله فى حياة الفرد والأمة.

ثانيًا: أثر الإيمان بالرسل فى حياة الفرد والأمة.

ثالثًا: أثر الإيمان بالملائكة فى حياة الفرد والأمة.

رابعًا: أثر الإيمان بالكتب فى حياة الفرد والأمة.

خامسًا: أثر الإيمان بالقدر فى حياة الفرد والأمة.

سادسًا: أثر الإيمان بالبعث فى حياة الفرد والأمة.



الفصل الثانى
أثر العقيدة فى نهوض الفرد والأمة.

إن الدارس للعقيدة الإسلامية، المتأمل فيما جاءت به من حكم وأسرار - يدرك أثرها الواضح فى نهوض الفرد والأمة، وآية ذلك: هؤلاء الذين اصطنعتهم العقيدة الإسلامية فتمثلوها علمًا وعملاً وقلبًا وجوارح، فكان الرجال الذين يذكرهم التاريخ فيذكر العدل والبر والرحمة والشجاعة والتناسى عن الدنيا، حتى مع مخالفيهم فى العقيدة، وعقيدتهم أغلى ما يملكون وما يحبون.

فما هذه الآثار التى نتجت عن هذه العقيدة الحقة فامتدت ظلالها فشملت الدنيا بأسرها؟

أولاً: أثر الإيمان بالله فى حياة الفرد والأمة:

إن الإيمان بالله الذى أنكرت الوجودية وجوده، أو قالت بوجوده معزولاً عن هذا الوجود - هو رأس العقيدة وذروة سنامها، وبذلك فقد وضع الإسلام فى هذا الأمر الخطير آية الآيات، ومعجزة المعجزات، فبيّن أن الله - سبحانه وتعالى - ذاتًا انفردت بعلم نفسها، ومنزهة عن صفات النقص والعيب.

وهذا بيان ذلك:

١ - الإيمان بالله - تعالى - وسيلة لطلب معرفته بأسمائه وصفاته، ولحبه وتعظيمه وطاعته وخشيته، والتقرب بفعل محابه، واجتناب محارمه، يشهد لهذا ويدل عليه قوله - تعالى-: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1]؛ إذ علق - تعالى - حصول ما طلبه منهم على إيمانهم.

---

(١) الأنفال، آية (١)

٢ - الإيمان بالملائكة وسيلة إلى الاعتبار بطاعتهم؛ لأنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، ووسيلة إلى الاستحياء منهم، والاستئناس بهم؛ لعلم المرء بأن الكرام الكاتبين عن يمينه وشماله لا يفارقونه، كما أنه وسيلة إلى معرفة عظمة الله - تعالى - فيهم[2].

٣ - الإيمان بالكتب وسيلة إلى الإيمان بالله - تعالى - ومعرفة علمه، وأسمائه، ووعده ووعيده، كما هو وسيلة إلى تصديق الرسل الذين أرسلوا بها، وأنزلت عليهم، ووسيلة - أيضا - إلى معرفة شرائع الله تعالى، وجميع ما يحبه، ويرضاه، أو يكرهه ويسخطه من المعتقدات، والأقوال، والأفعال، وإلى معرفة الغيب وأحوال الدار الآخرة.

٤ - الإيمان بالرسل وسيلة إلى معرفة تطبيق شرائع الله - تعالى - وبيان كيفيات أداء عباداته، ووسيلة إلى محبة الرسل الباعثة على طاعتهم، واتباعهم والتزام شرائعهم.

٥ - الإيمان باليوم الآخر وسيلة إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات بما يوجد في النفس من الرغبة فيما عند الله من خيرى الدنيا والآخرة، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله، والرهبة من عقابه.

٦ - الإيمان بالقدر وسيلة إلى ترك الحزن على ما فات من متاع الحياة، وترك الفرح الحامل على البطر والأشر بما يؤتى الإنسان من حطام الدنيا ومتاعها الزائل، كما هو وسيلة إلى الصبر والتحمل والطمأنينة والسكون[3].

ويستطيع صاحب العقيدة الصافية الإحساس والشعور بأثر الإيمان بالله وطاعته من خلال الحقائق التالية:

---

(١) التحريم، الآية (٦).

(٢) جاء في الصحيحين: أن الرسول ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح. اللؤلؤ والمرجان (١/ ٤١).

(٣) راجع د. عبد السلام عبده (العقيدة الإسلامية) ج٢ ص١١٢ - ١٣٥ .

(أ) أن الإنسان يواجه بعض الصعوبات والمشاكل فى هذه الحياة، والإيمان بوجود الله يمدّ الإنسان بالقوة التى تعينه على تخطى هذه الصعوبات والمشاكل؛ لأنه لن يضعف ومعه الله القوى، ولن ييأس ومعه الله الذى يمده بالأمل ويجيب الدعاء، ولن يجبن ومعه الله المعين، ولن يتكاسل عن عمل الخير؛ لأن الله سيثيبه عليه، ولن يجرؤ على عمل الشر؛ لأن الله سيعاقبه إن عمله.

وقد أكدت بعض الدراسات التربوية والأبحاث النفسية أن الإيمان بالله - تعالى - وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية، والانحرافات الخلقية التى تنشأ من عوامل القلق والتوتر والخوف، وأكده بعض علماء النفس وقد قال - تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

(ب) أن الإيمان بالله يولد إحساسًا بأن الله يحمى المؤمن من هذا الكون، ومن كل ما أودع فيه، بل ويسخره له، وييسر له سبل الوصول إلى ذلك، قال - تعالى-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٢]، وقال - تعالى-: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٣]، وإن أشد الناس حيرة واضطرابًا فى هذه الحياة هم غير المؤمنين بالله عز وجل؛ لأنهم فى خوف دائم من الظروف حولهم، ومن الناس والأشياء وكل ما يحيط بهم.

(ج) أن الإيمان بالله - عز وجل - يغرس فى قلب المؤمن، وفى أغوار وجدانه الإحساس بالمسئولية، والاندفاع الذاتى نحوها، والشعور

---

(١) الأنعام، آية ١٥٣ .
(٢) الجاثية، آية ١٣ .
(٣) الرعد، آية ١١ .

بمراقبة الله ومخافته، قال - تعالى-: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

لقد أثرت عقيدة الإيمان بالله فى نفوس المؤمنين، امتثالاً لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، فمن امتلأ قلبه يقينا بوجود خالقه ورازقه، ومالك عليه أمره وشأنه - أكد عبوديته له وكانت عبوديته له وحده؛ ذلك لأن الإنسان متى أدرك أن خالقه ورازقه ومالك أمره كله عاجله وآجله هو الله، وأن جاهه وعزه ومجده منه - تعالى - ترفّع عن أن تنحنى هامته لغيره؛ فكان سيدًا لا تذل هامته لغير الله.

لقد زعمت بعض المذاهب الهدامة أن الإنسان ليس عبدًا لعنصر فى الأرض أو كائن فى السماء، ثم نادت بحرية الإنسان حرية مطلقة، دعت فيها إلى نبذ العبودية حتى ولو كانت العبودية لله. فهل نجحت فيما زعمت، وحققت ما دعت إليه؟ ماذا حلّ بالإنسان حين حاول أن يتحرر من العبودية لله؟ لقد تعبدته شهواته، تعبده حب المال والجاه والسلطان.

إن الإنسان حين حاول أن يتحرر من عبوديته لله هاب كل ما سوى الله، وحين تجرأ على حدود الله خاف من كل ما سواه؛ ذلك لأن الإنسان الذى لا يخاف إلا الله لا يخشى سواه، أما من لا يخاف الله فإنه يخشى كل شىء سواه، فحين تجرأت أوربا وغيرها من شرق ملحدٍ وغرب منحرف عن الحق - على حدود الله - خاف أبناؤها من القطة السوداء، والرقم ١٣، بل خاف الإنسان من نفسه، ومن ولده ومن زوجته، بل ومن يومه وأمسه وغده.

وما بمثل هذا الخواء والاضطراب تعمر الدنيا أو تتقدم الأمم أو يطمئن

(١) سبأ، آية ٣.

الفرد.

إن الوجودية حين زعمت أن الله ليس بموجود - معاذ الله - أو موجود لا شأن له بهذا العالم كإله أرسطو، أو مسلوب الإرادة كإله أفلاطون - فقد أثمرت فى نفوس معتنقيها القلق واليأس والهم والغم.

أما عقيدة الإيمان بالله فقد ربطت على قلوب الأمة؛ فأوجدت جيلاً جاء فى أوانه ليصحح موازين القوى فى العالم، ويقذف بالزبد فى وجوه الأفاكين.

وإذا كانت العبودية لله تسود العبد على ما سواه - كما أوضحت - فإنها كذلك شرف لا يسمو إليه شرف، ونبل لا يطاوله نبل؛ فالإنسان كلما زادت عبوديته لله زاد عزه وشرفه وعلو مكانته، والعكس صحيح؛ إذ كلما أذله شيطانه الماكر عن عبوديته لله، زاد ذله وفقره وخموله.

وبالإيمان بالله يتحرر المؤمن من ربقة الهوى، ونزعات النفس الأمارة، وهمزات الشياطين، وفتنة المال والنساء، ويتحلى بالمراقبة لله، والإخلاص له والاستعانة به، والتسليم لحكمه فى كل ما ينوب ويروع، ويندفع بكليته إلى العمل بأمانة وجدية وإتقان، وهكذا تفعل عقيدة الإيمان بالله فى النفوس المؤمنة، وما تفعله هو دواء الوجودية وغيرها من تيارات ملحدة.

ثانيًا: أثر الإيمان بالرسل فى حياة الفرد والأمة:

الرسل والأنبياء منذ آدم - عليه السلام - إلى خاتمهم محمد بن عبد الله هم الصلة والرحمة بين الخالق وبين عباده، أرسلهم الله - عز وجل - إلى الناس بتعاليمه والدعوة إلى عبادته وطاعته، قال - تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1]. وقد

(١) الأحزاب، آية ٤٥ - ٤٦.

اصطفى الله من عباده هؤلاء الرسل؛ ليكونوا أداة إصلاح، ووسيلة هداية، ومصدر إشعاع لمن أرسلوا إليهم، وهم النماذج البشرية الفريدة المتكاملة الذين يجب أن يأخذ الفرد والمجتمع عنهم، ويتأسوا بهم، وهم لا ينطقون عن الهوى، إن هم إلا وحى يوحى، وأظهر أوصافهم: الصدق، والأمانة، والعصمة.

لهذا يجب الإيمان بهم، والتلقى عنهم، والتحلى بأخلاقهم وسلوكهم، والاقتداء بهم، وتطبيق ما عملوه، قال - تعالى-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1]، وعدم الاعتراف بهم يؤدى إلى متاهات التفسيرات البشرية التى قد تؤدى فى النهاية إلى الابتعاد عن جوهر الدين وأسسه ومبادئه.

ثالثًا: أثر الإيمان بالملائكة فى حياة الفرد والأمة[2]:

الملائكة هم كما وصفهم الله - عز وجل - بقوله: ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾[3]، وقوله - تعالى-: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[4]، ولهم وظائف مكلفون بها، لا يستنكفون عن أدائها؛ فمن هؤلاء الملائكة من يحصون أعمالنا وما قدمت أيدينا؛ لتوزن يوم الحساب، ونلقى بها ثوابًا أو عقابًا، قال - تعالى-: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[5]، وقال - تعالى-: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[6]، ومنهم من يرفع أعمالنا إلى الله - عز وجل -

---

(١) الأنعام، آية ٩٠ .

(٢) راجع: عفيف عبد الفتاح طبارة (روح الدين الإسلامى)، دار العلم للملايين، بيروت، ص ١٤٦ - ١٥١ .

(٣) الأنبياء، آية ٢٦ .

(٤) التحريم، آية ٦ .

(٥) ق، آية ١٨ .

(٦) الانفطار، آية ٩ - ١٢ .

صباح مساء، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم المكلف بسؤال العبد بعد الموت، إلى غير ذلك من الوظائف التى أوكلهم الله بها[١]؛ لهذا يجب الإيمان بالملائكة، والشعور بما كلفوا به حتى يزداد الفرد والمجتمع خشية ورهبة من الله؛ فتنعكس آثار ذلك على سلوكه وأخلاقه وسائر تصرفاته.

رابعًا: أثر الإيمان بالكتب فى حياة الفرد والأمة:[٢]

يجب على الفرد والأمة أن تؤمن بالكتب التى جاء بها رسل الله من الله - عز وجل - لأن فى هذه الكتب القوانين التى تنظم حياتنا وسلوكنا أفرادًا وجماعات، وهى قوانين إلهية صادرة من العليم الحكيم، تتلاءم مع واقع الناس، وتفى بحاجة البشر، وإذا أخذ الفرد والمجتمع بهذه القوانين وساروا عليها كانت سببًا فى درء مفاسدهم، وتأمين مصالحهم فى الدين والدنيا والآخرة، وفى ذلك مرتقاهم السامى، وعزتهم المنشودة، وسلامهم الآمن، وتوحيد لهم، وسريان روح المحبة والوئام بينهم، كما تدعو هى إلى ذلك.

---

(١) راجع: عبد المجيد الزندانى وآخرون (الإيمان)، دار القلم، بيروت، ص١٥٣ - ١٥٦

(٢) وقد انقسم الناس حيال الكتب السماوية إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم كذب بها كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة .

٢ - قسم آمن بها كلها، وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم، كما قال - تعالى -: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» .

٣ - قسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم الذين يقولون: «نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم»، بل هؤلاء يؤمنون ببعض كتابهم ويكفرون ببعضه، كما قال - تعالى - عنهم: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون» .

ولا شك أن الإيمان ببعض الكتب ورد فى الأصل أو (ببعض الكتب) وأرى إما أنها تكرار فتحذف، وإما أن المقصود بها أو (ببعض الكتب) والكفر بالبعض الآخر كفر بالجميع؛ لأنه لابد من الإيمان بجميع الكتب السماوية، وبجميع الرسل .

وعدم الإيمان بالكتب يؤدى بالبشر إلى أن يشرعوا لأنفسهم تشريعات ناقصة مؤسسة ومبنية على النظرة القاصرة والهوى المهلك؛ فيحصل البغض والحقد والقلق والصراع بين الأفراد، ويقضى على السعادة والطمأنينة فى مجتمع يتصارع أو لا يحس أفراده بالسكينة والمحبة فيما بينهم(١).

خامسًا: أثر الإيمان بالقدر فى حياة الفرد والأمة:

لقد دعا الإسلام أمته إلى الإيمان بالقضاء والقدر، وبين أنه أحد أركان الإيمان، لا يكمل إيمان المرء إلا به؛ فمن أنكره فهو كافر لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وبين أيضا أن كل ما يحدث لنا إنما هو من تدبير الله - سبحانه وتعالى - وإرادته.

وفائدة هذا الإيمان: أن يكون سلاحًا مع المؤمن يظهره أمام المحن والمصائب التى تعترض حياته مما ليس له يد فيه، فإذا أصابه شىء فانه سيركن إلى الله - سبحانه - فهو الذى يقدر، وهو الذى يقضى، وهو الذى يدبر، وهو الذى سيجزيه على صبره خيرًا، قال - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾(٢)، وقال - تعالى-: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٣)، وأما إذا لم يعتقد ذلك فإنه سيتردى فى هوة اليأس والندم، والثورة على نفسه وعلى الحياة، كما هو حال الوجوديين.

إن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: صحة إيمان الشخص بتكامل أركانه؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة التى لا يتحقق إلا

(١) راجع: عبد المجيد الزندانى وآخرون (الإيمان)، ص٥٦ - ٥٩ .
(٢) البقرة، آية ١٥٦ - ١٥٧ .
(٣) التوبة، ٥١ .

بها، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: طمأنينة القلب وارتياحه وعدم القلق فى هذه الحياة عندما يتعرض الإنسان لمشاقّ الحياة؛ لأن العبد إذا علم أن ما يصيبه فهو مقدر لابد منه ولا رادّ له، واستشعر قول الرسول ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»(١)، فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن باله، بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر؛ فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق حتى يتبرم بالحياة ويحاول الخلاص منها ولو بالانتحار، كما هو مشاهد من كثرة الذين ينتحرون؛ فرارًا من واقعهم وتشاؤمًا من مستقبلهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر، فكان تصرفهم ذلك نتيجة حتمية لسوء اعتقادهم، وقد قال الله - تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢)، فأخبرنا - سبحانه - أنه قدر ما يجرى من المصائب فى الأرض وفى الأنفس، فهو مقدر ومكتوب لابد من وقوعه مهما حاولنا دفعه، ثم بين أن الحكمة من إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن؛ فلا نجزع ولا نأسف عند المصائب، ولا نفرح عند حصول النعم فرحًا ينسينا العواقب، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب وعدم اليأس من روح الله، والشكر عند الرخاء، وعدم الأمن من مكر الله، ونكون مرتبطين بالله فى الحالتين، قال عكرمة - رحمه الله-: «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا والحزن صبرًا».

وليس معنى هذا أن العبد لا يتخذ الأسباب الواقية من الشر والجالبة

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٥١٦) وأحمد ١/ ٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧، والطبرانى فى الكبير (١٢٩٨٨) و (١٢٩٨٩) عن ابن عباس .

(٢) سورة الحديد، آية ٢٢ - ٢٣ .

للخير، ويتكل على القضاء والقدر كما يظن بعض الجاهلين، هذا من أكبر الغلط والجهل؛ فإن الله أمرنا باتخاذ الأسباب ونهانا عن التكاسل والإهمال، ولكن إذا اتخذنا السبب وحصل لنا عكس المطلوب فعلينا ألا نجزع؛ لأن هذا هو القضاء المقدر، ولو قدر غيره لكان؛ ولهذا يقول النبى ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنى فَعَلْتُ كَذَا لَكَان كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

وعلى العبد مع هذا أن يحاسب نفسه ويصحح أخطاءه؛ فإنه لا يصيبه شيء إلا بسبب ذنوبه، قال - تعالى-: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[2].

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: الثبات عند مواجهة الأزمات، واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق لا تزلزله الأحداث ولا تهزه الأعاصير؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان وتقلب، كما قال - تعالى-: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[3]، وقال - تعالى-: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾[4].

كم جرى على رسول الله ﷺ وعلى صحابته من المحن والشدائد، لكنهم واجهوها بالإيمان الصادق والعزم الثابت حتى اجتازوها بنجاح باهر؛ وما ذاك إلا لإيمانهم بقضاء الله وقدره واستشعارهم لقوله - تعالى-: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤/ ٢٦٦٤) وأحمد ٢/ ٣٦٦ و٣٧٠ وابن ماجه (٧٩) عن أبى هريرة.

(٢) سورة الشورى، آية ٣٠.

(٣) سورة الملك، آية ٢.

(٤) سورة محمد، آية ٣١.

(٥) سورة التوبة، آية ٥١.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: تحويل المحن إلى منح والمصائب إلى أجر، كما قال - تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، ومعنى الآية الكريمة: من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه ويقينًا صادقًا، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، وهذا فى نزول المصائب التى هى من قضاء الله وقدره ولا دخل للعبد فى إيجادها إلا من ناحية أنه تسبب فى نزولها به؛ حيث قصر فى حق الله عليه بفعل أمره وترك نهيه، فعليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويصحح خطأه الذى أصيب بسببه.

وبعض الناس يخطئون خطأ فاحشًا عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلهم للمعاصى وتركهم للواجبات، ويقولون: هذا مقدر علينا، ولا يتوبون من ذنوبهم، كما قال المشركون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[2]، وهذا فهم سيئ للقضاء والقدر؛ لأن القضاء والقدر لا يحتج بهما على فعل المعاصى والمعايب، وإنما يحتج بهما على نزول المصائب، فالاحتجاج بهما على فعل المعاصى قبيح؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما، والاحتجاج بهما على المصائب حسن؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة، فالمجاهد فى سبيل الله يمضى فى جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لابد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر ولا يمنع

---

(١) التغابن، آية ١١ .
(٢) الأنعام، آية ١٤٨ .

منه حصون ولا جنود: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١]، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[٢]، وهكذا حينما يستشعر المجاهد فى الدفعات القوية من الإيمان بالقدر، يمضى فى جهاده حتى يتحقق النصر على الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين.

وكذلك بالإيمان بالقدر يتوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له - فإنه لن يتواكل ولا يهاب المخلوقين ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل على الله ويمضى فى طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة ولم يتوفر له مطلوبه فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود، ولا يقطع منه باب الأمل، ولا يقول: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا»[٣]، ولكنه يقول: «قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[٤]، ويمضى فى طريقه متوكلًا على الله مع تصحيح خطئه ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع وتنظيم مصالحه، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٥].

قد أثمرت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر التى رفضتها الوجودية - رفضًا قاطعًا - فى حياة الفرد المسلم طمأنينة وراحة بال وهدوء أعصاب، إنه مطمئن إلى ما عند الله واثق من بره وعطائه، ومعتقد أن رزقه إن لم يأته اليوم فلن يخطئه غدًا؛ فاستقامت بهذه العقيدة الأفكار والعقول كما صحت الأبدان والأجسام على قدم المساواة[٦].

---

(١) النساء، آية ٧٨ .
(٢) آل عمران، آية ١٥٤ .
(٣) تقدم .
(٤) تقدم .
(٥) الطلاق، آية ٣ .
(٦) راجع: فاروق أحمد الدسوقى (القضاء والقدر فى الإسلام) المكتب الإسلامى، بيروت، =

إنه بالإيمان بالقضاء والقدر يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والهلع، ويتحلى بالصبر والشجاعة والإقدام، ولا يخشى فى الله لومة لائم، ويكون مثالاً فى السلوك والأخلاق والتربية، والله - سبحانه - مع المؤمنين العاملين الصادقين.

سادسًا: أثر الإيمان بالبعث فى حياة الفرد والأمة:

دعا الإسلام أبناءه إلى الإيمان بحياة آخرة اعتبرها الحياة التى ينبغى أن تسمى حياة، قال - تعالى-: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[(١)]، بعد أن قال عن هذه الحياة الدنيا: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[(٢)].

والإيمان باليوم الآخر يضفى على الحياة معنى؛ لأنه ما الفائدة فى حياة فيها الكثير من الصعاب والعقبات، ويقضى الإنسان الكثير من عمره فى تخطى هذه الصعاب وتلك العقبات، وكثيرًا ما يفعل الإنسان الخير ويضحى بجهده وعمله وماله، ولا يجد مكافأة دنيوية عليه، وكثير من الناس يظلمون ويفسدون ثم يرحلون بلا عقاب أو حساب؟!

وقد تنوعت أدلة البعث فى القرآن الكريم:

فتارة: يخبر عن أنه أماتهم ثم أحياهم فى الدنيا، كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[(٣)]قال: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[(٤)]، وعن ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[(٥)]، وعن إبراهيم إذ قال:

= ص٣٢٣ - ٣٦٨ .
(١) العنكبوت، آية ٦٤ .
(٢) العنكبوت، آية ٦٤ .
(٣) النساء، آية ١٥٣ .
(٤) البقرة، آية ٥٥ - ٥٦ .
(٥) البقرة، آية ٢٤٣ .

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى...﴾ القصة[١]، وكما أخبر عن المسيح أنه كان يحيى الموتى بإذن الله، وعن أصحاب الكهف أنهم بعثوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

وتارة: يستدل على ذلك بالنشأة الأولى؛ فإن الإعادة أهون من الابتداء كما فى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ الآية[٢]، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣]، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٥].

وتارة: يستدل على ذلك بخلق السموات والأرض؛ فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما فى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[٦].

وتارة يستدل عليه بتنزيه الله عن العبث، كما قال - تعالى-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٧]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[٨]، فالناس فى هذه الدنيا منهم المحسن ومنهم المسيء، وقد يموتون ولا ينال أحدهم جزاء عمله؛ فلابد من دار أخرى يقام فيها العدل بين الناس، وينال كل منهم جزاء عمله.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٦٠ .
(٢) سورة الحج، آية ٥ .
(٣) سورة يس، آية ٧٩ .
(٤) سورة الإسراء، آية ٥١ .
(٥) سورة الروم، آية ٢٧ .
(٦) سورة الأحقاف، آية ٣٣ .
(٧) سورة المؤمنون، آية ١١٥ .
(٨) سورة القيامة، آيات ٣٦ - ٤٠ .

إن الله - سبحانه وتعالى، وهو العادل - قد أعد هذه الحياة الآخرة؛ ليلقى فيها المحسن جزاء ما أحسن والمسيء أو الظالم عاقبة ما أساء أو ظلم، قال - تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

إن الإنسان إذا تصور البعث وحتميته، والموقف وهوله، والصراط ودقته، والميزان وقسطه، والكتب ونشرها، والشمس وقربها، والأعضاء وشهادتها، وجهنم وزبانيتها، وكذلك تصور - أيضًا - الأبرار الذين يظلهم الله فى ظله، ويحيطهم برحمته، وييسر لهم سبل الحساب، ويسهل عليهم اجتياز الصراط، ويثقل لهم بعدله الميزان، ويؤتيهم بإيمانهم الكتب، ويدخلهم الجنة بسلام - إنه إذا تصور هذا وذاك: تحلى بالفضائل، وتخلى عن الرذائل، وسلك سبيل الحق، وتنكب طريق الباطل، وتزود بالتقوى والعمل الصالح، ونفر من الإثم، وترك قول الزور، وأصبح قدوة حسنة فى الأخلاق والسلوك.

وهكذا أثرت عقيدة البعث فى سلوك الفرد المسلم استعدادًا وتأهبًا للقاء ربه؛ فحدّ من غلواء التكالب على هذه الحياة، وتحرر من عبودية الشهوات؛ فالعمر قصير، والدنيا دار ممر والآخرة هى دار مقر(٢).

أما الوجودية فقد أنكرت البعث، فقتلت معانى الصبر وإحسان العمل فى الدنيا فى نفس الإنسان؛ فكيف تكون الحياة إذن؟!

بعد أن عرفنا من خلال ما مضى أثر العقيدة الإسلامية فى حياة الفرد والأمة، فإنه يجدر بى أن أشير - بإيجاز - إلى أثر الشريعة الإسلامية فى رقى الفرد والأمة، وكذلك - أيضًا - دورها فى تجديد العقيدة وبناء المجتمع.

---

(١) النور، آية ٦٤ .

(٢) راجع: بسام سلامة (الإيمان بالغيب)، مكتبة المنار، الأردن، ص١٣٧ - ١٦١ .

الفصل الثالث

أثر الشريعة الإسلامية
فى رقى الفرد والأمة

ويشتمل على مبحثين

أولاً: العبادات

ثانيًا: الحدود

الفصل الثالث
أثر الشريعة الإسلامية فى رقى الفرد والأمة

الدارس للشريعة الإسلامية المطلع على ما جاءت به من أوامر ونواهٍ يدرك أن صلاح الأمة ورقيها، ونهوض الفرد وتقدمه - مرهونان بالتمسك بشريعة الله - سبحانه وتعالى - وأن الله قد شرع حقوقًا، منها: ما يعود على الفرد المسلم ويجدد صلته بالله - تعالى - فيضفى ذلك عليه استقامة فى حياته، وترابطًا فى مجتمعه الذى يعيش فيه، وهى العبادات.

ومنها: ما يعود على المجتمع بأسره لحمايته، ورقيه على ضوء الشريعة الإسلامية، وهى الحدود والعقوبات المقدرة لها.

أولاً: العبادات:

شرع الله - سبحانه - عبادات تعتبر سياجًا يحمى المؤمن من أن يبدد طاقته فيما لا يفيد أو فيما يضر، ولها أثر فعال فى تجديد الإيمان وبناء المجتمع، وهى:

١: الصــلاة:

هى صلة بين العبد وربه، وقفة لطيفة خاشعة تذكر العبد بمقامه غدًا أمام سيده، وفى ساحة عدله وقضائه؛ فتعيد إلى قلبه الذاهل - أمام مجريات الأحداث ومتطلبات الحياة - روحانية لطيفة كريمة ترجع إليه جماحه حين ينأى به هواه بعيدًا عن الحق؛ فتكبحه إلى جادة الصواب، وتبين له أن الآخرة هى الحيوان، وأن الدنيا دنيئة، ومن هنا كانت حكمة النداء للصلاة بـ «الله أكبر»، لا تنعقد الصلاة بغيرها، وتكون سورًا جديدًا سميكًا يفصل بين مخاطبة البشر ورب البشر.

والصلاة إذا أداها الفرد المؤمن فى خشوع واطمئنان تورث خشية الله - تعالى - منه وتقواه والإخلاص له، وهذا يؤثر فى سلوك الفرد خارج

الصلاة؛ فلا يرتكب المنكرات، قال - تعالى-: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[١].

وفى الصلاة يقف المؤمنون صفوفًا منتظمة على اختلاف طبقاتهم: فقيرهم وغنيهم على السواء، فيتعارفون ويتآلفون ويتحابون ويزيلون ما بينهم من حواجز دنيوية، ويتعودون على العمل الجماعى المنظّم الهادف، وهذا أكبر دليل وشاهد على سعى الإسلام فى إزالة الفوارق بين الطبقات، لا الصراع وما يريقه من حقد وكراهية كما تدعو إليه الوجودية[٢].

٢ - الصيام:

يسهم الصيام فى استقامة حياة الفرد والأمة حسيًا ومعنويًا ماديًا وروحيًا، والصائم يراقب ربه وحده دون سواه فى الحفاظ على مقتضيات صيامه، والصيام يعصم الفرد من طغيان الشهوات الجنسية التى قد تدفعه إلى ارتكاب ما يغضب الله؛ فيتدنس العرض، ويضيع المال، وتتفكك الأسر والمجتمعات، قال رسول البشرية ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَة فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصوم فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء»[٣]، والصوم يخلص الجسم من كثير من الفضلات التى تضر به، وتجعله غير قادر على مقاومة الأمراض والجراثيم، قال ﷺ: «صُومُوا تَصِحُّوا»[٤]، وإذا صح جسم الفرد أصبح عاملاً منتجًا فى مجتمعه؛ فيفيد نفسه ويفيد الآخرين، والصائم لا يؤذى الآخرين من أفراد مجتمعه؛ لأنه لا يتكلم بالكلام الفاحش، ولا يهذى ولا يخاصم، ولا يجادل بالباطل، ويحاول أن يعفو عن إساءة الآخرين فيصير شخصًا متسامحًا خيّرًا، وبذلك

---

(١) العنكبوت، آية ٤٥ .

(٢) راجع: أبو الأعلى المودودى، (مبادئ الإسلام) - ص١١٨ - ١٢٢ .

(٣) صحيح البخارى: كتاب الصوم ص١٠١ على فتح البارى، وصحيح مسلم ٢/٨٠٦ كتاب الصيام .

(٤) الجامع الصغير ج٢ ص٤٦، رواه أبو نعيم عن أبى هريرة بطريق حسن .

يعيش أفراد المجتمع فى حب ومودة ووئام، والصوم يعود الأمة على أن تكون عاداتها وتقاليدها واحدة كما هو فى رمضان - الشهر الذى يصوم المؤمنون جميعًا فيه - فلا يكون هناك اختلاف فى التقاليد وما يؤدى إليه من التنافر وعدم التعاون والتباعد والأنانية، كما تدعو إلى ذلك الوجودية، وبهذا يتضح أن الصيام يؤدى دورًا كبيرًا فى استقامة الفرد والمجتمع(١).

ثم إن الصيام مدعاة إلى إحساس الغنى بمعاناة الفقير؛ لما يذوق الجوع والعطش، فيتراحم المؤمنون فيما بينهم لذلك.

٣ - الزكـاة :

الزكاة إسهام كبير فى تحقيق التوازن المالى فى المجتمع، كما أنها تحقق التضامن والتكافل الاجتماعى، فالإسلام يرى أن المال مال الله، وأن الإنسان مستخلف فيه، وأن مخلف هذا المال يأمر هذا المستخلف أن يؤدى لكل ذى حق حقه، قال - تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾(٢).

وإذا أدى الفرد المسلم حق المال فقد حقق عبوديته لله، ورضى الله عنه، ويهديه إلى حب الخير وخير العمل، ويبارك له فى ماله ويطهر نفسه، كما حقق علاقة الحب والمودة بينه وبين الفقير حين أدى ما عليه نحوه بلا حقد ولا كراهية ولا صراع يمزق المجتمع، ويقضى على مظاهر التعاون فيه، وبهذا تتجلى رحمة الله - سبحانه وتعالى - حين شرع هذه الفريضة وحث على أدائها، ووعد على ذلك الثواب الجزيل، وتوعد وهدد الذين يبخلون بأموالهم فلا يخرجون زكاتها.

---

(١) راجع: أبو الأعلى المودودى، (مبادئ الإسلام) - ص١٢٢ - ١٢٤ .
(٢) التوبة، آية ٦٠ .

وبهذا - أيضا - يتحقق فى دفع الزكاة التربية القويمة للغنى، والكرامة الإنسانية للفقير الذى يأخذ الزكاة فلا مَنَّ ولا طغيان، وإنما الحرص على طاعة الله - عز وجل - والقضاء على مظاهر البؤس والبطالة فى المجتمع، وهكذا الزكاة تحلى المسلمين بأوصاف التضحية والإيثار لوجه الله - تعالى - وتزيل عن قلوبهم الأثرة وحب الذات وضيق الصدر، وعبودية المال وما إليها من الصفات الدنيئة الأخرى التى دعت إليها الوجودية(١).

٤ - الحــج :

إذا كانت صلاة الجمعة فى كل أسبوع مؤتمرًا إسلاميًا مصغرًا على مستوى القرية، أو الحى فى المدينة - فإن الحج مؤتمر إسلامى موسع يلتقى فيه المسلمون من كل حدب وصوب؛ ليتدارسوا أمور دينهم، وليشهدوا منافع لهم بالبحث عما تصلح به دنياهم، إنه مؤتمر تخلو فيه المظاهر من أية سمات وطنية أو إشارات إقليمية، فتتجسد فيه وحدة الغاية والهدف والمصير: أمة واحدة، قبلة واحدة، لباس واحد، نداء واحد فى أيام طاهرة أقسم الحق بها، وأرض شرفت ببيت الله الحرام؛ فكانت حرمًا بحرمة هذا البيت.

إن لقاء الأمة فى أشرف مكان وأطهر زمان - لقاء ينتظم به العقد، وتتوحد فيه وبه الكلمة، ثم يعود الحجاج إلى بلادهم وقد شعر كل منهم بآمال أخيه والأمة.

وفى الحج تذكير بالبعث؛ فالناظر إلى المسلمين فى يوم الحج الأكبر وقد لبسوا ثوبهم الأبيض، تلتهب حناجرهم بالدعاء، وقد امتلأت بهم عرفات على رحابتها - يتخيل أن القبور قد تبعثرت وخرج منها ساكنوها مهطعين إلى الداعى للسؤال والحساب، وهكذا الحج هو عبادة الله - تعالى -

---

(١) راجع: أبو الأعلى المودودى (مبادئ الإسلام) - ص١٢٤ - ١٢٧ .

التى هى أكبر وسيلة وأنجح طريقة لتربية الفرد والأمة الإسلامية على الاتحاد والمحبة والتعاون[١]، وهكذا العبادات كلها إنما فرضها الله - سبحانه وتعالى - كى تعين الفرد والأمة على السير فى الطريق المستقيم، وتسدد خطاهم وتفيدهم كأفراد وجماعات، وتقوى صلتهم بخالقهم، وتعينهم على الاستقامة فى الحياة وتعميرها.

والمتأمل المدقق يدرك الكثير والكثير من الحكم والآثار، إنه الحق، إنه دين الله، إنه الإسلام.

فهل تعود هذه الأمة إليه، فيعود إليها سابق عزها ومجدها؟ أدعو الله إنه سميع مجيب.

والآن، بعد أن عرفنا دور العبادات فى تجديد الإيمان وبناء الفرد والمجتمع، نذكر ما هى الاحتياطات التى عملها الإسلام وقررها لحماية الفرد والمجتمع فى ضوء الشريعة الإسلامية.

ثانيًا: الحدود:

شرع الله - سبحانه وتعالى - الحدود لراحة الفرد والمجتمع فى كل زمان ومكان؛ حتى تمتنع الجرائم التى ترتكب، وكل فساد يرتكب على هذه الأرض:

فقد شرع الله - سبحانه وتعالى - حد الخمر لما لها من الضرر فهى أم الخبائث وزعيمة المصائب، وضررها يتناول الروح والجسد والمال والولد، والعرض والشرف، فكم خربت دورًا، وأذهبت عقارًا، وأثارت محنًا، ونقلت العقل من حالة التفكير والتدبير والحكمة والرشاد إلى حالة الجنون والبغى والفساد، وكم أحدثت من العداوة والبغضاء بين الأب وأولاده، وبين الإخوان مع بعضهم، وكم فرقت الأصدقاء، وشتت الأسر،

---

(١) راجع: أبو الأعلى المودودى (مبادئ الإسلام)، ص١٢٧ - ١٣٠ .

وفككت البيوت والمجتمعات؛ فما أحكم الشرع الإسلامى حين حرم الخمر ووضع العقوبة المناسبة لها.

أما الزنى فقد حرمه الله - سبحانه وتعالى - لأنه جريمة الجرائم وأصل المفاسد، وهو من الكبائر؛ فحرمه الله حفظًا للأنساب، وصيانة للأعراض، وحفظًا للنسل، ومنعًا للوقوع فى شرك الفقر والفاقة، وحدًا من الإصابة بالأمراض المعدية كالزهرى والسيلان وغيرهما، ولشدة ضرره وقبحه وعظم مفسدته على الفرد والمجتمع وضع له أقصى العقوبات الرادعة الزاجرة، ولو لم يحرم الزنى لتلاشى النوع البشرى فى قليل من الزمن؛ لقلة النوع الإنسانى، وفسدت على الناس أحوالهم، واختلّ نظامهم، وتفشّت الإباحة والوقاحة والاستهتار فى المجتمع، وحدثت الفتن وتزعزعت قواعد المجتمع.

أما حد السرقة فقد شرع الله - سبحانه وتعالى - قطع يد السارق؛ لأن السارق يدفعه إلى السرقة الطمع فى زيادة الكسب أو زيادة الثراء، وقد حاربت الشريعة الإسلامية هذا الدافع بتقرير عقوبة القطع، فإذا علم السارق بأنه ستقطع يده، فإن عاد قطعت رجله - امتنع عن الوقوع فى الجريمة؛ لصرامة العقوبة وجديتها فى الزجر والتخويف، وبذلك تصان أموال الأمة وتحفظ ولا تهدر.

كما قرر التشريع الإسلامى عقوبة القتل فى القصاص؛ حتى لا يتعدى الناس بعضهم على بعض فيعم الفساد، وتخرب البلاد، ومن هنا شرع القصاص؛ لإقامة ميزان العدل بين الناس ليكون الجزاء من جنس العمل[١]، إلى غير ذلك من الحدود والعقوبات التى قررها الشارع الحكيم.

وكان الهدف من وراء هذه التشريعات إقامة المصالح الدنيوية

---

(١) راجع د. زينب رضوان (الإسلام فى قلب العصر)، دار المعارف، مصر، ص١٨٩ - ٢١٣ .

والأخروية، وذلك على وجه لا يختل لها به نظام؛ حيث وضع الإسلام المبادئ التى تكفل تماسك الجماعة، واطمئنان الفرد والأمة، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود.

ونشير إلى أن تنفيذ تلك التشريعات على النحو الذى قرره الله - سبحانه وتعالى - إنما يقوم أساسًا على العقيدة الإيمانية التى تكيف ضمير الفرد وواقع المجتمع، والتى تجعل المعاملات عبادات، والعبادات قاعدة للمعاملات، والتى تجعل الحياة فى النهاية وحدة متماسكة تنبثق من المنهج الربانى وحده دون ما سواه، وتجعل مردها فى الدنيا والآخرة إلى الله.

قال الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله-: «فلله ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسماها! وكلما ازداد المرء معرفة بها ازداد لها احتراما وتعظيمًا وتوقيرًا؛ فلذلك كان الصحابة - رضى الله عنهم - لكمال معرفتهم بها أشد الناس تمسكًا بها وتمشيًا مع تعاليمها بكل جليل ودقيق، وإنه لمن العجب إعراض أكثر الناس فى هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة، واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض، واضحة الجور، فاسدة المعنى؛ فلذا كثيرا ما يطرأ عليها التغيير والتبديل، كلٌ يرى أنه أحسن ممن تقدمه، وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه، ثم يجرى عليها تغييرا وتبديلاً بحسب رأيه، وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان».

أما الشريعة الإسلامية فهى صالحة لكل زمان ومكان، مضى عليها أربعة عشر قرنًا وهى هى فى كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات، وأهدأ الناس حالاً وأنعمهم بالاً، وأقرهم عيشًا - أشدهم تمسكًا بها، سواء فى ذلك الأفراد أو الشعوب أو الحكومات، وهذا شيء يعرفه كل واحد إذا كان عاقلاً منصفًا وإن لم يكن من أهلها، بل وإن كان من المناوئين لها، وقد سمعنا وقرأنا كثيرًا مما يدل على ذلك:

فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا لسياسة: إن نشأة أوربا الحديثة إنما أخذوها فى حروبهم مع المسلمين فى الشرق والغرب.

وقال القس طيار: إن الإسلام يمتد فى إفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من نتائجه.

وقال كونتس: يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة فى السجايا وشرف فى الأخلاق قد طبعته فى نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن غيرهم، فإنهم فى سموّ تام من حيث ذلك.

وقال أيضا: إن من أهم النعوت التى يمتاز بها المسلم عزة فى النفس، فهو سواء فى حالة بؤسه ونعيمه، لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التى غرسها الإسلام فى نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال مانوتو وزير خارجية فرنسا فى وقته: إن هذا الدين الإسلامى قائم الدعائم ثابت الأركان، وهو الدين الوحيد الذى أمكن اعتناق الناس إليه زمرًا وأفواجًا، وهو الدين الإسلامى العظيم الذى تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق أى دين سواه؛ فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام حدوده فانتشر فى الآفاق.

وقال بعضهم: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه، وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال - نشأ فيهم فساد الأخلاق؛ فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض، فتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون، ثم لا ينافسون غيرهم فى فضيلة، ولكن فيما أمكن لأحدهم أن يضرَّ أخاه، لا

يقصر فى إلحاق الضرر به.

وأقوالهم فى هذا الموضوع كثيرة جدًا يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقًا لصاروا أرقى الأمم، وأسعد الناس، ولكن ضيعوا فضاعوا، واكتفوا منه بمجرد التسمى بأنهم مسلمون.

مناقب شهد العدو بفضلها، والفضل ما شهدت به الأعداء، ولسنا - والحمد لله - فى حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته، ولكن ذكرنا هذا لما قصّر أهله فى فهمه والعمل به وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه؛ إذ جهلوا مصالحه، وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال، وأنه فوق كل نظام، ولا شك أنه الدين الصحيح، دين العمل، دين الاجتماع، دين التوادد والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والقنا والحرف.

لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات، بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على مر السنين وتعاقب الدهر إلى أن تقوم الساعة، ولكن يا للأسف ويا للمصيبة: إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون عليه معاولهم؛ ليهدموه وليفرقوا أهله ويفضلون أهل الغرب على المسلمين؛ ظنًا منهم بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة - أن الدين هو الذى أخّرهم، وهيهات أن يكون الدين هو الذى أخّرهم، ولكنهم أخّروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلى الكسل، وقنعوا بالجهل؛ فأصبحوا فى حيرة من أمرهم، إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعى، ولكنهم تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم، وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرفى الدنيا و الآخرة[١].

---

(١) نقلا من (كتاب الجامع المفيد المبنى على تحقيق التوحيد)، للشيخ على عبد الله الضفعبى، دار العليان، بريدة، ص٣٤٩ - ٣٥٢ .

إن الشريعة الإسلامية نظام يحكم تصرفات الإنسان فى كل حالاته، وينظم المجتمع الذى نعيش فيه، ينظم علاقات الأمة أو الدولة الإسلامية بغيرها، إنه ينظم كل العلاقات فى السلم والحرب، وفى البر والبحر، فيه القانون المدنى والتجارى والمرافعات، والدولى الخاص والعام، والقانون الجنائى بكل فروعه؛ فهو شامل لكل أبواب وفروع التشريعات الحديثة، وهو غنى بأصوله القوية وأحكامه الصالحة لكل زمان ومكان، قامت عليه الأمة الإسلامية قرونًا طويلة، والتاريخ خير شاهد على ما نقول، وصدق الله - العظيم-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١].

وهذه الشريعة هى الخاتمة لكل الرسالات، نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه - وهى صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان[٢]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) المائدة، آية ٥٠ .

(٢) راجع: محمد عبد الله الخطيب (فوق أطلال الماركسية والإلحاد)، دار المنار الحديثة، مصر، ص٦٢ .

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن اهتدى به إلى يوم الدين، وبعد:

أشكر الله - سبحانه وتعالى - بعد أن مَنَّ علىَ بإنهاء هذا البحث الذى استفدت منه فوائد عديدة، وخلصت إلى نتائج كثيرة من أهمها:

تلك النتيجة الإجمالية، ومفادها: أن كل المذاهب والفلسفات التى تنبع من العقل البشرى، ويكون مصدرها الهوى والحدس والتخمين - مذاهب وفلسفات ضالة مضلة ومدمرة، وأن المنهج السديد هو منهج الإسلام؛ إذ هو المنهج الربانى، المنهج الذى اصطفاه الله - رب العالمين - واختاره نبراسًا ودليلاً يسترشد به خلقه ويطبقونه.

ومنهج الإسلام متمثل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو منهج شامل يضمن للإنسان سعادة الدنيا والآخرة، أما الفلسفات الوضعية كالوجودية والمادية والواقعية والماركسية وغيرها، فهى فلسفات متهافتة لا تقيم اعوجاجًا ولا تصلح حياة، فضلاً عن أن تصمد أمام تمحيص العقل السليم ونقده؛ لأنها فلسفات بشرية، وأى بشر مهما أوتى من ذكاء وفطنة وحكمة - قاصر عن أن يضع منهجًا تقوم به حياة الناس.

ومن هنا أقول: لا حياة للناس فى كل زمان ومكان إلا بمنهج الله - الخالق - العليم بما خلق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، ولكن الناس بآيات الله يجحدون.

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التفصيلية، أبرزها:

١- أن الوجودية - أو الحديث عن الوجود - موجودة بوجود الإنسان

---

(١) الملك: آية ١٤ .

على الأرض، وأن الفلاسفة قديمًا تناولوها، تناولها فلاسفة المصريين القدماء، وفلاسفة اليونان، ولكنها كمذهب أو كفلسفة لها محدداتها وعناصرها وقضاياها لم تتبلور إلا فى القرن السابع عشر الميلادى على يد الفيلسوف الدانمركى كيرك جورد.

٢- الوجودية الحديثة بدأت وجودية مؤمنة أو مسيحية، ثم ما انفكت حتى انحرفت وأصبحت وجودية ملحدة، لكن كلتا الوجوديتين فى جوهرها دعوة هدامة للدين والأخلاق، داعية إلى تحرير الإنسان من كل الضوابط والأنظمة؛ فهو سيد نفسه.

٣- أن الوجودية الحديثة تكفر بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، وتصفها بالعوائق التى تقف أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذت الإلحاد مبدأ لها؛ فنتجت عنها آثار مدمرة للفرد والمجتمع.

٤- أن الوجودية الحديثة تعتقد أن الإنسان أقدم شىء فى الوجود، وما قبله كان عدمًا، وأن وجوده سابق على ماهيته.

٥- أن الوجودية الحديثة تدعو إلى الحرية المطلقة التى لا توجد إلا فى خيالهم المريض، وإن وجدت - على سبيل الفرض البعيد - فهى حرية تقترب من الفوضى التى تدمر الفرد والمجتمع.

٦- أن الوجودية الحديثة تزعم أن الأخلاق نسبية متغيرة، وهذا ليس إلا انحرافًا فى السلوك نتيجة للابتعاد عن دين الله ومخالفة شرعه؛ فترتب على عدم الإيمان بوجود قيم ثابتة شيوع الفوضى الخلقية، والإباحية الجنسية، والتحلل والفساد.

٧- أن الوجودية الحديثة نزعة فردية متطرفة، لا تعنى إلا بمصلحة الفرد فقط، أما مصلحة الجماعة فلا تنظر إليها، ولا تعيرها أى اهتمام.

٨- أن الوجودية الحديثة نزعة تشاؤمية انهزامية، تصور الحياة تصويرًا رهيبًا خاليًا من المعنى والأمل والهدف، فهى بهذا تدفع إلى القلق واليأس، واعتبار الحياة جحيمًا لا يطاق.

٩- أن الوجودية الحديثة تنشد خزى الإنسان؛ فهى مولعة بإبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية، وتبالغ فى تصوير الجانب المظلم من الحياة بما فيها من مآسٍ وآلام وأحزان وبؤس وكآبة وفسق وانحلال وانحراف وتعاسة وشقاء، وهذا ما يضفى عليها صفة اللاإنسانية التى لا ينبغى أن تكون فى مذهب فلسفى يدعى الإنسانية.

١٠- أن الوجودية الحديثة إحدى واجهات الصهيونية التى هى الواجهة السياسية لليهودية العالمية.

١١- أن ثقافة الوجوديين هابطة، وأدبهم يدعو إلى الانحلال والإباحية.

١٢- أن الوجودية الحديثة قد فشلت فى إقامة العلوم الإنسانية؛ لاعتمادها على الذات، والاستغناء عن الموضوعية عند معالجة الروابط الإنسانية.

١٣- أن الفكر الوجودى - وبشكل إجمالى - فكر تافه هزيل لا يستحق كل ما نسمعه عنه من جعجعات وطنطنات.

١٤- أن الإنسان فى الإسلام مخلوق مكرم ذو حرية وإرادة، سخر الله له الكون المادى ليستفيد منه، وأمره بالاستقامة على دينه؛ لينال السعادة فى الدنيا والفوز بالآخرة، بخلاف ما تصوره الوجودية.

١٥- أن الإسلام هو العاصم، وهو العلاج الوحيد للبشرية، والدواء الذى لا دواء سواه لإبرائها من سقمها وأمراضها، وبه تتبوأ المكانة اللائقة بها كخير أمة أخرجت للناس، بخلاف ما تصوره الوجودية.

١٦- أن غالبية الأمة الإسلامية آثمة فى تركها البشرية تتخبط فى

مستنقعات الأفكار الهدامة والمذاهب المضللة، وهى تملك الدين الإلهى الذى يسعد البشرية فى الدنيا والآخرة.[١]

هذا، وأرجو الله - العلى القدير - أن أكون قد وفقت بإعطاء هذا البحث حقه، وهذا ما أردت، وإن يكن قصر جهدى عن إدراك الغاية، فعزائى أننى لم آلُ جهدًا فى هذا السبيل، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمنى ومن الشيطان، وأستغفر الله العلى العظيم.

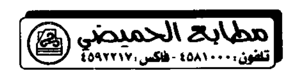
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلَّمَ وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) أصدر مجمع الفقه الإسلامى قرارًا حول الوجودية هذا نصه:
(... وبناء على ذلك يقرر مجلس المجمع بالإجماع إن فكرة الوجودية فى جميع مراحلها وتطوراتها وفروعها لا تتفق مع الإسلام؛ لأن الإسلام يعتمد النقل الصحيح والعقل السليم معًا فى وقت واحد، فلذا لا يجوز للمسلم بحال من الاحوال أن يتنمى إلى هذا المذهب متوهمًا إنه لا يتنافى مع الإسلام، كما أنه لا يجوز بطريق الأولوية أن يدعو إليه أو أن ينشر أفكاره الضالة).

فهرس المحتويات

* * *


مطابع الحميضي
تلفون: ٤٥٨١٠٠٠ - فاكس: ٤٥٩٢٢١٧٠